المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

منهج الإمام عبدالرازق الرسعني الحنبلي وجهوده في تقرير عقيدة السلف

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير
في العقيدة والمذاهب المعاصرة

إعداد
إبراهيم بن صالح بن إبراهيم الناشري

إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور
ناصر بن عبدالرحمن الجديع
الأستاذ بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

العام الجامعي
١٤٣٠ - ١٤٣١هـ

بسم الله الرحمن الرحیم

المقَدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صاحب الفضائل المشهورة ، والدلائل المأثورة، والصنائع المحمودة، والمناقب المعروفة، والداعي إلى الدين القيم، لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، صاحب اللواء المرفوع والمقـام المحمـود والحـوض المورود، والوسيلة المنيعة، والدرجة الرفيعة العالية.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾(١).

ا يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ (٢).

ا يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ (٣).

أما بعد:

فإن الله -سبحانه وتعالى- أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، وأنزل عليه الكتاب وهدى به الخلق، ودعا إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فبلّغ البلاغ المبين، بيانه أوضح مـن الشمس في رابعة النهار، فتنورت أقطار المعموره بنور الإيمان، ودخل الناس في ديـن الله أفواجاً، وحذّر أمته طرق المغضوب عليهم والضالين، وتركنا على المحجة البيضاء ليلـها

(١) سورة آل عمران: الآية (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان (٧٠-٧١).

كنهارها لا يزيغ ولا يحيد عنها إلا هالك تائه.

ولم ينتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى حتى كَمُلَ الدين، وبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، وتمّت النعمة، وحمل لواء الدعوة ونشر التوحيد من بعده أصحابه الكرام البررة -رضي الله عنهم-، فكان لهم السبق في رفع راية لا إله إلا الله، فبلغ هذا الدين مشارق الأرض ومغاربها، ثم كان بعدهم التابعون الذين حملوا راية الهدى بعد عصر الصحابة -رضي الله عنهم أجمعين-، ثم تابعوهم، فساروا على نهجهم، وأخذوا هذه الشريعة بيضاء نقية، وكانت هذه القرون الثلاثة هي القرون المفضلة.

ثم كان القرن الرابع وما بعده، فظهر الانحراف عن الهدي القويم بصورة جلية من قِبل من ابتعدوا عن منهج الكتاب والسنة، وحصل من التفرق والابتداع، ما حصل على نحو لم يعهد من قبله، وانتشرت الأهواء، وبدأ التحريف والتأويل لمعاني النصوص ومدلولاتها، وعظُم هذا الانحراف حتى كان الافتراق في أصول الدين، ولكن الله وعد بحفظ هذا الدين والتمكين والرفعة لأهله كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩﴾[1]، وما زال أئمة الدين والعلماء الربانيون يبعثون في هذه الأمة، جيلاً بعد جيل، ويقيمون السنة، وينفون عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين.

وممن نحسبهم كذلك: الحافظ عز الدين عبدالرّازق بن رزق الله الرسعني الحنبلي (٥٨٩-٦٦١هـ).

وقد عزمت -بعون الله وتوفيقه- على دراسة منهج هذا العالم الفذ وجهوده في تقرير العقيدة السلفية والذب عنها وذلك بعد الاستخارة والاستشارة من مشايخي الفضلاء وبعض طلبة العلم، وذلك لنيل درجة (الماجستير) في تخصص العقيدة والمذاهب المعاصرة ووسمته بعنوان (منهج الإمام عبدالرّازق الرسعني الحنبلي وجهوده في تقرير عقيدة السلف).

(١) سورة الحجر: الآية (٩).

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تظهر أهمية هذا الموضوع وأسباب اختياره من جوانب متعددة من أهمها ما يلي:

١- أهمية ما نقل عن الرسعني في باب العقائد حيث اشتمل على جل مسائل العقيدة.

٢- إن دراسة مثل هذا العالم وجهوده في بيان وتقرير عقيدة السلف فيه إضافة جديدة للدراسات الإسلامية.

٣- لهذا العالم ردود قوية ومنافشات مع أهل البدع والأهواء، كالمعتزلة، والقدرية، والخوارج، والشيعة، وغيرهم.

٤- جهود الإمام الرسعني في تقرير العقيدة وعرضه للمذهب السلفي مفرق في كتبه ومصادر ترجمته المتناثرة، ولذا فهي محتاجة إلى من يجمعها ويرتبها على أبواب العقيدة.

٥- الحافظ الرسعني عالم من أعلام أهل السنة، ولم أجد بعد التفتيش في الفهارس وإفادة المختصين دراسة علمية عنه تبين جهوده في تقريره عقيدة السلف.

٦- يحظى هذا العالم بمنهجية علمية تتجلى في الجمع بين الأقوال والمناقشة والاستدلال والتقرير مما يتطلب بيان هذا المنهج، ودراسته، وسيكون نافعاً مفيداً بإذن الله.

٧- إن شخصية الرسعني شخصية علمية مميزة، يقول عنه الذهبي: " العلامة المحدث المفسر الحنبلي، كان شيخ الجزيرة في زمانه علماً وفضلاً وجلالة"[(١)].

---

(١) العبر في خبر من غبر، لأحمد بن عثمان الذهبي (٣٠٢/٣)، تحقيق: محمد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

هدف البحث:

جمع **أقوال الرسعني** في **الاعتقاد وبيان منهجه** في **تقرير عقيدة السلف وإيضاح جهوده** في **ذلك.**

الدراسات السابقة:

بعد البحث في **قوائم الرسائل** الجامعية **والاطلاع على فهارس المكتبات والجامعات السعودية، وما** تم **تسجيله ورصده** في **قاعدة معلومات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية** لم **أجد دراسة لها صلة** بموضوع بحثي **الموسوم** بـ (منهج الإمام عبدالرّازق الرسعني الحنبلي وجهوده في تقرير عقيدة السلف)، **ولكن أشير** إلى **أن الدكتور/** محمد **بن صالح البراك حقّق** الجزء **الأول من كتاب الرسعني «رموز الكنوز** في **تفسير الكتاب العزيز »، وقد عرف** بمؤلفه **تعريفاً عاماً فقط، كمقدمة لتحقيق الكتاب،** ولم **يتناول خلال تلك** الترجمة **بيان عقيدته ومنهجه، أو جهوده** في **تقرير عقيدة السلف موضوع** بحثي **هذا** [(١)]**.**

(١) بعد أن تم إنهاء كتابة كامل أبواب الرسالة، نشِر كتاب "رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز" كاملاً، عام ١٤٢٩هـ، بتحقيق الدكتور/ عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، وهو كسابقه عرف بالرسعني تعريفاً عاماً كمقدمة لتحقيق الكتاب، ولم يتطرق في تحقيقه لعقيدته، ومنهجه وجهوده.

خطة البحث:

قسمت هذا البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة أبواب وخاتمة، ثم ذيلته بفهـارس تفصيلية كاشفة:

المقدمة:

وتشتمل على:

- **أهمية الموضوع وأسباب اختياره.**
- **هدف البحث.**
- **الدراسات السابقة.**
- **خطة البحث.**
- **منهج البحث المتبع فيه.**

التمهيد: ويتضمن :

التعريف بالرسعني :

وفيه:

أولاً: عصر الرسعني:

١- الحالة السياسية والاجتماعية.

٢- الحالة العلمية.

ثانياً: حياة الرسعني الشخصية:

١- اسمه ونسبه وكنيته ولقبه ونسبته.

٢- مولده ونشأته وأسرته ووفاته.

ثالثاً: حياة الرسعني العلمية:

١- طلبه للعلم.

٢- رحلاته العلمية.

٣- شيوخه وتلاميذه.

٤- مؤلفاته.

٥- مكانته العلمية.

٦- عقيدته إجمالاً، ومذهبه الفقهي.

الباب الأول: مصادر الرسعني في التلقي ومنهجه في الاستدلال.

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: مصادر الرسعني في تلقي العقيدة.

الفصل الثاني: منهج الرسعني في الاستدلال.

الفصل الثالث: منهج الرسعني في العرض والمناقشة.

الفصل الرابع: منهج الرسعني في الرد على المخالفين.

الباب الثاني: جهود الرسعني في تقرير عقيدة السلف .

وفيه سبعة فصول:

الفصل الأول: جهود الرسعني في تقرير الإيمان بالله .

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: جهود الرسعني في تقرير توحيد الربوبية .

المبحث الثاني: جهود الرسعني في تقرير توحيد الألوهية.

المبحث الثالث: جهود الرسعني في تقرير توحيد الأسماء والصفات .

الفصل السادس: جهود الرسعني في تقرير الإيمان بالقضاء والقدر .

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المراد بالإيمان بالقضاء والقدر.

المبحث الثاني: تقرير الرسعني مذهب السلف في القضاء والقدر.

المبحث الثالث: مسائل تتعلق بالقضاء والقدر.

الفصل السابع: جهود الرسعني في تقرير مسائل الإيمان وفي الصحابة والإمامة .

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حقيقة الإيمان وزيادته ونقصانه.

المبحث الثاني: فضل الصحابة.

المبحث الثالث: الخروج على الأئمة.

الباب الثالث: موقف الرسعني من الفرق .

وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: موقف الرسعني من المعتزلة.

الفصل الثاني: موقف الرسعني من الخوارج.

الفصل الثالث: موقف الرسعني من القدرية.

الفصل الرابع: موقف الرسعني من الرافضة.

الفصل الخامس: موقف الرسعني من الملل والفرق الأخرى.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.

الفهارس:

وتشمل على ما يلي:

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث.

٣- فهرس الآثار.

٤- فهرس الأعلام المترجم لهم.

٥- فهرس التعريف بالفرق والملل والمذاهب.

٦- فهرس التعريف بالأماكن والبلدان.

٧- فهرس المصطلحات والألفاظ الغريبة.

٨- فهرس الأبيات الشعرية.

٩- فهرس المصادر والمراجع.

١٠- فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

المنهج الذي سأتبعه وسأسير عليه - إن شاء الله تعـالى- المنـهج الاسـتقرائي التحليلي النقدي .

أولاً: ما يتعلق بجهود الرسعني في تقرير عقيدة السلف وجمع المادة العلمية:

١- استقراء وجمع كلام الرسعني من مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة ما أمكن ومـن مظانه الأخرى، حيث أقوم باستقراء المسائل العقدية التي نص عليها، أو ذكرها الرسعني أو نسبت إليه.

٢- عرض ما ذكره الرسعني من المسائل العقدية وترتيبها على أبواب العقيدة.

٣- تحليل تلك المسائل وبيان مدى موافقته فيها لمذهب الـسلف الـصالح مـن عدمها، والاستدلال على ذلك بنصوص الكتاب والسنة ونقل كلام الـسلف رحمهم الله.

ثانيـاً: أمـا فيمـا يتعلـق بخدمـة نـص البحـث، ورسمـه، وهوامـشه فـسوف يـتم الالتـزام بـالمنهج العلمـي المتبـع في كتابـة البحـوث العلميـة علـى النحـو التـالي:

- **عزو الآي بذكر اسم السورة، ورقم الآية.**
- **تخريج الأحاديث والآثار الواردة، فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما، اكتفيت بذلك، وإلا خرجتها من مظا ا، مع نقل كلام العلماء وحكمهم عليها.**
- **الترجمة للأعلام غير المشاهير.**
- **شرح الألفاظ الغريبة والمصطلحات الغامضة.**
- **التعريف بالفرق.**
- **نسبة الأبيات الشعرية إلى قائليها.**
- **التعريف بالأماكن والبلدان غير المشهورة الواردة في البحث.**

- ❖ توثيق النقول الواردة بذكر مصادرها ، مع ذكر بيانات المصدر كاملة عند ذكره لأول مرة، وعند تكرار النقل يذكر المصدر باسمه ورقم الجزء والصفحة.
- ❖ وضـع فهـ ـارس تفصيليـة.

وفي ختام هذه المقدمة لا يسعني إلا أن أحمد الله وأشكره، أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، على تيسيره وتسهيله، وأسأله المزيد من عونه وتوفيقه، ثم أشكر والدي الكريمين أمد الله بعمرهما على طاعته، اللذين أحاطاني برعايتهما وصـادق دعائهمـا، وكـذلك زوجتي وأهل بيتي الذين صبروا علي أثناء إعداد هذه الرسالة وما فتئوا في الشد علـى يدي للكتابة والبحث.

ثم أشكر الصرح العلمي الشامخ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ممثلة في كلية أصول الدين، وفي قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة على منحي هذه الفرصة الكريمة لإعداد رسالتي هذه، وما تقدمه من خدمات جليلة للعلم وطلابه، كما لا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم بالشكر الجزيل لفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور/ ناصر بـن عبـدالرحمن الجديع، الذي أشرف على هذه الرسالة؛ لتواضعه الجم، ونصائحه القيمـة وملحوظاتـه الموضوعية، وتوجيهاته السديدة، التي أنارت لي الطريق في خضم هذا الموضوع، ويسرت لي سبل البحث والرجوع، ولم يبخل علي بوقت ولا جهد ولا رأي، فأسأل الله أن يجزيه خير الجزاء وأن يبارك في علمه وعمله.

ولا أدعي أنني استكملت جميع جوانب البحث، فإن الكمال لله جلّـت قدرتـه وتقدست أسماؤه، والنقص من طبيعة البشر.

هذا، وما كان فيه من صواب فمن الله وتوفيقه لي، وما كان غير ذلك، فأستغفر الله منه، وهو حسبي ونعم الوكيل، وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام علـى المرسلين والحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد إمام المتقين، وعلى آله وصحبه ومـن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

التمهيد

ويتضمن:

التعريف بالرسعني.

وفيه:

أولاً: عصر الرسعني.

١- الحالة السياسية والاجتماعية.

٢- الحالة العلمية.

ثانياً: حياة الرسعني الشخصية:

١- اسمه ونسبه وكنيته ولقبه ونسبته.

٢- مولده ونشأته وأسرته ووفاته.

ثالثاً: حياة الرسعني العلمية:

١- طلبه للعلم.

٢- رحلاته العلمية.

٣- شيوخه وتلاميذه.

٤- مؤلفاته.

٥- مكانته العلمية.

٦- عقيدته إجمالاً، ومذهبه الفقهي.

التعريف بالرسعني

وفيه:

أولاً: عصر الرسعني:

١-الحالة السياسية والاجتماعية.

٢-الحالة العلمية.

١- الحالة السياسية والاجتماعية

توطئة:

إن أي بحث يتطرق لحدث من الأحداث، على اختلاف زمانه، أو مكانه، أو الآثار المنبثقة عنه، أو إن هذا البحث يكشف ويبحر في سيرة علم من الأعلام، ومنهجه العلمي، والفكري، والعقدي؛ يتطلب إلقاء الضوء على العصر الذي وقع فيه هذا الحدث وانتشر؛ أو وجد فيه ذلك العلم وبرز، وهو بلا شك أمر هام وضروري لتكامل جوانب الحقيقة العلمية حول ذلك الأمر؛ لأنه وكما هو معروف عند علماء الاجتماع بأن الإنسان يتأثر بالأحداث التي حوله ومن خلال ذلك تصاغ شخصيته، وتشكّل أفكاره ورؤاه، وترسم توجهاته.

ولو نظرنا إلى تراجم أولئك العلماء الأفذاذ، الذين ضربوا أروع الأمثلة في التضحية في طلب العلم من معينه الصافي النقي، ومن ثم قاموا على تدريسه لتلاميذهم، وتأليفه، لوجدنا أثر العصر الذي عاشوا فيه عليهم واضح بين أوضح من الشمس في رابعة النهار.

ولهذا سأستعرض في الصفحات القادمة لأهم الحالات المؤثرة في ذلك العصر الذي عاش فيه الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أ- الحالة السياسية:

عاش الإمام الرسعني رَحِمَهُ اللَّهُ في النصف الأول من القرن السابع الهجري تقريباً، حيث إن ولادته سنة ٥٨٩هـ ووفاته سنة ٦٦١هـ.

وقد كانت هذه الفترة مليئة بالأحداث، والتقلبات والاضطرابات السياسية، والتي كان لها الأثر الواضح على الأمة الإسلامية عامة، وعلى الدولة العباسية خاصة، والتي كانت تعيش عصور ضعفها وتفككها بل وسقوطها ونهايتها على أيدي التتار [1].

وبهذا يكون الرسعني عاصر أربعة من الخلفاء العباسيين هم:

١-الناصر لدين الله، أبو العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله، الذي تولى الخلافة من سنة ٥٧٥هـ، حتى سنة ٦٢٢هـ [2].

---

(١) التتار: شعب كبير من الأمة التركية، ومنه تتفرق معظم بطونها وأفخاذها، ومنهم العثمانين، والتركمان، وقرمان وغيرهم، ومؤرخوا الترك ونسابوهم يقولون: إن ألنجه خان أحد ملوك الترك في الأزمنة القديمة، ولد له ولدان توأمان هما تتارخان، ومغل خان، نحو ربيعة ومضر في الأمة العربية، ومن أكبر الحوادث في التاريخ الإسلامي خروج طوائف المغول والتتر إلى البلاد الإسلامية واستيلاؤهم على معظمها وخاصة في آسيا وشرق أوربا.

انظر: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية –الدولة العباسية، تأليف: الشيخ: محمد الخضري بك، ص ٤٦٧، الطبعة التاسعة ١٩٥٩م، المكتبة التجارية الكبرى - مصر.

(٢) هو أبو العباس، الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء بأمر الله حسن بن المستنجد بالله يوسف الهاشمي العباسي، ولد سنة (٥٥٣هـ)، وبويع له بالخلافة بعد موت أبيه وهو ابن إحدى وعشرين سنة، وكانت مدة خلافته سبعاً وأربعين سنة إلا شهراً، ولم يقم أحد من الخلفاء العباسيين في الخلافة هذه المدة الطويلة، توفي سنة (٦٦٢هـ)، وكان قبيح السيرة في رعيته ظالماً لهم، فخرب في أيامه العراق، وتفرق أهله في البلاد، وأخذ أموالهم وأملاكهم، وكان يفعل الشيء وضده، فمن ذلك أنه عمل دور الإفطار في رمضان ودوراً لضيافة الحجاج، ثم أبطل ذلك، وكان قد أسقط مكوساً ثم أعادها.

انظر: البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير (١٣٣/١٧-١٣٥)، تحقيق: الدكتور: عبدالله بن عبدالمحسن التركي – بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، لابن دحية (١٥١-١٥٢)، دراسة وتحقيق: مديحة الشرفاوي، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد.

٢- خلفه ابنه الظاهر بأمر الله، أبو نصر محمد بن أحمد الناصر لدين الله، الـذي تولى الخلافة من سنة ٦٢٢هـ، إلى سنة ٦٢٣هـ [(١)] .

٣- ثم خلفه ابنه المستنصر بالله أبو جعفر، منصور بن محمد، والذي كانت خلافته من سنة ٦٢٣هـ إلى سنة ٦٤٠هـ [(٢)] .

٤- ثم خلفه ابنه المستعصم بالله أبو أحمد عبدالله بن منصور الذي تولى الخلافة سنة ٦٤٠هـ إلى أن قتل سنة ٦٥٦هـ [(٣)] .

وقد ضعفت الدولة العباسية في آخر عهدها، إذ زاد ظهور العصبية، فقامت دول على أساسها ولم يكن لها داع لقيامها لولا فكرة العصبية التي حملتها واللغة التي أحيتـها

---

(١) هو أبو نصر، الظاهر بأمر الله ، محمد بن الناصر لدين الله أحمد ابن المستضي بأمر الله حسن الهاشمي العباسي، ولد سنة (٥٧١هـ)، أظهر العدل والإحسان، وأزال المظالم وأعاد سنة العمرين، كان خشوعاً خضوعاً لربه، استمرت خلافته تسعة أشهر ونصفاً، توفي سنة (٦٢٣هـ).

انظر: البداية والنهاية (١٣٦/١٧-١٣٨)، سير أعلام النبلاء، للإمام أبي عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (٣٢٢٠/٣-٣٢٢١)، رتبه واعتنى به: حسان عبدالمنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ، بيت الأفكار الدولية – لبنان.

(٢) هو أبو جعفر، المستنصر بالله منصور بن الظاهر بأمر الله محمد بن الناصر لدين الله أحمد، الهاشمي العباسي، ولد سنة (٥٠٨هـ)،نشر العدل، وبث المعروف، وقرب العلماء والصلحاء، وبنى المساجد والمدارس ، ودور الضيافة ، وأجرى العطيات، كانت دولته سبع عشرة سنة، توفي سنة (٦٤٠هـ)..

انظر: البداية والنهاية (١٥٠/١٧-١٥٢)، سير أعلام النبلاء (٣٩٥٠/٣-٣٩٥٣).

(٣) هو أبو أحمد، المستعصم بالله عبدالله بن المستنصر بالله منصور بن الظاهر بأمر الله محمد، الهاشمي العباسي، ولد سنة (٦٠٩هـ) ، كان كريماً، حليماً، كثير الصدقات، متمسكاً بالسنة كأبيه وجده، ولكنه لم يكن في حزم أبيه وتيقظه، وعلو همته، وإقدامه، استوزر ابن العلقمي الرافضي، فأظهر له ما لا يبطن وتحايل عليه وكان سبباً في مجيء التتار وسقوط الدولة العباسية وقتله على أيديهم سنة (٦٥٦هـ).

انظر: البداية والنهاية (٢٦٣/١٧-٢٦٤)، سير أعلام النبلاء (٣٩٥٤/٣-٣٩٥٦)، مؤيد الدين بن العلقمي وأسرار سقوط الدولة العباسية، لمحمد السعيدي، الطبعة الأولى عام ١٩٧٢م، مطبعة النعمان - النجف.

من جديد فظهرت الدولة الغزنوية [(١)] والخوارزمية [(٢)] ، وغيرها.

ولا شك فإن الطموح السياسي كان أساساً في نشأتها، ثم نما باسم العصبية، ودعم الشعب لها، وعلى ذلك انفصلت أجزاء عن الدولة رسمياً، وأعلنت عن قيام خلافة مستقلة فيها، ولم تكن هذه الدول الإسلامية على تفاهم فيما بينها واتفاق وتواد، بل على العكس كانت معادية بعضها لبعض، وبينها حروب ونزاعات. وكما هو معلوم بأنه لا يوجد في دار الإسلام سوى خليفة واحد، والمسلمون جميعاً تضمهم دولة واحدة[(٣)]، وهذا يؤكد على ضعف واهتزاز الروح الإسلامية لدى أبناء الإسلام في تلك الحقبة التي عاش فيها الرسعني؛مقارنةمع ما كان عليه المسلمون الأوائل في الصدر الأول.

وفي عهد الناصر لدين الله [(٤)] ضعف أمر الصليبيين، فظهر الأيوبيون وعلا

---

(١) الدولة الغزنوية نسبة إلى بلاد غزنة، وقد كان الأمير أبو إسحاق ابن البتكين هو صاحب جيش غزنة وأعمالها من قبل السامانيين وكان سبكتكين مولى للأمير أبي إسحاق، ولما توفي الأمير لم يترك أحداً يصلح للملك من بعده، فاصطلح الجيش على مبايعة مولاه سبكتكين لصلاحه فيهم وحسن سيرته وكمال عقله وشجاعته وديانته، فاستقر الملك في يده واستمر من بعده في الولاية ابنه محمود بن سبكتكين، وهذه الدولة التي أسسها سبكتكين وابنه محمود، دولة سنية حاربت الروافض والباطنيين، وكان محمود ملكاً فاضلاً عادلاً كريم السجايا والطباع، ومع هذا فهو غاية في الديانة يحب العلماء ويكرمهم.
انظر: البداية والنهاية (٢٨٦/١١)، (٢٩/١٢).

(٢) الخوارزمية: ظهرت الدولة الخوارزمية على مسرح التاريخ الإسلامي نتيجة حوادث تاريخية متعددة، وهي تنسب إلى نوشتكين أحد الأتراك في بلاط ملكشاه،كان بينهم وبين الدولة الغورية حروب كثيرة وخطوب طويلة ببلاد المشرق، سقطت سنة ٦٤٤هـ أثر معركة بحر القصب عند حمص.
انظر: البداية والنهاية (٣٢/١٣، ٤٥)، الأتراك الخوارزميون في الشرق الأدنى الإسلامي للدكتور: صبري سليم ص١٤٠، الطبعة الأولى عام ١٤١٩هـ، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية – مصر، التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية للدكتورة: عفاف سيد صبره، الطبعة الأولى عام ١٤٠٧هـ، دار الكتاب الجامعي – القاهرة.

(٣) انظر: التاريخ الإسلامي، الدولة العباسية، محمود شاكر (٧/٥)، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ ، المكتب الإسلامي.

(٤) سبق ترجمته في ص ١٨.

سلطا م، وزاد أمر السلاجقة [١] ضعفاً، على حين كانت تتسع رقعة الدولة الخوارزمية، واستطاع علاء الدين تكسش [٢] أخيراً، أن يستولي على البلاد التي كان يسيطر عليهـا السلاجقة وينهي أمرهم في العراق عام (٥٩٠هـ) [٣] .

وقد توسع نفوذ الغوريين [٤] ، وحصل خطوب بينهم وبين الخوارزميـة، علـى خراسان[٥] ، ثم اختلف الغوريون على الحكم كما كثر المتمردون عليهم، وهذا ما مكن

---

(١) السلاجقة: دولة تركية سنية أسسها محمد بن ميكائيل بن سلجوق (٣٨٥-٤٥٥هـ) الملقب بطغرل بك، وأصول السلاجقة تركية، وكانت منازلهم في بلاد ما وراء النهر قريب من بخارى، وبداية ملك السلاجقة استيلاء طغرل بك على نيسابور عام (٤٢٩هـ)، ولطغرل بك يد على الخلفاء العباسيين؛ إذ رد الخليفة القائم بأمر الله (ت ٤٦٧هـ) إلى الخلافة بعد أن طرده العبيديون من بغداد، والسلاجقة في بداية أمرهم هم الذين أعادوا للخليفة العباسي هيبته بعد أن خلصوا الخلافة العباسية من فتن العبيديين وطردوا البويهيين من العراق.

انظر: البداية والنهاية (٤٣/١٢)، الخلفاء في عصر السيطرة السلجوقية، محمود شاكر (٢٢-٤٠)، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، المكتب الإسلامي - بيروت - لبنان.

(٢) هو السلطان علاء الدين تكسش بن ألب أرسلان، صاحب خوارزم وبعض خراسان والري، كان جواداً شجاعاً، تملك الدنيا من السند والهند وما وراء النهر إلى بغداد، أزال دولة السلاجقة، كان يباشر الحرب بنفسه، وذهبت عينه بسهم، بنى للحنفية مدرسة عظيمة بخوارزم، وله المقامات المشهورة، حارب طغرل، وقتله، مات في رمضان سنة ست وتسعين وخمس مائة بشهرستانه.

انظر: البداية والنهاية (٦٩٤/١٦)، سير أعلام النبلاء (١٢٥٨/١-١٢٥٩).

(٣) انظر: البداية والنهاية (٦٦٤/١٦-٦٦٥).

(٤) الغوريون: قوم جبليون يقيمون بين غزنة وهراة، وبلادهم جبلية موحشة، فيها قلعة (فيروزكوه) المـشهورة، وقد برز من الغوريين قطب الدين محمد الغوري، وقد حصلت بينهم وبين الغز الأتراك منازعـات في بلـخ وغزنة، وفي عام (٥٥٩هـ) تمكنوا من القضاء على الدولة الغزنوية، واختلف الغوريون على الحكم كمـا كثر المتمردون عليهم وهذا ما مكّن لعلاء الدين محمد خوارزشاة أن يقضي على الدولـة الغوريـة بعـد أن ملكت الهند، ووصلت إلى البنغال، ومدة حكمهم من عام (٥٤٣-٦١٢ هـ).

انظر: تاريخ الإسلام (٢٢/٦، ٣٠١-٣٠٢، ٣١٧-٣١٨).

(٥) خراسان: بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق أزاذوار قصبه جوين وبيهق، وآخر حدودها مما يلي الهند وطغارستان وغزنه، وسجستان وكرمان، وتشتمل على أمهات من البلاد منها نيسابور وهراة ومرو، وهي كانت قصبتها، وبلخ وطالقان ونسا وأبيورد وسرخس، وما يتخلل ذلك من المدن التي دون ر جيجون،
==

الخوارزمية من القضاء على الدول الغورية، بعد أن ملكت الهند ووصلت إلى البنغال [١].

أما خلفاء الموحدين في شمالي أفريقية، فكانت الحروب بينهم وبين نصارى الأندلس متوالية، وكانت الغلبة للموحدين ما عدى بعض المعارك، التي انتصر فيها النصارى، ومن أهمها التي كانت عام (٦٠٩هـ) حيث كانت هذه الهزيمة ضربة شديدة على المسلمين [٢].

وبالنظر للخطر الصليبي في العصر لذي عاش فيه الرسعني، نجد أنه بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي [٣] رَحِمَهُ اللَّهُ عام (٥٨٩هـ)، استمرت الحملات الصليبية على الديار الإسلامية، فكانت الحملة الصليبية الرابعة عام (٥٩٤هـ)، وذلك لاسترداد بيت المقدس، وما سبق أن احتلوه، وتولى قيادة هذه الحملة عدد من القواد، وعلى رأسهم الفرنسيون، ولكن هذه الحملة فشلت ولم تؤد غرضها، وإنما أظهرت للناس جميعاً، أن الحملات الصليبية كانت وحشية معبأة بالحقد والضغينة على المسلمين، ثم جاءت بعدها الحملة الصليبية الخامسة إلى بلاد الشام، عام (٦١٥هـ) بقيادة دوق النمسا، وملك هنغاريا ثم لحق بهما ملك قبرص، ولكن هذه الحملة فشلت ولم تحقق شيئاً، ثم كانت بعدها الحملة الصليبية السادسة عام (٦٢٥هـ) بقيادة ملك ألمانيا، ولم يكن لوصول هذه

==

وقد فُتحت أكثر بلدانها في أيام عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة (٣١هـ).

انظر: معجم البلدان، لأبي عبدالله ياقوت الحموي (٤٠١/٢)، تحقيق: فريد عبدالعزيز الجندي، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

(١) انظر: البداية والنهاية (٧٥٠/١٦).

(٢) انظر: التاريخ الإسلامي (٣٢٨/٢).

(٣) هو صلاح الدين الأيوبي أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شادي التكريتي، المجاهد الشجاع، والملك الناصر، تملك بعد نور الدين زنكي، واتسعت بلاده، وكان خليقاً للإمارة، مهيباً حازماً، ورعاً زاهداً ذا همة كبيرة في إقامة الجهاد حتى فتح الله عليه، توفي سنة (٥٨٩هـ).

انظر ترجمته في: البداية والنهاية (٢/١٣-٦)، سير أعلام النبلاء (٢٧٨/٢١-٢٩١).

الحملة الصليبية أية آثار إذ إن ملك ألمانيا، لم يرغب في محاربة المسلمين وإنما في الحصول على بيت المقدس، وهكذا انتهت الحملة الصليبية السادسة، وهي لم تقاتل، ولكنها تسلمت القدس من الكامل[١] وعقد هدنة معهم لمدة عشر سنوات، وذلك عام (٦٢٦هـ) وبذلك يكون الكامل قد أضاع ما بذله عمه صلاح الدين الأيوبي رَحِمَهُ اللَّهُ في حروبه السابقة مع الصليبيين واسترداده لبيت المقدس.

وقد أورد ابن الشعار[٢]، في كتابه (عقود الجمان في شعراء هذا الزمان) قصيدة للرسعني يتحسر فيها على تسليم القدس للصليبيين.

قال ابن الشعار : "وأنشدني لنفسه، وقد سمع الخبر بتسليم بيت المقدس إلى الفرنج خذلهم الله تعالى:

تعالوا نقم الحزن في مجمع الأنس ونضع أثواب المصيبة بالنقس[٣]

---

(١) هو محمد بن محمد بن أيوب الكامل (٥٧٦-٦٣٥هـ) أحد سلاطين الدولة الأيوبية، تملك الديار المصرية أربعين سنة، وعمر دار الحديث بالقاهرة "المدرسة الكاملية" وهي من آثاره بمصر سنة إحدى وعشرين وست مائة، وجعل ابن دحية شيخها، وله المواقف المشهورة في الجهاد بدمياط المدة الطويلة، وكان يحب أهل العلم ويجالسهم، ويؤثر العدل، سمع الحديث ورواه، وكان عارفاً بالأدب، حازماً عفيفاً عن الدماء، مهيباً، يباشر أمور الملك بنفسه وفيه جبروت، توفي بدمشق وعند وفاته لم يحزن الناس عليه لتسليمه بيت المقدس للصليبيين.

انظر: الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل الصفدي (١٩٣/١-١٩٤)، اعتناء: أيمن فؤاد سيد، الطبعة الثانية ١٤١١هـ، الأعلام، خير الدين الزركلي (٢٨/٧)، الطبعة الثانية عشرة ١٩٩٧م، دار العلم للملايين.

(٢) هو كمال الدين، أبو البركات، المبارك بن أبي بكر بن حمدان، الموصلي المعروف بابن الشعار المؤرخ الأديب، حفظت بواسطته أخبار شعراء عصره، صنف كتاب "عقود الجمان في شعراء هذا الزمان"، و"التذكرة" و"قلائد الفرائد" توفي بحلب سنة (٦٥٤هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء (٣١٧٤/٣)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي (٢٦٦/٥)، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، دار ابن كثير، دمشق - بيروت.

(٣) النقس: هو الضرب بالناقوس، والذي يضربه النصارى لأوقات صلاتهم.

انظر: لسان العرب، لابن منظور (٢٤٠/٦)، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت

==

ونعمـل للإسـلام أعظـم مـأتم كما أن عباد الطواغيـت في عـرس
ونبكي دماً بعـد الـدموع وأنـه قليل على ما قد أصـبناه في القـدس
أيؤخـذ والإسـلام فيـه بقيـة فواعجباً أين النخاة [(١)] من الحُمس [(٢)]
إلى آخر الأبيات[(٣)].

وشجع تسليم الكامل بيت المقدس للصليبيين على الطمع في ديـار المـسلمين، ومهاجمة بعض البلدان في الشام وأخذ الأتاوة منهم.

وفي عام (٦٣٧هـ) كانت الحملة الصليبية السابعة فوصلت إلى عكا [(٤)] بقيادة الفرنسيين إلا أن هذه الحملة فشلت، واضطرت إلى العودة إلى بلادها بعد أن عقـدت صلحاً عام (٦٣٩هـ) مع المسلمين، ثم جاءت حملة إنكليزية بقيـادة ملـك انكلتـرا،

==

- لبنان، تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، ص ٤١٧١، منشورات دار الكتـاب العربي، بيروت.

ويبين الرسعني هنا ما حصل من مصيبة ضرب النواقيس بدل الأذان الذي كان يرفع في بيت المقدس.

(١) النخاة: أي أصحاب الفخر والعظمة، ونخا ينخو نخوة، ونخا فلان: مدحه. ويقال: انتخى فـلان علينـا، أي: افتخر وتعظم.

انظر: لسان العرب (٣١٣/١٥)، تاج العروس، ص ٨٦١٨.

(٢) الحُمس: جمع مفردها الأحمس، أي: الشجعان الأشداء في القتال.

انظر: لسان العرب (٥٧/٦)، مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي ص ١٦٧، تحقيق: محمود خـاطر، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت – ١٤١٥هـ.

(٣) عقود الجمان في شعراء هذا الزمان، لابن شعار (١٣٧/٤/ب)، مخطوط رقم (٨٤٨/ف) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٤) عكا: بفتح أوله، وتشديد ثانيه، تقع على ساحل البحر المتوسط إلى الشمال من مدينة حيفا، فتحت في حدود سنة (١٥هـ) على يد عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان، وقد سقطت عكا تحت الانتداب البريطاني بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى عام ١٣٣٧هـ، ثم أحتلت من قبل اليهود بعد حرب عام ١٣٦٧هـ. انظر: معجم البلدان (١٦٢/٤-١٦٣)، موسوعة المدن العربية، لآمنة أبو حجر، ص٣٩٢-٣٩٤، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن- عمان، الموسوعة العربية الميسرة (١٦٤٥/٣)، الطبعة الثانية المُحدثّة ٢٠٠١م، دار الجيل، الجمعية المصرية.

وفشلت هذه الحملة وانتصر المسلمون عليهم عام (٦٤٢هـ)، ثم بعدها جاءت الحملة الصليبية الفرنسية، بقيادة ملك فرنسا عام (٦٤٦هـ)، ودارت بيهم معارك متعددة انتهت بانتصار المسلمين نصراً مؤزراً، وأسر ملك فرنسا، ولم يطلق سراحه حتى أمليت الشروط على الصليبيين، فوافقوا عليها وانسحبوا إلى عكا ثم إلى فرنسا عام (٦٥٢هـ).

وبعد أن جاء المماليك قضوا على ما بقي للصليبيين من آثار في بلاد الشام [(١)] .

هذا وقد أخذت الدولة العباسية في الضعف والتدهور، في عهد المستعصم آخر الخلفاء العباسيين، وكانت الأخبار تصل الخليفة تباعاً بزحف جيوش المغول ومع ذلك لم يتخذ الأهبة لمواجهتهم، قبل أن يستفحل خطرهم ويستطير شرهم، كما لا نغفل ما لعبه وزيره ابن العلقمي الرافضي[(٢)] في خداعه للخليفة والتحايل عليه في هذا الجانب، وفي أوائل سنة (٦٥٦هـ) حاصر المغول بغداد وأحكموا حصارها، وأطلقوا يد التخريب في المدينة، وهدموا أسوارها، ودمروا القصور بعد أن سلبوا ما بها من تحف نادرة، وخربوا المساجد، وأباحوا القتل والنهب، وسفك الدماء أربعين يوماً، واندلعت في بغداد ألسنة النيرن، وأتت على الأخضر واليابس، ودمرت أكثر المدينة، وجامع الخليفة، ولما نودي ببغداد بالأمان خرج من تحت الأرض من كان بالمطامير، والقنى والمقابر، كأنهم موتى إذ انبعثوا من قبورهم، وقد أنكر بعضهم بعضاً، فلا يعرف الوالد ولده، ولا الأخ أخاه،

(١) انظر: التاريخ الإسلامي (٦/٣٣٣-٣٣٨هـ).

(٢) هو محمد بن أحمد بن محمد ، مؤيد الدين أبو طالب ابن العلقمي البغدادي، استوزره المستعصم، ولم يكن وزير صدق، بل كان رافضياً خبيثاً، رديء الطوية على الإسلام وأهله، وقد حصل له من التعظيم والوجاهة في أيام المستعصم مالم يحصل لكثير من قبله من الوزراء، ثم مالأ على الإسلام وأهله المغول أصحاب هولاكو، توفي سنة (٦٥٦هـ).

انظر ترجمته في: البداية والنهاية (١٧/٣٧٩، ٣٨٠)، شذرات الذهب (٥/٢٧٢)، العبر (٥/٢٣٥)، سير أعلام النبلاء (٢٣/٣٦١).

فأخذهم الوباء الشديد، فتفانوا وتلاحقوا بمن مضى من الناس [(١)] .

وسقطت العاصمة العباسية في أيدي المغول[(٢)] ، وقتل المستعصم على أيديهم، وبمقتله انتهت دولة بني العباس في العراق، التي عاش العالم الإسلامي في ظلها زهاء خمسة قرون، وهو آخر خلفاء هذه الدولة، والسابع والثلاثون منهم [(٣)] .

وفي عام (٦٥٨هـ) انتصر المسلمون على التتار في وقعة عين جالوت [(٤)].

وبقي المسلمون بلا خلافة مدة ثلاث سنوات منذ سقوط بغداد بيد التتار عام (٦٥٦هـ) إلى قيام خلافة المستنصر بالله بن الظاهر [(٥)] ، بالقاهرة عام (٦٥٩هـ) وبعد مقتله على يد التتار في المعركة التي حدثت بينهما بقي المسلمون سنة أيضاً بلا خلافة، أي من عام (٦٦٠هـ) إلى (٦٦١هـ)، وهي السنة التي توفي فيها الإمام الرسعني رحمه الله.

هذا ولم يكن الرسعني بعيداً عن الأمور السياسية، والاتصال بالخلفاء والأمراء.

قال ابن رجب عنه: "فإنه لما قدم بغداد أنعم عليه الخليفة المستنصر بالله وصنف تفسيراً له ببلده، وأرسله إليه، وهو في ثمان مجلدات [(٦)] ، وقف المدرسة البشيرية

---

(١) انظر: البداية والنهاية (٣٥٦/١٧-٣٦٣)، وانظر: دراسات في تاريخ الدولة العباسية، للدكتور: عصام الدين عبدالرؤوف الفقي (٢٤٠-٢٤٢)، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، دار الفكر العربي- القاهرة.

(٢) انظر: تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان ص ٣٩٠، نقله إلى العربية: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، الطبعة السابعة ١٩٧٧م، دار العلم للملايين - بيروت.

(٣) انظر: التاريخ الإسلامي (٣٤٤/٦).

(٤) انظر: البداية والنهاية (٢٢٠/١٣).

(٥) هو المستنصر بالله أبو القاسم أحمد بن الظاهر بأمر الله محمد بن الناصر لدين الله أحمد العباسي، وهو عم المستعصم، وأخو المستنصر باني المدرسة المستنصريه ببغداد، بايعه الملك الظاهر بالخلافة بمصر سنة (٦٥٩هـ) وكان قبلها معتقلاً ببغداد ثم أطلق سراحه، كان شديد القوى، عالي الهمة، له شجاعة وإقدام، مدة خلافته خمسة أشهر وعشرين يوماً، قتل سنة (٦٦٠هـ) على يد التتار.
انظر: البداية والنهاية (٤٢٥/١٧-٤٢٦)، التاريخ الإسلامي (٤٥/٧-٤٦).

(٦) الظاهر أن المراد هذا الكتاب: مطالع أنوار التنزيل ومفتاح أسرار التأويل، وسيأتي قريباً الحديث بالتفصيل عن مؤلفات الرسعني رحمه الله.

ببغداد"[١] .

وكانت له المكانة العلمية والحرمة الوافرة عند السلطان بدر الدين لؤلؤ [٢] صاحب الموصل [٣] ، حيث ألزمه بتصنيف كتاب "مصرع الحسين" فكتب فيه الرسعني ما صح من القتل دون غيره[٤].

وعند الملك السعيد [٥] صاحب ماردين [٦] وعند صاحب سنجار[٧]، وغيرهم من

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة، للحافظ بن رجب (٨١/٤)، تحقيق وتعليق: الدكتور: عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ، مكتبة العبيكان – الرياض. .
وانظر: طبقات المفسرين، للحافظ الداودي (٢٩٤/١)، تحقيق: علي محمد عمر، مركز تحقيق التراث بدار الكتب، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ، الناشر: مكتبة وهبة.

(٢) هو السلطان بدر الدين أبو الفضائل، لؤلؤ بن عبدالله الأتابكي، الملقب بالملك الرحيم، صاحب الموصل، ذا عقل ودهاءٍ ومكر، بطلاً شجاعاً حازماً مدبراً سائساً، ذا همة عالية، جمع له الشيخ عز الدين بن الأثير كتابه المسمى بـ"الكامل في التاريخ" فأجازه عليه، وأحسن إليه، توفي سنة (٦٥٧هـ) ودفن بمدرسته البدرية، وتأسف الناس عليه لحسن سيرته.
انظر: البداية والنهاية (٣٨٢/١٧-٣٨٤)، سير أعلام النبلاء (٣٥٦/٢٣).

(٣) الموصل: المدينة المشهورة العظيمة إحدى قواعد بلاد الإسلام، سميت بذلك لأ ا وصلت بين الجزيرة والعراق، وقيل: وصلت بين دجلة والفرات، وهي مدينة قديمة على طرف دجلة، ومقابلها من الجانب الشرقي نينوى.
انظر: معجم البلدان (٢٥٨/٥-٢٦٠).

(٤) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (٨١/٤)، طبقات المفسرين (٢٩٤/١)، تذكرة الحفاظ، للإمام أبي عبدالله شمس الدين محمد الذهبي (١٤٥٣/٢)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

(٥) هو ايل غازي نجم الدين بن ارتق ارسلان، الملك السعيد، صاحب ماردين، كان ملكاً جليلاً كبير المقدار، شجاعاً جواداً حازماً، توفي سنة (٦٥٨هـ). انظر: البداية والنهاية (٤٠٩/١٧-٤١٠)، ذيل مرآة الزمان، لقطب الدين اليونيني (١٤/٢)، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ، دار الكتاب الإسلامي – القاهرة.

(٦) ماردين: بكسر الراء والدال، كأنه جمع تصحيح، وهي قلعة مشهورة بالعراق، كان فتحها في سنة (١٩هـ) وأيام من محرم سنة (٢٠هـ) في أيام عمر بن الخطاب.
انظر: معجم البلدان (٤٦/٥-٤٧).

(٧) سنجار: بكسر أوله، وسكون ثانيه، تقع عند سفح جبل سنجار قريبة من الحدود السورية، شمال العراق، تعتبر مصيف جميل في فصل الصيف، يوجد ا آثار قديمة تعود إلى العصر العباسي، ويقولون: إن سفينة نوح عليه السلام لما مرت به نطحته فقال نوح: هذا سن جبل جار علينا فسميت سنجار.
انظر: معجم البلدان (٢٩٧/٣)، موسوعة المدن العربية (ص ٢٥٠-٢٥١).

ملوك الجزيرة [(١)][(٢)] .

ولاتصاله بالقادة والأمراء فقد بعث إلى دمشق رسولاً[(٣)].

ومن خلال ما تقدم يتبين بأن تلك الأحداث، والاضطرابات السياسية ومكانتـه لدى الملوك والأمراء، كان لها الأثر الواضح في تكوين شخصية الرسعني، وتبلور أفكاره، وبروزه بين أقرانه.

---

(١) الجزيرة: هي التي تقع بين دجلة والفرات، بها مدن جليلة وقلاع كثيرة، من أمهات مدنها حران والرها والرقة ورأس عين ونصيبين وسنجار والخابور وماردين وآمد وميا فارقين والموصل، وتسمى جزيرة أُقُور. انظر: معجم البلدان (١٥٦/٢).

(٢) انظر: البداية والنهاية (٤٥٠/١٧).

(٣) انظر: طبقات علماء الحديث، محمد بن أحمد بن عبدالهادي (٢٤٠/٤)، تحقيق: أكرم البوشي، وإبراهيم الزيبق، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت، طبقات المفسرين (٢٩٥/١)، تكملة إكمال الإكمال في الأنساب والأسماء والألقاب ، لجمال الدين أبي حامد المعروف بابن الصابوني ص١٥٦، حققه وعلق عليه: د. مصطفى جواد، الطبعة الأولى ١٣٧٧هـ، مطبعة المجمع العلمي العراقي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين أبي عبدالله الذهبي (٣٨/١٥)، حققه، وضبط نصه وعلق عليه: د. بشار عواد معروف، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، دار الغرب الإسلامي، ويقول الدكتور/ محمد البراك: "لم أجد أحداً ذكر من أرسله، والظاهر أنه بدر الدين لؤلؤ، صاحب الموصل، فقد كانت له حرمة وافرة عنده، وبينهما اتصال وثيق" [رموز الكنوز (٢١/١)].

ب- الحالة الاجتماعية:

قد يتعذر على الباحث تتبع الظواهر الاجتماعية المختلفة لفترة ما، على نحو تتبعه للظواهر الأخرى، ويأتي سبب ذلك أن المؤرخين والمتابعين للحوادث والنوازل، قد أرخوا للملوك، والأمراء، والوزراء، والقواد، والحروب والوقائع واعتنوا بذلك أشد العناية وحرصوا على ذلك في مصنفاتهم وكتبهم، ولم يولوا مثل ذلك الاهتمام للأحوال الاجتماعية على وجه التفصيل، والأحوال الاقتصادية، والظواهر وغيرها إلا نادراً وفي مجمل حديثهم عن حوادث سنة من السنوات.

وفي هذا الشأن فإن الحالة الاجتماعية في أي عصر من العصور، ترتبط بالحالة السياسية السائدة، وقد كانت الفترة التي عاشها الرسعني، مليئة بالتقلبات السياسية والاضطرابات، والأحداث الكبيرة -كما تقدم- وقد أثرت تأثيراً واضحاً على المجتمع الإسلامي، وعلى الملامح الاجتماعية فتكونت الطبقات الاجتماعية ويمكن تقسيمها على النحو التالي:

١- طبقة الخلفاء والسلاطين والأمراء والوزراء:

وهؤلاء يسمون (الخاصة)، ويلحق بهم أيضاً ذوو قرابة الخليفة، ورجال الدولة البارزون كالأشراف، والقواد، والكتاب، والقضاة، وكان لهؤلاء باب خاص يدخلون منه لمقابلة الخليفة، يطلق عليه "باب الخاصة" كما جعل لهم مطابخ خاصة واسطبلات خاصة[(١)]، وهؤلاء يعيشون عيشة قوامها الترف والإسراف، وحب الظهور، ورغد العيش، وثروا بهم طائلة لا تكاد تحصى [(٢)] فقد كان ملك اليمن يجمع الأموال الجزيلة، ويسبك الذهب مثل الطواحين ويدخره [(٣)] ، كما أن الناصر لدين الله يجمع ما يتحصل

---

(١) انظر: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، للدكتور: حسن إبراهيم حسن (٦٢٥/٤)، الطبعة الأولى ١٩٦٧م، مكتبة النهضة المصرية.

(٢) المصدر السابق (٦٣٥/٤).

(٣) انظر: البداية والنهاية (٦٧٨/١٦).

عليه من الذهب في بركة بدار الخلافة، وكان يقف على حافتها ويقول: أترى أعيش حتى أملأها، وكان المستنصر يقف على حافتها ويقول: أترى أعيش حتى أنفقها كلها [١] .

يقول ابن كثير: إن سماط الملك الناصر [٢] يشتمل كل يوم على أربعمائة رأس غنم سوى الدجاج والإوز وأنواع الطير مطبوخاً بأنواع الأطعمة والقلويات، وكان مجموع ما يغرم على السماط في كل يوم عشرين ألفاً، وعامته يخرج من بين يديه كما هو كأنه لم يؤكل منه شيءٌ، فيباع على باب القلعة بأرخص الأثمان حتى إن كثيراً من أهل البيوتات لا يطبخون في بيوتهم شيئاً من الطرف[٣] والأطعمة بل يشترون ذلك برخص[٤].

وكانت دور أولئك الخاصة تفرش بالزرابي، ويستعملون الوسائد والستائر، ويضيئون دورهم بالقناديل والشموع، ولها مرافق صحية خاصة لايستعملها الخدم [٥] ، وكان لهم ملابس خاصة تميزهم عن ملابس العامة وهي الملابس الحريرية، والابريسمية، والحلل المزركشة بالذهب، وكانت العمامة السوداء تلبس في الاحتفالات والمواسم، لأن السواد كان شعار العباسيين الرسمي [٦]، أما احتفالات الزواج فقد اقترنت بالبذخ والإسراف، وحب الظهور [٧] كما كانت هذه الطبقة تترفه بأنواع من التسلية مثل سباق الخيل، فهو من أحب ألوان التسلية عند الخلفاء والأمراء والولاة، وكذلك الصيد،

---

(١) انظر: البداية والنهاية (٢٦٠/١٧).

(٢) هو يوسف بن محمد بن غازي بن صلاح الدين الأيوبي فاتح بيت المقدس، كان جيد السيرة في الرعايا محبباً إليهم، كثير النفقات، أديباً يقول الشعر، بنى المدرسة الناصرية، قتل سنة (٦٥٨هـ)..
انظر: البداية والنهاية (٤٣٢/١٧-٤٣٣)، سير أعلام النبلاء (٤٢٨٢/٣-٤٢٨٣).

(٣) الطرف: جمع مفرده: الطرف، وهو اللحم، انظر: لسان العرب (١٤٩/٨).

(٤) انظر: البداية والنهاية (٤٣٣/١٧).

(٥) انظر: تاريخ الإسلام (٦٣٤/٤).

(٦) المصدر السابق (٦٤٠/٤-٦٤١).

(٧) انظر: المصدر السابق (٦٥١/٤).

واللعب بالطيور، ويقصد بها الحمام، وقد عنى الخلفاء بالطيور فاستخدموها في المراسلة، فاقتنوا أجودها وحسنوا سلالها[(١)] [(٢)] .

٢- طبقة العلماء:

وهذه الطبقة كانت تعيش حياتها كسائر الناس، إذ كانوا يعيشون الكفاف، ومنهم من تزهد واشتهر بالزهد وعرف به، وأعرض عن الدنيا وما فيها مثل الشيخ اليونيني [(٣)] .

وقد غلب على أكثر العلماء العيش في بيئتهم العلمية، وصانوا أوقاتهم عن الانشغال بغير العلم وطلبه وتأليفه فجادوا لنا بتراث يرتع فيه طلاب العلم جيلاً بعد جيل، فمن أخذ به أخذ بحظٍ وافر.

وكان هناك من العلماء والمصنفين من أخذ بالعلم ولم ينس نصيبه من الدنيا مثل الفخر الرازي [(٤)]، فقد ملك من الذهب العين ثمانين ألف دينارٍ، وغير ذلك من العقار

---

(١) السلالة: سلالةُ الشيء: ما استل منه، أي حسنوا نسلها. انظر: لسان العرب (٣٣٨/٦).

(٢) انظر: تاريخ الإسلام (٦٥٥/٤-٦٥٦).

(٣) هو الشيخ عبدالله بن عثمان بن جعفر اليونيني، الملقب أسد الشام، كان من الصالحين الكبار المشهورين بالعبادة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، له همة عالية في الزهد والورع، توفي سنة (٦١٧هـ).

انظر ترجمته في: البداية والنهاية (١٠٢/١٧-١٠٥)، سير أعلام النبلاء (١٠١/٢٢)، تاريخ الإسلام ص٣٣٨.

(٤) هو محمد بن عمر بن الحسين القرشي التيمي ، أبو عبدالله وأبو المعالي المعروف بالفخر الرازي ابن خطيب الري، الفقيه الشافعي، صاحب التصانيف، كانت وصيته عند موته، وقد رجع فيها إلى طريقة السلف بقوله: "لقد اخترت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فلم أجدها تروي غليلاً ولا تشفي عليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن"، توفي سنة (٦٠٦هـ).

انظر ترجمته في: البداية والنهاية (١١/١٧-١٤)، سير أعلام النبلاء (٥٠/٢١)، طبقات المفسرين (٢١٣/٢).

والأمتعة والمراكب والأثاث والملابس، وكان له خمسون مملوكاً من الترك [(١)] .

وكان لهذه الطبقة المكانة العلمية الرفيعة والحرمة الوافرة عند الخلفاء والأمراء والولاة، فقد قربوهم وأنعموا عليهم، وبنوا لهم المدارس وكلفوهم بالتدريس فيها والإشراف عليها، وحضروا مجالس وعظهم وحلقات تعليمهم.

ومن أمثلة ذلك: قيام صاحب الموصل نور الدين أرسلان شاه زنكي [(٢)] بإرسال مملوكه لؤلؤ [(٣)] إلى ابن الأثير [(٤)] يعرض عليه أن يستوزره فأبى ابن الأثير الوزارة، فركب السلطان إليه بنفسه فامتنع أيضاً، وقال له: قد كبرت سني، واشتهرت بنشر العلم، ولا يصلح هذا الأمر إلا بشيء من العسف والظلم، ولا يليق بي ذلك، فأعفاه[(٥)].

كما أن للرسعني مكانة عليا عند الخلفاء والسلاطين في عصره -كما تقدم-.

٣- طبقة العامة:

وهذه الطبقة تمثل السواد الأعظم من الناس، فقد كان لهم مرافق خاصة بهم كباب العامة ومطابخ العامة، وكانت تعيش حياتها بين تجارة، وزراعة، وصناعة، وأهل

---

(١) انظر: البداية والنهاية (١١/١٧).

(٢) هو السلطان أرسلان شاه نور الدين أبو الحارث بن عز الدين مسعود بن زنكي، صاحب الموصل ، كان شافعي المذهب، بنى للشافعية مدرسة عظيمة بالموصل، توفي سنة (٦٠٧هـ).
انظر: البداية والنهاية (٢٥/١٧)، سير أعلام النبلاء (٤٩٦/٢١)، تاريخ الإسلام ص٢٤.

(٣) سبق ترجمته ص ٢٧.

(٤) هو المبارك بن محمد بن عبدالكريم ، مجد الدين أبو السعادات الشيباني الجزري الشافعي المعروف بابن الأثير، صاحب "جامع الأصول" و"النهاية"، سمع الحديث الكثير، وقرأ القرآن الكريم، وأتقن علومه ، توفي سنة (٦٠٦هـ)..
انظر ترجمته في: البداية والنهاية (٨/١٧-١٠)، الكامل في التاريخ، لابن الأثير (٢٨٨/١٢)، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ، دار الكتاب العربي – بيروت ، سير أعلام النبلاء (٤٨٨/٢١)، تاريخ الإسلام ص٢٢٥.

(٥) انظر: البداية والنهاية (٩/١٧).

حرف، وجند ورقيق، ويقال لهم العامة والدهماء [١] .

أما أوقات الفراغ لدى هذه الطبقة فكانت تقضيه في حضور مجالس الوعظ ومجالس القصص [٢]، أو مشاهدة حفلات سباق الخيل أو اللعب بالطيور، وتمتاز مجالس الوعظ عن مجالس الثقافة لديهم بحضور الناس دون شرط أو قيد، وهي تعالج مسائل الدين والدنيا، ولا شك أنه كان لمجالس الوعظ أثر ملحوظ في حفظ بعض التراث الإسلامي، لا سيما ما يتعلق منه بالقيم والمُثل الإسلامية العليا، وكانت مجالس القصص تستهوي العامة عادة، فهي تعقد في الطرقات وفي المنازل وفي المساجد [٣] .

ومن المعلوم أن المجتمع في تلك الفترة يضم أجناساً متعددة إلى جانب العرب، فهناك الفرس، والأتراك، والغز، والبربر، والأكراد، وغيرهم من الأمم والأقوام الذين دخلوا في الإسلام، ولو أن تسمية هؤلاء جميعاً بالعرب قد غلبت عليهم لانصهارهم في بوتقة الشعب العربي، وسيادة اللغة العربية التي هي اللغة الأصلية للوطن العباسي والمجتمع الإسلامي، فقد كانت الفئة التركية لها حضوة عند الخليفة المستنصر بالله الذي كانت أمه تركية، وقد اتخذ الترك حرساً له، وأسند إليهم مناصب الدولة العالية وأهمل العرب والفرس [٤] .

---

(١) انظر: تاريخ الإسلام (٤/٦٢٥).

(٢) تختلف مجالس الوعظ عن مجالس القصص، بأن الواعظ في مجالس الوعظ يحث الناس على التمسك بأحكام الدين ويخوفهم من عذاب الله، أما القاص فإنه يقص حكايات الأقدمين، وما تنطوي عليه من شجاعة أو صفات عالية كالنجدة والكرم والوفاء، ونحوها.
انظر: تاريخ الإسلام (٤/٦٥٤).

(٣) المصدر السابق (٤/٦٥٣-٦٥٤).

(٤) انظر: تاريخ الإسلام (٤/٦٢٥-٦٢٧)، ظهر الإسلام لأحمد أمين (١/٣)، وما بعدها.

ومن طبقات المجتمع أيضاً أهل الذمة:

وهم النصارى واليهود وكانوا يتمتعون بحقوقهم، ويقيمون شـعائرهم في أمـن وطمأنينة [١] .

هذا وفي الفترة التي عاشها الرسعني نجد أن هناك تبايناً بين خليفة وآخر من خلفاء الدولة العباسية مع رعيته كما تقدم في الحالة السياسية.

وعليه فإنه لابد من ربط تلك الأحوال الاجتماعية بالحالة السياسية لا سـيما في تلك الحقبة ، والتي بلغت في أيام الدولة العباسية من الفوضى والاضطراب والتقلبـات، والحروب الأمر العظيم، وهذا الأمر بلا شك ينعكس بآثاره على الحيـاة الاجتماعيـة للناس؛ إذ أن الفزع والرعب سيطر على القلوب وخاصة أيام غزو التتار لديار المسلمين حيث أ م يحاصرون المسلمين في بعض البلدان ثم يفتتحو ا بالأمان ثم يغدرون بالمسلمين ويقتلو م وينهبوا الأموال ويسبوا النساء والأطفال، ويجوسوا بالديار ويجعلوا أعزة أهلها أذلة [٢] ، وهذا ليس ببعيد عن الصليبيين أثناء الحملات الصليبية حيث كان بديار مصر غلاء شديد، وهلك بسببه الغني والفقير، وهرب الناس منها نحو الشام، فلم يصل إليهـا إلا القليل، وتخطفهم الفرنج من الطرفات وغروهم من أنفسم واغتالوهم بالقليـل مـن الأقوات [٣] .

ونتيجة لكثرة الحروب والفتن، إلى جانب بعض الكوارث الكونية تأثرت النواحي الاقتصادية في ا تمع تأثراً كبيراً وحدثت منه ا اعات وانتشرت الأمـراض وكثـرت الأوبئة وقضت على موارد البلاد وشاعت الفوضى في شتى ميادين الحياة.

يقول الإمام الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وقد كنا يوماً نتدارس القرآن في بيت من بيـوت

---

(١) انظر: تاريخ الإسلام (٦٢٥/٤-٦٢٧).

(٢) البداية والنهاية (٣٩٦/١٧).

(٣) المصدر السابق (٦٩٣/١٦-٦٩٤).

الله برأس عين، **سنة** اثنتين **وعشرين وستمائة، وكان عام قحط وغلاء وموت ذريع بسبب الجوع، فأتينا على هذه الآية:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [1] **، وعندنا رجل من ذوي اليسار يستمع القرآن** سماع **تفكر واعتبار، فصاح صيحة شديدة، وألقى نفسه** في **وسط الحلقة كهيئة الولهان،** ثم **تراجعت إليه نفسه، فقال لنا: أشهدكم أن** لله في **مالي مائة مكوك [2] من الحنطة، وستمائة درهم أُصلِحها بها وأطعمها لفقراء** المسلمين**، أقي بها نفسي وأهلي من نار جهنم،** ثم **نهض وأمضى ذلك باطلاع منا** في **أيام، فكان** مجموع **ما أنفق** نحواً **من مائتين** وخمسين **ديناراً تقريباً" [3] .**

---

(١) سورة التحريم: الآية (٦).

(٢) المكوك: مكيال معروف لأهل العراق، والجمع، مكاكيك ومكاكي، وهو صاع ونصف. انظر: لسان العرب مادة: مكك (١٠/٤٩٠).

(٣) رموز الكنوز (٤/١٣٣/ب).

٢- الحالة العلمية

بعد أن دب الضعف في الخلافة العباسية -في الحقبة التي عاش فيهـا الرسـعني- ظهرت دول كثيرة؛ كان لها أثر كبير في تقدم وازدهار الحضارة الإسـلامية، ذلـك أن بغداد بعد أن كانت مركزاً لهذه الحضارة ظهرت إلى جانبها مراكز أخرى مثل القاهرة، وبخارى [(١)] وغَزنة [(٢)] ، ومراكش [(٣)] ، ازدهرت فيها الحضارة والعلوم والآداب وذلك بفضل تشجيع الخلفاء، والسلاطين، والأمراء والوزراء، ورجال العلم والأدب، وبفضل اتساع أفق الفكر الإسلامي، وذيوع العمران ورقي المجتمع الإسلامي [(٤)] ، والتوسـع في الفتوح الإسلامية إلى أقصى السند شرقاً، وإلى أقصى المغرب والأندلس غرباً؛ ولاختلاط العرب بغيرهم من الأمم كالفرس والروم، وغيرهم. فقد دخلت في الإسلام علوم جديدة إلى جانب العلوم الدينية، وقد أخذ المسلمون بحظٍ وافر من العلوم على اختلافها، علمـاً بأن هناك فرق بين العلوم التي تتصل بالكتاب والسنة النبوية، وبين العلوم التي أخـذها العرب عن غيرهم من الأمم، ويطلق على الأولى العلوم النقلية أو الشرعية، وعلى الثانية

---

(١) بخارى: عاصمة إقليم بخارى، في جمهورية أوزبكستان، ومركز الثقافة الإسلامية منذُ عهد بعيد، افتتحها سعيد بن عثمان بن عفان في زمن معاوية رضي الله عنه ، ويكفي أن منها الإمام محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله صاحب الصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي عليه معول أهل السنة في جميع بلاد المسلمين، أرغمت على قبول سيادة روسيا عام ١٢٨٥هـ .

انظر: معجم البلدان (٤١٩/١-٤٢٣)، الموسوعة العربية الميسرة (٤٦٥/١).

(٢) غزنة: عاصمة إقليم غزنة وسط أفغانستان، أسسها السلطان محمود الغزنوي، وازدهرت إبان حكم الأسـرة الغزنوية التركية عام(٩٦٢هـ)،استولى عليها الإنجليز في أثناء الحروب الأفغانية عام(١٢٥٦-١٢٥٩هـ).

انظر: معجم البلدان (٢٢٨/٤)، الموسوعة العربية الميسرة (١٦٩٤/٣).

(٣) مراكش: كان أول من اختطها يوسف بن تاشفين، الملقب بأمير المسلمين في حدود سنة ٤٧٠هـ، كانت عاصمة البلاد القديمة، تقع في وسط المملكة المغربية، إلى الجنوب من الدار البيضاء، وتعتبر ثالث أكبر مدينة في المغرب بعد الدار البيضاء.

انظر: معجم البلدان (١١١/٥)، موسوعة المدن العربية ص٥٤١.

(٤) انظر: تاريخ الإسلام (٤/ج).

العلوم التطبيقية.

وتشتمل العلوم النقلية: على علم التفسير، والحديث، والقراءات، والفقه، والنحو، واللغة، والأدب، وتشتمل العلوم التطبيقية على الطب، والكيمياء، والفلسفة، والرياضيات، والفلك، والنجوم وغيرها [(١)] .

ويجب أن لا نغفل بأن ظهور كثير من الفرق كان له أثر في ذلك، حيث اتخذت هذه الفرق الثقافة والعلم وسيلة لتحقيق أغراضها السياسية، وخير مثل لذلك هذه الآثار التي خلفها العلماء، أضف إلى ذلك، ما حصل في ذلك العصر من بعض الخلافات المذهبية الفقهية، مما جعل علماء كل مذهب يبذلون جهودهم في نشر مذهبهم، من خلال تأليف الكتب، ولم يقتصر التأليف على الكتابة في الفقه فقط، بل تجاوزه إلى الكتابة في التفسير، والعقيدة والتاريخ والتراجم وعلم الكلام.

ولم تخل تلك المرحلة من وجود التعصب المذهبي الذي قد يتجاوز حد الجواز، ويقف خلفه في بعض الأحيان الملوك والأمراء. يقول ابن كثير:"أن الملك العزيز[(٢)] في سنة (٥٩٥هـ) عزم على إخراج الحنابلة من بلده ويكتب إلى بقية إخوته أن يخرجوهم من بلادهم، وشاع ذلك عنه وسمع منه وذاع وصرح به، وكل ذلك من معلميه وخلطائه وعشرائه من الجهمية [(٣)] ، وقلة علمه بالقرآن والحديث، فلما وقع ما وقع عظم قدر

(١) انظر: تاريخ الإسلام (٤٣٩/٤-٤٤٠).

(٢) هو عماد الدين، عثمان ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، صاحب مصر ، كان حسن الصورة، ظريف الشمائل، قوياً، ذا بطش، توفي سنة (٥٩٥هـ).

انظر: الكامل (١٤٠/١٢)، تاريخ الإسلام ص١٩٨، سير أعلام النبلاء (٢٩٢/٢١).

(٣) الجهمية: هم أتباع جهم بن صفوان، الذي قال: إن العبد مجبور على فعله ولا قدرة له ولا اختيار، ومن ضلالاته: إنكار الصفات، والقول بأن الجنة والنار تبيدان، وأن الإيمان هو المعرفة فقط، والكفر هو الجهل فقط.

انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (٣٣٨/١)، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ، الناشر: مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة، والفرق بين
==

الحنابلة بديار مصر والشام عند الخاص والعام، وقيل: إن بعض صالحيهم دعا عليه، فما هو إلا أن خرج إلى الصيد، فكان هلاكه سريعاً" [(١)] .

ولقد ساعد اضطراب الأوضاع السياسية على تبلور الفرق العقائدية، إذ كانت أوضاع الفرق تقوى وتضعف تبعاً للقوى السياسية المؤازرة لها، وقد كان في هذه الفترة الكثير من الاتجاهات والفرق.

وكان الخلفاء العباسيون محبين للعلم ويشجعون العلماء على التأليف والتدريس، كما هو الحال مع الخليفة المستنصر بالله عندما قدم الرسعني إلى بغداد أنعم عليه وصنف تفسيراً له ببلده، وأرسله إليه، وهو في ثمان مجلدات، وقف المدرسة البشيرية ببغداد [(٢)] .

أما الدويلات والأقاليم فقد كانت كل دولة تسعى إلى تثبيـت ملكهـا بكـل الوسائل، ومنها تشجيع العلوم المختلفة حتى غدت قصورهم منتديات علميـة وأدبيـة فشجعوا العلماء على طلب العلوم المختلفة وقربوا العلماء إليهم وأجزلوا لهـم العطـاء وأكرموا جوارهم [(٣)] .

يقول الرسعني عند تفسيره لقوله تعالى: إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا [(٤)]:

"أي: ما عليها من كل ما يستحسن من زخارف الدنيا، وقال ابن عبـاس: هـم

==

الفرق، عبدالقاهر بن طاهر البغدادي ص (٢١١-٢١٢)، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار المعرفة، بيروت، والفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم (٢٠٤/٤)، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ، دار المعرفة، بيروت، والملل والنحل، محمد بن عبدالكريم بن أحمد الشهرستاني (٨٦/١-٨٨)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.

(١) البداية والنهاية (٦٨٤/١٦).

(٢) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (٨١/٤).

(٣) انظر: تاريخ الإسلام (٣٣٢/٣).

(٤) سورة الكهف: الآية (٧).

العلماء [١] ، فرضي الله عن ابن عباس، فلقد كان والله زينة هذه الزينة، ولقد صدق في تأويله.

وبلغني أن نظام الملك [٢] كان شديد الاحترام كثير الإكرام لأهل العلم، قَلِيم في ذلك حتى قال له حاجبه: لقد أطمعت هذه الطائفة فيك وبسطتهم عليك، حتى بلغ من أمرهم أ م يدخلون عليك بغير إذن، فقال له: ويحك هذه الطائفة هـم جمـال الـدنيا والآخرة، والله لو رفعت الواحد منهم على رأسي ما أديت حقه" [٣] .

وكان لكل خليفة أو وال بلاط [٤] معروف ومشهور لـدى الخاصـة والعامـة وصارت موضع افتخار ومنافسة لدى الخلفاء وعلى إثره فقد شهد هذا العصر حركـة ثقافية واسعة ساعد على قيامها أيضاً الظروف السياسية والفكرية الـسائدة في ا تمـع الإسلامي في تلك الفترة، حيث كان الصراع الـسياسي والعقائـدي بـين المـسلمين والنصارى أثناء الحملات الصليبية، وما أعقبه من الحماس الديني الذي انتشر في تلـك الآونة أثره الواضح في انصراف أهل العلم إلى التدوين والتـأليف باسـتثناء أوقـات الجهاد[٥].

---

(١) زاد المسير (١٠٥/٥)، وذكره السيوطي في الدر (٣٦١/٥) وعزاه لأبي نصير السجزي في الإبانة.

(٢) هو الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي، الملقب نظام الملك وزير السلطانين ألب أرسلان وولده ملك شاه، كان مجلسه عامر بالفقهاء وأئمة المسلمين وأهل التدين، ختم له بالشهادة سنة (٤٨٥هـ).

انظر في ترجمته: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لابن الجوزي (٦٤/٩، ٦٨)، الطبعة الأولى عام ١٣٥٨هـ، دار صادر، بيروت، تاريخ الإسلام (٣٣٥٣/١)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأحمد بن محمد بن خلكان، (١٤٣/١)، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، الطبعة الأولى ١٣٦٧هـ، مطبعة السعادة بمصر.

(٣) رموز الكنوز (٣/٣/أ).

(٤) بلاط: المكان الواسع. انظر: لسان العرب، مادة: بلط (٢٦٤/٧)، النهاية (٤٠١/١).

(٥) تاريخ الإسلام (٣٣٤/٣-٣٣٩)، (٤٢٠/٤).

وفي هذا الشأن سوف نتطرق لوسائل العلم والمعرفة في ذلك العصر وهي كالتالي:

أولاً: المساجد:

كانت المساجد أعظم الأماكن، لدراسة القرآن والتفسير، والحديث والفقه واللغة وغيرها من العلوم، وأصبح كثير من المساجد مراكز هامة للحركة العلمية، وكان المسجد فوق اعتباره مكاناً للعبادة، والمكان الذي يؤم فيه الخليفة الناس في الصلاة والجمعة، مركزاً لإدارة شؤون الدولة أو الولاية، وكان المنبر أشبه بالعرش، يلقى منه بيان الخليفة لسياسة الدولة، ويلقى فيه خطبته الأولى، ويبين فيها سياسته في الحكم، وفي المسجد تذاع القرارات الهامة التي تتعلق بالصالح لعام، ويستقبل الخليفة السفراء، ويدبر شؤون الدولة في شتى نواحي الحياة المختلفة.

والمسجد هو المكان الذي يتخذه علماء التفسير والحديث مقراً لهم، وهو المعهد الذي يتلقى فيه الأطفال اللغة العربية، وأصول الدين، وهو المكان الذي اتخذه القضاة لعقد جلسا م، بل لقد اتخذ بعض المساجد أماكن يلجأ إليها المسلمون ويصدون منها الأعداء[(١)] .

وقد نشطت الحياة العلمية نشاطاً واسعاً؛ فكانت المساجد أشبه بجامعات كبيرة يفد إليها الطلاب من كل صوب، وقامت بجوار المساجد دكاكين الوراقين التي كانت تحفل بكتب العلماء من كل صنف، وبما ترجم من علوم الأوائل.

ثانياً: المدارس:

من أبرز ملامح النهضة العلمية ورقيها، وعلو كعبها في ذلك العصر ظهور المدارس العلمية المختلفة التي أنشأها الخلفاء والأمراءوالوزراء والعلماء، والمدارس في التاريخ الإسلامي كثيرة جداً، وكانت في الغالب تسمى باسم من بناها أو وقفها، ومن

---

(١) انظر: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (٤/٤٢١-٤٢٣).

هذه المدارس: المدرسة المستنصرية ببغداد[١]، ومدرسة بدر الدين لؤلؤ بالموصل [٢] .

ومن دور الحديث دار الحديث الكاملية بمصر، وهي ثاني دار عملت للحديث، وقد وقفها الكامل [٣] على المشتغلين بالحديث النبوي، ثم من بعدهم على فقهاء الشافعية[٤] وأيضاً دار الحديث الأشرفية بدمشق [٥] ، ودار الحديث بالموصل الذي تولى الرسعني مشيختها [٦] .

ثالثاً: المكتبات:

عندما نشطت حركة الترجمة والتأليف في العصر العباسي، تقدمت صناعة الورق، وتبع ذلك ظهور كثير من الوراقين الذين يقومون بنسخ الكتب، واتخذ العلماء والأدباء أماكن يجتمعون فيها للتزود من العلم، فكثرت المكتبات التي تزخر بالكتب الدينية، والعلمية، والأدبية وغيرها، وأصبحت هذه المكتبات فيما بعد من أهم مراكز الثقافة الإسلامية، وقد عمل الخلفاء العباسيون على إمداد بيت الحكمة بمختلف الكتب، وظلت هذه الخزانة قائمة حتى استولى التتار على بغداد سنة (٦٥٦هـ) [٧] .

ومما يدل على عناية الخلفاء والأمراء بالمكتبات، ما قام به الخليفة الناصر لدين الله عام (٥٨٦هـ) من تجديد خزانة كتب المدرسة النظامية ببغداد، ونقل إليها ألوفاً من

---

(١) انظر: البداية والنهاية (١٧/٢١٢-٢١٣، ٢٦١).

(٢) المصدر السابق (١٧/٧٨).

(٣) سبق ترجمته ص٢٣.

(٤) انظر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، لتقي الدين أبي العباس المقريزي (٤/٢١٩)، وضع حواشيه: خليل المنصور، منشورات: محمد علي بيضون، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

(٥) انظر: البداية والنهاية (١٧/٢٠١).

(٦) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (٤/٨١).

(٧) انظر: تاريخ الإسلام (٤/٤٣٠-٤٣١).

الكتب الحسنة الثمنة [١] .

كما أن المستنصر بالله وقف على المدرسة المستنصرية ببغداد، خزانة كتب لم يسمع بمثلها في كثرتها وحسن نسخها وجودة الكتب الموقوفة بها [٢] .

وأيضاً فإن الشيخ نجم الدين الباذرائي [٣] هو واقف (الباذرائية) بدمشق، حيث جعل في مدرسته خزانة كتب حسنة نافعة [٤] .

وبخصوص التراث الموجود لدى الأمم الأخرى، فقد انتقل كثير من التراث اليوناني والفارسي الذي استحوذ عليه العباسيون إلى قُرطُبة [٥] [٦] ، وترجمت الكتب في الفنون المختلفة، وقام بترجمتها مهرة الكُتّاب من المسلمين وغيرهم، فاتسع نطاق العلم، وكان للطب، والفلسفة، والكيمياء الحظ الوافر من هذا التقدم في هذا المجال [٧] .

---

(١) انظر: البداية والنهاية (٦٥٩/١٦).

(٢) انظر: البداية والنهاية (٢١٣/١٧).

(٣) نجم الدين عبدالله بن محمد الباذرائي البغدادي، مدرس النظامية، ورسول الخلافة إلى ملوك الآفاق في الأمور المهمة، كان فاضلاً بارعاً رئيساً وقوراً متواضعاً، توفي سنة (٦٥٥هـ).

انظر ترجمته في: البداية والنهاية (٣٤٩/١٧، ٣٥٠)، ذيل مرآة الزمان (٧٠/١)، سير أعلام النبلاء (٣٣٢/٢٣)، طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين بن تقي الدين السبكي (١٥٩/٨)، الطبعة الثانية، دار المعرفة – بيروت.

(٤) انظر: البداية والنهاية (٣٥٠/١٧،٣٤٩).

(٥) قرطبة: مدينة عظيمة بالأندلس، اشتهرت مركزاً للثقافتين الإسلامية واليهودية، ولكن تدهورت بعد سقوط الأمويين، وهي حالياً تقع جنوب أسبانيا.

انظر: معجم البلدان (٣٦٨/٤-٣٦٩)، الموسوعة العربية الميسرة (١٨٥٣/٣).

(٦) انظر: تاريخ الإسلام (٤٣١/٤).

(٧) انظر: دروس في التاريخ الإسلامي – من البعثة الشريفة حتى مطلع القرن الرابع عشر الهجري، للشيخ محمد الخضري بك، ص (٢٤٨)، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، مكتبة دار البيروتي، دمشق.

رابعاً: الرباط:

الرباط لا يقل أهمية عن المسجد، من حيث كونه مكاناً تشع منه الدعوة إلى الإسلام، وكان العلماء والشعراء يلجئون إلى هذه الأربطة للتفرغ للدرس والبحث، كما كان يتوافد غزاة المسلمين من أنحاء الدولة الإسلامية، ويرابطون فيها، وترد عليهم الأموال العظيمة، ويحتفلون فيها بالأعياد، حتى أصبح عيد الفطر والأضحى في هذه الثغور من محاسن الإسلام، ويمتاز الرباط بطابعه الحربي بالإضافة إلى وظائفه الدينية من العبادة وتلاوة القرآن، والتفقه في الدين.

فهدف الرباط الأول العبادة وتحصيل العلم، والثاني يئة المرابطين فيها بعد ذلك للجهاد (١) .

وعليه فقد شهد القرن الذي عاش فيه الرسعني نضوجاً علمياً مميزاً في تاريخ أمة الإسلام، إذ شرفت تلك الحقبة الزمنية بأنواع العلوم والفنون وبرز فيها عدد من العلماء الأجلاء ليس في العراق وحده، بل في العالم الإسلامي كله، وقد أثرى هؤلاء العلماء الفكر الإسلامي بكثير من المؤلفات النافعة، ومن استعرض كتب التاريخ والتراجم وجد عدداً وافراً من العلماء في هذه الفترة.

ومن أبرز أولئك العلماء الذين عاصرهم الرسعني ما يلي:

١- موفق الدين بن قُدامة المقدسي .

٢- أبو البقاء العكبري .

٣- أبو اليمن الكِندي .

٤- القاضي جمال الدين بن الحَرستاني .

٥- ابن الأثير .

---

(١) انظر: تاريخ الإسلام (٤/٤٣٦-٤٣٨).

٦-أبو ا د القزويني .

وستأتي ترجمة هؤلاء ضمن الكلام عن شيوخ الرسعني.

٧-ابن الشعار [(١)] .

٨- العماد الحنبلي [(٢)] .

٩- أبو حامد الصابوني .

١٠- الدمياطي .

١١- ابن دقيق العيد .

وستأتي ترجمة هؤلاء الثلاثة ضمن الكلام عن تلاميذ الرسعني.

١٢- الآمدي [(٣)] .

١٣- ابن النجار [(٤)] .

---

(١) سبق ترجمته ص ٢٣.

(٢) هو إبراهيم بن عبدالواحد المقدسي، العماد الحنبلي، أخو الحافظ عبدالغني، سمع الحديث وكان عابداً زاهداً ورعاً، كثير الصلاة والصوم، فقيهاً مفتياً، له كتاب "الفروع"، توفي سنة (٦١٤هـ).
انظر: البداية والنهاية (٦٤/١٧-٦٦)، الذيل على طبقات الحنابلة (٩٣/٢)، سير أعلام النبلاء (٤٣/٢٢).

(٣) هو علي بن أبي علي بن محمد التغلبي، ثم الحموي، ثم الدمشقي الآمدي، صاحب المصنفات، ومنها "أبكار الأفكار"، و"إحكام الأحكام"، كان حنبلي المذهب، فصار شافعياً أصولياً منطقياً، توفي سنة (٦٣١هـ).
انظر: البداية والنهاية (٢١٤/١٧-٢١٥)، طبقات الشافعية الكبرى (٣٠٦/٨).

(٤) هو محمد بن محمود بن النجار، البغدادي، الحافظ الكبير، صاحب "التاريخ" و"المختلف والمؤتلف"، و"ك الأيام في معرفة السنن والأحكام" قرأ الأدب والنحو والقراءات، أوقف خزانتين من الكتب بالنظامية تساوي ألف دينار، توفي سنة (٦٤٣هـ).
انظر: البداية والنهاية (٢٨٣/١٧-٢٨٤)، تذكرة الحفاظ (١٤٢٨/٤هـ).

١٤- السخاوي [١] .

١٥- عبدالسلام ابن تيمية الحراني [٢] .

١٦- سبط ابن الجوزي [٣] .

١٧- القرطبي [٤] .

١٨- العز بن عبدالسلام [٥] .

---

(١) هو علي بن محمد بن عبدالصمد الهمداني السخاوي، شيخ القُراء بدمشق، ختم عليه ألوف من الناس، له شرح "المُفصل" وله تفسير وتصانيف كثيرة، كان له حلقة بجامع دمشق، توفي سنة (٦٤٣هـ).
انظر: البداية والنهاية (٢٨٥/١٧-٢٨٦)، غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري (٥٦٨/١)، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

(٢) هو عبدالسلام بن عبدالله، ابن تيمية الحراني الحنبلي، جد الشيخ تقي الدين ابن تيمية، صاحب "الأحكام"، برع في الحديث والفقه وغيره، ودرس وأفتى وانتفع به الطلبة، ومات يوم الفطر بحران سنة (٦٥٢هـ).
انظر: البداية والنهاية (٣٢٤/١٧-٣٢٥)، العبر (٢١٢/٥).

(٣) هو يوسف بن الأمير حسام الدين قزعلي بن هبيرة الحنبلي سبط ابن الجوزي، روى عن جده، المؤرخ كثير الفضائل والمصنفات، له "مرآة الزمان"، كان فاضلاً عالماً ظريفاً، منقطعاً منكراً على أرباب الدول ما هم عليه من المنكرات، منصفاً لأهل العلم والفضل، مبايناً لأهل الجبرية والجهل، توفي سنة (٦٥٤هـ).
انظر: البداية والنهاية (٣٤٣/١٧-٣٤٥)، الذيل على الروضتين لأبي شامة ص١٩٥، الطبعة الأولى عام ١٩٤٧م، دار الجيل، بيروت.

(٤) هو أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، صاحب "المُفْهم في شرح مسلم"، الفقيه، المحدث، المدرس بالإسكندرية، ولد بقرطبة، وسمع الكثير هناك واختصر "الصحيحين"، توفي سنة (٦٥٦هـ).
انظر: البداية والنهاية (٣٨١/١٧)، النجوم الزاهرة (٦٩/٧).

(٥) هو عبدالعزيز بن عبدالسلام السلمي الشافعي، شيخ المذهب، صاحب مصنفات حسان، منها "التفسير" و"اختصار النهاية"، و"القواعد الكبرى" و"الصغرى"، و"الفتاوى الموصلية"، وغير ذلك، سمع كثيراً، وبرع في المذهب، وعلوم كثيرة، وأفاد الطلبة، توفي سنة (٦٦٠هـ).
انظر: البداية والنهاية (٤٤١/١٧-٤٤٢)، طبقات المفسرين (٣٠٨/١).

١٩-أبو شامة [١] .

٢٠-النووي [٢] .

وبعد أن استعرضنا عصر الإمام الرسعني رحمه الله اتضح أن الإمام عاش في غمرة تلك الأحداث السياسية والاجتماعية والعلمية والثقافية، وكان لكل ذلك أثره المباشر في تكوين شخصيته ورسم أفكاره، وتوجهاته وبروزه بين أقرانه، فقد قال الشريف ابن الطقطقي [٣] في مقدمة تاريخه (الفخري) عن الرسعني ومكانته عند صاحب الموصل: "وكان بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل رحمه الله أكثر ما يجري في مجلسه إيراد الأشعار المطربة والحكايات الملهية فإذا دخل شهر رمضان أحضرت له كتب التواريخ والسير وجلس الزين الكاتب[٤]، وعز الدين المحدث [٥] يقرآن عليه أحوال العالم" [٦] ، فإن دل

---

(١) هو عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي، المعروف بأبي شامة، الإمام ، العلامة، الحافظ، المحدث، الفقيه، المؤرخ ، شيخ دار الحديث الأشرفية، ومدرس الركنية، وصاحب المصنفات العديدة المفيدة، له: "اختصار تاريخ دمشق"، وله "شرح الشاطبية"، و"الروضتين في الدولتين النورية والصلاحية"، وله "الذيل" ، لم يكن في وقته مثله ، وديانته، وعفّته، وإمامته، توفي سنة (٦٦٥هـ).
انظر: البداية والنهاية (٤٧٢/١٧-٤٧٤)، غاية النهاية (٣٦٥/١).

(٢) هو يحيى بن شرف بن مري أبو زكريا النووي، الشافعي، العلامة، شيخ المذهب، وكبير الفقهاء في زمانه، صاحب المصنفات، ومنها: "رياض الصالحين"، و"الأذكار"، و"شرح مسلم"، كان من الزهاد، والعباد الورعين، لا يضيع شيئاً من أوقاته، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر للملوك وغيرهم، توفي بنوى سنة (٦٧٦هـ).
انظر: البداية والنهاية (٥٣٩/١٧-٥٤١)، طبقات الشافعية الكبرى (٣٩٥/٨).

(٣) هو فخر الدين محمد بن علي بن طباطبا العلوي، أبو جعفر، المعروف بابن الطقْطقي، مؤرخ ناقد ولد نحو سنة ٦٦٠هـ ونشأ في الموصل، خلف أباه في نقابة العلويين، وهو صاحب كتاب ":الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية" توفي سنة ٧٠٩هـ.
انظر: تاريخ العراق (٣٨٩/١)، آداب اللغة (٢٠١/٣)، الأعلام (٢٨٣/٦، ٢٨٤).

(٤) لم أعثر له على ترجمة سوى أنه ورد ترجمة لوالده بأنه: فتح بن محمد بن علي، الفقيه أبو المنصور الدمياطي، الشافعي، نجيب الدين -وذكر عنه بأنه- والد الزين الكاتب المشهور.
انظر: تاريخ الإسلام (٢٠٩/٤٣).

(٥) هو الرسعني.

(٦) تاريخ الفخري (الفخري في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية)، لفخر الدين محمد الطقْطقي ص ٤، دار صادر – بيروت.

على شيء فإنما يدل على مكانته رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند الملوك والأمراء، وقد تأثر بما وقع في عصره من أحداث سياسية هامة، ومنها تحسره لتسليم الكامل بيت المقدس للصليبيين عام (٦٢٥هـ)، وقد نظم قصديته السينية في هذا الشأن والتي أوردها ابن الشعار في كتابه عقود الجمان [(١)] وكانت للحياة العلمية الزاهرة في بغداد وغيرها من المدن التي رحل إليها في طلب العلم تأثيرها الواضح عليه في انصرافه لتلقي العلوم، ومجالسة علماء عصره ومن ثم التدريس والتأليف، وهذا ما دعاه إلى الاهتمام بعلوم الشريعة، حيث نشأ وتعلم على شيوخ وعلماء عصره البارزين في فنون مختلفة فاستطاع أن يستفيد من جميع هؤلاء حتى برز وأصبح أحد العلماء الأعلام.

---

(١) سبق إيراد هذه القصيدة ص ٢٣.

ثانياً: حياة الرسعني الشخصية

١- اسمه ونسبه وكنيته ولقبه ونسبته.

٢- مولده ونشأته وأسرته ووفاته.

١- اسمه ونسبه وكنيته ولقبه ونسبته:

اسمه ونسبه:

هو عبدالرازق [١] بن رزق الله بن أبي بكر بن خلف ابن أبي الهيجاء [٢].

---

(١) الصواب في اسم الرسعني أنه (عبدالرازق) بتقديم الألف على الزاي، وعلى هذا بعض العلماء المؤرخين ومنهم:

١- ابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة (٧٧/٤).

٢- ابن ناصر الدين في التبيان في بديعة البيان (٤٨/أ)، وقد وضع فيها فوق "عبدالرازق" لفظ صح.

٣- ابن الفوطي في مجمع الآداب في معجم الألقاب (٢١٤/١).

٤- الذهبي في تذكرة الحفاظ (١٤٥٢/٣) وفي تاريخ الإسلام (٣٨/١٥).

٥- العليمي في الدر المنضد في ذكر أصحاب الإمام أحمد (٤٠٤/١).

٦- الزركلي في الأعلام (٢٩٢/٣).

وعامة من ترجم له سماه هكذا: (عبدالرزاق) حيث أخر الألف بعد الزاي فجعله (عبدالرزاق)، وهذا مخالف للصواب لما يأتي:

١- ترجمة تلامذته ومعاصريه، فقد ترجمه ابن الشعار في عقود الجمان (١٣١/٤/ب) والدمياطي في معجم شيوخه (١٣/٢٨/أ)، والأربلي في كشف الغمة (ص٢٥) بـ(عبدالرازق).

٢- أن هذا الاسم (عبدالرازق) قد أثبتت هكذا في مؤلفاته، ومنها:

- ما جاء في مقدمة "درة القاري".

- وما جاء في غلاف كتاب الرسعني (مختصر الفرق بين الفرق).

- وما جاء في السماع المثبت بآخر المجلد الثاني من كتاب الرسعني رموز الكنوز.

٣- ما درج عليه بعض العلماء والمؤرخين الذين سبق ذكرهم.

(٢) انظر ترجمته وأخباره في المصادر والمراجع التالية:

١- عقود الجمان في شعراء هذا الزمان لابن الشعار (١٣١/٤/ب-١٣٨/أ).

٢- معجم شيوخ الدمياطي (١٣/٢٨/أ-١٤/أ) مخطوط رقم (٨٦٢١/خ) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٣- طبقات المفسرين للداودي (٢٩٣/١-٢٩٥).

٤- العبر في خبر من غبر للذهبي (٣٠٢/٣).

==

==

٥- طبقات الحفاظ للسيوطي (٥٣٤-٥٣٥).

٦- ذيل مرآة الزمان لليونيني (٥٤٥/١).

٧- المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد لابن مفلح (١٣٢/٢-١٣٥)، تحقيق: د. عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع.

٨- المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد للعليمي (٢٩١/٤-٢٩٢)، تحقيق: إبراهيم صالح، الطبعة الأولى ١٩٩٧م، دار صادر - بيروت – لبنان.

٩- الدر المنضد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، للعليمي (٤٠٤/١-٤٠٥)، تحقيق: الدكتور/ عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، الناشر: مكتبة التوبة، المملكة العربية السعودية.

١٠- كشف الغمة في معرفة الأئمة، لعلي بن عيسى الأربلي ص٢٥، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ، الناشر مكتبة بني هاشم.

١١- الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (٧٧/٤-٨٣).

١٢- تاريخ الإسلام للذهبي (٣٨/١٥-٣٩).

١٣- تذكرة الحفاظ للذهبي (١٤٥٢/٣-١٤٥٥).

١٤- مجمع الآداب في معجم الألقاب (٢١٤/١-٢١٥).

١٥- طبقات علماء الحديث لابن عبدالهادي (٢٣٩/٤-٢٤٠).

١٦- تكملة إكمال الإكمال (١٥٤-١٥٦).

١٧- ذيل تكملة الإكمال، لابن العماديه (٢٩٤/١)، تحقيق: الدكتور/ عبدالقيوم عبد رب النبي ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، مركز إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة.

١٨- الوافي بالوفيات (٤٠٩/١٨).

١٩- شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٥٢٩/٧-٥٣٠).

٢٠- غاية النهاية في طبقات القراء (٣٨٤/١).

٢١- المعين في طبقات المحدثين، للذهبي ص٢١٠، تحقيق: د. همام عبدالرحيم سعيد، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، دار الفرقان، عمان-الأردن.

٢٢- طبقات المفسرين للسيوطي (٦٦-٦٧).

٢٣- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، لبدر الدين محمود العيني (٣٦٧/١)، تحقيق: د. محمد محمد أمين، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٤- النجوم الزاهرة (١٨٥/٧-١٨٦).

٢٥- السلوك لمعرفة دول الملوك، للمقريزي (٥٠٢/١)، الطبعة الثانية ١٣٧٦هـ.

٢٦- بديعة البيان، لابن ناصر الدين ص٢٣١، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، دار ابن الأثير، الكويت – الجهراء.

٢٧- درة الاسلاك في دولة الأتراك، للحسن بن عمر بن حبيب الحلبي (٢٦/١/أ-ب) مخطوط رقم (٥١٤٦ ف) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

==

==

٢٨- سير أعلام النبلاء (٢٢٦٣/٢).

٢٩- البداية والنهاية (٤٥٠/١٧).

٣٠- دول الإسلام للذهبي (١٢٩/٢)، الطبعة الأولى ١٣٣٧هـ، مطبعة دائرة المعارف النظامية - حيدر آباد.

٣١- الإعلام بوفيات الأعلام، للذهبي ص٢٧٦، الطبعة الثانية، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان.

٣٢- عيون التواريخ، لمحمد بن شاكر الكتبي (٢٩٠/٢٠-٢٩١)، تحقيق: د. فيصل السامر، ونبيلة عبدالمنعم داود، الطبعة الأولى ١٩٨٠م، دار الرشيد للنشر.

٣٣- الجواهر المُضية في طبقات الحنفية، لمحي الدين أبي محمد القرشي (٤١٦/٢)، تحقيق: د. عبدالفتاح محمد الحلو، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه (وقد أخطأ حين عد الرسعني من الأحناف).

٣٤- تاريخ الدول الإسلامية، وهو كتاب الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، لمحمد بن علي الطقطقي ص٤، الناشر: دار صادر - بيروت.

٣٥- مختصر الذيل على طبقات الحنابلة، لابن نصر الله ص٧٧.

٣٦- البيان في بديعة البيان، لابن ناصر الدين (١٤٨/أ).

٣٧- معجم شيوخ الأبرقوهي، لأبي المعالي الأبرقوهي ص٦٦.

٣٨- كشف الظنون، لحاجي خليفة (٩١٣/١، ٧٤٣)، (١٧١٥/٢)، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٣٩- هدية العارفين، لإسماعيل باشا البغدادي (٥٦٦/٥)، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٤٠- معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة (٢١٧/٥-٢١٨)، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

٤١- المستدرك على معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، ص٣٧٣، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ، مؤسسة الرسالة – بيروت.

٤٢- المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ابن حنبل، لابن بدران ص٢٠٨، (٤٧٦-٤٧٧)، إدارة الطباعة المنيرية – مصر.

٤٣- رفع النقاب عن تراجم الأصحاب، لإبراهيم بن محمد بن سالم بن ضويان (٢٧٠-٢٧١)، حققه وعلق عليه وقدم له: عمر بن غرامه العمروي، إشراف: مكتب البحوث والدراسات، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٤٤- تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة، لصالح بن عبدالعزيز آل عثيمين (٨٥١/٢-٨٥٢)، تحقيق: بكر بن عبدالله أبو زيد، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، مؤسسة الرسالة.

٤٥- ذيل الدر المنضد في معرفة كتب أصحاب الإمام أحمد، لعبدالله بن علي بن محمد بن حميد، ص٨٥.

==

هكذا ذكرت عامة المصادر نسبه، إلا ابن كثير شذ فقال: عبدالرزاق بن عبدالله[1] وشذ أيضاً ابن العمادية فقال: عبدالرزاق بن رزق [2] ، وكلاهما وهم.

كنيته ولقبه:

باستقراء كتب التراجم والمصادر التاريخية التي ذكرت كنيته يتضح اتفاقها على أنه يكنى بأبي محمد، وليس له كنية غيرها، وذلك لكون محمد الذي يكنى به هو أكبر أولاده، والذي سيأتي الحديث عنه قريباً.

كما اتفقت كتب التراجم والمصادر التاريخية التي ذكرت لقب الرسعني على لقب: عز الدين.

==

٤٦- الأعلام (٢٩٢/٣).

٤٧- علماء الحنابلة، لبكر بن عبدالله أبو زيد ص١٩١، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية – الدمام.

٤٨- معجم طبقات الحفاظ والمفسرين، عبدالعزيز السيروان، ص٢٤٨، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، عالم الكتب – بيروت.

٤٩- الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، جمع وإعداد مجموعة من المؤلفين (١٢١٧/٢)، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، سلسلة إصدارات الحكمة.

(١) انظر: البداية والنهاية (٤٥٠/١٧).

(٢) انظر: ذيل تكملة الإكمال (٢٩٤/١).

نسبته:

وبخصوص نسبته يرحمه الله فيقال له الرسعني، والجزري، والموصلي، والحديث عن ذلك على النحو التالي:

أولاً: الرسعني:

فهو ا أكثر شهرة من غيرها، وأغلب المصادر التي ترجمت له ذكرته ذه النسبة، والرسعني، بفتح الراء وسكون السين وفتح العين وكسر النون، وهذه النسبة إلى بلـدة من ديار بكر[١] يقال لهـا رأس عـين [٢] ، ومـاء دجلـة منـها يخـرج، والنـسبة إليها رسعني [٣] .

ثانياً: الجزري:

أما الجزري فنسبته إلى جزيرة الفرات [٤] التي تقع فيها رأس عين، وقد ترجمه ذه النسبة كل من : السيوطي[٥] ، والذهبي[٦] ، وابن عبدالهادي[٧] ، وابن ناصر الدين [٨] .

---

(١) ديار بكر: هي بلاد كبيرة واسعة بالعراق تنسب إلى بكر بن وائل، تقع غرب ر دجلة إلى بلاد الجبل المطـل على نصيبين.
انظر: معجم البلدان (٤٩٤/٢).

(٢) رأس عين: ويقال رأس العين، والعامة تقول هكذا، وهي مدينة مشهورة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين، ودنيسر، وفي رأس عين عيون كثيرة عجيبة صافية تجتمع كلها في موضع فتصير ر الخابور وقد نسب إليهـا الراسي، كانت تعرف قديماً باسم "رسين ثيودوسيو بوليس" سار الصحابي الجليل عياض بـن غـنم سـنة (١٩هـ) إلى إقليم العراق بعد أن أخضع الرها، وصدع بأمر الخليفة عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فأنفذ عمير بن سعد إلى مدينة رأس عين، فحاصرها وفتحها عنوة، ثم استولى الإفرنجة عليها غير أ م لم يستطيعوا الاحتفاظ ا مـدة طويلة بسبب جهاد أهلها، ورأس العين تقع حالياً في شمال شرقي سوريا قريباً من مدينة القامـشلي معظـم سكا ا من الأكراد وهي مدينة جميلة تشتهر بمياهها وينابيعها الكبريتية.
انظر: معجم البدان (١٥/٣-١٦).

(٣) انظر: الأنساب، لأبي سعد السمعاني (٦٤/٣)، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، دار الجنان.

(٤) سبق التعريف ذه الجزيرة ص٢٨.

(٥) طبقات الحفاظ ص٥٣٥.

(٦) تذكرة الحفاظ (١٤٥٢/٣).

(٧) طبقات علماء الحديث (٢٣٩/٤).

(٨) التبيان في بديعة البيان (١٤٨/أ).

ثالثاً: الموصلي:

أما نسبته إلى الموصلي، فهي نسبة إلى مدينة الموصل (١) ، وهـي إحـدى مـدن الجزيرة الفراتية، وقد تولى الرسعني ا مشيخة دار الحديث وكانت له حرمة وافرة عند صاحبها بدر الدين لؤلؤ (٢) ، وقد ذكر تلميذه ابن الشعار، بأنه نـزل بـدار الحـديث المهاجريه بباب سكة أبي نجيح، التي أنشأها أبو القاسم، علي بـن مهـاجر بـن علـي الموصلي(٣) ، وعين مدرساً ا، فصار يسمع ا أحاديث رسول الله ﷺ، ويفيد الناس(٤).

ومن خلال استقراء تلك المصادر التي ترجمت له، اتضح تفرد صديقه اء الـدين علي بن عيسى الإربلي في كتابه "كشف الغمة في معرفة الأئمة"، ذه النسبة حيث قال ما نصه: "ونقلت من أحاديث نقلها صديقنا عز الدين عبدالرازق بـن رزق الله بـن أبي بكر، المحدث الحنبلي الرسعني الأصل، الموصلي المنشأ" (٥) .

وقد شذ البغدادي في هدية العارفين حيث نسبه بـ"الرستغفني" (٦) وابن بدران(٧) في المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل بـ"الرستغني" (٨).

والظاهر أن هذا تحريف لـ (الرسعني).

وأيضاً الأبرقوهي في معجمه حيث نسبه بـ"الرأسي" (٩) أخذاً بما ذكره الحموي في معجم البلدان (١٠) ، والسمعاني في الأنساب (١) من نسبة "الرأسي" إلى رأس العين.

---

(١) سبق التعريف ا ص٢٧.

(٢) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (٨١/٤).

(٣) هو معين الدين، علي بن مهاجر بن علي التكريتي الموصلي، كان وزيراً بسنجار، وهو مـن أولاد الأكـابر والوزراء، وبيتهم معروف بالفضل والحشمة، والنبل، وكان من أهل الخير والـصلاح، والـسماح، وبـنى بالموصل، في سكة أبي نجيح دار الحديث، ووقف عليها الوقوف الحسنة، والكتب النفيسة.
انظر: مجمع الآداب في معجم الألقاب (٣٩٦/٥-٣٩٧).

(٤) عقود الجمان (١٣٢/٤/أ).

(٥) كشف الغمة في معرفة الأئمة (٢٥/١، ٣١٠).

(٦) هدية العارفين (٥٦٦/٥).

(٧) هو عبدالقادر بن أحمد بن مصطفى، يعرف بابن بدران، فقيه أصولي حنبلي، عارف بالأدب والتاريخ، سلفي العقيدة، له تصانيف، منها: "شرح روضة الناظر" و" ذيب تاريخ ابن عساكر" وغيرها، توفي سنة ١٣٤٦هـ.
انظر في ترجمته: الأعلام الشرقية في المئة الرابعة عشرة الهجرية، لزكي محمد مجاهد ص١٢٨، الطبعة الثانية ١٩٩٤م، دار الغرب – لبنان، الأعلام (٣٧/٤-٣٨).

(٨) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل ص٢٠٨.

(٩) معجم الأبرقوهي ص٦٦.

(١٠) معجم البلدان (١٥/٣).

٢- مولده ونشأته وأسرته ووفاته:

مولده ونشأته:

يجمع المترجمون للرسعني رَحِمَهُ اللَّهُ أنه ولد سنة تسع وثمانين وخمسمائة للهجرة برأس عين الخابور.

وقد حدد تلميذه ابن الشعار يوم ولادته فقال: "وكانت ولادته فيما قرأ ا بخط يده يوم الأحد بين الظهر والعصر، الثالث والعشرين من رجب، سنة تسع وثمانين وخمسمائة برأس عين" [٢].

وقد أشار إلى ذلك أيضاً اليونيني في ذيل مرآة الزمان [٣].

أما بخصوص نشأة الرسعني الأولى في بداية حياته وما يتصل ا من تفصيلات فقد أغفلت من قبل المصادر التي ترجمت له؛ وإذا تجاوزنا النزر اليسير من الذي ذكرته تلك المصادر، من أخبار شيوخه، والذين تلقى عنهم العلم، نجد أنفسنا أمام عالم فذ، يتناقل الركبان أخباره، ويتنافس طلبة العلم على التلقي منه، ويتزاحمون على بابه رحمه الله.

يقول الرسعني في تفسيره مشيراً إلى مكان ولادته ونشأته بقوله: "ولقد شاهدت برأس عين وهي مولدي ومنشئي جارية ولد ا يهودية في سنة تسع عشرة وستمائة [٤]، ثم أخذ يصف خِلقتها حيث كانت مختلفة عن العادة فيقول: "ولها وجهان في رأس واحد، وأربعة أيدٍ، وأربعة أرجل، وأربعة آذان، وردفان، وفرجان كأ ما جاريتان ألصق ظهر

==

(١) الأنساب (٣/٢٦).

(٢) عقود الجمان في شعراء هذا الزمان (٤/١٣١/ب).

(٣) انظر: ذيل مرآة الزمان (١/٥٤٥).

(٤) رموز الكنوز (٢/١٦٤/ب).

إحداهما بظهر الأخرى" [١] .

وباستقراء كتب التراجم لم أقف على حالة أسرته المادية التي عاش الرسعني في كنفها، وهل كانت غنية أم فقيرة؟ أو عن حال والديه ودورهما في تنشئته، وقد بدأ حياته في طلب العلم وتحصيله في بلدته رأس عين، حيث بدأ بحفظ كتاب الله تعالى، وبعد إتمام حفظه قام بطلب العلم وسماع حديث رسول الله ﷺ من رموز العلم في بلدته، هذا وإنما يدل على أنه نشأ في أسرة علم كانت سبباً ودافعاً قوياً له في طلب العلم مبكراً.

---

(١) المصدر السابق (٢/١٦٤/ب).

أسرته:

المصادر التي ترجمت للإمام الرسعني، أغفلت الحديث عن أسرته، إلا أنه قد صرح رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: "رموز الكنوز" بقوله: "وسمعت الشيخ أبا الخطاب بن هلال الرسعني[١] جد أولادي لأمهم يقول..." [٢] .

وعليه يتضح أنه تزوج ابنة الشيخ أبي الخطاب بن هلال الرسعني، وهي من بيت علم في بلده رأس عين، لكن لم نتوصل إلى معرفة اسمها.

أما أولاده ، فقد ولد له ثلاثة أبناء وبنت ، وهم:

الأول: محمد[٣] ، وهو أكبر أولاده وبه يكنى، شمس الدين أبو عبدالله، وأبو الفضائل، الشيخ الإمام الجليل، الفاضل، كان فقيهاً، شاعراً، أديباً، معدلاً، نزل دمشق، وسكن ا، وكان من أعيان شهودها، باشر نظر ديوان الصدقات، وأم بالمسجد الكبير بالرماحين، ولد سنة إحدى وعشرين وستمائة بـ "رأس عين"، ذكره أبوه في "تفسيره" غير مرة أنه كان يسأله عن غوامض في التفسير، ويتكلم فيه بكلام جيد [٤] ، وقد كتب إليه والده رسالة وهو في دمشق أوردها الدمياطي في معجم شيوخه قال فيها: "كتبت إلى ولدي محمد حين كان يشتغل بدمشق من جملة رسالة أقول فيها: الإنسان عورة تكشفها

---

(١) لم أعثر له على ترجمة.

(٢) رموز الكنوز (١٩٠/٣/ب).

(٣) انظر: مصادر ترجمته وأخباره في: الذيل على طبقات الحنابلة (٢٣٥/٤-٢٣٧)، ومختصر الذيل على طبقات الحنابلة لابن نصر الله (ص٨٦)، والمقصد الأرشد (٤٥٦/٢-٤٥٧)، والمنهج الأحمد (٣٣٨/٤)، ومختصره "الدر المنضد" (٤٣٢/١)، وتاريخ الإسلام (٣٨٧-٣٨٨)، والعبر (٣٧٠/٣-٣٧١)، السلوك (٧٦٠/١)، وشذرات الذهب (٧١٦/٧)، والوافي بالوفيات (٢٥١/٣-٢٥٣)، والمقتفى للبرزالي (١٥٩/١)، ودرة الاسلاك (١٠٢/١)، وفوات الوفيات (٣٩٩/٣)، وذيل التقييد (١٥٨/١)، والنور السافر ص (١١٢)، وتاريخ حوادث الزمان (٢٥/١).

(٤) انظر: رموز الكنوز (١٨٦/٢/ب)، (٦٢/٤/ب - ٦٣/أ).

وتشينها الخصال الذميمة وتسترها وتزينها الخصال الكريمة" [(١)] أ.هـ.

ينظم الشعر الجيد ومنه:

أأيس من بـر وجـودك واصـل إلى كـل مخلـوق وأنـت كـريم
وأجزع من ذنب وعفـوك شـامل لكل الورى طُـراً وأنـت رحـيم
وأجهد في تـدبير حـالي جهالـة وأنـت بتـدبير الأنـام حكـيم
وأشكو إلى نعمـاك ذلي وحـاجتي وأنت بحالي يـا عزيـز علـيم [(٢)]

وكانت وفاته في دمشق يوم الأحد الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسع وثمانين وستمائة [(٣)]، عن ثمان وستين سنة [(٤)].

الثـاني: إبراهيم [(٥)]، ويكنى أبا إسحاق، عرف بابن المحدث، وسمع بالموصل من والده الإمام عز الدين، وتفقه عليه، ذكره البرزالي في "معجم شيوخه" وقـال: كتبـت عنه، وفاق أبناء جنسه معرفة وذكاء، وكان نبيهاً، نبيلاً، فاضلاً، عالماً، متنسكاً، ورعـاً، حسن الأخلاق، له منظوم ومنثور وشرح القدوري[(٦)] ولم يتمه، كتب الإنشاء بـديوان

---

(١) معجم شيوخ الدمياطي (٢٨/٣/أ).

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة (٢٣٧/٤).

(٣) المقتفى (١٥٩/١)، وانظر: الذيل على طبقات الحنابلة (٢٣٥/٤)، والوافي بالوفيـات (٢٥٢/٣)، والـدر المنضد (٤٣٢/١).

(٤) انظر: السلوك (٧٦٠/١).

(٥) انظر مصادر ترجمته وأخباره في: تاج التراجم، أبو الفداء زين الدين بن قطلوبغا، ص٨٨، تحقيق: محمد خـير رمضان يوسف، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، دار القلم – دمشق، والجواهر المُضية في طبقات الحنفية، لمحـي الدين بن نصر الله (٩١/١-٩٢)، تحقيق د. عبدالفتاح محمد الحلو، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، والطبقات السنية في تراجم الحنفية، لتقي الدين التميمي (٢٠٦/١-٢٠٧)، تحقيـق د. عبدالفتاح محمد الحلو، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، والمنهل الصافي (٨٤/١-٨٥)، وكشف الظنون (١٦٣٢/٢)، والأعلام (٣٩/١).

(٦) أي كتاب "المختصر" المشهور للإمام القدوري، أحمد بن محمد بن أحمد، وهو مختصر في فروع الأحناف.

الموصل، أنشدني من شعره كثيراً في كل فن، ولد في جمادى الأولى سنة اثنتين وأربعين وستمائة بالموصل، ومات في شهررمضان، سنة خمس وتسعين وستمائة بدمشق، ودفن بسفح قاسيون [١] .

الثالث: أحمد، ويكنى أبو صالح ، ولم أعثر له على ترجمة سوى أن والده ذكره في تفسيره رموز الكنوز عند تفسيره لقوله تعالى من سورة القصص: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [٢] : «... وقوله: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ تسليم متاركةٍ وتوديع، لا تسليم تحية.

ومثله قولي في أبيات أرثي [بها] ولدي أبا صالح أحمد:

على زينة الدنيا ولذّة عيشها ⁂ السلام فهذا منهما آخر العهد" [٣]

والظاهر أن ابنه أحمد توفي وهو صغير.

الرابع من أولاده: هي ابنته أمة الرحمن [٤]، فاضلة عالمة، تلقب بست الفقهاء[٥].

توفيت سنة خمس وتسعين وستمائة، ذكرها البرزالي في المقتفى فقال: "وفي بكرة الأربعاء عاشر شعبان توفيت الشيخة الصالحة أمة الرحمن ست الفقهاء، بنت الشيخ الإمام العلامة عز الدين أبي محمد عبدالرازق » [٦] .

---

(١) انظر: الجواهر المضية (٩١/١-٩٢)، الطبقات السنية (٢٠٦/١-٢٠٧)، وتاج التراجم ص٨٨.

(٢) سورة القصص: الآية (٥٥).

(٣) رموز الكنوز (٢٣٧/٣/ب).

(٤) انظر أخبارها في: المقتفى (٢٤٠/١)، وتاريخ الإسلام ص٢٥٤.

(٥) انظر: تاريخ الإسلام ص٢٥٤.

(٦) المقتفى (٢٤٠/١).

هذا ومن آل بيت الرسعني:

١-أخوه عبدالرحمن بن رزق الله بن أبي بكر بن خلف بن أبي الهيجاء الرسعني، وهو من شيوخ الدمياطي (١) .

وهو غير عبدالرحمن بن رزق الله الرسعني الدمشقي (ت: سنة ٧٦٢هـ) لتأخر وفاته، فهو سبط ابن الإمام الرسعني محمد.

قال عنه ابن رافع في الوفيات: "وفي ليلة الأربعاء ثالث جمادى الأولى منها توفي المسند عبدالرحمن بن رزق الله بن عبدالرحمن الرسعني الدمشقي ا، ودفن بمقابر باب الصغير، سمع في الخامسة من ابن البخاري "مشيخته" وسمع منه "سنن" أبي داود، وحدث، وكان رسولاً بباب القضاة.

قال البرزالي: "سبط شمس الدين محمد بن عبدالرزاق الرسعني، كان بدمشق رسولاً بباب القاضي مدة، ثم نزح عنها، وتوجه إلى القاهرة، وأقام هناك، ثم عاد إلى دمشق"(٢).

كان أحد وكلاء الحكم بدمشق (٣) .

٢-حفيد الرسعني: وهو محمد بن محمد بن عبدالرازق الرسعني، نصير الدين، ابن شمس الدين بن المحدث ، سمع من جماعة، كان من أهل العلم ، قتل شهيداً بحوران (٤) ، في ذي الحجة سنة اثنتين وتسعين وستمائة، وله عشرون سنة (٥) .

---

(١) انظر: معجم شيوخ الدمياطي (١٩/٢٤/ب)، ولم يذكر تاريخ وفاته.

(٢) الوفيات، لتقي الدين بن رافع السلامي (٢٣٩/٢-٢٤٠)، تحقيق: صالح مهدي عباس، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ، مؤسسة الرسالة.

(٣) انظر: لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، لتقي الدين المكي ص١٣١، دار إحياء التراث العربي، والذيل على العبر في خبر من عبر، لأبي زرعة (٦٦/١-٦٧)، تحقيق: صالح مهدي عباس، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، مؤسسة الرسالة – بيروت.

(٤) حوران: بالفتح، يجوز أن يكون من حار يحور حوراً، وحوران: منطقة واسعة بدمشق، ذات قرى كثيرة ومزارع، كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد ولى علقمة بن علاثة عليها، تكثر فيها الحركات البركانية، ومن المدن التي تقع في منطقتها (درعا ، وبصرى وهي قاعدة حوران).

انظر: معجم البلدان (٣٦٤/٢)، تقويم البلدان ص٣٥٢، موسوعة المدن العربية ص١٧٥، ١٨٧.

(٥) انظر: المقتفى للبرزالي (٢٠٦/١)، وقال: توفي في العشر الأول من ذي الحجة، والمقصد الأرشد (٥١٣/٢).

وفاته:

وبعد أن أمضى الإمام الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عمراً طويلاً، وحياة حافلة مليئة بالجد والنشاط، وطلب العلم وتأليفه وتدريسه، لقى ربه قرير العين.

وقد كانت وفاته بسنجار [١] القريبة من الموصل، ودفن في ظاهرها، شرقي البلد في مقبرة المشايخ[٢] .

أما تاريخ وفاته فقد اختلفت المصادر التي ترجمت له، فعامة المترجمين وأكثرهم قالوا: توفي سنة إحدى وستين وستمائة من الهجرة، وفي مقدمتهم تلميذه الدمياطي [٣] ، وكذلك ابن كثير [٤] ، وابن رجب [٥] ، واليونيني [٦] ، والسيوطي [٧] ، والعيني [٨] ، وابن العماد[٩]، والذهبي [١٠] ، وابن عبدالهادي [١١] ، وابن الجزري [١٢] ، والحلبي [١٣]،

---

(١) سبق التعريف بها ص٢٧.

(٢) انظر: معجم شيوخ الدمياطي (١٤/٢٨/أ)، وذيل مرآة الزمان (٥٤٥/١)، والسلوك (٥٠٢/١)، والذيل على طبقات الحنابلة (٨٣/٤)، والبداية والنهاية (٤٥٠/١٧)، وعقد الجمان (٣٦٧/١)، وشذرات الذهب (٥٣٠/٧)، ومجمع الآداب (٢١٥/١)، وطبقات المفسرين (٢٩٥/١)، والمنهج الأحمد (٢٩٢/٤).

(٣) انظر: معجم شيوخ الدمياطي (١٤/٢٨/أ).

(٤) انظر: البداية والنهاية (٤٥٠/١٧).

(٥) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (٨٣/٤).

(٦) انظر: ذيل مرأة الزمان (٥٤٥/١).

(٧) انظر: طبقات المفسرين ص٦٧، طبقات الحفاظ ص٥٣٥.

(٨) انظر: عقد الجمان (٣٦٧/١).

(٩) انظر: شذرات الذهب (٥٣٠/٧).

(١٠) انظر: العبر (٣٠٢/٣)، وتاريخ الإسلام (٣٩/١٥)، تذكرة الحفاظ (١٤٥٣/٣)، والإعلام بوفيات الأعلام ص٢٧٦.

(١١) انظر: طبقات علماء الحديث (٢٤٠/٤).

(١٢) انظر: غاية النهاية في طبقات القراء (٣٨٤/١).

(١٣) انظر: درة الاسلاك (٢٦/١/أ).

والكتبي[١]، وابن تغري بردي [٢] ، والصفدي [٣] ، والمقريزي [٤] ، وحاجي خليفة [٥] ، والبغدادي[٦] .

وقال ابن الفوطي في مجمع الآداب في معجم الألقاب: توفي سنة ستين وستمائة[٧]، وتبعه ابن مفلح في المقصد الأرشد [٨] ، وابن بدران في المدخل [٩] ، وابن ضويان في رفع النقاب [١٠] ، ولو رجع ابن الفوطي إلى طبقات ابن رجب ومعجم شيوخ الدمياطي مثلاً لوجد الصواب.

وادعى صديقه الإربلي في كتابه (كشف الغمة في معرفة الأئمة) أنه: "قتل سـنة أخذ التتار الموصل وهي سنة ستين وستمائة" [١١] ، وهذه دعوى غير صحيحة، حيث لم تذكر كتب التراجم الأخرى -حسب استقرائي- أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ مات مقتولاً.

وتضاربت أقوال المترجمين حول الشهر الذي توفي فيه، فقال الدمياطي توفي ثامن عشر ربيع الآخر ليلة الجمعة عند العشاء الآخرة [١٢] ، وقـال: ابـن الفـوطي في ذي الحجة[١٣] ، وتبعه ابن مفلح كما تقدم.

---

(١) انظر: عيون التواريخ (٢٠/٢٩٠).

(٢) انظر: النجوم الزاهرة (٧/١٨٥).

(٣) انظر: الوافي بالوفيات (١٨/٤٠٩).

(٤) انظر: السلوك (١/٥٠٢).

(٥) انظر: كشف الظنون (٢/١٧١٥).

(٦) انظر: هدية العارفين (٥/٥٦٦).

(٧) مجمع الآداب في معجم الألقاب (١/٢١٥).

(٨) انظر: المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد (٢/١٣٥).

(٩) انظر: المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل ص٢٠٨.

(١٠) انظر: رفع النقاب عن تراجم الأصحاب ص٢٧١.

(١١) كشف الغمة في معرفة الأئمة ص٢٥.

(١٢) انظر: معجم شيوخ الدمياطي (٢٨/١٤/أ).

(١٣) انظر: مجمع الآداب في معجم الألقاب (١/٢١٥).

وأكثر المترجمين على أن وفاته في ثاني عشر ربيع الآخر ليلة الجمعة، ومنهم الذهبي [(١)] ، وابن العماد [(٢)] ، والعيني [(٣)] ، والسيوطي [(٤)] ، واليونيني [(٥)] ، وابن كثير [(٦)] ، وحكى ابن رجب [(٧)] ، والعليمي [(٨)] ، الأقوال الثلاثة السابقة، ثم أضافا أيضاً قولاً رابعاً بأنه توفي ليلة الجمعة ثاني عشر ربيع الأول، ولحقهما في ذلك الداودي في طبقات المفسرين [(٩)] ، والذي يبدو أنه سهو منهم.

وخلاصة القول: والأقرب من تلك الأقوال ما ذكره تليمذه الدمياطي من أنه توفي سنة إحدى وستين وستمائة في ثامن عشر ربيع الآخر ليلة الجمعة بعد العشاء الآخر، وله من العمر عند وفاته اثنتان وسبعون سنة [(١٠)] . وقد رجحت ما ذكره الدمياطي؛ لكونه من تلاميذ الرسعني المقربين إليه، وقد وضع له ترجمة في معجم شيوخه [(١١)]؛ والدمياطي وكما هو معلوم حافظ حجة نسابه.

---

(١) انظر: تاريخ الإسلام (٣٩/١٥)، العبر (٣٠٢/٣).

(٢) انظر: شذرات الذهب (٥٣٠/٧).

(٣) انظر: عقد الجمان (٣٦٧/١).

(٤) انظر: طبقات المفسرين ص٦٧.

(٥) انظر: ذيل مرآة الزمان (٥٤٥/١).

(٦) انظر: البداية والنهاية (٤٥٠/١٧).

(٧) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (٨٣/٤).

(٨) انظر: المنهج الأحمد (٢٩٢/٤)، الدر المنضد (٤٠٥/١).

(٩) انظر: طبقات المفسرين (٢٩٥/١).

(١٠) انظر: درة الاسلاك (٢٦/١/ب)، السلوك (٥٠٢/١).

(١١) معجم شيوخ الدمياطي (مخطوط) (١٤/٢٨/أ).

ثالثاً: حياة الرسعني العلمية

١- طلبه للعلم.

٢- رحلاته العلمية.

٣- شيوخه وتلاميذه.

٤- مؤلفاته.

٥- مكانته العلمية.

٦- عقيدته إجمالاً، ومذهبه الفقهي.

١- طلبه للعلم:

بالنظر إلى مصادر ترجمة الرسعني وأخباره، نستطيع أن نجزم بأن الرسعني سعى إلى طلب العلم في بلدته رأس عين، منذ نعومة أظفاره وقبل أن يشتد عوده، فابتـدأ طلـب العلم وتحصيله بحفظ كتاب الله تعالى كما هي سنة و ج العلماء المتقدمين، قال صـديقه ابن الشعار في كتابه عقود الجمان، وهو أعرف بأخباره وأدرى بآثاره: "حفظ القـرآن العزيز على الشيخ مبارك بن إسماعيل الحراني [(١)] " [(٢)] .

وبعد حفظه لكتاب الله تعالى، تاقت نفسه للتزود من العلم، وسماع حديث رسول الله ﷺ فأخذ ذلك من رموز العلم في بلدته فسمع الحديث من شيخه الإمام المحدث أبي ا د القزويني ، والشيخ المُسند أبي الحسن البغدادي [(٣)] ، وغيرهما [(٤)] .

ولما أدرك أن العلم بحر لا شاطئ له، وأنه لا يؤتى إلا ببذل الجهد والعزم، شـد الرحال وجال وطاف البلاد يرتوي من مناهل العلم والنور، ويطلب الحـديث ليعلـي سنده، فانضم إلى حلقات العلم في البلاد التي طافها، وخاض غمار البحار، وتجشم عناء السفر ومشقته ولكنه لم يتهاون أو تضعف عزيمته حتى صار من ذوي الوجاهة والأقدار، ودرس وتلقى العلم على أكابر علماء تلك الأمصار، وأفاضل شيوخ تلك الأقطار، وكان يرحمه الله يختار منهم من شاع اسمه، وطار صيته في البلاد، مدركاً أن العلم إنما يؤخذ من أهله وخاصته.

هذا وسيأتي الحديث عن تلك الرحلات في الفقرة التالية.

---

(١) سيأتي الحديث عنه ضمن شيوخ الرسعني .

(٢) عقود الجمان في شعراء هذا الزمان (١٣١/٤/ب).

(٣) ستأتي ترجمتهما ضمن شيوخ الرسعني.

(٤) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (٨٠/٤)، المقصد الأرشـد (١٣٣/٢)، طبقـات المفـسرين للـداودي (٢٩٤/١)، تاريخ الإسلام (٣٨/١٥)، المنهج الأحمد (٢٩١/٤)، تذكرة الحفاظ (١٤٥٢/٣).

٢- رحلاته العلمية:

لقد رحل الرسعني عدداً من الرحلات وعامتها في طلب العلم وسماع الحديث من أفواه الشيوخ ليعلي سنده، لا سيما وأنه يرحمه الله كان حافظاً محدثاً حيث عده الحافظ الذهبي في طبقات الحفاظ وترجم له في تذكرته [(١)] ، وعده في طبقات المحدثين وترجم له في المعين [(٢)] ، وكذلك الجلال السيوطي ترجم له في طبقات الحفاظ [(٣)] ، وابن عبدالهادي في طبقات علماء الحديث [(٤)] ، وقد وصفاه بـ: الإمام الحافظ الرحال.

ويمكن بيان رحلاته العلمية كما يأتي:

١-الرحلة الأولى: كانت إلى بغداد، وكانت سنة ست وستمائة، وكان عمره آنذاك سبع عشرة سنة، وسمع فيها من عبدالعزيز بن معالي بن منينا، والداهري، وعمربن كرم، وغيرهم [(٥)] ، وستأتي ترجمتهم عند الحديث عن شيوخ الرسعني.

وممن أفاد منهم من العلماء ببغداد أبو البقاء النحوي[(٦)].

قال ابن الشعار: "وقرأه -يعني القرآن الكريم- بالروايات المنقولة عن العشرة ببغداد على أبي البقاء عبدالله بن الحسين النحوي" [(٧)] .

كما قرأ عليه في العربية والأدب [(٨)] .

---

(١) انظر: تذكرة الحفاظ (١٤٥٢/٣).

(٢) انظر: المعين في طبقات المحدثين ص٢١٠، ترجمة رقم (٢٢٠٣).

(٣) انظر: طبقات الحفاظ ص٥٣٤.

(٤) انظر: طبقات علماء الحديث (٢٣٩/٤).

(٥) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (٨٠/٤)، طبقات المفسرين (٢٩٤/١)، رفع النقاب ص٢٧٠، رموز الكنوز (٥١٠/١).

(٦) ستأتي ترجمته ضمن شيوخ الرسعني.

(٧) عقود الجمان في شعراء هذا الزمان (١٣١/٤/ب-١٣٢/أ).

(٨) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (٨١/٤)، المقصد الأرشد (١٣٤/٢)، طبقات المفسرين للداودي (٢٩٤/١)، المنهج الأحمد (٢٩١/٤).

٢-الرحلة الثانية: وكانت إلى فلسطين، فزار بيت المقدس، وكانت هذه الرحلة سنة سبع وستمائة، وقد صرح بذلك في كتابه رموز الكنوز فقال: "قرأت على الشيخ الزاهد أبي عبدالله محمد بن داود بن عثمان الدربندي الصوفي [(١)] بمسجد الخليل عليه السلام سنة سبع وستمائة" [(٢)] .

٣-الرحلة الثالثة: وكانت إلى دمشق سنة تسع وستمائة، وقد صرح بذلك في كتابه رموز الكنوز فقال: "أخبرنا القاضي أبو القاسم عبدالصمد بن محمد بن أبي الفضل الأنصاري الحرستاني [(٣)] ، بدمشق سنة تسع وستمائة" [(٤)] .

وسمع فيها أيضاً من أبي القاسم السلمي [(٥)] ، والخضر بن كامل ، وأبي الفتوح بن الجلاجلي ؛ والموفق بن قدامة [(٦)]، وسمع الحديث الكثير عليه وأخذ الفقه على مذهب الإمام أحمد رحمه الله عنه أيضاً، وقرأ عليه كثيراً من كتبه الفقهية وغيرها [(٧)] ، وحفظ كتابه "المقنع" في الفقه [(٨)] .

وقال الذهبي في تاريخ الإسلام: "وسمع بدمشق سنة خمس وسنة ست وسبع من الكندي [(٩)] " [(١٠)] ، حيث ذكر الذهبي بأنه سمع من أبي اليمن الكندي تاريخ

---

(١) سيأتي الحديث عنه ضمن شيوخ الرسعني .

(٢) رموز الكنوز (٦٣٦/١).

(٣) ستأتي ترجمته ضمن شيوخ الرسعني.

(٤) رموز الكنوز (٢٣٠/١).

(٥) صرح الرسعني في كتابه رموز الكنوز بأنه سمع بدمشق سنة ست وستمائة من أبي القاسم السلمي حيث قال: "أخبرنا الشيخان أبو القاسم السلمي قراءة عليه وأنا أسمع بدمشق سنة ست وستمائة...". رموز الكنوز (٦٤٣/١).

(٦) ستأتي ترجمتهم عند الحديث عن شيوخ الرسعني.

(٧) انظر: عقود الجمان في شعراء هذا الزمان (١٣٢/٤/أ).

(٨) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (٨١/٤)، كما قال الذهبي في تذكرة الحفاظ: "قرأت بخط الحافظ أحمد ابن الـ د قال: عبدالرازق الرسعني حفظ (المقنع) لجدي". تذكرة الحفاظ (١٤٥٣/٣).

(٩) ستأتي ترجمته ضمن شيوخ الرسعني.

(١٠) تاريخ الإسلام (٣٩/١٥).

بغداد كله [١] .

ويحتمل مما ذهب إليه الذهبي بأنه سمع بدمشق سنة خمس وسنة ست وسبع بأنه زار دمشق مراراً، وهذا ليس بمستغرب لكونها كانت حاضرة للعلم في البلاد الإسلامية، وإلا فقد ثبت أنه سمع ببغداد سنة ست، وربما أنه يرحمه الله قد زار دمشق وبغداد في نفس السنة وهذا هو الأظهر.

٤-الرحلة الرابعة: وكانت إلى حلب [٢] ، وبالنظر إلى من ترجم له ربما تكون زيارته إلى حلب بعد مغادرته من دمشق في رحلته السابقة إلا أن ما أشار إليه جمال الدين ابن الصابوني في تكملة إكمال الإكمال يعطي دلالة بأنه زار حلب أولاً حيث قال: "دخل بغداد وتفقه بها وسمع الحديث من شيخنا أبي محمد عبدالعزيز بن معالي بن منينا وغيره وسمع بحلب من الشريف أبي هاشم عبدالمطلب بن الفضل الهاشمي [٣] وبدمشق ... ثم سافر عنها وأقام بالموصل [٤] " [٥] .

٥-الرحلة الخامسة: وكانت إلى بغداد سنة اثنتى عشرة وستمائة، ومما يدل على ذلك تصريحه عند نسخه لكتاب (درء اللوم والضيم في صوم يوم الغيم)، لابن الجوزي بما نصه: "نقلته من خط مصنفه –رضي الله عنه وأرضاه-، وكان الفراغ منه يوم

---

(١) انظر: تاريخ الإسلام (٣٨/١٥)، وقد تعقبه الدمياطي في معجم شيوخه فقال: "وسمع من الكندي تاريخ بغداد عن القزاز عن الخطيب خلا الجزء السادس والثلاثين فإن الكندي رواه عن ابن صرما عن الخطيب وخلا قول أبي حنيفة في الإيمان فإن الكندي أجازه له". معجم شيوخ الدمياطي (١٤/٢٨/أ).

(٢) حلَب: مدينة قديمة جداً، كانت تعرف بالشهباء لبياض حجارتها تقع إلى الشمال من سوريا قريبة من الحدود السورية التركية، تبعد عن مدينة دمشق ٣٥٠كم، وعن الحدود التركية ٥٠كم، وتعتبر من أهم المراكز التجارية والزراعية والصناعية في سوريا.

انظر: معجم البلدان (٣٢٤/٢)، موسوعة المدن العربية ص١٨٢.

(٣) ستأتي ترجمته ضمن شيوخ الرسعني.

(٤) سبق التعريف بها ص٢٧.

(٥) تكملة إكمال الإكمال (١٥٤-١٥٦).

الأربعاء أول ربيع الأول سنة اثنتى عشرة وستمائة ببغداد" [(١)] .

٦-الرحلة السادسة: وكانت إلى الموصل سنة ثلاث وعشرين وستمائة وقد ذكرها صديقه ابن الشعار في كتابه عقود الجمان فقال: "قدم الموصل في شوال سنة ثلاث وعشرين وستمائة ونزل بدار الحديث المهاجرية بباب سكة أبي نجيح التي أنشأها أبو القاسم علي بن مهاجر بن علي الموصلي [(٢)] وهو يسمع بها أحاديث رسول الله ﷺ يفيد الناس" [(٣)] .

ويقول ابن رجب: "وولي مشيخة دار الحديث بـ"الموصل" وكانت له حرمة وافرة عند بدر الدين [(٤)] صاحب "الموصل" [(٥)] .

وقد ذكر تلميذه ابن الصابوني في تكملة إكمال الإكمال بأنه أقام بالموصل لفترة من الزمن[(٦)] وما دعاه لذلك إلا مكانته العليا وحرمته الوافرة عند بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، ولتوليه مشيخة دار الحديث هناك وتدريسه بها ليفيد طلبة العلم.

٧-الرحلة السابعة: وكانت إلى دمشق، فقد قدم إليها رسولاً، قال ابن الصابوني: "ثم قدم إلي دمشق رسولاً فاجتمعت به وقرأت عليه جزءاً من حديثه وهو روايته عن ابن منينا، وسمعت منه أناشيد من نظمه، وكان معي جماعة من طلبة الحديث"[(٧)].

والذي يتضح من ذلك، أنه ما بعث رسولاً إلى دمشق، إلا بعدما طار صيته وذاع، وعلت مكانته.

---

(١) درء اللوم والضيم في صوم يوم الغيم ص١٢٥.

(٢) تقدمت ترجمته ص ٥٤.

(٣) عقود الجمان في شعراء هذا الزمان (١٣٢/٤/أ).

(٤) تقدمت ترجمته ص٢٧.

(٥) الذيل على طبقات الحنابلة (٨١/٤).

(٦) انظر: تكملة إكمال الإكمال ص١٥٦.

(٧) المصدر السابق ص١٥٦.

٨-الرحلة الثامنة: وكانت إلى بغداد، فترة خلافة المستنصر بالله (١) .

وهي من سنة (٦٢٣هـ) إلى سنة (٦٤٠هـ).

قال ابن رجب: "وكان لما قدم "بغداد" أنعم عليه المستنصر، وصنف هذا التفسير ببلده، وأرسله إليه، وهو في ثمان مجلدات، وقف "المدرسة البشيرية" بـ"بغداد" " (٢) .

ويحتمل بأن هذه الرحلة كانت فترة إقامته بالموصل.

٩-الرحلة التاسعة: وكانت إلى مصر، والذي يدل على أنه دخلها ترجمة ابن تغري بردي له في النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (٣) .

وأيضاً ما حكاه الحافظ ابن رجب في ذيله حيث قال: "قال الحافظ أبو محمد عبدالكريم الحلبي(٤) في "تاريخ مصر" له: نقلت من خط الحافظ اليغموري -يعني يوسف بن أحمد بن محمود الدمشقي (٥) – أنشدنا شمس الدين أبو عبدالله محمد بن يوسف بن أبي بكر الجزري (٦) ، أنشدني ابن دقيق العيد (٧) بـ"قوص" (٨) ، أنشدني عز الدين

---

(١) تقدمت ترجمته ص١٩.

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة (٨١/٤).

(٣) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (١٨٥/٧).

(٤) هو عبدالكريم بن عبدالنور بن منير قطب الدين الحلبي، حلبي الأصل، مصري الإقامة والوفاة، كتابه في "تاريخ مصر" في بضعة عشر جزءاً لم يتمه ولم يبيضه، وله أيضاً "مشيخة" في عدة أجزاء اشتملت على ألف شيخ، توفي سنة (٧٣٥هـ).
انظر: البداية والنهاية (١٧١/١٤)، غاية النهاية (٤٠٢/١)، النجوم الزاهرة (٣٠٦/٩)، السلوك (٣٨٨/٢).

(٥) يوسف بن أحمد بن محمود، أبو المحاسن، يعرف بالحافظ اليغموري، كتب الكثير من الحديث والأدب وخطه معروف مشهور بين الفضلاء، ذو فهم ومعرفة وإتقان، له كتاب "نور القبس"، توفي سنة (٦٧٣هـ).
انظر: تاريخ الإسلام (١٤٣/٥٠)، الوافي بالوفيات (٤١/٢٩).

(٦) محمد بن يوسف بن عبدالله الجزري، شمس الدين أبو عبدالله، من فقهاء الشافعية ومن الخطباء، له: "ديوان شعر وخطب"، و"شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول" للبيضاوي، و"شرح ألفية ابن مالك"، سافر إلى مصر، فأقام بقوص ثم بالقاهرة، وتوفي فيها سنة (٧١١هـ).
انظر: شذرات الذهب (٤٢/٦)، الأعلام (١٥١/٧).

(٧) ستأتي ترجمته ضمن تلاميذ الرسعني .

(٨) قوص: بالضم ثم السكون، وهي قبطية، تقع في صعيد مصر شرقي نهر النيل.

==

عبدالرازق الرسعني لنفسه:

وكنـت أظـن في مـصر بحـاراً إذا ما جئتـها أجـد الـورودا
فمـا ألفيتـها إلا سـراباً فحينئذ تيممـت الـصعيدا [١]

فهذان البيتان يبينان بأن الرسعني زار مصر، وأيضاً ابن دقيق العيد رواهـا عنـه وهو في قوص من صعيد مصر، كما تقدم آنفاً.

تلك هي البلدان التي جال وطاف فيها الإمام الرسعني لطلب العلم على حـسب ما ذكرته، وذكرته كتب التراجم والتاريخ، أو صرح هو بذلك، وإلا فهـو رحمه الله قـد دخل بلداناً أخر.

قال ابن العماد في شذراته: "وسمع بالبلدان المتعددة" [٢] ، وقال ابن عبـدالهادي في طبقات علماء الحديث: "وسمع ببغداد ودمشق وحلب وغيرها" [٣] ، وقال الحافظ ابن رجب: "وسمع الحديث ببلده... وبـ"بغداد" ... وبـ"دمشق" ... وبـ"حلـب"... وببلدان أخر" [٤] ، وقد تبعه في هذا القول العليمي [٥] ، والداودي [٦] .

هذا ولم يذكر من ترجم له بأنه دخل مكة المكرمة ولا المدينة المنورة، ولم يـذكر أحد أنه حج إلا أن يكون في صغره قبل أن يشتهر والله أعلم.

ولا ريب أن هذه الرحلات المتعددة للإمام الرسعني تدل على كثرة سماعه، وسعة اطلاعه، ومن ثم غزارة علمه.

==
انظر: معجم البلدان (٤/٢٦٩).
(١) الذيل على طبقات الحنابلة (٤/٨٣).
(٢) شذرات الذهب (٧/٥٣٠).
(٣) طبقات علماء الحديث (٤/٢٤٠).
(٤) الذيل على طبقات الحنابلة (٤/٨٠-٨١).
(٥) المنهج الأحمد (٤/٢٩١).
(٦) طبقات المفسرين (١/٢٩٤).

٣- شيوخه وتلاميذه:

أولاً: شيوخه:

لابد ونحن ندرس شخصية الإمام الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ من التعرف على مصادره العلمية المباشرة، والتي لها الأثر البالغ في تكوين شخصيته، ونضوج عقليته، وسلامة منهجه ومسلكه، فقد قضى جزءاً كبيراً من حياته في طلب العلم وتحصيله، وأخذه من معينه، فطاف البلاد، والتقى كبار الأئمة، وشموع الهداية، مختاراً منهم من شهد له أقرانه بتفوقه، وضاقت المساجد في استيعاب طلبته، فقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتخير شيوخه وينتقيهم، وهي سنة حسنة أشار إليها غير واحد من السلف -رحمهم الله- وأوصوا بها طلبة العلم، ولهذا اختار الرسعني شيوخه من الأعلام فحدث عنهم، وحفظ متونهم، وواصل ليله بنهاره، وانتقل من شيخ إلى شيخ، ومن مدرسة إلى أخرى، بكل صدق وعزيمة.

والرسعني له جملة كبيرة من العلماء والمشائخ، الذي تتلمذ عليهم، وتلقى عنهم سائر العلوم وحدث عن أكثرهم، وسوف نقتصر على ذكر من نص أهل العلم على أنه سمع منه أو أخذ عنه، أو صرح بالرواية عنه في كتابه أو صحبه وهم كالتالي:

١- الشيخ موفق الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، الإمام العلامة الفقيه الزاهد ، أفتى وناظر، وتبحر في فنون كثيرة، مع عبادة وورع وتواضع، وحسن أخلاق، وكثرة تلاوة وصلاة وقيام، وطريقة حسنة واتباع للسلف الصالح، صاحب المصنفات العديدة المشهورة، منها "المغني"، و"الكافي"، و"المقنع"، و"الروضة"، توفي سنة (٦٢٠هـ)، وقد بلغ الثمانين[١] .

وقد أخذ عنه الفقه، يقول ابن رجب: "وتفقه على الشيخ موفق الدين، وحفظ

---

(١) انظر: البداية والنهاية (١٧/١١٦-١٢٠)، الذيل على طبقات الحنابلة (٢/١٣٣)، التكملة لوفيات النقلة، للمنذري (٥/١٥٨)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

كتاب (المقنع) في الفقه" [١] .

ويقول ابن الشعار: "وسمع الحديث الكثير على الإمام أبي محمد عبدالله بن أحمد المقدسي، وأخذ الفقه على المذهب الأحمدي عنه أيضاً وقرأ عليه كثيراً من كتبه الفقهية وغيرها" [٢] .

ويقول الذهبي: "قرأت بخط الحافظ أحمد بن المجد [٣] قال: عبدالرازق الرسعني حفظ "المقنع" لجدي" [٤] .

وسمع منه مسند الشافعي وغيره، وأكثر من النقل عنه، والثناء عليه والإسناد إليه في كتابه رموز الكنوز، وذلك لإظهار فضله عليه وهذه عادة النبلاء من العلماء.

ولما توفي شيخه ابن قدامة رثاه الرسعني بمرثية رائعة جداً بلغت ثمان وعشرين بيتاً، أوردها ابن الشعار في كتابه عقود الجمان، ومطلعها:

ألا مــا لوجـــه المكرمـــات ملفــــع	وما لعيون الدين تــدمي وتــدمع
وما لمعــاني الفقــه أقــوت فأصــبحت	معطلـــة أركانهـــا تتضعـــضع

ومنها:

ويا قوم ما للــشمس أظلــم ضــوءها	وما لجبين البــدر أيــضاً مرقــع
أحقــاً خبــا نــور مــن الله يــسطع	وغُيبت طود الحلم والعلــم أذرع

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة (٨١/٤).

(٢) عقود الجمان في شعراء هذا الزمان (١٣٢/٤/أ).

(٣) أحمد بن عيسى بن قدامة المقدسي الحنبلي، ابن المحدث مجد الدين عيسى، ابن الإمام العلامة موفق الدين، يعرف بابن المجد، الإمام، العالم، الحافظ، المتقن، كان سلفياً ذو ورع وتقوى، ثقة، ثبتاً، توفي سنة (٦٤٣هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١١٨/٢٣-١١٩)، الوافي بالوفيات (٢٧٣/٧)، طبقات الحفاظ (ص٥٥٤)، شذرات الذهب (٢١٧/٥)، ذيل طبقات الحنابلة (٢٤١/٢)، البداية والنهاية (٢٨٧/١٧).

(٤) تذكرة الحفاظ (١٤٥٣/٣).

و ايتها:

وقد تدمع العينان والقلـب ضـاحك ‏ ‏ ‏ وقد يضحك الإنسان والقلب يدمع

وبعـد فـلا زالـت سـحائب رحمـة ‏ ‏ ‏ من الله في لحد الموفـق مـع [1](2)

٢-الشيخ عبدالله بن الحسين بن عبدالله، أبو البقاء العكبري الـضرير النحـوي الحنبلي، كان إماماً في اللغة والحساب والنحو، فقيهاً مناظراً، وكان صالحاً ديناً، وصاحب التصانيف ومنها: "إعراب القرآن العزيز"، و"اللباب" في النحو، توفي سنة (٦١٦هـ)، وقد قارب الثمانين (٣) .

أخذ عنه الرسعني كثيراً من القراءات، وتلى عليه بالعشر يقول ابـن الـشعار: "وقرأه بالروايات المنقولة عن العشرة ببغداد على أبي البقـاء عبـدالله بـن الحـسين النحوي"(٤) .

وتعلم منه العربية والأدب (٥) ، وقد أكثر أيضاً من النقل عنـه والثنـاء عليـه والإسناد إليه في كتابه التفسير.

٣-الشيخ تاج الدين زيد بن الحسن بن زيد، أبو اليمن الكندي، الإمام العلامة، المفتي، شيخ القراءات، وشيخ العربية والنحو، ومسند الشام، عـالي الإسـناد حـسن الطريقة والسيرة، وصحة العقيدة والسريرة، تردد إليـه العلمـاء والكـبراء والملـوك وأبناؤهم، يعامل الطلبة معاملة حسنة، لا يسأم الناس من مجالسته، توفي سنة (٦١٣هـ)

---

(١) مع: طل. انظر: لسان العرب، مادة: همع (٣٧٥/٨).

(٢) عقود الجمان في شعراء هذا الزمان (١٣٤/٤-١٣٥/أ).

(٣) انظر: البداية والنهاية (٨٤/١٧)، التكملة لوفيات النقلة (٣٧٨/٤)، الـذيل علـى الروضـتين ص١١٩، وفيات الأعيان (١٠٠/٣)، سير أعلام النبلاء (١٢٠/٢٢)، تاريخ الإسلام ص٢٩٣، الذيل على طبقـات الحنابلة (١٠٩/٢).

(٤) عقود الجمان (١٣١/٤/ب-١٣٢/أ).

(٥) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (٨١/٤).

بدمشق، وله ما يزيد على ثلاث وتسعين سنة [١] .

وقد اسند إليه الرسعني في كتابه التفسير بعض الأحاديث.

يقول ابن رجب: "وسمع الحديث ببلده ... وبـ ـ "دمـشق" مـن أبي الـيمن الكندي"[٢] .

ويقول ابن العمادية: "روى لنا ببغداد عن أبي اليمن زيد بن الحسن الكندي"[٣].

ويقول الذهبي: "وسمع "تاريخ بغداد" كله من أبي اليمن الكندي... وسمع بدمشق سنة خمس وسنة ستٍ وسبع من الكندي"[٤] .

٤- القاضي جمال الدين عبدالصمد بن محمد، أبو القاسم الأنصاري المعروف بابن الحَرستاني، قاضي القضاة بدمشق، المفتي، المُعمر، الصالح، مسند الشام، شيخ الإسـلام، كان من أعدل القضاة وأقومهم بالحق، لا تأخذه في الله لومـة لائـم، درس بالمجاهديـة والعزيزية، حدث بصحيح مسلم، ودلائل النبوة للبيهقي، توفي سنة (٦١٤هـ)، ولـه خمس وتسعون سنة[٥] .

وقد سمع منه الرسعني صحيح مسلم، وأسند عنه في تفسيره.

---

(١) انظر: الذيل على الروضتين ص٩٥، البداية والنهاية (٥٢،٥٨/١٧)، وفيات الأعيان (٣٣٩/٢)، سير أعلام النبلاء (٣٤/٢٢)، تاريخ الإسلام ص١٤١، الوافي بالوفيات (٥٠/١٥)، الجواهر المضية (٢١٦/٢).

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة (٨٠/٤).

(٣) ذيل تكملة الإكمال (٢٩٤/١).

(٤) تاريخ الإسلام (٣٨/١٥-٣٩)، وقد تعقب الذهبي الدمياطي في كتابه معجم الشيوخ حول سماع الرسـعني "تاريخ بغداد" كله من الكندي، وقد أشرت إلى ذلك عند تناولي رحلات الرسعني.

(٥) انظر: البداية والنهاية (٦٦،٦٨/١٧)، التكملة لوفيات النقلة (٣٠٣/٤)، الذيل على الروضتين ص١٠٦، سير أعلام النبلاء (٨٠/٢٢)، تاريخ الإسلام ص٢٠٣، الوافي بالوفيـات (٤٥/٨٨)، طبقـات الـشافعية الكبرى للسبكي (١٩٦/٨).

يقول الذهبي: "وسمع بدمشق من الكندي... وابن الحَرستاني"[(١)].

٥- الإمام عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الشيباني الجزري، المعروف بابن الأثير، العلامة، المحدث الحافظ، الأديب النسابة، صاحب "الكامل في التاريخ"، و"أسد الغابة"، توفي سنة (٦٣٠هـ) عن خمس وسبعين سنة [(٢)] .

وقد أسند من طريقه الرسعني في كتابه "رموز الكنوز".

٦- عبدالعزيز بن معالي بن غنيمة أبو محمد، المعروف بابن منينا، الشيخ الصالح الخير، مسند العراق، سمع الكثير وأسمعه، توفي سنة (٦١٢هـ) عن سبع وتسعين سنة[(٣)].

وقد سمع منه الرسعني ببغداد.

يقول ابن رجب: "وسمع الحديث ببلده ... وبـ"بغداد" من عبدالعزيز بن منينا"[(٤)] .

ويقول ابن الصابوني: "قدم إلى دمشق رسولاً فاجتمعت به، وقرأت عليه جزءاً من حديثه وهو روايته عن ابن منينا ...، وكان معي جماعة من طلبة الحديث" [(٥)] .

٧- عبدالسلام بن عبدالله الداهري، أبو الفضل، الشيخ، الأمي، المسند، كان أمياً لا يكتب، فيه تواضع وحسن انقياد، سمع "صحيح البخاري"، ومسند "الدارمي" وغيره،

---

(١) تاريخ الإسلام (٣٦/١٥).

(٢) انظر: التكملة لوفيات النقلة (٧٤/٦)، البداية والنهاية (٢١٠/١٧-٢١١)، الذيل على الروضتين ص١٦٢، سير أعلام النبلاء (٢٥٣/٢٢)، تاريخ الإسلام ص٣٩٥، تذكرة الحفاظ (١٣٩٩/٤)، الوافي بالوفيات (١٣٦/٢٢)، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٢٩٩/٨).

(٣) انظر: البداية والنهاية (٥٠/١٧)، التكملة لوفيات النقلة (٢٠٢/٤)، تذكرة الحفاظ (١٣٨٩/٤)، سير أعلام النبلاء (٣٣/٢٢)، تاريخ الإسلام ص١٠٧.

(٤) الذيل على طبقات الحنابلة (٨٠/٤).

(٥) تكملة إكمال الإكمال لابن الصابوني ص١٥٤، وقال أيضاً عن الرسعني: "دخل بغداد وتفقه بها وسمع الحديث من شيخنا أبي محمد عبدالعزيز بن معالي بن منينا".

والده أحد القراء الفضلاء المشهورين، توفي سنة (٦٢٨هـ) عن ست وثمانين سنة تقريباً، ودفن بمقبرة الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ [(١)] .

وقد سمع منه الرسعني الحديث ببغداد.

يقول الذهبي: "وسمع ببغداد من الداهراي" [(٢)] .

٨- محمد بن علي بن المبارك البغدادي، أبو الفتوح، المعروف بـابن الجلاجلي، التاجر الرئيس المقرئ، سكن بدار الخلافة ببغداد، تلا القرآن الكريم بالروايات، وسمع الحديث الكثير، ورحل إلى البلدان المتباينة، كان صادقاً كيساً محتشماً، عاقلاً ديناً، ثقة، توفي في رمضان سنة (٦١٢هـ) [(٣)] .

وقد سمع منه الرسعني الحديث بدمشق.

يقول ابن رجب: "وسمع الحديث... بدمشق من أبي اليمن الكندي...، وأبي الفتوح الجُلاجلي" [(٤)] .

٩- عمر بن كرم بن علي، أبو حفص الدينوري، الشيخ المسند، الأمين، روى جامع الترمذي، وكان شيخاً مباركاً صحيح السماع، والإجازات، من أهل العبادة، والعفاف والورع، منقطعاً عن الناس، خاشعاً عند قراءة الحديث، روى الكثير وتفرد، توفي سنة (٦٢٩هـ) [(٥)] .

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢٢٧١/٢-٢٢٧٢)، التكملة لوفيات النقلة (٢٨٣/٣-٢٨٤)، معجم البلدان (٥٤٢/٢)، تاريخ الإسلام ص٧١، العبر (١١٢/٥)، النجوم الزاهرة (٢٧٧/٦)، شذرات الذهب (١٢٨/٥).

(٢) تاريخ الإسلام (٣٩/١٥).

(٣) انظر: البداية والنهاية (٤٩/١٧)، التكملة لوفيات النقلة (١٨٢/٤)، الذيل على الروضتين ص٩٩، العبر (١٣/٥)، سير أعلام النبلاء (٥٢/٢٢)، تاريخ الإسلام ص١٢٢.

(٤) الذيل على طبقات الحنابلة (٨٠/٤).

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء (٢٩٢٢/٢)، التكملة لوفيات النقلة (٣١٣/٣)، تاريخ الإسلام ص٨٥، النجوم الزاهرة (٢٧٩/٦)، شذرات الذهب (١٣٢/٥).

وقد سمع منه الرسعني الحديث ببغداد.

يقول الذهبي في تذكرته: "وسمع بدمشق وغيرها... وببغداد من الداهري وعمر بن كرم" (١).

١٠-الخضر بن كامل بن سالم أبو العباس الدمشقي السروجي، الشيخ العالم المسند، الدلال المعبر، سمع وروى الكثير، وتوفي بدمشق سنة (٦٠٨هـ) وهو في عمر التسعين (٢).

سمع منه الرسعني الحديث بدمشق.

يقول الداودي: "وسمع الحديث بدمشق من الخضر بن كامل" (٣).

١١-عبدالمطلب بن الفضل بن عبدالمطلب، افتخار الدين أبو هاشم، الهاشمي، البلخي، ثم الحلبي، الشيخ الإمام العلامة، كبير الحنفية، أفتى وناظر، وصنف، ودرس، صنف شرحاً "للجامع الكبير" في المذهب، كان شريفاً، ورعاً، ديناً، وقوراً، صحيح السماع علي الإسناد، حدث عنه خلق كثير، توفي بحلب سنة (٦١٦هـ) (٤).

سمع منه الرسعني الحديث بحلب.

يقول ابن الصابوني: "وسمع بحلب من الشريف أبي هاشم عبدالمطلب بن الفضل الهاشمي" (٥).

---

(١) تذكرة الحفاظ (١٤٥٣/٣).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١٦٢١/٢)، التكملة لوفيات النقلة (٢٣٢/٢-٢٣٣)، تاريخ الإسلام ص١٦٧، النجوم الزاهرة (٢٠٥/٦)، شذرات الذهب (٣٣/٥).

(٣) طبقات المفسرين (٢٩٤/١).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء (٢٥٦٣/١)، الجواهر المضية (٣٢٩/١)، العبر (٦٢/٥)، دول الإسلام (١٢٠/٢)، تاريخ التراجم ص٢٦، كشف الظنون (٥٦٨/١)، شذرات الذهب (٦٩/٥)، هدية العارفين (٦٢٢/١).

(٥) تكملة إكمال الإكمال ص١٥٥.

١٢-القاضي محمد بن الحسين بن بهرام، مجد الدين أبو الحمد القزويني، الإمام، الفاضل، المحدث، الفقيه، الصالح، الجوال، سمع وحدث ببلدان كثيرة منها بغداد، والموصل، ورأس عين، ودمشق، ومصر، وغيرها، وهو شيخ متيقظ، طلب وكتب وحصل، وهو من بيت مشهور بالعلم والرواية، مات بالموصل سنة (٦٢٢هـ)(١).

سمع منه الرسعني الحديث ببلده رأس عين. وذلك في بداية طلبه للعلم رحمه الله وروي عنه في كتابه "رموز الكنوز".

يقول ابن رجب: "وسمع الحديث ببلده من أبي الحمد القزويني" (٢) .

١٣-أحمد بن عبدالله بن عبدالصمد، أبو القاسم شمس الدين، البغدادي، الصيدلاني العطار، الشيخ الأمير المُسند الدين، سمع وحدث بصحيح البخاري، كان مرضي الطريقة، ثقة، صالحاً، توفي سنة (٦١٥هـ) (٣) .

حدث الرسعني عنه بصحيح البخاري.

١٤-علي بن أبي بكر المعروف بابن روزبة، أبوالحسن، البغدادي، القلانسي، العطار، الشيخ المسند المعمر، سمع صحيح البخاري ورواه بحلب، وبغداد ورأس عين، وغيرها، وازدحموا عليه، كان حسن الهيئة، حلوا الكلام، قوي الهمة، أضر في آخر عمره، توفي فجأة سنة (٦٣٣هـ) وقد جاوز التسعين (٤) .

حدث الرسعني عنه بصحيح البخاري، هو والذي قبله مقروناً.

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٣٣٩٦/٣-٣٣٩٧)، التكملة لوفيات النقلة (١٥٩/٣)، تاريخ الإسلام ص٢٥، العبر (٩٢/٥)، دول الإسلام (٩٦/٢)، النجوم الزاهرة (٢٦٣/٦)، شذرات الذهب (١٠٢/٥).

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة (٨٠/٤).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٨٢٧/١)، التكملة لوفيات النقلة (٤٣٩/٢-٤٤٠)، تاريخ الإسلام ص٢١٦، النجوم الزاهرة (٢٢٦/٦)، شذرات الذهب (٦٢/٥).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء (٢٧٤٥/٢)، التكملة لوفيات النقلة (٤٠٩/٣-٤١٠)، تاريخ الإسلام ص١٣٩، دول الإسلام (١٠٣/٢)، الوافي بالوفيات (١٤/١٢)، النجوم الزاهرة (٢٩٦/٦)، شذرات الذهب (١٦٠/٥).

١٥- حنبل بن عبدالله بن فرج، الواسطي ثم البغدادي، المُسند، حدث عنه خلق كثير، وسمع مسند الإمام أحمد، وحدث ببغداد، ودمشق، والموصل، وغيرها، عرض عليه أحد العلماء بعد أن سمع منه جميع مسند الإمام أحمد ببغداد، أن يسافر إلى الشام فقال له: يحصل لك مال ويقبل عليك وجوه الناس ورؤساؤهم، فقال: دعني، فوالله مـا أسـافر لأجلهم، ولا لما يحصل منهم، وإنما أسافر خدمة لرسول الله ﷺ أروي أحاديثه في بلد لا تروى فيه، واجتمع له لما حدث هناك جماعة لم يجتمع مثلها لأحد ممن روى "المسند"، توفي بعد عودته من الشام سنة (٦٠٤هـ) [(١)] .

حدث عنه الرسعني بالمسند في تفسيره.

١٦- نصربن عبدالرزاق بن عبدالقادر، عماد الدين أبو صالح الأزجي الحنبلـي، الإمام ، سمع الحديث، ودرس، وأفتى، وناظر، وساد، جمع "الأربعين" لنفسه، وولي القضاء للظاهر بأمر الله، وأوائل دولة المستنصر، ثم عزل، وهو فقيه كريم النفس ، قرأ الخلاف، وبنيت له دكة بجامع القصر للمناظرة، وعظ فكان له قبول تام، أقام ناموس الـشرع في قضائه، وسلك الطريقة المستقيمة، ولم يحاب أحداً، وكان ثقة متحرياً، لـه في المـذهب الحنبلي اليد الطولى، توفي سنة (٦٣٣هـ) [(٢)] .

روى عنه الرسعني، وأثنى عليه، ووصفه بأنه قاضي القضاة [(٣)] شرقاً وغرباً [(٤)] .

١٧- محمد بن سعيد أبو بكر النيسابوري البغدادي، المعروف بابن الخازن، الشيخ الجليل الصالح، المسند، سمع من جماعة، وهو من رواة "مسند" الشافعي [(٥)] ، كان شيخاً

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١٥٨٠/٢)، التكملة لوفيات النقلة (١٢٥/٢-١٢٦)، الكامل (١١٦/١٢)، ذيل الروضتين ص٢٦، تاريخ الإسلام ص١٤٣، دول الإسلام (٨٣/٢)، والعبر (١٠/٥)، البدايـة والنهايـة (٥٠/١٣)، عقد الجمان (٣١١/١٧-٣١٢)، النجوم الزاهرة (١٩٥/٦)، شذرات الذهب (١٢/٥).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٤٠١٩/٣)، تاريخ الإسلام (١٤٣-١٤٤)، دول الإسلام (١٠٣/٢)، الذيل على طبقات الحنابلة (١٨٩/٢-١٩٢)، شذرات الذهب (١٦١/٥-١٦٢).

(٣) بعض العلماء ى عن التسمي بقاضي القضاة؛ لكونه شبهة في المعنى، والظاهر أن الرسـعني يريـد بقاضـي القضاة؛ بأنه أعدل القضاة وأعلمهم في زمنه. انظر: عمدة القاري (٢١٥/٢٢)، زاد المعاد (٣١٠/٢)، فتح ا يد (٤١٤/١).

(٤) انظر: رموز الكنوز (٥٥٧/١).

(٥) هو الإمام محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي (١٥٠-٢٠٤هـ) أبو عبدالله، يلتقي مع
==

صيناً، متديناً، توفي سنة (٦٤٣هـ) ببغداد [(١)].

وقد روى عنه الرسعني مسند الشافعي، وقرنه بالموفق ابن قدامة.

١٨- الشيخ محمد بن داود بن عثمان الدربندي الصوفي، أبو عبدالله، سمع وحدث بدمشق وبالخليل[(٢)]، كان أحد الصالحين، خدم بمسجد الخليل إبراهيم عليه السلام مدة وأقام به إلى حين وفاته سنة (٦١١هـ) [(٣)].

وقد روى عنه الرسعني في رحلته إلى فلسطين بمسجد الخليل سنة سبع وستمائة[(٤)].

١٩- المؤيد بن محمد بن علي، رضي الدين أبو الحسن الطوسي ثم النيسابوري، الشيخ الإمام المقرئ، المعمر، المسند، سمع صحيح البخاري، وصحيح مسلم، والموطأ،

==

النبي ﷺ في عبد مناف، ولد في غزة، ونشأ في مكة، ونزل مصر آخر حياته، وتوفي فيها، اجتمع فيه من العلوم ما لم يجتمع لغيره، وهو أول من ألف في أصول الفقه.

انظر: العبر (٣٤٣،٣٤٦/١)، وفيات الأعيان (١٦٣،١٦٩/٤)، شذرات الذهب (١٢٠٩/١).

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٣٤٣٩/٣)، تاريخ الإسلام ص٢٠٥، شذرات الذهب (٣٩١/٧)، صلة التكملة لوفيات النقلة، للحافظ الحسيني ص١٠٤، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ، دار ابن حزم، بيروت – لبنان.

(٢) الخليل: مدينة بفلسطين، تقع إلى الجنوب الغربي من القدس، ا قبر الخليل إبراهيم عليه السلام وإسحاق ويعقوب، انظر: معجم البلدان (٤٤٢/٢-٤٤٣)، موسوعة المدن العربية ص٣٧٣.

(٣) انظر: تاريخ الإسلام (٨٤/٤٤)، والتكملة لوفيات النقلة (٢٩٤/٢)، والمقفى الكبير، لتقي الدين المقريزي (٦٤٦/٥)، تحقيق: محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، وبغية الطلب في تاريخ حلب، لابن العديم (٤٦٨/١)، (١٢٧٣/٣، ١٤٢١، ١٥٢٥)، (١٦٧٠/٤)، (٢٣٦٥/٥، ٢٥٠٣)، تحقيق: د. سهيل زكار، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، دار الفكر، بيروت – لبنان.

هذا وقد أشار الدكتور/ محمد البراك محقق كتاب رموز الكنوز بأنه لم يعثر للدربندي على ترجمة إلا أن يكون شمس الدين أبو عبدالله محمد بن داود البعلي الحنبلي المتوفى سنة (٦٧٩هـ)، وقد تم العثور بحمد الله على ترجمة له في المصادر المشار لها آنفاً، مع العلم أن الرسعني سمع بفلسطين سنة (٦٠٧هـ) ومن ذكر عمره في ذلك الوقت تسع سنوات، لكون ولادته في عام (٥٩٨هـ).

(٤) انظر: رموز الكنوز (١٧٦/٣/أ).

والأربعين، ورحل إليه من الأقطار، وكان ثقة، خيراً، مقرئاً جليلاً، توفي سنة (٦١٠هـ)[1] .

روى الرسعني من صحيح مسلم عنه في تفسيره.

٢٠-عثمان بن مقبل بن قاسم، أبو عمر جمال الدين، الياسري ثم البغدادي، الفقيه الواعظ، قدم بغداد وسمع بها، وقرأ بنفسه، وتكلم في المسائل ووعظ، وتقدم في الوعظ إلى غاية تميز بها عن نظائره، في صلاح ودين وسمت، صنف كتاباً في طبقات الفقهاء، توفي سنة (٦١٦هـ) وصلى عليه خلق كثير[2] .

أخذ عنه الإمام الرسعني في القراءات، وروى عنه مقروناً بأبي البقاء العكبري [3].

٢١-الشيخ مبارك بن إسماعيل الحراني [4] .

حفظ الرسعني القرآن وهو صغير في بلده رأس عين على يديه رَحِمَهُ اللَّهُ يقول ابن الشعار: "حفظ القرآن العزيز على الشيخ مبارك بن إسماعيل الحراني" [5] .

٢٢-الشيخ العماد، إبراهيم بن عبدالواحد بن علي، أبو إسحاق عماد الدين المقدسي أخو الحافظ عبدالغني، الفقيه المفتي، العابد، الزاهد، الورع، كثير الصلاة والصوم، يصوم يوماً ويفطر يوماً، له كتاب "الفروع"، توفي فجأة سنة (٦١٤هـ)،

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٣١٧٣/٣)، التكملة لوفيات النقلة (٢٦/٣)، تاريخ الإسلام (٢٤٢-٢٤٣)، دول الإسلام (٩١/٢)، وغاية النهاية (٣٢٥/٢)، عقد الجمان (٤٠٣/١٧ ، ٤٠٨)، النجوم الزاهرة (٢٥١/٦)، شذرات الذهب (٧٨/٥).

(٢) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (٢٥١/٣-٢٥٣)، المقصد الأرشد (٢٠٢/٢)، المنهج الأحمد (١٣٧/٤)، مختصره الدر المنضد (٣٤٣/١)، معجم البلدان (٤٨٨/٥)، التكملة لوفيات النقلة (٤٨٦/٢)، تاريخ الإسلام ص٣٠٣، الوافي بالوفيات (٥١٢/١٩)، شذرات الذهب (٦٩/٥).

(٣) انظر: رموز الكنوز (٤٥٢/١).

(٤) لم أعثر له على ترجمة.

(٥) عقود الجمان في شعراء هذا الزمان (٣١/٤/ب).

فصلى عليه بالجامع الأموي بدمشق ابن قدامة، وكان يوماً مشهوداً من كثرة الخلق[1].

ولقد صحبه الرسعني [2] .

يقول ابن رجب: "وصحب الشيخ العماد" [3] .

كما سمع وصحب الإمام الرسعني غير هؤلاء من أهل العلم والدين والصلاح [4] .

ثانياً: تلاميذه:

سبق أن ذكرت أن الرسعني تولى مشيخة دار الحديث بالموصل، وتصدى للتدريس والإفادة، وأنه برع في فنون عديدة سأذكرها أهل العلم، وكذلك أشرت أنه كان يختار وينتقي الشيوخ الذين يتلقى العلم عنهم، ولا شك أن من كان هذا شأنه وديدنه فيقصده طلبة العلم، ويشنفوا آذانهم بسماع دروسه، والجلوس بين يديه، وقد تخرج على يد الإمام الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عدد كبير من التلاميذ، نهلوا من علمه وتلقوا عنه، وقرأوا عليه، وسمعوا منه، وأشرف على تربيتهم وتأديبهم.

هذا ومن جلّة تلاميذه، وصفوة طلبته:

١- محمد بن علي بن محمود، جمال الدين، أبو حامد، المعروف بـابن الصابوني، الشيخ الإمام، المحدث الحافظ، المسند، المعدل، كان صحيح النقل، صنف في المؤتلف والمختلف وهو صاحب كتاب "تكملة إكمال الإكمال" في الأنساب والأسماء والألقاب،

---

(١) انظر: البداية والنهاية (٦١/١٧)، التكملة لوفيات النقلة (٣٠٠/٤)، الذيل على الروضتين ص١٠٤، سير أعلام النبلاء (٤٧/٢٢)، وتاريخ الإسلام ص١٨٢، الوافي بالوفيات (٤٩/٦)، الذيل على طبقات الحنابلة (٩٣/٢)، المقصد الأرشد (٢٢٧/١).

(٢) انظر: رموز الكنوز (٩٦/٢/ب).

(٣) الذيل على طبقات الحنابلة (٨١/٤).

(٤) انظر: المصدر السابق (٨١/٤).

توفي سنة (٦٨٠هـ) [١] . قرأ على الرسعني جزءاً من حديثه وهو روايته عن ابن منينا وسمع منه أناشيد من نظمه، وسأله عن مولده وذلك عندما قدم الرسعني إلى دمشق رسولاً، وقد ترجم له ابن الصابوني في كتابه التكملة [٢] .

٢- عبدالمؤمن بن خلف بن أبي الحسن، برهان الدين أبو محمد، المعروف بالدمياطي، الشافعي الإمام العلامة، الحجة، الفقيه، النسابة، صاحب التصانيف، الحافظ الكبير، شيخ المحدثين، كان صادقاً، متقناً جيد العربية، غزير اللغة، ولي المناصب بالديار المصرية، وجمع معجماً لمشائخه الذين لقيهم بالحجاز والشام والجزيرة والعراق وديارمصر، يزيدون على ألف وثلاثمائة شيخ، والرسعني من ضمنهم [٣] ، ولم يزل في إسماع الحديث، إلى أن أدركته وفاته وهو صائم في مجلس الإملاء سنة (٧٠٥هـ) [٤] .

وقد روى عن الرسعني، يقول ابن رجب: "وروى عنه الدمياطي الحافظ في معجمه" [٥] .

٣- محمد بن علي بن وهب، القشيري، أبو الفتح، تقي الدين، المنفلوطي، الصعيدي، المعروف بابن دقيق العيد [٦] ، الفقيه، العالم العلامة، الحافظ، قاضي القضاة، صاحب التصانيف، سمع الحديث الكثير ورحل وخرج وصنف فيه، إسناداً ومتناً، انتهت

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٣٦٠/٢٣)، النجوم الزاهرة (٣٥٣/٧)، الوافي بالوفيات (١٨٨/٤)، تذكرة الحفاظ (١٤٦٤/٤).

(٢) انظر: تكملة الإكمال (١٥٤-١٥٦).

(٣) انظر: معجم الشيوخ للدمياطي (١٣/٢٨/أ).

(٤) انظر: البداية والنهاية (٦٠/١٨)، تذكرة الحفاظ (١٤٧٧/٤)، فوات الوفيات (٤٠٩/٢)، طبقات الشافعية للسبكي (١٠٢/١٠)، غاية النهاية (٤٧٢/١)، عقد الجمان (٣٧٠/٤).

(٥) الذيل على طبقات الحنابلة (٨٢/٤).

(٦) سبب تسمية جده بـ"دقيق العيد" أنه كان عليه يوم العيد طيلسان شديد البياض فقال بعضهم: كأنه دقيق العيد، فلقب به رحمه الله تعالى.

انظر: الطالع السعيد الجامع في أسماء نجباء الصعيد، لأبي الفضل الأدفوي الشافعي ص٤٣٥، تحقيق: سعد محمد حسن، الطبعة الأولى عام ١٩٦٦هـ، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

إليه رياسة العلم في زمانه، فاق أقرانه، ورحل إليه الطلبة، كان حسن الاستنباط للأحكام والمعاني من السنة والكتاب، مبرزاً في العلوم النقلية والعقلية، صنف "شرح العمـدة" ، وكتاب "الإلمام"، وكتاب "الإمام في الأحكام" و"اقتناص السوانح" وغيرها، كـان مـن أذكياء زمانه، آية في الحفظ والاتقان والتحري، شديد الخوف دائم الذكر، تـوفي سـنة (٧٠٢هـ) [١] .

روى عن الرسعني، وقد صرح بأنه أخذ عنه ولعل هذا في رحلته إلى مصر، قـال ابن رجب عن ابن دقيق العيد: أنشدني عز الدين عبدالرازق الرسعني لنفـسه وذلـك بقوص من بلاد الصعيد وذكر البيتين المتقدم ذكرهما في رحلته إلى مصر [٢] .

٤- أحمد ابن إسحاق بن محمد، أبو المعالي شهاب الدين، الأبرقُـوهي، الـشيخ المسند، المعمر، الجليل، الرحلة، بقية السلف، كان محدثاً مقرئاً، صالحاً، متواضعاً، فاضلاً، متيقظاً، توفي بمكة بعد خروج الحجيج بأربعة أيام سنة (٧٠١هـ) [٣] .

حدث عن الرسعني إجازة، قاله ابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة [٤]، وقد ترجمه الأبرقوهي في معجم شيوخه، وقال: "يغلب على الظن أني سمعت من هذا الـشيخ برأس عين، وقد أجازني جميع مروياته" [٥] .

٥- جابر بن محمد بن قاسم، أبو محمد، معين الدين، القيسي الوادي آشي، الإمام المقرئ، نزيل تونس ولد سنة عشر وستمائة ورحل سنة بضع وثلاثين فحج ودخل الشام

---

(١) انظر: البداية والنهاية (١٨/٣٠)، تذكرة الحفـاظ (١٤٨١/٤، ١٤٨٣)، الـوافي بالوفيـات (١٩٣/٤)، طبقات الشافعية للسبكي (٢٠٧/٩)، طبقات المحدثين (٢٤٩/٤)، الطالع السعيد ص٥٦٧، دول الإسـلام (١٥٨/٢)، السلوك (٩٢٩/١)، الشذرات (٥/٦).

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة (٨٢/٤-٨٣).

(٣) انظر: البداية والنهاية (١٤/١٨)، الوافي بالوفيات (٢٤٢/٦)، ذيول العبر ص١٨، شذرات الذهب (٩/٨)، الإعلام بوفيات الأعلام ص٢٩٤.

(٤) الذيل على طبقات الحنابلة (٨٢/٤).

(٥) معجم الأبرقوهي (٦٦/٩).

والعراق، ورجع إلى الأندلس ثم استوطن تونس توفي سنة (٦٩٤هـ).

وقد ترجم له عدد من العلماء وعدوا الرسعني من شيوخه [(١)] .

٦- علي بن وهب بن مطيع، أبو الحسن، مجد الدين، القشيري، والد ابن دقيق العيد، شيخ المالكية، ومفتي قوص ومدرسها، كان جامعاً لفنون من العلم، معروفاً بالصلاح والدين، ساعياً في قضاء حوائج الناس، على سمت السلف، جمع بين العلم والعمل والعبادة، والورع والتقوى والزهادة، أتى إلى الصعيد، وكان مذهب الشيعة فاشياً في ذلك الإقليم، فأجرى مذهب السنة على أسلوب حكيم، وزال الرفض وانجاب، ارتحل الناس إليه من سائر الأقطار وقصدوه من كل النواحي والأمصار اختصر "المحصول" وتوفي سنة (٦٦٧هـ) [(٢)] .

عده ابن رجب من تلاميذ الرسعني [(٣)] .

٧- موسى بن علي بن وهب، سراج الدين الشافعي، القشيري، أخو ابن دقيق العيد، كان ذكي الفطرة، ثاقب الذهن، انتهت إليه رئاسة الفتوى بقوص، درس بدار الحديث وبالمدرسة النجيبية، وصنف كتاباً في الفقه سماه "المغني" [(٤)] ، توفي بقوص سنة (٦٨٥هـ) [(٥)] .

عده ابن رجب من تلاميذ الرسعني فقال: "روى عنه العلامة أبو الفتح بن دقيق

---

(١) انظر: تاريخ الإسلام (٢١٥/٥٢-٢١٦)، الوافي بالوفيات (٣٣/١١-٣٤)، ذيل مرآة الزمان (١٤٨/٤-١٤٩)، غاية النهاية (١٨٩/١)، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، لابن تغري بردي (٢٠٣/٤)، تحقيق د. محمد محمد أمين، الطبعة الأولى عام ١٩٨٦م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٢٨٧٣/٢)، العبر (٣١٧/٣)، النجوم الزاهرة (٢٢٨/٧)، الطالع السعيد (٤٢٤-٤٣٤).

(٣) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (٨٢/٤).

(٤) ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ص١٧٥١.

(٥) انظر: الطالع السعيد (٦٦٥-٦٦٧)، طبقات السبكي (١٥٧/٥)، هدية العارفين (٤٧٩/٢)، الأعلام (٢٧٧/٨).

العيد، وأخوه، وأبوه" [(١)] .

٨- زينب بنت أحمد بن عبدالرحيم، أم عبدالله المقدسية، المعروفة ببنت الكمال، الشيخة، الصالحة، المعمرة، أجاز لها جماعة، تزاحم عليها الطلبة، كانت خيرة دينة، لطيفة الأخلاق، حسنة التودد، ربما سمعوا عليها أكثر النهار، مع كونها أقعدت سنوات وكانت قد أصيبت عينها برمد في صغرها، كانت متعففة، مؤثرة، كريمة النفس، قانعة، توفيت سنة (٧٤٠هـ) [(٢)] .

أجازها الرسعني، قاله ابن رجب في ذيله [(٣)] .

٩- علي بن محمد بن ممدود، أبو الحسن، شمس الدين، البندنيجي، الشيخ، المعمر، الرحلة والمسند، سمع صحيح مسلم، وجامع الترمذي، وغير ذلك، كان والده محدثاً فأسمعه أشياء على مشايخ عدة، أجاز له جماعة، وتفرد، وأكثروا عنه، توفي سنة (٧٣٦هـ) عن اثنتين وتسعين سنة [(٤)] .

أجاز له الرسعني، قاله ابن رجب [(٥)] .

١٠- المبارك بن أبي بكر بن حمدان، أبو البركات كمال الدين، الموصلي المعروف بابن الشعار [(٦)] .

أجاز له الرسعني، وقد صرح بذلك ابن الشعار في كتابه عقود الجمان فقال ما نصه: "أجازني جميع رواياته ومصنفاته ومقولاته" [(٧)] .

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة (٨٢/٤).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١٧٥١/٢)، الوافي بالوفيات (٦٨/١٥).

(٣) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (٨٢/٤).

(٤) انظر: البداية والنهاية (٣٨٦/١٨)، دول الإسلام (٢٤٣/٢)، السلوك (٤٠٦/٢)، شذرات الذهب (١٩٩/٨)، الوافي بالوفيات (١٤١/١٢-١٤٢)، ذيول العبر ص١٨٩.

(٥) الذيل على طبقات الحنابلة (٨٢/٤).

(٦) تقدمت ترجمته ص ٢٣.

(٧) عقود الجمان في شعراء هذا الزمان (١٣٢/٤/أ).

١١- ابنه شمس الدين محمد أبو عبدالله [١] .

قال ابن رجب: "وروى عنه ابنه أبو عبدالله محمد بن عبدالرازق" [٢] .

١٢- ابنه إبراهيم ، أبو إسحاق، الحنفي، المعروف بابن المحدث [٣] .

وقد ذكر القرشي في الجواهر المضية بأنه تفقه وسمع من والده الإمام عز الدين بالموصل [٤] .

هذا وقد أجاز الرسعني إجازة عامة [٥] ، ذكر ذلك ابن الفوطي في مجمع الآداب[٦] .

(١) تقدمت ترجمته في الحديث عن أسرة الرسعني ص(٥٧-٥٨).

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة (٨٢/٤).

(٣) تقدمته ترجمته في الحديث عن أسرة الرسعني ص(٥٨-٥٩).

(٤) انظر: الجواهر المضية (٩١/١-٩٢).

(٥) يعني ترك لجميع من يستطيع الرواية من المسلمين طول الدهر أن يرووا عنه وإن لم يروه.

(٦) مجمع الآداب في معجم الألقاب (٣١٥/١).

٤- مؤلفاته:

ترك الرسعني رَحِمَهُ اللَّهُ مجموعة من المؤلفات، وثروة علمية هائلة، دلت كلها على نبوغه في العلم وشهدت على علو همته، ورفعة مكانته.

يقول ابن رجب: "كان فاضلاً في فنون من العلم والأدب، ذا فصاحةٍ، وحسن عبارة" (١) . ويقول أيضاً: "وتفنن في العلوم" (٢) .

ويقول ابن العماد: "تفنن في العلوم العقلية والنقلية" (٣) .

ويقول الحلبي في درة الأسلاك: "كان بارعاً في عدد من الفنون" (٤) .

وعليه فقد صنف رَحِمَهُ اللَّهُ في علوم شتى، وميادين مختلفة، يقول تلميذه ابن الشعار في عقود الجمان: "وصنف في عدة مصنفات" (٥) ثم ذكر بعضاً منها.

ويقول ابن العماديه: "وله تصانيف في التفسير وغيره" (٦) .

ويقول صفي الدين عبدالمؤمن: "إن للرسعني تصانيف غير تفسيره المشهور؛ في التفسير، والفقه، والعروض، وغير ذلك (٧) .

وسأذكر هنا ما وقفت عليه من أسماء مؤلفات الإمام الرسعني المطبوعة والمخطوطة والمفقودة وهي كالتالي:

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة (٨١/٤).
(٢) المصدر السابق (٨١/٤).
(٣) شذرات الذهب (٥٣٠/٧).
(٤) درة الأسلاك (١٦/١/أ).
(٥) عقود الجمان في شعراء هذا الزمان (١٣٢/٤/أ).
(٦) ذيل تكملة الإكمال (٢٩٤/١).
(٧) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (٨١/٤-٨٢).

١-رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز.

هذا من أشهر كتب الرسعني وأهمها، يدل على غزارة علمه، وهو خير شاهد على سعة اطلاعه، وعظيم تمكنه من العلوم، وهو كتاب في غاية الدقة والإتقان والضبط، وقد شهد أفاضل العلماء لصاحبه بالإمامة في التفسير من خلاله.

يقول ابن رجب: "وصنف تفسيراً حسناً في أربع مجلدات ضخمة سماه "رموز الكنوز" وفيه فوائد حسنة، ويروي فيه الأحاديث بإسناده... وله في تفسيره مناقشات مع الزمخشري [(١)] وغيره في العربية وغيرها" [(٢)] .

ويقول السيوطي: "وصنف تفسيراً حسناً يروي فيه بأسانيده".

وقد وصفه بالمفسر في كتابه طبقات المفسرين [(٣)] .

ويقول الحلبي: "وألف تفسيراً حاز كثيراً من الفوائد" [(٤)] .

ويقول الذهبي في تذكرته: "وجمع وصنف تفسيراً حسناً رأيته يروي فيه بأسانيده"[(٥)] .

ويقول الصفدي: "وصنف تفسيراً يروي فيه بأسانيده" [(٦)] .

ويقول ابن العماد: "وصنف تفسيراً جيداً" [(٧)] .

---

(١) محمود بن عمر الزمخشري، ولد سنة (٤٦٧هـ)، معتزلي العقيدة، من مؤلفاته الكشاف، والفائق في غريب الحديث، توفي سنة (٥٣٨هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء (١٥١/٢٠).

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة (٨١/٤)، ونحوه في طبقات المفسرين للداودي (٢٩٤/١)، والمقصد الأرشد (١٣٥/٢)، والمنهج الأحمد (٢٩١/٤)، والدر المُنضد (٤٠٤/١).

(٣) طبقات المفسرين ص٦٦.

(٤) درة الاسلاك (٢٦/١/أ).

(٥) تذكرة الحفاظ (١٤٥٢/٣).

(٦) الوافي بالوفيات (٤٠٩/١٨).

(٧) شذرات الذهب (٥٣٠/٧).

وقد ذكره حاجي خليفة في **كشف الظنون** [١]، والبغدادي في **هدية العارفين**[٢]، وكحالة في **معجم المؤلفين** [٣] .

وقال ابن بدران في (المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل) في معرض حديثه عن تفاسير الحنابلة: "وأجل هذه التفاسير كلها وأنفعها تفسير الإمام الحافظ عبدالرازق بن رزق الله... الرسعني، الفقيه المحدث الحنبلي، ... سماه رموز الكنوز وهو في أربع مجلدات وفيه فوائد حسنة ويروي فيه أحاديث بإسناده، ويذكر الفروع الفقهية مبيناً خلاف الأئمة فيها، وله مناقشات مع الزمخشري، ولقد اطلعت عليه، وارتويت من مورده العذب الزلال، وشنفت مسامعي بتحقيقه، وارتويت من كوثر تدقيقه فرحم الله مؤلفه"[٤].

هذا وقد انتشر كتابه، وشاع صيته، وأقبل الناس على مدارسته في مجالسهم، وانتفعوا به، وأصبح بيد العام والخاص، واعتمدوه حجة في النقل، وقد كان القاضي جمال الدين الحصري الحنبلي [٥] ، يمليه على الناس في بغداد من حفظه، ويحضره الخلق منهم المدرسون والأكابر بل إنه اختصره بعد أن ألقاه دروساً بمسجد يانس ببغداد [٦]، وكذلك فإن المحدث شجاع الدين المقرئ الحنبلي [٧] كان يحدث بتفسير الرسعني[٨].

---

(١) كشف الظنون (٩١٣/١).

(٢) هدية العارفين (٥٦٦/٥).

(٣) معجم المؤلفين (٢١٨/٥).

(٤) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل ص٤٧٧.

(٥) عبدالصمد بن إبراهيم بن خليل، جمال الدين، أبو أحمد، يعرف بابن الحُصري، محدث بغداد وواعظها، كان حنبلياً من أهل السنة، طلب الحديث فسمع الكثير، وصنف الخطب ومجالس الوعظ، له كتاب "عيون العين في الاربعين، توفي ببغداد سنة (٧٦٥هـ) ودفن بمقبرة الإمام أحمد.
انظر: شذرات الذهب (٣٥٠/٨)، الدرر الكامنة، لابن حجر العسقلاني (١٦٢/٣-١٦٣)، الطبعة الثانية عام ١٣٩٤هـ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن – الهند.

(٦) انظر: الدرر الكامنة (١٦٢/٣).

(٧) شجاع الدين أبو بكر بن محمد بن قاسم السنجاري المقانعي الحنبلي، نزيل بغداد، روى جماع المسانيد، وحدث، توفي سنة (٧٩٠هـ).
انظر: الدرر الكامنة (٥٥/١)، انباء الغمر (١٣٢/١)، المقصد الأرشد (١٥٤/٣).

(٨) انظر: الدرر الكامنة (٥٥/١).

ولهذا الكتاب عدد من النسخ الخطية، منها نسخة موجود منها الجزء الثاني، وتبدأ من سورة آل عمران إلى ـاية سورة النساء، وهي محفوظة في المكتبة الوطنيـة ببـاريس، تحت رقم (٦٢٢)، وعدد أوراقها (١١٩) ورقة، ومسطر ـا (١٥) سطراً، وهي الجـزء الثاني من الكتاب [1] .

ونسخة أخرى الموجود منها ثلاثة أجزاء هي:

الجزء الثاني: محفوظ في المكتبة الظاهرية بدمشق بـرقم (٥٢٨-تفـسير ١٣٣) وتبدأ من قوله تعالى: ﴿ ويوم يحشرهم جميعا ﴾ من سورة الأنعام الآيـة (١٢٨) وينتهي بنهاية سورة الإسراء، وعدد أوراقه (٢٣٤,٥)، ومسطرته (٢٧) سطراً [2] .

الجزء الثالث: من مقتنيات المكتبة الظاهرية بدمشق، وتحمل الرقم (٦٣٦-تفسير ٥١٠)، ويبدأ من أول سورة الكهف، وينتهي بنهاية سـورة فـاطر، وعـدد أوراقـه (٢٠٧,٥) ومسطرته (٢٧) سطراً [3] .

الجزء الرابع: محفوظ في المكتبة الظاهرية أيضاً، ويحمل رقم (٥٨٣٣)، ويبدأ من سورة يس، وينتهي بنهاية القرآن الكريم، ويحمل رقم (٥٨٣٣) وعدد أوراقه (٢٦٦)،

---

(١) هذه النسخة سقط من أولها صفحة العنوان، وثلاث عشرة آية من آل عمران، وأولها قوله: "نظرنا إلى الكفار فرأيناهم يضعفون علينا" من سورة آل عمران، وآخرها ـاية سورة النساء، وهـي بخـط نـسخي جيـد، ومشكول للناسخ أبي نصر بن عثمان الموصلي سنة (٦٣٤هـ)، وقد كتبت في زمن المؤلـف ونظـر فيهـا وصححها، ثم قوبلت بأصله، وقد أشار لذلك الدكتور/ محمد البراك محقـق الجـزء الأول مـن الكتـاب، ومصور ـا بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية برقم (٦٢٢ف/ب).

(٢) سقط من هذا الجزء خمس وثلاثون آية من سورة "التوبة" ومصور ـا موجودة بقسم المخطوطات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم (٥٩٥٥/ف) ومكررة برقم (٥٩١٠/ف) مع نقص في أولها، وأيـضاً لهـا صورة في مركز الملك فيصل برقم (٤٠٨) وعدد صفحا ـا (٢٣٢) ورقة.

(٣) قد سقط من هذا الجزء آخر سورة الكهف، وأول سورة مريم، وآخر طه وأول الأنبياء، وصور ـا موجـودة بقسم المخطوطات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم (٢٧٠٨/ف)، ومكـررة بـرقم (٥٩٥٦)، وبمركز الملك فيصل برقم (٢٦٢).

ومسطرته (٢٧) سطراً.

وهناك أيضاً نسخة: الموجود منها جزءان، الثالث، والرابع، الجزء الثالث: محفوظ في مكتبة جامعة توبنجن بألمانيا الغربية برقم (١٢٨٢)، يبدأ من أول سورة الكهف، وينتهي بنهاية سورة العنكبوت، وعدد أوراقه (٢٥٨)، ومسطرته (٢١) سطراً [(١)]، والجزء الرابع: محفوظ في المكتبة الظاهرية بدمشق برقم (٦٣٧ تفسير ٥١١)، ويبدأ من أول سورة الحجرات إلى نهاية القرآن، وعدد أوراقه (٢٧١) ومسطرته (٢١) سطراً [(٢)].

وقد طبع من هذا الكتاب الجزء الأول، بتحقيق الدكتور/ محمد بن صالح البراك[(٣)]، ونشرته دار ابن الجوزي بالدمام عام ١٤١٩هـ، الطبعة الأولى، ويقع الكتاب في اثنتين وخمسين وستمائة صفحة.

وأخيراً طبع الكتاب كله بتحقيق الدكتور/ عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، ونشرته مكتبة الأسدي للنشر والتوزيع، عام ١٤٢٩هـ، ويقع في تسعة أجزاء.

---

(١) سقط من آخر هذا الجزء عدة أسطر، وقد يكون منها اسم الناسخ. مصورتها موجودة بقسم المخطوطات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم (٢٧٠٥/ف) ومكررة برقم (٢٧٠٦/ف)

(٢) سقط من أوله ورقة العنوان، والكلام على أول سورة الحجرات، ومصورتها موجودة بقسم المخطوطات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم (٢٧٠٧/ف) ومكررة برقم (٢٧٠٩/ف)، ورقم (٥٩٥٤/ف) ورقم (٢٩٣٦/ف).

وفي هذا الشأن فقد ذكر الدكتور/ البراك محقق الكتاب، بأنه عثر على نسختين مبهمتين للكتاب، إحداهما في مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بالنجف برقم (٢٧٧٧) كما هو مذكور في فهرس مؤسسة آل البيت بالأردن، والأخرى في الهند، في مكتبة رضا برامفور برقم (١/٣٤/١٣٦)، ولم تذكر بيانات تلكما النسختين. كما يوجد نسخ من هذا الكتاب مصورة بدار الكتب القطرية بالدوحة برقم (١١/ف) عن المكتبة الأهلية بباريس برقم (٦٢٢)، عربي، ورقم (١٠/ف) عن توبنجن برقم (١٢٨٢) عربي، ورقم (١٢/ف) عن الظاهرية برقم (٥١٠/٥١١ تفسير).

(٣) أصل هذا الكتاب رسالة دكتوراه مقدمة للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – كلية القرآن الكريم عام ١٤١١هـ.

٢- مختصر الفَرق بين الفِرق:

أختصر فيه الرسعني كتاب الفَرق بين الفِرق للبغدادي [(١)].

ذكره الزركلي في الأعلام [(٢)]، وكحالة في معجم المؤلفين [(٣)]، وله نسخة محفوظة في دار الكتب الظاهرية بدمشق، وهي مجلدة مع غيرها من المخطوطات في مجموعة واحدة تحت رقم (٣٧) من علم التوحيد عدد صفحاتها (١١١) صفحة، بالقطع المتوسط المائل إلى الصغر، وجيدة من نوعها، ويليها في المجموعة "كتاب الحرز والمنعة في بيان أمر المهدي والمتعة" ثم "كتاب درء اللوم والضيم في صوم يوم الغيم" والمجموعة كلها بخط الإمام الرسعني.

وقد اختصر كتاب البغدادي سنة ٦٤٧هـ عن مخطوطة بخط يد البغدادي.

وقد نشر هذا المختصر: فيليب حتي، وطبعته مطبعة الهلال بالقاهرة سنة (١٩٢٤م)، الطبعة الأولى، ثم طبعته مطبعة التقوى، بالقاهرة سنة (١٩٤٠م)، ولم يتم الرسعني اختصاره، بل أغفل الباب الخامس منه [(٤)].

ومما قال الرسعني في مقدمته: "فهذا مختصر من كتاب "الفَرق بين الفِرق"، تأليف أبي منصور، عبدالقاهر بن طاهر البغدادي –رحمه الله تعالى- نظمت فيه مضمونه، وجمعت فيه نكته وعيونه، وأتيت به على ترتيبه، وتبويبه، وبالغت في اختصاره وتهذيبه، والله المسؤول أن يعصمنا من الزلل، وأن يوفقنا لما يرضيه في القول والعمل" [(٥)] أ.هـ.

---

(١) كتاب الفَرق بين الفِرق للبغدادي يتحدث عن الفِرق التي أخبر عنها رسول الله ﷺ في الحديث المأثور في افتراق الأمة ثلاث وسبعين فرقة، حيث يبين فيه ادعاءاتهم، وأباطيلهم، وشبهاتهم، وأسمائها، ومبتدعوها، وأقوالهم، وأحوالهم، وصفاتهم، وعاقبتهم.

(٢) الأعلام (٢٩٢/٣).

(٣) معجم المؤلفين (٢١٨/٥).

(٤) يقول فيليب حتي في مقدمة نشره لهذا الكتاب: "لم يكن الرسعني مجرد ناسخ بل إنه كان على شيء من الأدب والمقدرة العقلية، كونه أعمل ملكة الانتقاء في المادة التي امامه فعرف ما يصح الاستغناء عنه منها... وأحسن فيما اختاره لمختصره ... وقد أعمل رأيه وأجاد فيما أغفل وفيما أثبت" ص٥.

(٥) مختصر الفرق بين الفرق ص١٢.

٣-درة القاريء:

في الفرق بين الضاد والظاء.

وهي قصيدة ذكرها ابن الجزري في غاية النهاية في طبقات القراء وسماها الطائية النونية[١].

وذكرها أيضاً ابن رجب في ذيله وقال: "ومن نظمه "القصيدة النونية" المشهورة في الفرق بين الظاء والضاد" [٢] ، وكذا في طبقات المفسرين للداودي [٣] ، والمنهج الأحمد [٤] ، ومختصره الدر المنضد [٥] .

كما ذكرها حاجي خليفة في كشف الظنون وقال: "درة القاري ... قصيدة تائية من البسيط وهي أنفع ما صنف في الفرق بين الضاد والظاء، شرحها بعض القراء، وسماه (كاشف محاسن الغرة لطالب منافع الدرة) أوله: الحمد لله الذي لا نحصي ثناء عليه... الخ" [٦] .

وكذلك البغدادي في هدية العارفين [٧] ، وكحالة في معجم المؤلفين [٨] ، والزركلي في الأعلام [٩] .

---

(١) غاية النهاية في طبقات القراء ص٣٨٤.
(٢) الذيل على طبقات الحنابلة (٨١/٤).
(٣) طبقات المفسرين للداودي (٢٩٥/١).
(٤) المنهج الأحمد (٢٩١/٤).
(٥) الدر المنضد (٤٠٥/١).
(٦) كشف الظنون (٧٤٣/١)، وهذا الشرح للإمام المقرئ محمد بن أبي بكر بن علي شمس الدين الشطي، المتوفى سنة (٧٤٩هـ)، وقد طبع بتحقيق: جمال السيد رفاعي، ونشرته مكتبة الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع بمصر، الطبعة الأولى عام ١٤٢٧هـ.
(٧) هدية العارفين (٥٦٦/٥).
(٨) معجم المؤلفين (٣١٨/٥).
(٩) الاعلام (٢٩٢/٣).

وقد أشار إليها الإمام الرسعني في تفسيره (رموز الكنوز)، وذكر بعض أبياتها عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾[1] .

ولها نسخ كثيرة في كافة مكتبات العالم، ولا يخلو فهرس من الفهارس إلا وفيه منها نسخة.

هذا وقد نشرتها مجلة مجمع اللغة العربية الأردني العدد (٣٠) عام ١٤٠٦هـ، بتحقيق الدكتور: عبدالهادي الفضلي من جامعة الملك عبدالعزيز.

كما نشرتها دار ابن عفان للنشر والتوزيع بالمملكة العربية السعودية بالخبر، الطبعة الأولى عام ١٤١٩هـ، بدراسة وتحقيق الدكتور/ محمد بن صالح البراك.

وهي منظومة تتألف من اثنين وثلاثين بيتاً، من البحر البسيط التام، ورويها بالنون المكسورة [2] أولها:

حفظت لفظاً عظيم الوعظ يوقظ من ظما لظا وشواظ الحظر والوسن

من يكظم الغيظ يظفر بالظلال ومن يظعن عن الظلم يظلل راكد السفن

وآخرها:

سميتها درة القاري ونسبتها بحر البسيط فزنها واختبر تبن

ثم الصلاة على المختار من مضر ما غردت صادحات الطير في الغصن

وقد اعتمد الرسعني لبيان ما يقرأ ويكتب بـ(الظاء) من الكلم القرآني الكريم أسلوب النظم تسهيلاً لاستظهاره وتيسيراً لاستحضاره، وهو نهج سلكه غير قليل من المؤلفين المتقدمين، وشاع سلوكه في أخريات العصر العباسي وما يتبعه من عصور.

---

(١) سورة النحل: الآية (٥٨).

(٢) البحر البسيط من الأبحر العروضية، والنون المكسورة من الروي ذي الجرس المستعذب، وهذا مما يساعد على الاستظهار والاستذكار بسهولة.

انظر: مجلة مجمع اللغة العربية الأردني العدد (٣٠)، عام ١٤٠٦هـ ص١٨٨.

٤- مطالع أنوار التنزيل ومفتاح أسرار التأويل.

ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون وقال عنه: تفسير كبير حسن انتقاه السيوطي [(١)] وكتب في آخره (إجازة سماع في مجالس آخرها ثاني ذي القعدة سنة (٦٥٩هـ) بدار الحديث المهاجرية بالموصل) [(٢)] .

وذكره أيضاً كحالة في معجم المؤلفين [(٣)] ، والبغدادي في هدية العارفين [(٤)] .

قال ابن رجب في الذيل: "وكان لما قدم بغداد أنعم عليه المستنصر، وصنف هذا التفسير ببلده وأرسله إليه، وهو في ثمان مجلدات وقف المدرسة البشيرية ببغداد" [(٥)] .

ولعل ابن رجب يقصد بهذا التفسير "مطالع أنوار التنزيل" لا رموز الكنوز؛ لأن رموز الكنوز يقع في أربع مجلدات كما تقدم، والذي ذكره ابن رجب في ثمان مجلدات، وهذا الكتاب مفقود.

٥- القمر المنير في علم التفسير.

ذكره تلميذ الرسعني ابن الشعار في عقود الجمان [(٦)] ، وانفرد بذكره، وتبعه ابن الفوطي في مجمع الآداب [(٧)] .

ومن عنوانه يتضح أن هذا الكتاب في علوم القرآن، وهو مفقود.

---

(١) انظر: دليل مخطوطات السيوطي وأماكن وجودها، إعداد: محمد الشيباني، وأحمد الخازندار ص٣٤، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الصفاة – الكويت.

(٢) كشف الظنون (١٧١٥/٢).

(٣) معجم المؤلفين (٢١٨/٥).

(٤) هدية العارفين (٥٦٦/٥).

(٥) الذيل على طبقات الحنابلة (٨١/٤).

(٦) عقود الجمان في شعراء هذا الزمان (١٣٢/٤/أ).

(٧) مجمع الآداب في معجم الألقاب (٢١٥/١).

٦- المع الصافي من المين في مصرع الإمام الشهيد أبي عبدالله الحسين.

وقد انفرد بذكره بهذا العنوان كاملاً ابن الشعار [(١)] ، غير أن من ترجم للرسعني ذكره بعنوان "مصرع الحسين"[(٢)] .

وآخرون ذكروه بعنوان "مقتل الحسين" [(٣)] .

ولعل هذه العناوين اختصر فيها اسم الكتاب الطويل.

وقد ألزم الرسعني بتصنيف هذا الكتاب صاحب الموصل فكتب فيه ما صح من القتل دون غيره، قاله ابن رجب [(٤)] ، وهذا الكتاب مفقود.

٧- المنتصر في شرح المختصر.

وهو في الفقه، وشرح به مختصر الخرقي [(٥)] .

ذكره ابن الشعار [(٦)] وتبعه ابن الفوطي [(٧)] .

ويقول ابن بدران: "وجدت بخط محمد بن كنان الصالحي [(٨)] أنه رأى له شرحاً

---

(١) عقود الجمان في شعراء هذا الزمان (١٣٢/٤/أ).

(٢) وهم ابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة (٨١/٤)، وابن العماد في شذرات الذهب (٥٣٠/٧)، والداودي في طبقات المفسرين (٢٩٤/١)، والعليمي في المنهج الأحمد (٢٩١/٤)، ومختصره الدر المنضد (٤٠٥/١) له أيضاً، والزركلي في الأعلام (٢٩٢/٣).

(٣) وهم: الصفدي في الوافي بالوفيات (٤٠٩/١٨)، والذهبي في تذكرة الحفاظ (١٤٥٢/٣)، وتاريخ الإسلام (٣٨/١٥)، وابن عبدالهادي في طبقات علماء الحديث (٢٤٠/٤).

(٤) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (٨١/٤).

(٥) عمر بن الحسين بن عبدالله الخرقي، أبو القاسم، الفقيه الحنبلي، البغدادي، رحل عن بغداد لما ظهر فيها سب الصحابة، نسبته إلى بيع الخرق، له تصانيف واحترقت وبقى منها المختصر، في الفقه، توفي سنة (٣٣٤هـ).
انظر: وفيات الأعيان (٣٧٩/١)، النجوم الزاهرة (١٧٨/٣)، الأعلام (٤٤/٥).

(٦) انظر: عقود الجمان في شعراء هذا الزمان (١٣٢/٤/أ).

(٧) مجمع الآداب في معجم الألقاب (٢١٥/١).

(٨) محمد بن عيسى بن محمود الكناني الصالحي، المؤرخ، الحنبلي، من علماء دمشق، له كتب منها المروج السندسية، وتاريخ الصالحية، والمواكب الإسلامية، توفي سنة (١١٥٣هـ).
انظر: هدية العارفين (٣٢٥/٦)، الأعلام (٣٢٣/٦).

على الخرقي مزجا في مجلدين" [١] ، وهو مفقود.

٨- أسنى المواهب في أحاديث المذاهب.

انفرد بذكره ابن الشعار في عقود الجمان [٢]، وهذا الكتاب يحتمل أنه يتحدث عن المذاهب الفقهية، وهو مفقود.

٩- عقود العروض.

ذكره تلميذه ابن الشعار في عقود الجمان [٣] .

وهذا الكتاب في العروض الذي يتعلق بموازين الشعر، وهو مفقود.

وقد أشار إلى اعتنائه بهذا الفن الإمام صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق[٤]، بقوله: " له تصانيف غير تفسيره المشهور، في التفسير، والفقه، والعروض، وغير ذلك"[٥]، كما أن الرسعني شاعر ذو قريحة في المنظوم والمنثور، وقد ترجم له في كتاب عقود الجمان في شعراء هذا الزمان [٦] ، كما أن المترجمين الذين أوردوا أخباره يذكرون أن له شعراً لطيفاً رائقاً،ونظماً حسناً سائغاً.

---

(١) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل ص٢٠٨.

(٢) عقود الجمان في شعراء هذا الزمان (١٣٢/٤/أ).

(٣) المصدر السابق (١٣٢/٤/أ.

(٤) عبدالمؤمن بن عبدالحق صفي الدين، الحنبلي البغدادي، الإمام، من علماء العراق، له فنون وتواليف، وعناية بالحديث، فيه خير ومروءة، وهو صاحب "مراصد الاطلاع"، توفي سنة (٧٣٩هـ).

انظر: الوافي بالوفيات (٢٤٥/١٩)، الدرر الكامنة (٣٢/٣)، ذيل طبقات الحنابلة (٤٢٨/٢)، شذرات الذهب (١٢١/٦).

(٥) الذيل على طبقات الحنابلة (٨١/٤-٨٢).

(٦) عقود الجمان (١٣١/٤/ب - ١٣٨/أ).

٥- مكانته العلمية:

لقد برع الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في علوم عديدة، وتصدر أقرانه في فنون كثيرة، واستطاع بجهده ومثابرته -بعد توفيق الله وامتنانه- أن يكون شخصية علمية، يقصدها القريب والبعيد، محتلاً مكانة بارزة بين علماء عصره، فقد كان شيخ الجزيرة الفراتية، وديار بكر في زمانه علماً، وفضلاً، وجلالة صدراً رئيساً، له المكانة العلية من الملوك، مع مكانته المرموقة وحرمته الوافرة عند بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، حيث كان أكثر ما يجري في مجلس صاحب الموصل إيراد الأشعار المطربة والحكايات الملهية، فإذا دخل شهر رمضان أحضرت له كتب التواريخ والسير وجلس الزين الكاتب وعز الدين المحدث يقرآن عليه أحوال العالم، مع مكانته أيضاً عند صاحب سنجار، وماردين، وغيرهم من ملوك الجزيرة بالإضافة لما يحظى به من قدر كبير عند الخليفة المستنصر بالله، وذلك عند قدومه إلى بغداد، فقد وجد الإنعام والتكريم من الخليفة مما حدا بالرسعني إلى تصنيف تفسيره ببلده، وإرساله إلى المستنصر بالله، وهو في ثمان مجلدات، ووقف على المدرسة البشيرية ببغداد.

كما برع وتفنن في العلوم العقلية، وكان إماماً فقيهاً محدثاً، وكان سيفاً مسلولاً على المخالفين لأهل السنة والجماعة، وشجى في حلوق أهل الأهواء والزيغ، يرد عليهم ويبين ضلالهم، وقد تولى مشيخة دار الحديث بالموصل زمناً طويلاً، وروى عنه الحديث علماء أجلاء، وكان من أفاضل علماء الحنابلة، تصدى للتدريس، وشاع صيته، وكُثر تلاميذه الذي برز منهم الأئمة والأعلام والمحدثين والمصنفين، والذي تقدم ذكرهم عند الحديث عن تلاميذه.

ويعد الرسعني واحداً من أبرز المفسرين، وأبرعهم، قدم تفسيراً كبيراً، وسفراً عظيماً، سار بذكره الركبان، وانتقاه العلماء، روى فيه الأحاديث بإسناده، وذكر الفروع الفقهية، وناقش أرباب الفصاحة وعلماء البيان.

وعلى أثره فقد كان له مكانة عظيمة لدى العلماء المعاصرين له ومن أتى بعدهم

حيث ظهر ذلك في تبجيله وتعداد محاسنه، والثناء العطر عليه رَحِمَهُ اللَّهُ.

فقال عنه تلميذه ابن الشعار، وهو أقدم من ترجم له: "فقيه، محدث، شاعر، فاضل، ذو قريحة في المنظوم والمنثور" [(١)] ، وقد نقل ابن الفوطي في مجمع الآداب بعضاً من ترجمة ابن الشعار في عقود الجمان ثم نعته بالمحدث المفسر [(٢)] .

وقال عنه الكتبي في عيون التواريخ: "المحدث ... سمع الحديث وحدث وكان فاضلاً، أديباً شاعراً صدراً رئيساً، له المكانة العلية من الملوك [(٣)] .

وقال الحافظ ابن العماديه في ذيل تكملة الإكمال: "الفقيه الحافظ" [(٤)] .

وقال عنه تلميذه ابن الصابوني: "الفقيه الفاضل ... ذو فنون عديدة، ... وهو شيخ دار الحديث التي بالموصل" [(٥)] .

وقال الأربلي: "المحدث الحنبلي ... كان رجلاً فاضلاً أديباً، حسن المعاشرة، حلو الحديث، فصيح العبارة ... منصفاً" [(٦)] .

وقال عنه اليونيني: "المحدث ... سمع الكثير وحدث وكان فاضلاً عالماً أديباً شاعراً، جميل الأوصاف، رئيساً من صدور تلك البلاد، وأعيان أهلها، له المكانة العلية من الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، وعند الملك السعيد صاحب ماردين وغيرهما" [(٧)] .

وقال الذهبي في العبر: "العلامة، المحدث المفسر، كان شيخ الجزيرة في زمانه علماً

(١) عقود الجمان في شعراء هذا الزمان (١٣٢/٤/أ).
(٢) مجمع الآداب في معجم الألقاب (٢١٤/١).
(٣) عيون التواريخ (٢٩٠/٢٠).
(٤) ذيل تكملة الإكمال (٢٩٤/١).
(٥) تكملة إكمال الإكمال (١٥٤-١٥٦).
(٦) كشف الغمة في معرفة الأئمة (٩٠/١).
(٧) ذيل مرآة الزمان (٥٤٥/١).

وفضلاً جلالة" [١]، ونحوه قال ابن العماد في (الشذرات) ثم أضاف: وتفـنن في العلـوم العقلية والنقلية [٢].

وقال الذهبي أيضاً في تذكرة الحفاظ: "الإمام، المحدث الرحال، الحافظ، المفـسر، عالم الجزيرة، ... كان إماماً متقناً ذا فنون وأدب ... كان من أوعية العلم والخـير" [٣]. ونحوه قاله السيوطي في طبقات الحفاظ [٤].

وقال الذهبي أيضاً عنه في تاريخ الإسلام: "الإمام الحافظ المفسر، المحدث، كـان إماماً، محدثاً، فقيهاً، أديباً، شاعراً، ديناً، صالحاً، وافر الحرمة، وله مكانة عنـد صـاحب الموصل لؤلؤ لجلالته وفضله" [٥]، ومثله قال السيوطي في طبقات المفسرين [٦].

وقال الصفدي عنه: "الإمام الحافظ المفسر المحدث" [٧] .

وقال ابن كثير عنه: "المحدث المفسر، سمع الكثير وحدث، وكان مـن الفـضلاء الأدباء" [٨] ، ومثله قاله العيني في عقد الجمان [٩] .

ومدحه القرشي في الجواهر المضية فقال: "كان إماماً علامة" [١٠] .

وقال عنه الحلبي: "العلامة عز الدين الحنبلي، بحر علم زاخر، وجوهر فضل فاخر، وروض أدب أنيق، ومعدن تحرير وتحقيق، كان عقداً نفيساً، جليلاً رئيساً، بارعاً في عدد

---

(١) العبر (٣٠٢/٣).
(٢) شذرات الذهب (٥٢٩/٧-٥٣٠).
(٣) تذكرة الحفاظ (١٤٥٢/٣-١٤٥٣).
(٤) طبقات الحفاظ (٥٣٤-٥٣٥).
(٥) تاريخ الإسلام (٣٨/١٥-٣٩).
(٦) طبقات المفسرين ص٦٦.
(٧) الوافي بالوفيات (٤٠٩/١٨).
(٨) البداية والنهاية (٤٥٠/١٧).
(٩) عقد الجمان (٣٦٧/١).
(١٠) الجواهر المضية في طبقات الحنفية (٤١٦/٢).

من الفنون، ملازماً للتقوى في الحركات والسكون، سمع وحدث وروى ... انتهت إليه مشيخة الجزيرة، وله نظم لا يغادر صغيره من الدر ولا كبيرة" [(١)].

وقال الحافظ ابن رجب: "الفقيه، المحدث المفسر، ... عني بالحديث وطلب، وقرأ بنفسه ، ... صحب الشيخ العماد، وطائفة من أهل الدين والعلم والصلاح، وقرأ العربية والأدب، وتفنن في العلوم ، ... وكان فاضلاً في فنون من العلم والأدب، ذا فصاحة، وحسن عبارة، وكان متمسكاً بالسنة والآثار، ويصدع بالسنة عند المخالفين من الرافضة وغيرهم" [(٢)] ، وبنحو ذلك وصفه العليمي في المنهج الأحمد [(٣)] ، وفي الدر المنضد [(٤)] ، وابن مفلح في المقصد الأرشد [(٥)] .

وقال ابن الجزري: "الإمام العلامة المحدث المفسر المقرئ شيخ ديار بكر والجزيرة"[(٦)].

وقال الحافظ ابن ناصر الدين في بديعة البيان:

الرسعني الناظم المفسر خِصاله أثيلةٌ ستذكر [(٧)]

ونعته المقريزي بشيخ البلاد الجزرية [(٨)] .

وقال ابن تغري بردي: "المحدث الفاضل ... كان إماماً فاضلاً شاعراً محدثاً" [(٩)] .

---

(١) درة الاسلاك (١/٢٦/أ).

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة (٤/٨٠-٨١).

(٣) المنهج الأحمد (٤/٢٩١).

(٤) الدر المنضد (١/٤٠٤).

(٥) المقصد الأرشد (٢/١٣٢-١٣٥).

(٦) غاية النهاية في طبقات القراء ص٣٨٤.

(٧) بديعة البيان ص٢٣١.

(٨) السلوك (١/٥٠٢).

(٩) النجوم الزاهرة (٧/١٨٥).

وقال عنه الداودي : "الإمام الفقيه، الحافظ المفسر" [(١)] .

وقال الأدنروي [(٢)]: "الإمام الحافظ المفسر المحدث، كان عالماً ومفسراً، صاحب التأليف في التفسير" [(٣)] .

وقال الشيخ عبدالقادر ابن بدران [(٤)] عنه: الفقيه المحدث المفسر ... الإمام الحافظ[(٥)].

هذه شهادات بعض الأئمة الأعلام والمؤرخين والمعاصرين له في الإمام الرسعني ومنزلته، وعلو مكانته، وسعة علمه، وحرصه على اتباع السنة والأثر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

(١) طبقات المفسرين للداودي (٢٩٤/١).

(٢) لم أعثر له على ترجمة.

(٣) طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأدنروي ص٢٤٣، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، الطبعة الأولى عام ١٤١٧هـ، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة.

(٤) تقدمت ترجمته ص ٥٤.

(٥) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل ص٢٠٨، (٤٧٦-٤٧٧).

٦ - عقيدته إجمالاً، ومذهبه الفقهي.

سلك الرسعني في عقيدته مذهب أهل السنة والجماعة.

يقول عنه الحافظ ابن رجب: "وكان متمسكاً بالسنة والآثار" (١) .

وهو يقرر الإيمان بالله وحده لا شريك له في ربوبيته ولا في ألوهيته، ويثبت ما أثبته الله لنفسه جل وعلا، أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات من غير تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل، وينفي عنه ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، وينزهه عن النقائص والعيوب، كما يؤمن بالملائكة، والكتب والرسل، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، كما يعتقد أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وكذلك ينزل الصحابة منازلهم، ويترضى عنهم، ويحذر من البدع ومن أصحابها.

وهو سلفي، صحيح العقيدة، متمسكاً بالكتاب والسنة، يرتوي منهما ولا يزيغ عنهما، فقد كان رحمه الله يقتفي أثر السلف الصالح فيقول: "وقاعدة مذهب إمامنا (٢) اتباع السلف الصالح" (٣) ، ويصدع بالسنة عند المخالفين، لا يخشى في الله لومة لائم.

يقول ابن رجب: "ويصدع بالسنة عند المخالفين من الرافضة وغيرهم" (٤) .

ولم يخالف رحمه الله منهج أهل السنة والجماعة في مسائل العقيدة سوى أنه أطلق كلمة القديم عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ (٥) ، فقال: "أي هو القديم قبل كل شيء الباقي بعد هلاك كل شيء" (٦) ، والذي يظهر بأن الرسعني يقصد بقوله:

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة (٨١/٤).

(٢) يقصد بقوله: "إمامنا" الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله .

(٣) رموز الكنوز (مخطوط) (١٤٥/٤/ب).

(٤) الذيل على طبقات الحنابلة (٨١/٤).

(٥) سورة الحديد: الآية (٣).

(٦) رموز الكنوز (٧٥/٤/أ).

"القديم" أي: أن الله سبحانه ليس قبله شيء، وذلك بتأكيده بقوله: "قبل كل شيء"، ولم يقصد في تفسيره ذلك ما يذهب إليه المتكلمون من إدخال "القديم" في أسماء الله تعالى[١].

أما مذهب الرسعني الفقهي فهو المذهب الحنبلي، حيث أخذه عن شيخه ابن قدامة المقدسي.

حيث يقول تلميذه ابن الشعار عنه: "وسمع الحديث الكثير على الإمام أبي محمد عبدالله بن أحمد المقدسي وأخذ الفقه على المذهب الأحمدي عنه أيضاً، وقرأ عليه كثيراً من كتبه الفقهية" [٢].

وقد تتلمذ عليه حتى برع في الفقه، وحفظ كتابه "المقنع" وصنف شرحاً على مختصر الخرقي، كما تقدم.

ويقول الأربلي المعاصر له في كتابه كشف الغمة: "فإن المعز المحدث كان حنبلي المذهب" [٣].

كما أن عامة من ترجم له نعته بالحنبلي.

وهو يصرح بذلك كثيراً فيقول: "وصاحب المذهب الإمام أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني -رضي الله عنه- ورزقنا الاهتداء بأنواره والاقتداء بآثاره" [٤].

ومن ذلك أيضاً قوله في موضع آخر عند حديثه عن نكاح الأمة: "ونص عليه إمامنا أحمد -رضي الله عنه- في إحدى الروايتين" [٥].

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٧٥-٧٨)، تحقيق: محمد بن ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ، المكتب الإسلامي – بيروت.

(٢) عقود الجمان في شعراء هذا الزمان (١٣٢/٤/أ).

(٣) كشف الغمة في معرفة الأئمة (٣٢٥-٣٢٦).

(٤) رموز الكنوز (مخطوط) (١٤٦/٤/ب).

(٥) المصدر السابق (٤٣٥/١).

الباب الأول

مصادر الرسعني في التلقي ومنهجه في الاستدلال

وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول: مصادر الرسعني في تلقي العقيدة.

الفصل الثاني: منهج الرسعني في الاستدلال.

الفصل الثالث: منهج الرسعني في العرض والمناقشة.

الفصل الرابع: منهج الرسعني في الرد على المخالفين.

الفصل الأول

مصادر الرسعني في تلقي العقيدة

الفصل الأول

مصادر الرسعني في تلقي العقيدة

إن أهل السنة والجماعة فيما يعتقدون ويقولون ويعملون به ينطلقون من أسس ثابتة صادقة، لا يعتريها التغير، ولا يطرأ عليها الزيادة والنقص، فهم يقولون بما في كتاب الله، وبما ثبت عن رسول الله ﷺ وبما قال السلف من القرون المفضلة، وبما أجمعوا عليه، فهذه الأسس والمصادر يعتقدون بها في كل زمان ومكان وعلى كل حال، وفي كل مسائل الدين، وقد عني أئمة السلف بأصول أهل السنة والجماعة فذكروها ودللوا عليها، وأوصوا بها، فلما صدقوا الله في قولهم واعتقادهم وعملهم بهذه الأصول والمصادر أصاب الله بهم الحق وهداهم لما اختلف فيه من الحق بإذنه، والله يقول: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ (١).

وهذه الأصول هي التي استند عليها الرسعني في تلقي مسائل العقيدة خصوصاً وفي سائر الفروع عموماً.

فإن الكتاب والسنة هما المصدران الرئيسان في تلقيه العقيدة الصحيحة الصافية، ولقد كان من المقطوع به في عهد السلف الصالح أن أوجب وأثبت ما يحتج به في العقائد وغيرها كلام الله تعالى، وكلام رسول الله ﷺ، ثم يتبعهما الإجماع، ويتبع تلك الأصول العقل الصحيح الذي يعضد ما أتى به الوحيان.

وقد اعتمد الرسعني على هذه المصادر في التلقي، ولم يخرج عنها، فاستقى كلامه في العقيدة تقريراً ورداً من هذه المصادر ولم يجاوزها.

---

(١) سورة الشورى: آية (١٣).

وفيما يلي مزيد بيان لاعتماد الرسعني على تلك المصادر:

أولاً: القرآن الكريم:

يعتبر كتاب الله هو المصدر الأول من مصادر العقيدة الإسلامية عند المسلمين عموماً، وعند أهل السنة والجماعة خصوصاً، ولا يمكن أن يتصور بأي حال من الأحوال أن يكون ثم عالم سلفي إلا وقد استمد عقيدته من القرآن الكريم.

يقول الله تعالى: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ [1].

ويقول تبارك وتعالى واصفاً كتابه الكريم بأنه تبيان لكل شيء: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾ [2].

ويقول: ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق﴾ [3].

ويقول تعالى: ﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾ [4].

وفي الحديث عن النبي ﷺ: «... وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله...» [5].

وأيضاً في الحديث: «... فإن خير الحديث كتاب الله ...» [6].

---

(١) سورة النساء : آية (٨٢).

(٢) سورة النحل : آية (٨٩).

(٣) سورة المائدة : آية (٤٨).

(٤) سورة النساء : آية (١٧٤).

(٥) أخرجه مسلم في: كتاب الحج رقم (١٤٧) (ص٥١٣).

(٦) أخرجه البخاري بنحوه في: باب الهدي الصالح، من كتاب الأدب (١٠٩/٤)، وأخرجه مسلم بهذا اللفظ في: باب تخفيف الصلاة والخطبة، من كتاب الجمعة (٥٩٢/٢).

وقد اعتمد الإمام الرسعني على كتاب الله الكريم بصفته مصدراً لتلقية العقيدة، وكان كثيراً ما يسوق التقريرات العقدية بعد تفسيره بعض الآيات القرآنية؛ فهو مثلاً يقول عند قوله تعالى: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَاناً﴾[1] أي زادهم قول الناس إيماناً، وتصديقاً، وثباتاً على دينهم وطاعة نبيهم، وهذه الآية من جملة الهوادم لمذهب المانعين من القول بزيادة الإيمان ونقصانه، ولأنه لا يخلو إما أن يكون الإيمان يزيد عن التصديق فقط، أو عن التصديق مع انضمام الطاعة إليه، وأياً ما كان فهو يقبل الزيادة والنقصان، ولا إشكال في الثاني، أما الأول، فكل عاقل يجد في نفسه زيادة التصديق بتناصر الحجج، وتعاضد البراهين، لا سيما القلوب الصافية من الكدر، إذا تليت عليها آيات الكتاب العزيز فإنه يتجدد لها إيمان وإيقان، لو وزن بالجبال الشوامخ لربا عليها[2].

ويقول في موضع آخر: "أخبار الآحاد، لا تنسخ القرآن الثابت بالتواتر، وقد اختلفوا في خبر المتواتر هل ينسخ القرآن؟ فذهب أكثر الفقهاء من الشافعية، والحنابلة وأهل الظاهر إلى امتناع ذلك، قال الإمام أحمد: لا ينسخ القرآن إلا قرآن يجيء بعده[3]، وإلى هذا أشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا ندع كتاب ربنا بقول امرأة لا ندري أصدقت أم كذبت[4]، وكانت روت عن النبي ﷺ حديثاً[5] يخالف ظاهر القرآن"[6].

ويقول عند قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾[7]. يعني القرآن

---

(١) سورة آل عمران :الآية (١٧٣).

(٢) رموز الكنوز (٣١٢/١، ٣١٣).

(٣) العدة، لأبي يعلى (٦٨١/٢)، التمهيد، لأبي الخطاب (٣٦٩/٢)، ونسخ القرآن بالسنة المتواترة فيه خلاف كثير بين العلماء فمنهم من أجاز ومنهم من منع، والذي أجاز لاعتبار كل منهما وحي، والذي منع لكون السنة مبينة لا ناسخة. انظر: قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن، لأبي بكر الكرمي (٣٤-٣٦)، تحقيق: سامي عطا حسن، طبعة عام ١٤٠٠هـ، دار القرآن الكريم - الكويت.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٣٧/٤) رقم (١٨٦٦٢) ورقم (١٨٦٦٣)، تحقيق: كمال الحوت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، مكتبة الرشد – الرياض، المحصول للرازي (٤٩٨/٣)، تحقيق: طه العلواني، الطبعة الأولى عام ١٤٠٠هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض.

(٥) يعني بهذا حديث فاطمة بنت قيس حين طلقها زوجها طلاقاً بائناً، فذهبت إلى النبي ﷺ تطالب زوجها بالنفقة، فقال لها النبي ﷺ: «ليس لك عليه نفقة ». (أخرجه مسلم في كتاب الطلاق: ١١١٤/٢).

(٦) رموز الكنوز (٤٠٥/١).

(٧) سورة لأعراف : الآية (٣).

والسنة وهذا دليل واضح على وجوب تعلم العلم، خصوصاً علم التفسير فـإن المـراد بالاتباع العمل وذلك يستدعي العلم قبله، قال الحسن البصري [١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "يا ابن آدم أمرت باتباع كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ، والله ما نزلت آية إلا وهو يحب أن يعلم فيم أنزلت وما معناها" [٢] [٣].

وترتيب مصادر تلقي العقيدة عند الرسعني هي هكذا:

الكتاب ثم السنة وبعده الإجماع ، ومما يؤكد ذلك قوله عند حديثـه عـن العرش: "وضل قوم فقالوا العرش بمعنى الملك وهو قول يشهد ببطلانه الكتاب والـسنة والإجماع واللغة" [٤].

ويقول في مقام آخر عند تفسيره لقوله تعالى: قَالَ رب أَرني أَنظُر إِلَيك [٥]. "والمعنى مكّني من الرؤية بتجليك لي، وفي هذا دليل واضح على أن رؤية الله تعالى غـير مستحيلة؛ لأ ا لو كانت مستحيلة لما سألها موسى، ولأنكر الله عليه سؤالها، وما ظنـك بقوم بلغ من الكهم ورفضهم صريح الكتاب وصحيح الأحاديث، وتكذيبهم بما تتقاصر عقولهم السخيفة عن إدراكه حتى نسبوا موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في سؤاله الرؤية لله إلى أحـد أمرين: إما جهله بالله وما يجوز عليه وما لا يجوز، وأعظم ا فرية منهم، وإمـا إقدامـه واجتراؤه على السؤال مع علمه بعدم الجواز على ظنهم الفاسد؛ فيا لها جرأة على كليم

(١) الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، من خيار التابعين، كان إمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمنه، وهو أحد العلماء الفقهاء، توفي سنة ١١٠هـ.

انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٥٦٣/٤)، تقريب التهذيب (١٦٠/١).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣٤٨/٢).

(٣) رموز الكنوز (٨/٢/ب).

(٤) المصدر السابق (١٨/٢/أ).

(٥) سورة الأعراف : آية (١٤٣).

الله وصفيه" [١] .

كما يقول رحمه الله: "ومبنى الشريعة على هذين: القرآن والسنة، و هـا يوقـف على حدود الله تعالى ومفترضاته" [٢] .

وهو رحمه الله يلتزم ذه الأصول ومنها الكتاب، عند حديثه عن الفرق المخالفـة لمنهج أهل السنة والجماعة، فهو يقول عن القدرية: "وقد ذكرت في أثناء كتابي هـذا [٣] أنواعاً من الأدلة الدالة على بطلان مذهبهم، ولولا خشية الإطالة لذكرت في إقامة حجج الله عليهم من الكتاب والسنة وإجماع الأمة ما يملأ أوراقاً كثيرة، لكن في هـذا القـدر كفاية لمن أراد الله هدايته" [٤] .

فها هو عند حديثه عن الرؤية أيضاً يلتزم بذلك فيقول: "وقد ذكرنـا في أثنـاء كتابنا هذا من دلائل الكتاب والسنة وآثار أخبار الأئمة، على إثبات رؤية الله تعـالى في الآخرة ما لا يسع المسلم تركه، فنسأل الله أن يعيذنا من الزيغ والعناد وأن يمتعنا بالنظر إليه إذا حجب عنه أهل الإلحاد" [٥] .

ثانياً: السنة النبوية:

من المعلوم عند أهل السنة والجماعة، بأن السنة النبوية هي المصدر الثـاني مـن مصادر العقيدة الإسلامية، ولقد كان من المقطوع به في عهد السلف الصالح أن أوجب وأثبت ما يحتج به في العقائد وغيرها بعد كتاب الله الكريم، كلام رسوله ﷺ، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ

(١) رموز الكنوز (٣٥/٢/أ).
(٢) المصدر السابق (١٨٢/٣/ب).
(٣) يعني به كتابه رموز الكنوز.
(٤) المصدر السابق (٥٥/٤/أ).
(٥) المصدر السابق (٢١٤/٤/أ).

آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ [(١)].

فالكتاب هو القرآن الكريم، والحكمة هي السنة النبوية.

وقد قلد المولى - جل وعلى- نبيه ﷺ أمانة التبليغ والبيان فقال: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [(٢)] .

وقد أمرنا برد النزاع إلى كتابه وإلى سنة رسوله ﷺ حيث قال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [(٣)] .

قال مجاهد [(٤)] وغير واحد من السلف: "أي إلى كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ"[(٥)].

قال ابن كثير معلقاً على هذه الآية: "وهذا أمر من الله -عز وجل- بأن كل شيء تنازع الناس فيه، من أصول الدين وفروعه، أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة كما قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ [(٦)] **فما حكم به الكتاب**

---

(١) سورة آل عمران: آية (١٦٤) .

(٢) سورة النحل: آية (٤٤).

(٣) سورة النساء : آية (٥٩).

(٤) هو مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، الأسود، شيخ القراء والمفسرين، روى عن ابن عباس رضي الله عنهما وعنه أخذ القرآن والتفسير، والفقه، وعن غيره من الصحابة كان ثقة، توفي سنة ١٠٤هـ، وقيل غير ذلك.
انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد (٣١٩/٥، ٣٢٠)، سير أعلام النبلاء (٤٤٩/٤-٤٥٧)، طبقات الحفاظ (ص٣٥).

(٥) تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير الدمشقي (٣٢٦/٢)، تحقيق: محمد إبراهيم البنا وآخرين، طبعة دار الشعب.

(٦) سورة الشورى : آية (١٠).

والسنة، وشهدا له بالصحة فهو الحق، ، وماذا بعد الحق إلا الضلال" [(١)] .

وقد أوجب علينا العمل بما في السنة فقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِيناً﴾ [(٢)] .

وقال: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾ [(٣)] .

فبين الرسول ﷺ أمور الدين خير بيان وأقام علينا الحجة خير قيام حيث قال: «تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك» [(٤)] .

ومن أول ما بينه وعلمه لأمته مسائل الاعتقاد، ففي سنته ما يقطع الحجة، ويوضح المحجة، ويوفي على الغاية، هداية وشفاءً للصدور، وبياناً للحق [(٥)] .

فقد بين أصول الدين أحسن بيان، ودلّ الناس وهداهم إلى الأدلة العقلية والبراهين اليقينية التي يعلمون بها المطالب الإلهية، وبها يعلمون إثبات ربوبية الله، ووحدانيته وصفاته وغير ذلك مما يحتاج إلى معرفته بالأدلة العقلية، فإن كثيراً من الأمور

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣٢٦/٢).

(٢) سورة الأحزاب : آية (٣٦).

(٣) سورة النساء : آية (٦٥).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (١٢٦/٤)، وابن ماجه (١٦/١)، المقدمة، باب: اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، حديث (٤٣)، قال محققوا مسند الإمام أحمد: "حديث صحيح بطرقه وشواهده"، مسند الإمام أحمد (٣٦٧/٢٨). طبعة مؤسسة الرسالة.

(٥) انظر: درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (٧٢/١-٧٥)، تحقيق: محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلام، عام ١٩٨٠م، مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢٩٥/٣-٢٩٦)، الطبعة الأولى، عام ١٣٨١هـ، مطابع الرياض، مختصر الصواعق المرسلة، لابن القيم (٧/١-١٠)، دار الفكر.

يعرف بالخبر الصادق، ومع هذا فإن الرسول ﷺ بين الأدلة الدالة عليها، فجمـع بـين الطريقين، السمعي (الشرعي) والعقلي [(١)] .

ويقول ابن تيمية رحمه الله: "ثم من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار رسـول الله ﷺ باطناً وظاهراً، ... ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس، ويقدمون هدي محمـد ﷺ على هدي كل أحد، و ذا سموا أهل الكتاب والسنة، وسموا أهـل الجماعـة، لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة، و(الإجماع) هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليـه في العلم والدين، وهم يزنون ذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة وظاهرة مما له تعلق بالدين..." [(٢)] .

وقد كان الإمام الرسعني -يرحمه الله شديد التمسك بالسنة، معظماً لها، يـصدع ا عند كل من خالف منهج أهل السنة والجماعة، ولا يخشى في الله لومة لائم.

وهذا ابن رجب يقول عنه: "وكان متمسكاً بالسنة والآثار، ويصدع بالسنة عند المخالفين من الرافضة وغيرهم" [(٣)] .

ويقول الرسعني عند قوله تعالى: فَردوه إِلى اللَّـهِ والرسـول [(٤)] أي ردوا المتنازع فيه إلى كتاب الله وإلى رسوله ﷺ في حياته، وإلى سنته بعد مماته نصاً واستدلالاً، والرد عند الجهل تفويض علم ذلك الشيء إلى الله وإلى رسوله ﷺ" [(٥)] .

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٥٩/١٩-١٦٠)، مدارج السالكين، لابن القيم (٣٢٦/٣)، تحقيق: محمـد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة عام ١٣٧٥هـ.

(٢) العقيدة الواسطية، لابن تيمية ص١٢٧، بتحقيق: محمد أشرف عبدالمقصود.

(٣) الذيل على طبقات الحنابلة (٨١/٤).

(٤) سورة النساء : آية (٥٩).

(٥) رموز الكنوز (٥٠٤/١).

ويقول في رده على الزمخشري (١) الذي أنكر خروج من دخل النار بالشفاعة: "ولقد عجبت من كشف صاحب الكشاف قناع الحياء ورفضه الأحاديث الصحيحة الصريحة لخيالات الآراء وتحريفه كلام الله عن مواضعه، حتى أنه قال في قوله تعالى: ولأمنينهم (٢): يعني الأماني الباطلة فعد منها: الخروج من النار بعد دخولها بالشفاعة(٣)، فرد أحاديث الشفاعة، وقد رواها أئمة الإسلام، وحفاظ الحديث والأحكام، وسمعها من النبي ﷺ جماعة من سادات الصحابة، ورويت عنهم، وسمعت منهم ... وخرجها الأئمة في مسانيدهم كالإمام أحمد، والشيخين صاحبي الصحيحين، ففيهما من حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ" فساق حديث الشفاعة الذي جاء في آخره: «ثم أعود الرابعة، فأقول: يارب ما بقي إلا من حبسه القرآن » وجاء فيه أيضاً: «ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن ذَرة » (٤) .

وفي صحيح البخاري من حيث عمران بن حصين (٥) أن النبي ﷺ قال: "يخرج قوم من النار بشفاعة محمد، فيسمون الجهنميين" (٦) .

فمن أجهل جهلاً، وأسخف عقلاً، وأضل سبيلاً ممن يقابل القرآن بالتعطيل، والأحاديث النبوية بالتبطيل، وهو يدعي الاستسلام لدين الإسلام، ولكن هذه جناية

---

(١) تقدمت ترجمته ص ٩٠.

(٢) سورة النساء: الآية (١١٩).

(٣) الكشاف، لمحمود الزمخشري المعتزلي (٢٩٩/١)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان.

(٤) هذا قطعة من حديث الشفاعة الطويل، أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ (١٤٩/٩)، ومسلم في كتاب الإيمان (١٨٠/١).

(٥) عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي، أسلم عام خيبر وصحب، وشهد غزوات، وكان من فضلاء الصحابة وفقهائهم، قضى بالكوفة، واعتزل الفتنة، توفي سنة ٥٢هـ.
انظر: التاريخ الكبير (٤٠٨/٦)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير (٢٦/٣-٢٧)، الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ، مطبعة السعادة بمصر.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة (١٤٥/٨).

الكلام عليهم، وشؤم البدعة لديهم.

اللهم اجعل نور إيماننا مؤنساً لنا في ظُلَم الإلحاد، وأنلنا شفاعة نبينا إذا حرمتها أهل الإلحاد" [١] .

ويقول في معرض حديثه عن صفة استواء الله على عرشه: "وقد صنف شيخنا الإمام موفق الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي [٢] ، كتاباً سمعناه عليه يخص هذه المسألة [٣] وجمع فيه ما صح في الأخبار والآثار الدالة على أن الله تعالى مستو على عرشه فوق سبع سماواته، وذكر فيه ما لا يجد المسلم المتبع لشريعة محمد ﷺ بدأ من الانقياد إلى تسليمه والإيمان، به فمن أراد الوقوف على دلائلنا السمعية وبراهيننا القطعية فليقف عليه، ليتبين له الصواب ويعرف المبتدع من المتبع للسنة والكتاب، فنسأل الله أن يعافينا مما ابتلى به فرق الضلال من أمراض الشك في عقائدهم، وأن يثبت قلوبنا على سنة نبيه، وأن يلهمنا العمل بكتابه، إنه قريب مجيب" [٤] .

ويقول الرسعني في الذين عدلوا بأسماء الله وسموا بها آلهتهم: "فاشتقوا اللات من اسم الله والعز من العزيز، ومناة من المنان، وكل من سمى الله تعالى بما لم ينزل به كتاب ناطق أو سنة دالة فقد ألحد في أسمائه" [٥] .

ويقول عند قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [٦]. ... وهذه الآية وإن نزلت على سبب خاص فإنها عامة في كل مجادل في الله في صفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز بغير كتاب ناطق ولا سنة واضحة، بل يخبطُ بآرائه الغائلة[٧]

(١) رموز الكنوز (٥٩٣/١-٥٩٤).

(٢) سبقت ترجمته في ص ٧٢.

(٣) هو كتاب مسألة العلو.

(٤) رموز الكنوز (١٩/٢/أ).

(٥) المصدر السابق (٤٧/٢/ب).

(٦) سورة الحج : آية (٣).

(٧) الغائلة: أي الفاسدة. انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد الفيومي (٤٥٧/٢)، المكتبة العلمية – بيروت.

المختلة وأهوائه المردية المُضلة" (١) .

ويستشهد رَحِمَهُ اللَّهُ بسلف هذه الأمة في هذا الباب فيقول: "قال بعض السلف: من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة، لقوله: وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين (٢) (٣).

ويقول عند تفسيره لقوله تعالى: اقتربت الساعة وانشق القمر (٤) ... وشذ قوم فقالوا: المعنى سينشق القمر، وليس هذا القول بشيء لمصادمته الأحاديث، والآثار الصحيحة، وإجماع العلماء" (٥) .

وهو يلتزم بالأخذ بالسنة بعد القرآن الكريم، فيقول عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ (٦) وهي السرج، سميت بها الكواكب لإنارتها، ﴿وجعلناها﴾ (٧): يعني المصابيح رجوماً للشياطين مسترقي السمع، ومن تصفح كتاب الله وسنة رسوله رأى انحصار خلق النجوم لثلاث حكم" (٨) .

ثالثاً: الإجماع:

الإجماع كما هو معلوم، هو اتفاق مجتهدي العصر من أمة محمد ﷺ على أمر من

---

(١) رموز الكنوز (٣/١٠٩/أ).
(٢) سورة النور : الآية (٥٤).
(٣) رموز الكنوز (٣/١٧٦/أ).
(٤) سورة القمر : الآية (١).
(٥) رموز الكنوز (٤/٤٨/أ).
(٦) سورة الملك : الآية (٥).
(٧) سورة الملك : الآية (٥).
(٨) رموز الكنوز (٤/١٣٦/ب).

أمور الدين [(١)] ، يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ومن يشاقق الرسولَ مِن بعدِ ما تبين له الهدى ويتبع غَير سبِيل المؤمِنين نولهِ ما تولى ونصلِهِ جهنم وساءت مصِيراً﴾ [(٢)] .

يقول ابن قدامة: "فتوعد على اتباع غير سبيلهم بعذاب جهنم ووعد متبعهم بالرضوان والجنة، فقال تعالى: ﴿والسابِقُونَ الأولُونَ مِن المهاجِرين والأنصارِ والذِين اتبعوهم بِإحسانٍ رضِي اللّه عنهم ورضواْ عنه﴾ [(٣)] . فوعد المتبعين لهم بإحسان بما وعدهم به من رضوانه وجنته والفوز العظيم" [(٤)] .

ودليل الإجماع من السنة حديث النبي ﷺ: « من فارق الجماعة شبراً فمات فميتة جاهلية » [(٥)] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "الأصل الثالث بعد الكتاب والسنة الذي يجب تقديم العمل به هو الإجماع؛ فإن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة" [(٦)] .

ولهذا فقد جعل الرسعني رحمه الله الإجماع مصدراً له من مصادر التلقي، وأوصى به، وسار عليه في تقريره لمسائل الاعتقاد.

---

(١) انظر: شرح مختصر الروضة، لسليمان بن عبدالقوي الطوخي (٥/٣)، تحقيق د. عبدالله التركي، الطبعة الثانية عام ١٤١٩هـ، توزيع وزارة الشؤون الإسلامية – المملكة العربية السعودية، ومذكرة في أصول الفقه، لمحمد الأمين الشنقيطي ص١٧٩، الطبعة الثالثة عام ١٤١٦هـ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

(٢) سورة النساء : آية (١١٥).

(٣) سورة التوبة : آية (١٠٠).

(٤) ذم التأويل، لابن قدامة ص٢٨، تحقيق/ بدر البدر، الدار السلفية بالكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

(٥) رواه البخاري: كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام مالم تكن معصية (٢٦١٢/٦)، برقم (٦٧٢٤)، ورواه مسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كل حال، وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة (١٤٧٧/٣)، برقم (١٨٤٩).

(٦) مجموع الفتاوى (٣٦٠/٢٢).

فهو يقول عند قوله تعالى: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [(١)]، وقد يحتج بهذا على وجوب التمسك بالإجماع" [(٢)].

قال العلامة عبدالرحمن السعدي[(٣)] في تفسيره: "وقد استدل بهذه الآية الكريمة على أن إجماع هذه الأمة حجة، وأنها معصومة من الخطأ، ووجه ذلك: أن الله توعد من خالف سبيل المؤمنين بالخذلان والنار و﴿سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ مفرد ومضاف، يشمل سائر ما المؤمنون عليه من العقائد والأعمال، فإذا اتفقوا على إيجاب شيء، أو استحبابه، أو تحريمه، أو كراهته، أو إباحته، فهذا سبيلهم، فمن خالفهم في شيء من ذلك بعد انعقاد إجماعهم عليه، فقد اتبع غير سبيلهم، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [(٤)] " [(٥)].

ويعتبر الإجماع لدى الإمام الرسعني المصدر الثالث بعد الكتاب والسنة في تلقي العقيدة فيقول في إثباته لاستواء الله على عرشه: "وضل قوم فقالوا العرش بمعنى الملك وهو قول يسشهد ببطلانه الكتاب والسنة والإجماع" [(٦)].

ويقول في حديثه عن القدرية: "وقد ذكرت في أثناء كتابي هذا أنواعاً من الأدلة الدالة على بطلان مذهبهم، ولولا خشية الإطالة لذكرت في إقامة حجج الله عليهم من الكتاب والسنة وإجماع الأمة ما يملأ أوراقاً كثيرة لكن في هذا القدر كفاية لمن أراد الله

---

(١) سورة النساء : آية (١١٥).

(٢) رموز الكنوز (٥٨٩/١).

(٣) هو عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي التميمي، مفسر فقيه من علماء نجد، ولد عام ١٣٠٧هـ، كان متواضعاً ذا خلق دمث، مؤلفاته تربو على ثلاثين مؤلفاً، توفي في عنيزة عام ١٣٧٦هـ.
انظر: الأعلام (٣٤٠/٣)، علماء نجد، لعبدالله بن عبدالرحمن البسام (٢١٨/٣-٢٧٢)، الطبعة الثانية عام ١٤١٩هـ، دار العاصمة – الرياض.

(٤) سورة آل عمران: آية (١١٠) .

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للعلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي ص٢٠٣، مكتبة الرشد – الرياض.

(٦) رموز الكنوز (١٨/٢/أ).

هدايته" [١] .

ويقول عن قصة الإفك عند قوله تعـالى: ﴿إِنَّ الَّـذِينَ جَـاؤُوا بِالإِفْـكِ عُـصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾[٢] . أجمع علماء الإسلام على أن هذه الآية وما في حيزها، نزلت في قصة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها " [٣] .

وها هو يقول أيضاً في قصيدته النونية، في الفرق بين الضاد والظاء مما يؤكد أخذه لهذا المصدر والعمل به.

بِالـضادِ تقْـرأ إلا تِـسعةً قُرِئَـت بالظاءِ إجماع أهل العِلْمِ واللسن [٤]

هذا وسيتضح لنا المزيد من اعتماد الرسعني على هذا المصدر -إن شـاء الله- في أثناء هذا البحث.

أما العقل الصريح، فهو يلحق بالكتاب والسنة، وهو تابع لهما، ولقـد حث الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم على استخدام العقل في الفهم في مواضع كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾ [٥] .

وحث على الاستعانة به في التدبر والتفكر والنظر والاعتبار، ومنها قوله تعـالى: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [٦] .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ

---

(١) المصدر السابق (٤/٥٥/أ).
(٢) سورة النور : آية (١١).
(٣) رموز الكنوز (٣/١٥٦/أ).
(٤) درة القاري ص٥١.
(٥) سورة العنكبوت : آية (٤٣).
(٦) سورة محمد : آية (٢٤) .

السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [(١)] .

وقد ورد في الحديث: «ويل لمن قرأها ولم يتفكر ا » [(٢)] .

وقوله تعالى: ﴿قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ ﴾ [(٣)] .

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾ [(٤)] .

والآيات في الحث على التفكر والاعتبار والنظر كثيرة جداً، ولعل فيمـا ذكـر كفاية.

يقول الإمام الرسعني عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [(٥)] ، لعلامات ودلالات على قدرة الله ووحدانيته وحكمته ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُـونَ ﴾ قدم التفكر في الآية التي قبل هذه[(٦)] على العقل لأن التفكر في الرتبة الأولى، ثم ختم هذه بالعقل لأنه إذا تفكر استثمر من تفكره العقل وطمأنينة النفس، وسكو ا إلى ما دلت عليه الآيات" [(٧)] .

---

(١) سورة آل عمران : آية (١٩٠، ١٩١).

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٩/٢)، وذكـر ابـن كـثير روايات الحديث عند ابن مردويه وابن أبي حاتم، وعبد بن حميد، وابن حبان، وابن أبي الـدنيا. انظـر: تفسير ابن كثير (١٨٠/٢، ١٨١)، الدر المنثور للسيوطي (١١٠/٢، ١١١)، الناشر: محمد أمين دمج – بيروت، وقال الألباني: حديث صحيح. انظر: السلسلة الصحيحة (١٤٧/١).

(٣) سورة يونس : آية (١٠١).

(٤) سورة يوسف : آية (١١١).

(٥) سورة الرعد : آية (٤).

(٦) وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة الرعد: الآية (٣)]، ويقول الرسـعني في تفسيرها: "تفكراً يفضي م إلى معرفة الله تعالى وقدرته ووحدانيته" . [رموز الكنوز (١٦٣/٢/أ)].

(٧) رموز الكنوز (١٦٣/٢/ب).

وقد جاء عن السلف آثار كثيرة في مدح التفكر والاعتبار والحث عليه، ولهذا لما سئلت أم الدرداء [(١)] عن أفضل عمل أبي الدرداء قالت: "التفكر والاعتبار" [(٢)] .

وعن الحسن البصري: "تفكر ساعة خير من قيام ليلة" [(٣)] .

وقال أبو سليمان الداراني [(٤)] : "إنني لأخرج من منزلي فما يقع بصري على شيء إلا رأيت الله علي فيه نعمة، ولي فيه عبرة" [(٥)] .

إن من المقرر أن جميع مسائل العقيدة لا تتعارض مع العقل، إذ أن العقيدة الإسلامية ليس فيها ما تحيله العقول وتنفيه، لكن قد يأتي في الأخبار ما تعجز العقول عن معرفته، فهي تأتي بمحارات العقول، لا بمحالات العقول [(٦)] ، أي: أنها تأتي بما تحار فيه العقول لضعفها وضيق مداركها، ولا يمكن أن يكون في العقيدة الإسلامية ما يحكم العقل باستحالته.

ومن هنا يمكن القول بأن جميع مسائل العقيدة يستطيع الإنسان أن يدرك معانيها

---

(١) خيرة بنت أبي حدرد، أم الدرداء الكبرى، حفظت عن النبي ﷺ، وروى عنها التابعون، كانت من فضلى النساء وعقلائهن، وذوات الرأي فيهن مع العبادة والنسك، توفيت قبل أبي الدرداء في خلافة عثمان رضي الله عنه .

انظر ترجمتها في: الإصابة (٢٩٥/٤)، والاستيعاب في أسماء الأصحاب، لابن عبدالبر (٤٤٧/٤، ٤٤٨)، الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ، مطبعة السعادة بمصر.

(٢) رواه الإمام أحمد في الزهد ص١٩٨، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، دار الكتاب العربي.

(٣) المصدر السابق ص٣٨٥.

(٤) عبدالرحمن بن أحمد الداراني، أبو سليمان، الإمام الكبير، زاهد عصره، له أقوال كثيرة في الزهد والحكمة، توفي سنة ٢١٥هـ.

انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٨٢/١٠-١٨٦)، البداية والنهاية (٢٥٥/١٠-٢٥٩)، شذرات الذهب (١٣/٢).

(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره (١٧٦/٢).

(٦) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١٤٧/١)، (٢٩٦/٣، ٢٩٧).

والمراد بها من خلال النصوص الشرعية، فإن الله سبحانه خاطبنا بما نعقل ونفهم، وأمرنا أن نتعقل ونفهم معاني تلك النصوص كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (١) فالعقول يمكن أن تستقل بمعرفة بعض قضايا العقيدة على وجه الإجمال، أما على وجه التفصيل لا سيما فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته وأفعاله، فهذا لا يمكن أن تستقل العقول بمعرفته وإدراكه على التفصيل (٢) .

ومما يعلم ويقطع به عقلاً اتصاف الله سبحانه وتعالى بالكمال المطلق، وتنزهه عن جميع النقائص، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: "إن ثبوت الكمال له، ونفي النقائص عنه، مما يعلم بالعقل" (٣) .

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: "إنه قد ثبت بالعقل الصريح، والنقل الصحيح، ثبوت صفات الكمال للرب سبحانه، وأنه أحق بالكمال من كل ما سواه" (٤) .

ولما كان الدين مبنياً على الاتباع والتسليم جعل العقل مصدراً تابعاً للكتاب والسنة لا مستقلاً بذاته، فمسائل الاعتقاد التفصيلية ما كانت لتعلم بالعقل لو لم يجيء بها الشرع (٥) .

يقول شيخ الإسلام: "وكل واحد من وحدانية الربوبية والإلهية وإن كان معلوماً بالفطرة الضرورية البديهية وبالشريعة النبوية الإلهية؛ فهو أيضاً معلوم بالأمثال الضرورية

---

(١) سورة يوسف : آية (٢).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي (٦/١)، تحقيق: د. عبدالله التركي، وشعيب الأرناؤوط، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، مؤسسة الرسالة.

(٣) الرسالة الأكملية، ضمن مجموع الفتاوى (٧٣/٦).

(٤) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم (١٠٨٠/٣)، تحقيق: د. علي الدخيل الله، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، دار العاصمة بالرياض.

(٥) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، لعثمان علي حسن (١٧٨/١)، الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ، مكتبة الرشد – الرياض.

التي هي المقاييس العقلية" [(١)] .

هذا ولم يخرج الإمام الرسعني رَحِمَهُ اللهُ عن موقف السلف من العقل؛ الذي يحصر الاستدلال بالعقل اعتضاداً لا اعتماداً، ولا يقحمه في الاستدلال لكل مسألة خاصة فيما لا سبيل إلى معرفته إلا بالخبر الصادق، فهو يسلم للنصوص الشرعية ولا يقـدم عليهـا العقل بأي حال، وأن العقل لا يعارض النقل، وإذا عارضه يقدم النقل.

يقول الرسعني: "لا منافاة في ذلك بين النقل والعقل؛ لأن العقل لا يحيـل ذلـك لذاته، ولا يلزم منه محال على تقدير إثباته" [(٢)] .

ويقول رَحِمَهُ اللهُ في صفة الاستواء: "أما قول من قالوا أنه بمعنى استقر، فنقول لهم: ما معنى الاستقرار هاهنا، فإن فسروه بالمعنى المتبادر إلى الأفهام، فلا يخفى ما في ذلك من المحذور، حيث أثبتوا لله صفة لم ينطق ا كتاب ولا سـنة، ولم يـساعد عليهـا دليـل العقل"[(٣)].

ويقول عند قوله تعالى: والذين اتبعوهم بإحسانٍ [(٤)] : "وقد ثبت بالدلائل القطعية، والبراهين العقلية والسمعية؛ أن من تنسك بسب السابقين الأولين من المهاجرين

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٧/٢).

(٢) رموز الكنوز (٩٨/١)، وهذا القول ذكره الرسعني عند مناقشته للزمخشري عند تفسيره لقوله تعـالى: وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ [سورة آل عمـران، الآيـة (٣٦)] حيـث رد الزمخشري حديث أبي هريرة: «ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان... » الحديث، الذي اتفـق أئمـة الإسلام على تصحيحه؛ وذلك بناء على خيالات عقلية فاسدة يتوهمها، فيقول الرسعني عنه: "والـست أعجب من قوله عن حديث اتفق أئمة الإسلام على تصحيحه وتدوينه، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده، والبخاري ومسلم في صحيحيهما : إن صح، لأن الرجل كان جاهلاً ذا العلم الجليل ولكن من صفاقة وجهه في رد الحديث على تقدير التصحيح، والتمحل لتعطيل اللفظ الـصريح..." [رمـوز الكنـوز (٩٧/١-٩٨)].

(٣) المصدر السابق (١٨/٢/ب).

(٤) سورة التوبة : آية (١٠٠).

وبغضهم، وتمسك بالبراءة منهم، ورفضهم[1] لم يتبعهم بإحسان" [2] .

ويقول رَحِمَهُ اللهُ: "فإن قيل هؤلاء كفار، فمن أين علموا أ م خلقوا للطاعة؟ قلت: علموا ذلك من براهين العقل وأدلة السمع الواردة على ألسنة الرسل" [3] .

ويقول عند قوله تعالى: وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَـداً [4] "وهم الـذين قالوا عزير ابن الله، والمسيح ابن الله، والملائكة بنات الله ﴿مَّا لَهُم بِهِ﴾ [5] أي بالولد، أو باتخاذه، أو بقولهم ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ ، يشير إلى إفراط جهلهم، وجهل آبائهم؛ حيث أثبتـوا ما تقطع العقول السليمة باستحالته في نفسه" [6] .

وهو رَحِمَهُ اللهُ يمنع من استخدام العقل في طلب الكيفية في الأمور الغيبية.

حيث يقول عند قوله تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [7] مسرورين بما أعطاهم الله من النعيم الذي لا تكيفه العقول فتصفه" [8] .

ويقول في موضع آخر: "نعيم الجنة لا تدي العقول إلى كُنه معرفته" [9] .

قال ﷺ: «فيها مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر »[10].

---

(١) يعني بذلك الرافضة.

(٢) رموز الكنوز (٢/٨٨/أ، ب).

(٣) المصدر السابق (٤/١٥٦/ب).

(٤) سورة الكهف: الآية (٤)

(٥) سورة الكهف: الآية (٥).

(٦) رموز الكنوز (٣/٢/ب).

(٧) سورة آل عمران: الآية (١٧٠) .

(٨) رموز الكنوز (١/٣٠٧).

(٩) المصدر السابق (١/٤٩٥).

(١٠) أخرجه – ذا اللفظ- مسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها (٤/٢١٧٥) من حديث سهل بن سعد الساعدي، وهو من حديث أبي هريرة في صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق، باب: ما جـاء في

==

"وإنما يقرب إلى العقول عند الوصف للتعريف بذكر أمثاله في أسمائه بما يعرف كون مثله نعيماً في الدنيا مع فرط التفاوت، واختلاف الذوات والحقائق بين نعيم الدارين" [(١)].

يقول الإمام الرسعني عند قوله تعالى: ﴿نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [(٢)] "والمعنى يبين الآيات ويوضحها لقوم يعلمون، فيدلهم علمهم وعقلهم على صحة الاستدلال بالصنعة على الصانع وبالمقدور على القادر" [(٣)].

ويقول عند قوله تعالى: بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم [(٤)] "يشير إلى أن المشركين لم يأخذوا في شركهم بدليل نقلي ولا برهان عقلي، وإنما هو مجرد هوى"[(٥)].

وفي ختام هذا الفصل أقول: إن كتاب الله وسنة المصطفى ﷺ وإجماع الأمة وأقوال السلف هي المصادر الأساسية لإثبات العقيدة عند أهل السنة والجماعة.

أما اللغة العربية فالاستدلال ا في هذا الباب قليل، ولذا فإن الرسعني رحمه الله لم يستدل بالعلوم العربية في هذا الباب إلا في مواطن قليلة، ويتمثل ذلك في نقله لأقوال أهل اللغة، أو استشهاده بشعر العرب في إثبات صفة من صفات الله تعالى، ومن ذلك قوله عند تفسيره لقوله تعالى: ثم استوى على العرش [(٦)].

==

صفة الجنة (١٤٣/٤)، ومسلم (٢١٧٥/٤)، بلفظ: "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت" ... الحديث.

(١) رموز الكنوز (٤٩٦/١)..

(٢) سورة الأعراف: الآية (٣٢).

(٣) رموز الكنوز (٩٩/٢/أ).

(٤) سورة الروم : الآية (٢٩).

(٥) رموز الكنوز (١٥٩/٣/ب).

(٦) سورة الأعراف: الآية (٥٤).

قال الخليل بن أحمد [١] : "العرش السرير، وكل سرير لملك يسمى عرشاً" [٢] .

قال مجاهد [٣] : "ما السموات والأرض في العـرش إلا مثـل حلقـةٍ بـأرض فلاة" [٤] .

وقال كعب : "إن السموات والأرض في العرش كالقنديل معلقاً بـين الـسماء والأرض[٥].

وقيل: إن العرش ياقوتة حمراء [٦] .

وضل قوم فقالوا: العرش بمعنى الملك [٧]، وهو قول يـشهد ببطلانـه الكتـاب والسنة والإجماع واللغة [٨] .

وقد ذكر أمية ابن أبي الصلت[٩] في شعره فقال:

---

(١) هو الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي، كان عالماً باللغة والأدب، إليه ينسب علم العروض، له كتاب العين، وكان زاهد متقشفاً، مات سنة بضع وستين ومائة.
انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٤٢٩/٧)، وفيات الأعيان (١٧٢/١).

(٢) زاد المسير (٢١٢/٣).

(٣) تقدمت ترجمته ص ١١٤.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٩٢٠/٦)، وذكره السيوطي في الدر (٣٣٥/٤)، وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٩٢٠/٦)، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢١٢/٣)، والسيوطي في الدر (٣٣٥/٤)، وعزاه لابن أبي حاتم.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٤٩٧/٥، ١٩٢٠/٦)، وأبو الشيخ في العظمة (٥٨١/٢ ح٢٦) كلاهما من حديث سعد الطائي. وانظر: زاد المسير (٢١٣/٣)، وذكره السيوطي في الدر (٣٣٤/٤)، وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة عن سعد الطائي.

(٧) انظر: الماوردي (٢٣٠/٢)، زاد المسير (٢١٣/٣).

(٨) انظر: مجموع الفتاوى (١٤٥/٥)، مختصر الصواعق على الجهمية والمعطلة، لابن القيم، اختصار: محمد الموصلي (١٤٠/٢)، مكتبة الرياض الحديثة.

(٩) هو أمية بن عبدالله أبي الصلت الثقفي، شاعر جاهلي حكيم من أهل الطائف، أدرك الإسلام ولم يسلم ، رحل إلى دمشق ثم إلى البحرين، ثم عاد إلى الطائف ومات بها سنة (٥هـ).

==

مجـدوا الله فهـو للمجـد أهـل ∴ ربنـا في الـسماء أمـسى كـبيراً
بالبناء العالي الـذي ـر النـاس ∴ وسـوى فـوق الـسماء سـريراً
شـرجعا لا ينالـه بـصر العـين ∴ تـرى حولـه الملائـك صـور [(١)]

يشير إلى معنى قوله: ﴿حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ [(٢)] .

فإن قيل: فما تقول في قول قوم إن استوى بمعنى استقر، وقول بعضهم: إنه بمعنى استولى، وأنشدوا فيما زعموا قول الشاعر:

حتى استوى بشر [(٣)] على العـراق ∴ من غـير سـيفٍ ودمٍ مهـراق [(٤)]

وقول الآخر:

همـا اسـتويا بفَـضلِهما جميعـاً ∴ على سـرير المُلـوكِ بغيـر زورِ [(٥)]

==
انظر ترجمته في: ذيب الأسماء واللغات للنووي (١٢٦/١)، إدارة الطباعة المنيرية، الأعلام (٢٣/٢).

(١) يقول شارح الطحاوية: "الصور هنا: جمع أصور: أو هو المائل العنق لنظره إلى العلو، والـشرجع: هـو العالي المنيف، والسرير: هو العرش في اللغة [شرح العقيدة الطحاوية (٣٦٧/٢)]. وهذه الأبيـات في ديوان أمية ص(٣٩٩-٤٠٠)، وفي الأبيات التي أوردها الرسـعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ شـيء مـن التـصحيف واختلاف في بعض الألفاظ، وقد صوبتها من هذا الديوان.

(٢) سورة الزمر : آية (٧٥).

(٣) بشر بن مروان بن الحكم الأموي، أحد الأجواد، ولي الكوفة والبصرة لأخيه، وكان محباً للأ ة والملك، ولا يحتجب عن الناس، وقد مات بالقرحة التي سرت في جوفه سنة ٧٥هـ.
انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٤٥/٤، ١٤٦)، البداية والنهايـة (٧/٩)، شـذرات الـذهب (٨٣/١).

(٤) البيت للبعيث، وهو خداش بن بشر، انظر البيت في: ت يه القرآن عن المطاعن، القاضـي عبـدالجبار المعتزلي ص١٧٥، الشركة الشرقية للنشر والتوزيع، دار النهضة الحديثة، بـيروت – لبنـان، وانظـر المرجع نفسه ص١٩٩، ٢٥٣، وانظر: شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبدالجبار ص٢٢٦، تحقيـق: د. عبدالكريم عثمان، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ، مكتبة وهبة -مصر، المختصر في أصول الدين له أيضاً ص٣٣٣، مطبوع ضمن رسائل العدل والتوحيد، اختيار سيف الدين الكاتب، منشورات دار مكتبـة الحياة ،بيروت – لبنان، رصف المباني ص٤٣١، الوسيط (٣٧٦/٢)، روح المعاني (١٣٥/٨).

(٥) البيت في: البحر المحيط (٣١٠/٤)، زاد المسير (٢١٣/٣)، مجموع الفتاوى (٤٠٤/١٦).

قلت: أما قول أهل اللغة: فغايته أن العرب تستعمل هذه الكلمة بـالمعنى الـذي ذكروه ثمّ، وهو مسلم، فلما قالوا: بأنه هاهنا المراد مع تجويز غيره من المعاني، ولأن قالوا بأنه معنى جائز الإرادة فيكون مراد معارض بمثله، وأما قول الذين قالوا أنه بمعنى استقر، فنقول لهم: ما معنى الاستقرار هاهنا؟ فإن فَسره بالمعنى المتبادر إلى الأفهام، فلا يخفى ما في ذلك من المحذور، حيث أثبتوا لله صفة لم ينطق بها كتاب ولا سنة، ولم يساعد عليها دليل العقل، وإن لم يفسروه بالمعنى المتبادر إلى الأفهام، فلا يخلو: إما إن يفـسروا الاسـتقرار بشيء معلوم أو لا، فإن فسروه بشيء معلوم، ورد عليهم من الكلام ما ورد علـيهم في تفسير الاستقرار بالمعنى المتبادر إلى الأفهام من كونهم أثبتوا لله صفة من غير كتـاب ولا سنة، وإن لم يفسروه بشيء فليقتصروا أولاً على تلاوة الآية، والإيمان بالاسـتواء علـى المعنى الذي أراده الله [1]، كما قلنا، وأما قول الذين قالوا إنه بمعنى استولى فغير صـحيح من جهة نقل اللغة، ومن جهة المعنى، قال ابن الأعرابي: [2] العرب لا تعـرف اسـتوى بمعنى استولى، ومن قال ذلك فقد أعظم [3] ، وقال ابن فارس [4] : البيتـان لا يعـرف

(١) لفظة (استوى) لها في اللغة أربعة معان، وعليها تدور تفاسير وعبارات السلف في تفسير معنى الاستواء لاتخرج عن هذه العبارات الأربع وهي: العلو - الارتفاع - الصعود - الاستقرار، وقد نظم ابن القيم في نونيته أقوال السلف في تفسير ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ .

انظر: مجموع الفتاوى (٥٢٠/٥) وما بعدها، الصواعق المرسلة (١٩١/١)، القصيدة النونية الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، لابن القيم الجوزية ص (٦٧-٦٨)، دار المعرفة، بيروت.

(٢) أبو عبدالله محمد بن زياد بن الأعرابي، الهاشمي مولاهم، إمام اللغة والنسابة، كان صالحاً زاهـداً ورعـاً صدوقاً، صاحب سنة واتباع، وله مصنفات في الأدب والتاريخ والقبائل، توفي سنة ٢٣١هـ.

انظر ترجمته في: الفهرست ص١٠٢، ١٠٣، تاريخ بغداد (٢٨٢/٥-٢٨٥)، تهذيب الأسماء واللغات (٢٩٥/٢)، وفيات الأعيان (٤٣٣/٣-٤٣٥)، سير أعلام النبلاء (٦٨٧/١٠، ٦٨٨).

(٣) انظر: البحر المحيط (٣١٠/٤)، زاد المسير (٢١٣/٣).

(٤) أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني المالكي اللغوي المحدث العلامة، كـان رأسـاً في الأدب، بصير بفقه مالك، مناظراً متكلماً على طريقة أهل الحق، له مـصنفات كـثيرة، تـوفي سـنة ٣٩٥هـ.

انظر ترجمته في: وفيات الأعيان (١٠٠/١، ١٠١)، سير أعلام النبلاء (١٠٣/١٧-١٠٦)، البدايـة

==

قائلهما[١]، وقال جماعة من حذاق العلماء: إنما يقال: استولى فلان على كذا؛ إذا كـان بعيداً عنه غير متمكن منه ثم تمكن منه، والله تعالى لم يزل مستولياً على الأشياء"[٢] [٣] .

==

والنهاية (٨٤/٧، ٨٥)، تحقيق: سعيد أعراب، وزارة الأوقاف بالمملكة المغربية، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي (٣٥٢/١، ٣٥٣)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العـصرية – بيروت.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٤٦/٥)، مختصر الصواعق (١٣٦/٢)، زاد المسير (٢١٣/٣).

(٢) انظر: زاد المسير (٢١٣/٣).

(٣) رموز الكنوز (١٨/٢/أ ،ب).

الفصل الثاني

منهج الرسعني في الاستدلال

الفصل الثاني

منهج الرسعني في الاستدلال

لا شك أن دراسة الاستدلال عند الرسعني، ومعرفة طريقته فيه، تعـد جانبـاً ذا أهمية كبيرة في دراسة منهجه.

فقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ملتزماً بالكتاب والسنة.

فعندما يقرر عقيدة من عقائد السلف، أو يرد على مخالف لأهل الـسنة، فإنـه يستشهد أولاً بالآيات القرآنية، ثم يثني بما ورد في السنة من أحاديث تدل على ما يريد تقريره.

ويمكن بيان هذا المنهج كما يأتي:

أولاً: منهج الرسعني في الاستدلال بالقرآن الكريم.

الإمام الرسعني، يقدم الاستدلال بالقرآن على غيره، فيورد الآيات الدالة على ما يستدل به، فهو يحق له عناية كبيرة بالاستدلال بالقرآن الكريم في مسائل الاعتقاد ملتزماً بمنهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال على العقيدة.

ويمكن بيان منهجه في الاستدلال بالقرآن الكريم على العقيدة فيما يأتي:

١-تفسير القرآن بالقرآن:

وهذه الطريقة من طرق التفسير المعتبرة عند أهل السنة والجماعة.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[1].

---

(١) سورة النساء: آية (٨٢).

وقد اتبع الرسعني هذا المنهج، وهو تفسير القرآن بالقرآن وفق ما سار عليه من قبله من المفسرين المقتفين لأثر السلف الصالح.

يقول الإمام الرسعني عند قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ۝﴾(١).

﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ رد على النصارى، وتكذيب لهم في اعتقادهم التثليث، ودخلت (من) هنا توكيداً للنفي(٢).

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أعرضوا عن المباهلة، أو عن هذا البيان الواضح ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ فيستحقون مضاعفة العذاب، مضافاً إلى العذاب المستحق بسبب الكفر، ويشهد لذلك قوله: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ﴾(٣)"(٤).

ويقول في موضع آخر عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾(٥):

"فلا تتوهموا عند إخبار الرسول ﷺ إياكم بإيمان هذا، ونفاق هذا أنه يطلع على ما في القلوب، ويعلم الغيوب، كما يعلمه الله تعالى، بل علم الرسول ﷺ ذلك بجهة الوحي، وإخبار الله له ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾(٦): أي يصطفي من يشاء من رسله، فيطلعه على ما يشاء من الغيب، كما قال -في موضع آخر- ﴿فَلَا

---

(١) سورة آل عمران: الآية (٦٢-٦٣).
(٢) ذكر هذا الزجاج في معاني القرآن (٤٢٤/١).
(٣) سورة النحل: الآية (٨٨).
(٤) رموز الكنوز (١٣٤/١، ١٣٥).
(٥) سورة آل عمران: الآية (١٧٩).
(٦) سورة آل عمران: الآية (١٧٩).

يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ [(١)] [(٢)] .

٢- تفسير القرآن بالسنة:

السنة هي الأصل الثاني في الاستدلال بعد القرآن الكريم.

ونبينا محمد ﷺ أعلم الخلق بكتاب الله. قـال تعـالى: وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ [(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "البيان التام هو ما بينه الرسول ﷺ، فإنـه أعلم الخلق بالحق، وأنصح الخلق للخلق، وأفصح الخلق في بيان الحق"[(٤)].

يقول الإمام الرسعني عند قوله تعالى: فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا [(٥)].

وهذه الآية من جملة الهوادم لمذهب المانعين من القول بزيادة الإيمان ونقصانه، ... وإلى هذا أشار النبي ﷺ بقوله في حديث الشفاعة، قال: «فيقال: انطلق فأخرج من النار من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان »... إلى أن قال: «مثقال ذرة أو خردلـة مـن إيمان»... إلى أن قال: "أدنى، أدنى، أدنى مثقال خردلة من إيمان"[(٦)(٧)].

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موطن آخر عند تفسير قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا

---

(١) سورة الجن: الآية (٢٦-٢٧).

(٢) رموز الكنوز (٣٢١/١).

(٣) سورة الحشر: آية (٧).

(٤) منهاج السنة النبوية، لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣٥١/٣، ٣٥٢)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٥) سورة آل عمران: آية (١٧٣).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب "التوحيد"، باب: كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم: (١٧٩/٩).

(٧) رموز الكنوز (٣١٢/١، ٣١٣).

اللهَّ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ [١]:

"طاعة الله: العمل بكتابه، وطاعة الرسول: امتثال أمره والعمل بسنته، وأولو الأمر: الولاة كالخلفاء والملوك، والقضاة، وفي أفراد مسلم من حديث عوف بن مالك الأشجعي [٢]، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا من ولي عليه والٍ، فرآه يأتي شيئاً من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يداً من طاعة» [٣].

وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «من أطاع الأمير فقد أطاعني، ومن أطاعني فقد أطاع الله» [٤]" [٥].

٣-تفسير القرآن بقول الصحابي:

للصحابة ﷺ منزلة جليلة، فقد شرفهم الله تعالى، وأعلى منازلهم، ورفع أقدارهم ودرجاتهم، وعدلهم من فوق سبع سموات، قال تعالى: وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ [٦].

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: "من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب محمد

---

(١) سورة النساء: الآية (٥٩).

(٢) هو عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي، الغطفاني، أبو حماد، ويقال: غير ذلك، صحابي مشهور، شهد فتح مكة، وخيبر، سكن دمشق، ومات سنة (٧٣هـ).
انظر: تهذيب الكمال (٤٤٣/٢٢)، تقريب التهذيب (٤٣٣/١).

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة (١٤٨٢/٣) حديث رقم (١٨٩٥).

(٤) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب يقاتل من وراء الإمام ويتقي به (١٠٨٠/٣) برقم (٢٧٩٧)، ورواه مسلم في في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (١٤٦٦/٣) برقم (١٨٣٥)، من حديث أبي هريرة.

(٥) رموز الكنوز (٤٩٨/١-٤٩٩).

(٦) سورة التوبة: آية (١٠٠).

ﷺ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قوماً اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم"(١).

من أجل هذا فإن فهم دلائل الكتاب والسنة إنما يؤخذ من الصحابة رضي الله عنهم ففيهم تكلم الرسول ﷺ، وعليهم نزل الكتاب، فهم أعلم الناس بمراد الله تعالى، ومراد رسوله ﷺ.

والإمام الرسعني رحمه الله أخذ بتفسير العلماء من الصحابة، وأكثر النقل عنهم.

قال الرسعني عن ابن عباس (٢) رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ (٣) قال: "هو أن تجاهدوا في الله حق جهاده، وأن لا تأخذكم في الله لومة لائم، وأن تتقوا الله بالقسط، ولو على أنفسكم، وآبائكم وأبنائكم"(٤)(٥).

"وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ (٦).

قال: "يؤمن اليهودي قبل أن يموت، ولا تخرج نفس النصراني حتى يشهد أن

(١) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبدالبر (٢/٩٤٧)، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.

(٢) هو عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي، أبو العباس، ابن عم رسول الله ﷺ، حبر هذه الأمة، مات في الطائف سنة (٦٨هـ).
انظر في ترجمته: الطبقات الكبرى (٢/٣٦٥-٣٧٣)، الإصابة (٤/١٤١-١٥١)، سير أعلام النبلاء (٣/٣٣١-٣٥٩).

(٣) سورة آل عمران، آية (١٠٢).

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري (٧/٦٧)، دار الفكر - بيروت ، وابن أبي حاتم (٢/٤٤٩)، الناسخ والمنسوخ، لأحمد بن محمد النحاس، ص١٠٧، تحقيق: د. محمد عبدالسلام محمد، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، مكتبة الفلاح – الكويت، عن علي بن طلحة عن ابن عباس.

(٥) رموز الكنوز (١/١٨٩).

(٦) سورة النساء، آية (١٥٩).

عيسى عبدالله، قيل له: فإن خر من فوق بيت؟ قال: يتكلم به في الهواء"[١]"[٢].

٤-تفسير القرآن بأقوال السلف:

السلف الصالح هم مصابيح الهداية، وحملة مشاعل الإسلام، بهم انتشر هذا الدين، وبجهادهم ارتفعت كلمة التوحيد عالية خفاقة في أرجاء المعمورة، وهم أهل السنة والجماعة، ويقصد بالسلف ما كان عليه الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم- وأعيان التابعين لهم بإحسان، وأتباعهم، وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة، وعرف عظم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم بالقبول[٣].

وقد بين الرسول ﷺ أن خير القرون قرنه، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، فقال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته، ...» الحديث[٤].

قال ابن عبدالهادي رحمه الله[٥]: "ولا يجوز إحداث تأويلٍ في آيةٍ أو سنةٍ، لم يكن على عهد السلف، ولا عرفوه ولا بينوه للأمة، فإن هذا يتضمن أنهم جهلوا الحق في هذا،

---

(١) تفسير ابن جرير (٣٨٣/٩-٣٨٤)، وانظر: الدر المنثور (٧٣٣/٢).

(٢) رموز الكنوز (٦٢٦/١).

(٣) انظر: لوامع الأنوار البهية، للسفاريني (٢٠/١)، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ، الناشر: مؤسسة الخافقين، دمشق.

(٤) أخرجه البخاري في: باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ومن صحب النبي أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه، من كتاب فضائل الصحابة (٦/٣)، ومسلم في: باب فضل الصحابة، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، من كتاب فضائل الصحابة (١٩٦٢/٤-١٩٦٣).

(٥) هو محمد بن أحمد بن عبدالهادي بن قدامة المقدسي الحنبلي، أبو عبدالله، الإمام المحدث الفقيه المفسر، تتلمذ على يد شيخ الإسلام ابن تيمية، وصنف ما يزيد على سبعين كتاباً كلها نافعة منها: "الصارك المنكي في الرد على ابن السبكي"، و"المحرر" وغيرهما، توفي سنة ٧٤٤هـ.

انظر ترجمته في: ذيل طبقات الحنابلة (٤٣٦/٢-٤٣٩)، شذرات الذهب (١٤١/٦)، الأعلام (٣٢٦/٥).

وضلوا عنه، واهتدى إليه هذا المستأخر"[١].

قال الإمام الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "... عن الإمام أحمد في قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾[٢] الآية. قال: "لا يستعين الإمام بأهل الذمة على قتال أهل الحرب"[٣].

وقد روي أن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كتب إلى أبي موسى -وقد بلغه أنه استكتب ذمياً-: لا تردوهم إلى العز بعد إذ أذلهم الله"[٤][٥].

واستشهد الإمام الرسعني بقول مالك بن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند حديثه عن صفة استواء الله على عرشه[٦]: "وقيل للإمام مالك بن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: وكيف استوى؟ فقال: "الكيف مجهول، والاستواء معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"[٧][٨].

---

(١) الصارم المنكي في الرد على ابن السبكي، لمحمد بن أحمد بن عبدالهادي الحنبلي ص٣٢١، تحقيق: عقيل بن محمد اليماني، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، الناشر: مؤسسة الريان – بيروت – لبنان..

(٢) سورة آل عمران: آية (١١٨).

(٣) انظر: زاد المسير، لابن الجوزي (٤٤٧/١).

(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٢٧/١٠) ، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، مكتبة دار الباز، كتاب "آداب القاضي".

(٥) رموز الكنوز (٢٠٩/١-٢١٠).

(٦) وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [سورة الأعراف: الآية (٥٤)].

(٧) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣٩٧/٣)، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، عام ١٤٠٢هـ، دار طيبة للنشر والتوزيع - الرياض، والصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث، ص ١٨٣، تحقيق: د. ناصر بن عبدالرحمن الجديع، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، دار العاصمة - الرياض.

(٨) رموز الكنوز (١٨/٢/أ).

ثانياً: منهج الرسعني في الاستدلال بالسنة النبوية:

لقد برع الإمام الرسعني رحمه الله في الحديث سماعاً ورواية، حتى أودع الكثير من مروياته بأسانيده في تفسيره "رموز الكنوز".

قال عنه ابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة: "كان متمسكاً بالسنة والآثار، ... وصنف تفسيراً حسناً في أربع مجلدات ضخمة سماه "رموز الكنوز" وفيه فوائد حسنة، ويروي فيه الأحاديث بإسناده"[(١)].

ثم إنه قد صنف كتاباً في الحديث أسماه: "أسنى المواهب في أحاديث المذاهب".

وقد أجمعت المصادر التي ترجمت له بأنه إمام محدث.

وهو كثير الاستدلال بالأحاديث من السنة النبوية مع إجادته صناعة النقد في الحديث، وبيان ضعيفه من صحيحه، ومن رواه من العلماء.

ويمكن بيان منهجه في الاستدلال بالسنة النبوية على العقيدة فيما يأتي:

١-تفسير السنة بالقرآن:

أوضحت فيما تقدم بأن السنة النبوية مفسرة للقرآن الكريم، فكذلك القرآن مفسر أحياناً للسنة.

فقد استشهد الرسعني بما أخرجه الترمذي من حديث جابر بن عبدالله[(٢)] قال: لقد لقيني رسول الله ﷺ فقال لي: «يا جابر؛ مالي أراك منكسراً؟ قلت: يا رسول الله؛

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة (٤/٨١).

(٢) هو جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الأنصاري، صحابي من المكثرين في الرواية عن النبي ﷺ. له ولأبيه صحبة، غزا تسع عشرة غزوة، وكانت له في أواخر أيامه حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم، توفي بالمدينة سنة ٧٨هـ.

انظر في ترجمته: الإصابة (١/٢١٣)، تهذيب الأسماء (١/١٤٢)، تقريب التهذيب ص١٩٢.

استشهد أبي، وترك عيالاً وديناً، قال: ألا أبشرك بما لقى الله به أباك»؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب وأحيا أباك فكلمه كِفاحاً[1]، وقال: يا عبدالله تمن علي، أعطك، قال: يارب تحييني فأقتل فيك ثانية، قال الرب تبارك وتعالى: إنه قد سبق مني أ م لا يرجعون »[2].

ثم أعقب الرسعني هذا الحديث بقوله تعالى: وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ [3][4].

وقال الرسعني في موضع آخر: "وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «من أطاع الأمير فقد أطاعني، ومن أطاعني فقد أطاع الله »[5].

ثم استشهد بعد ذلك بقوله تعالى: وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ "[6][7].

٢-تفسير السُنَّة بالسُنَّة:

فهذا المنهج في التفسير والبيان، يوضح به ما أ م، أو سكت عنه.

يقول الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "نفى الله سبحانه وتعالى أن يكون ثوابه وجنته بالأماني

---

(١) قول: كِفاحاً، أي: مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (١٨٥/٤).

(٢) سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى الترمذي (٢٣٠/٥)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي – بيروت، كتاب التفسير، سورة آل عمران ، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وأخرجه ابن ماجه، كتاب "الجهاد" باب: فضل الشهادة في سبيل الله (٩٣٦/٢).

(٣) سورة آل عمران: آية (١٦٩).

(٤) رموز الكنوز (٣٠٣/١).

(٥) صحيح البخاري، كتاب الأحكام (٧٧/٩)، ومسلم، كتاب الإمارة (١٤٦٦/٣-١٤٦٧) من حديث أبي هريرة.

(٦) سورة النساء: آية (٨٣).

(٧) رموز الكنوز (٤٩٩/١).

الكاذبة والدعاوي الباطلة كما زعمته اليهود في قولهم: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ (١)، وقولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ (٢)، ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ (٣)، فلما أوضح لعباده خيبة الأماني الكاذبة أعلمهم أن الجزاء معقود بالأعمال لا بالأماني والآمال، فقال عز وجل: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ (٤)، قال ابن عباس: "هو الشرك" (٥)، والأظهر عمومه في جميع السيئات، يدل عليه ما أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ بلغت من المسلمين مبلغاً شديداً، فقال رسول الله ﷺ: «قاربوا وسددوا، ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة، حتى النكبة ينكبها، والشوكة يشاكها» (٦)، وفي الحديث أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال لما نزلت: يا رسول الله؛ كيف الصلاح بعد هذه الآية: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ فقال: «غفر الله لك يا أبا بكر ألست تمرض؟ ألست تحزن؟ ألست تصيبك اللأواء؟ فذلك مما تجزون به» (٧) (٨).

---

(١) سورة البقرة: الآية (١١١).

(٢) سورة المائدة: الآية (١٨).

(٣) سورة البقرة: الآية (٨٠).

(٤) سورة النساء: الآية (١٢٣).

(٥) تفسير ابن جرير (٢٣٩/٩).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة (١٩٩٣/٤).

(٧) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٨١/١-١٨٢)، رقم (٦٨)، والحاكم في المستدرك (٧٤/٣)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أ.هـ. ووافقه الذهبي، والبيهقي في السنن (٣٧٣/٣)، وابن جرير في تفسيره (٢٤١/٩-٢٤٢)، وتعقب أحمد شاكر تصحيح الحاكم وموافقة الذهبي بأن سند الحديث منقطع.

(٨) رموز الكنوز (٥٩٨/١-٥٩٩).

٣- تفسير السنة بقول الصحابي:

الصحابة أفقه الأمة، وأصحهم قصوداً، وأكملهم فطرةً، وأتمهم إدراكاً، وأصفاهم ذهناً، شاهدوا التنزيل وعرفوا التأويل، وفهموا مقاصد الرسول ﷺ، وليس من سمع وعلم ورأى حال المتكلم؛ كمن كان غائباً لم ير ولم يسمع، أو سمع وعلم بواسطة، أو وسائط كثيرة.

وعليه فالرجوع إلى ما كان عليه الصحابة من الدين والعلم متعين -قطعاً- على من جاء بعدهم ممن لم يشركهم في تلك الفضيلة؛ فضيلة الصحبة[1].

قال الإمام الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وفي الحديث: «إذا غلبك أمر فقل: حسبي الله ونعم الوكيل»"[2].

ثم أعقب هذا الحديث بإيراد قول ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: "كان آخر قول إبراهيم حين ألقي في النار: حسبي الله ونعم الوكيل"[3][4].

---

(١) انظر: إعلام الموقعين، لابن القيم (١/٧٩-٨٠)، (٤/١٤٧-١٥٠)، تحقيق: محمد عبدالحميد، الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ، مطبعة السعادة بالقاهرة.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٦/٢٥-٢٦)، وأبو داود في السنن، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر، كتاب "الأقضية"، باب: الرجل يحلف على حقه (٣/٣١٣)، والنسائي في عمل اليوم والليلة، ص٤٠٣ رقم (٦٢٦)، تحقيق: د. فاروق حمادة، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ، مؤسسة الرسالة – بيروت، وابن السني في عمل اليوم والليلة، ص٩٤، رقم (٣٤٩)، تحقيق: بشير محمد عيون، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، دار البيان – دمشق، عن عوف بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

كلهم عن بقية بن الوليد عن بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن سيف الشامي، عن عوف بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وبقية مدلس، ولم يصرح بالتحديث، وسيف وثقه العجلي، فالحديث ضعيف. [انظر: صحيح وضعيف الجامع الصغير وزياداته للألباني ص٣٦٩، الناشر: المكتب الإسلامي].

(٣) صحيح البخاري، كتاب "التفسير، سورة آل عمران (٦/٤٩).

(٤) رموز الكنوز (١/٣١٤-٣١٥).

وفي موطن آخر استشهد بحديث أبي هريرة رضي الله عنه عند كلامه عن محبة الله وبغضه فيقول رحمه الله: "الحديث الصحيح الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قـال: «إذا أحب الله العبد قال لجبريل: قد أحببت فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله قد أحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضـع لـه القبـول في الأرض، وإذا أبغض الله عبداً دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلاناً فأبغضه، قال: فيبغـضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه، قال: فيبغضونه، ثم يوضع له البغضاء في الأرض» (١) ، عن ابن عباس: أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالـب رضي الله عنه ، جعل الله له وداً في قلوب المؤمنين (٢) ، وصدق ابن عباس رضي الله عنه ، فـإن لعلـي رضي الله عنه في قلوب المؤمنين الذين اتبعوا الهدى وجانبوا الهوى وداً راسخ الأوتاد، شـامخ الأطواد، لا يخامره ما خامر قلوب الرافضة من الغل لأصحاب رسول الله ﷺ ورضـي عنهم، ولا يشينه ما شا م من الإفراط في حالي مدحهم وقدحهم (٣) .

٤-العناية في الحكم على الأحاديث:

اعتنى الإمام الرسعني بالأحاديث الصحيحة في الاستدلال على العقيدة مع إجادته صناعة النقد في الحديث وبيان صحيحه من ضعيفه؛ فهو كما تقدم إمام حـافظ محـدث في بعض المواطن يسلك مسلك المحدثين في سوق الأسانيد إلى كل متن، مقتدياً في ذلـك بعلماء السلف الذين سبقوه في هذا الميدان، مع بيان البلد والسنة التي سمع فيها والاعتناء بذلك، فضلاً عن إيضاح معاني بعض الكلمات الغامضة في بعض الأحاديث والتعريـف بالرواة في بعض الأحيان.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٧٥/٣) حديث رقم (٧٠٣٧)، ومسلم (٢٠٣٠/٤) حديث رقم (٢٦٣٧).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٣٤٨/٥ ح٥٥١٦)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة ، وذكره السيوطي في الدر (٥٤٤/٥) وعزاه للطبراني وابن مردويه.

(٣) رموز الكنوز (٥٦/٣/ب).

كما يقوم بالحكم على الأحاديث وطرقها وبيان من خرجها.

وإليك نماذج من ألفاظه وتعبيراته الحديثية:

- هذا حديث صحيح أخرجه البخاري [١] .

- هذا حديث صحيح انفرد بإخراجه مسلم [٢] .

- هذا حديث اتفق أئمة الإسلام على إخراجه في كتبهم، فأخرجه الإمام أحمد في مسنده، والبخاري ومسلم في صحيحيهما، وأبو داود في سننه، والترمذي في جامعه [٣] .

- هذا حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد [٤] .

- وليس لأم كلثوم[٥] في الصحيح غيره [٦] .

- أخرجه البخاري في صحيحه تعليقاً [٧] .

- ويقع هنا عالياً عن طريق المسند، وأخبرنا به عالياً [٨] .

- وقع لي من طرق كثيرة أعلاها سنداً وأحسنها سياقه ومتناً ما حدثنا به شيخنا الإمام موفق الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي رضي الله عنه في ذي القعدة سنة خمس وستمائة بجامع دمشق [٩] .

---

(١) انظر مثلاً: المصدر السابق (٥٨/٢/أ).

(٢) انظر مثلاً: المصدر السابق (٢٣١/١).

(٣) انظر مثلاً: المصدر السابق (٣٨٣/١).

(٤) انظر مثلاً: المصدر السابق (٥٦١/١).

(٥) أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط الأموية، أسلمت قديماً وهي أخت عثمان لأمه، صحابية ماتت في خلافة علي.

انظر: الاستيعاب (٥٠٨/٤)، تقريب التهذيب ص١٣٨٤، تاريخ الإسلام (١٣٦/١).

(٦) رموز الكنوز (٥٨٧/١).

(٧) انظر مثلاً: المصدر السابق (٧١/٢/أ).

(٨) انظر مثلاً: المصدر السابق (٦/٢/ب).

(٩) رموز الكنوز (٩٤/٢/أ).

- فإن صح الحديث فهذا التفسير لا غير [١] .
- ضعيف عند أهل النقل [٢] .
- الحديث الذي احتجوا به لا يثبت فلا يقاوم أحاديثنا الصحيحة الصريحة [٣] .
- قلت وهذا الحديث لا يصح [٤] .

وقد أخرجه الحاكم في صحيحه ذا الإسناد [٥] .

- وقد ذكرته معنعناً ، غير أن حديث عائشة أصح وأثبت [٦] .
- هذا حديث صحيح أخرجه البخاري هكذا وهو حديث طويل، أخرجه مسلم بطوله [٧] .
- لا يثبت حديثه عند أهل العلم بالحديث [٨] .
- أخبرنا به الثقة العدل [٩] .
- هكذا رواه الأكثرون، وجوده الدارقطني [١٠] .

---

(١) انظر مثلاً: المصدر السابق (٢/١٧٤/أ).
(٢) انظر مثلاً: المصدر السابق (٢/١٧٤//أ).
(٣) انظر مثلاً: المصدر السابق (٢/١٩٧/أ).
(٤) انظر مثلاً: المصدر السابق (٢/٢١٠/ب).
(٥) انظر مثلاً: المصدر السابق (٣/١٤٧/أ).
(٦) انظر مثلاً: المصدر السابق (٤/١١١/أ).
(٧) انظر مثلاً: المصدر السابق (٤/١٤٦/أ).
(٨) انظر مثلاً: المصدر السابق (٤/١٤٦/أ).
(٩) انظر مثلاً: المصدر السابق (٢/١٥/أ).
(١٠) انظر مثلاً: المصدر السابق (١/٢٩٢).

الفصل الثالث

منهج الرسعني في العرض والمناقشة

الفصل الثالث

منهج الرسعني في العرض والمناقشة

تميز منهج الإمام الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في العرض والمناقشة بما يلي:

أولاً: اعتماده على نصوص الكتاب والسنة:

هذا المنهج قد سلكه الرسعني في تقريره وعرضه لمسائل الاعتقاد، فهو يقول بما تقول به النصوص من الكتاب والسنة، ويدور معهما حيثما دارت إثباتاً ونفياً، ويسكت عما سكتت عنه؛ حيث كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثير التأمل في الآيات والأحاديث، وغالباً لا يعرض أي مسألة إلا بعد سوق دليلها من الكتاب والسنة النبوية.

فهو عند ذكره لمسألة من مسائل الاعتقاد يسرد الأدلة عليها من القرآن الكريم، ثم من السنة النبوية، بادئاً بالمتفق عليه عند الشيخين أو بما أخرجه أحدهما، وبعدها يذكر أقوال سلف الأمة.

فمثلاً عند استدلاله بالسنة تحت موضوع معين، فإما أن يروي تلك الأحاديث والآثار بإسناده عن شيوخه ثم يذكر من خرجها من الأئمة مع حكمه على الحديث في بعض الأحيان، أو أن يذكر الحديث بدون إسناد مع ذكر من رواه وأخرجه، وهو في الغالب يورد تلك الأدلة دون تفسيراً لها على أن ظاهرها معلوم ومسلم به، وهذا مسلك من مسالك السلف -رحمهم الله- في التأليف عامة، وعند المحدثين خاصة، ولا غرو في ذلك فالحافظ الرسعني إمام في الحديث.

ومن ذلك عند حديثه عن طاعة ولي الأمر والتحذير من الخروج عليه نراه يعتمد على المنهج الذي اختطه في اعتماده على نصوص الكتاب والسنة فيستشهد بقوله تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ

﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[١].

ثم يعضد ذلك بنصوص من السنة النبوية فيقول: "وفي إفراد مسلم من حديث عوف بن مالك الأشجعي[٢]، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا من ولي عليه والٍ، فرآه يأتي شيئاً من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يداً من طاعة»[٣].

وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «من أطاع الأمير فقد أطاعني، ومن أطاعني فقد أطاع الله»[٤][٥].

ثانياً: إعراضه عن المصطلحات الكلامية والفلسفية:

إن الذي يعيش مع نصوص الوحيين حفظاً وتدبراً وعملاً ليجد فيهما سلوة وغنية عما سواهما، وليشعر بمرض في قلبه وقسوة عند الغفلة عنهما والانشغال بغيرهما من الكلام الجدلي البدعي الذي ضرره أكبر من نفعه.

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل» ثم قرأ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[٦]"[٧].

---

(١) سورة النساء: الآية (٥٩).

(٢) تقدمت ترجمته ص ١٣٧

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة (١٤٨٢/٣).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأحكام (٧٧/٩)، وصحيح مسلم، كتاب الإمارة (١٤٦٦/٣-١٤٦٧) من حديث أبي هريرة.

(٥) رموز الكنوز (٤٩٨/١-٤٩٩).

(٦) سورة الزخرف: آية (٥٨).

(٧) أخرجه أحمد في المسند (٢٥٢/٥)، والترمذي (٣٧٨/٥)، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الزخرف، حديث (٣٢٥٣) وقال عنه: "حسن صحيح"، وابن ماجه (١٩/١) في المقدمة، باب: اجتناب البدع والجدل، حديث (٤٨)، قال الحاكم: "حديث صحيح الإسناد"، المستدرك (٤٨٦/٢).

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي[١] واصفاً حالة صاحب الكلام: "فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب، والإقرار والإنكار، موسوساً تائهاً، شاكاً زائغاً، لا مؤمناً مصدقاً، ولا جاحداً مكذباً"[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "الأصل في ذم السلف للكلام هو اشتماله على القضايا الكاذبة، والمقدمات الفاسدة المتضمنة للافتراء على الله تعالى وكتابه ورسوله ﷺ ودينه"[٣].

فالإمام الرسعني رَحِمَهُ اللَّهُ عند عرضه لمسائل العقيدة يحرص على استعمال التعبيرات السلفية مع عدوله عن تلك المصطلحات التي تثير الشبهة في الكلام، حيث إنه يرد الألفاظ إلى ما ورد به النص من التسميات الشرعية، وما يؤكد ذلك حثه على لزوم النصوص من الكتاب والسنة، وعدم الحيدة عنهما، وقد سبق ذكر شيء من كلامه في ذلك، وأيضاً ذمه وتنفيره من كلام أهل الأهواء والآراء.

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: "فسبحان من حفظ هذا الدين بحملة عدول، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، اللهم فاحفظنا من ضلالات الأهواء، وعافنا من خيالات الآراء"[٤].

وقال في موطن آخر: "فمن أجهلُ جهلاً، وأسخف عقلاً، وأضل سبيلاً ممن يقابل القرآن بالتعطيل، والأحاديث النبوية بالتبطيل، وهو يدعي الاستسلام لدين الإسلام،

---

(١) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي الحنفي، الإمام العلامة الحافظ، محدث الديار المصرية وفقيهها، برز في علوم كثيرة، وله تصانيف نافعة منها: "أحكام القرآن" و"معاني الآثار" وغيرهما، توفي سنة ٣٢١هـ.

انظر ترجمته في: وفيات الأعيان (٧١/١-٧٢)، سير أعلام النبلاء (٢٧/١٥-٣٣)، لسان الميزان، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٢٧٤/١-٢٨٢)، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٢٤٢/١).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (١٧٧/٧).

(٤) رموز الكنوز (٩٨/١).

ولكن هذه جناية الكلام عليهم، وشؤم البدعة لديهم"[١].

وهذا المنهج الذي سلكه الإمام الرسعني في عرض مسائل الاعتقاد هو الغالب على منهج السلف السابقين له أمثال ابن بطة[٢]، وابن منده[٣]، واللالكائي[٤] رحمهم الله جميعاً.

ثالثاً : البيان مع الإيجاز:

عندما يعرض الرسعني مسألة من مسائل الاعتقاد فإنه يبين القول الحق فيها ويوجزه معقباً عليه ببعض الأدلة، أو أن يذكر الأدلة من السنة النبوية دون تعرض لها بشرح أو بسط، وهذه طريقة المحدثين وما كان عليه السلف الأول.

فمن أمثلة ذلك قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إثبات صفة الكلام لله تعالى عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[٥] ... قال: ""تكليماً" لم يكن إلا كلاماً

---

(١) رموز الكنوز (٥٩٤/١).

(٢) أبو عبدالله عبيد الله بن بطة بن حمدان العكبري الحنبلي، الإمام القدوة العابد الفقيه المحدث شيخ العراق، كان أماراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، وله مصنفات جليلة منها الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، توفي سنة ٣٨٧هـ.

انظر ترجمته في: طبقات الحنابلة (١٤٤/٢-١٥٣)، سير أعلام النبلاء (٥٢٩/١٦-٥٣٣)، البداية والنهاية (٣٢١/١١، ٣٢٢)، شذرات الذهب (١٢٢/٣-١٢٤).

(٣) محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده، كان رحالاً في طلب الحديث، حافظاً مكثراً ثقة، له تصانيف كثيرة منها كتاب التوحيد، وكتاب الإيمان، توفي سنة ٣٩٥هـ.

انظر ترجمته في: طبقات الحنابلة (١٦٧/٢)، البداية والنهاية (٣٣٦/١١)، شذرات الذهب (١٤٦/٣).

(٤) أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي، الشافعي اللالكائي، الإمام المجود الحافظ المفتي، مفيد بغداد في وقته، صاحب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، توفي سنة ٤١٨هـ.

انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ (١٠٨٣/٣-١٠٨٥)، سير أعلام النبلاء (٤١٩/١٧، ٤٢٠)، البداية والنهاية (٢٤/١٢)، شذرات الذهب (٢١١/٣).

(٥) سورة النساء: آية (١٦٤).

مسموعاً من الله عز وجل"[١].

وفي موضع آخر يبين من هم أولو الأمر الذي يجب طاعتهم وعدم الخروج عليهم وذلك عند قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٢].

قال "أولوا الأمر": "الولاة، كالخلفاء والملوك، والقضاة"[٣]، ثم ذكر عدداً من الأدلة من السنة النبوية في وجوب طاعة ولي الأمر"[٤].

رابعاً: ابتعاده عن التكلف في مسائل الاعتقاد:

تميز عرض الإمام الرسعني رحمه الله لمسائل الاعتقاد بالوضوح، والشمولية لمفردات منهج السلف، مع ابتعاده عن التكلف فيما يتناوله من مسائل، فهو لا يستخدم الألفاظ الجدلية البدعية، ولا الإلزامات العقلية، مبيناً أن أمور العقيدة لا تؤخذ إلا من نصوص الكتاب والسنة، أو إجماع السلف الصالح، وعلى إثر ذلك تميز عرضه للعقيدة بسهولة العبارة ووضوحها، وهذا يعود لاقتفائه منهج أهل السنة والجماعة في ذلك، مع عدم خوضه في دقائق مسائل الخلاف مع الخصم، وإنما يشير إلى ذلك أو يقتضب فيه.

فيقول رحمه الله عند حديثه عن نعيم أهل الجنة: "ذكر الله مآل أهل الإيمان، وما أعد لهم في الجنان فقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾[٥]، وقوله ﴿ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ أي: دائماً، لا تنسخه الشمس، ومعتدلاً، لا حر فيه ولا قر. وقال الزجاج[٦]: الظليل: الذي يظلهم من الحر والريح، وليس كل ظل كذلك فأعلم الله أن

---

(١) رموز الكنوز (٦٣٢/١).

(٢) سورة النساء: الآية (٥٩).

(٣) في معنى أولي الأمر أقوال تجمع على أنهم الأمراء والعلماء، ولهذا نص الإمام أحمد وغيره على دخول الصنفين في هذه الآية؛ إذ كل منهما تجب طاعته فيما يقوم به من طاعة الله، والقضاة يدخلون ضمن صنف العلماء لكونهم من أهل العلم والفقه. انظر: مجموع الفتاوى (١٥٨/١٨).

(٤) رموز الكنوز (٤٩٨/١-٤٩٩).

(٥) سورة النساء: الآية (٥٧).

(٦) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد السري الزجاج البغدادي، الإمام، نحوي زمانه، له تآليف جمة، وكان من ندماء المعتضد، ومن أهل الفضل والدين المتين، توفي سنة (٣١١هـ). انظر ترجمته في: الفهرست ص٩٠-٩١، تهذيب الأسماء واللغات (١٧٠/٢-١٧١)، وفيات الأعيان (٣١/١-٣٣)، سير أعلام النبلاء (٣٦٠/١٤)،

==

ظل الجنة ظليل لا حر معه ولا برد [١] .

فإن قيل: كيف سماه ظلاً، وليس في الجنة شمس؟

قلت: نعيم الجنة لا تهتدي العقول إلى كُنه معرفته.

قال ﷺ: «فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر » [٢].

وإنما يقرب إلى العقول عند الوصف للتعريف بذكر أمثاله في أسمائه مما يعرف كون مثله نعيماً في الدنيا مع فرط التفاوت، واختلاف الذوات والحقائق بين نعيم الدارين" [٣] .

خامساً: اهتمامه باستنباط المعاني الدقيقة والحكم الخفية:

اهتم الإمام الرسعني رحمه الله باستنباط المعاني الدقيقة والحكم الخفية التي حوتها الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية اهتماماً بالغاً، وذلك عند عرضه لمسائل العقيدة، وما ذلك إلا لقدرته على استنباط الأحكام والمعاني من النصوص الشرعية؛ حيث لم يكن جامعاً للنصوص من الكتاب والسنة فقط، بل كان له استنباطه، واجتهاده، ورأيه، والتي لا تخرج عن منهج السلف الصالح.

يقول عند قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [٤].

"والمعنى: ما ينبغي ولا يصلح لبشر خصه الله بإنزال الكتاب عليه، وأنعم عليه بالحكمة والنبوة أن يدعو الخلق إلى غير الحق"[٥].

==

تاريخ العلماء النحويين، للتنوخي، ص(٣٨-٤٠)، تحقيق: د. عبدالفتاح الحلو، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠١هـ.

(١) معاني القرآن (٦٩/٢).

(٢) أخرجه - بهذا اللفظ - مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها (٢١٧٥/٤) من حديث سهل بن سعد الساعدي، وصحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة (١٤٣/٤).

(٣) رموز الكنوز (٤٩٥/١-٤٩٦).

(٤) سورة آل عمران: الآية (٧٩).

(٥) رموز الكنوز (١٥٨/١-١٥٩).

ويقول بعد تفسيره لسورة :تبت": "وقال أهل العلم: وفي هذه السورة دلالة واضحة على صحة نبوة سيدنا محمد ﷺ؛ لأن الله أخبر عن مصير أبي لهب وامرأته إلى النار، وكانا من أحرص الناس على إبطال أمره، وإفساد ما جاء به، ولم يؤمنا به ... وعندي: أن فيه دلالة على صحة نبوته من وجهين آخرين: أحدهما: أنه لو لم يكن هذا من عند الله تعالى لم يقدم سيدنا محمد ﷺ على التسجيل عليهما به؛ لجواز وقوع الإسلام منهما في ثاني الحال، فيفضي إلى تطرق الطعن عليه من أعدائه.

الثاني: أنه أخبر بذلك، واستمر موجبه، وهو كفرهما إلى الموت المفضي بهما إليه"(١).

وفي موطن آخر يبين رحمه الله الحكمة من تكرار قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ في سورة الرحمن فيقول: "فإن قيل: ما الحكمة في تكرار ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ في هذه السورة قلت: قرع الأسماع بعظيم نعم الله وقدرته، تنبيهاً للخلق وطرداً لغفلتهم، وحثاً لهم على الشكر، وتوكيداً لإقامة الحُجة عليهم"(٢).

ويقول عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾(٣) فإن قيل: ما الحكمة في ندائه هاهنا بالمزمل دون النبي والرسول، قلت: لأن هذه الآية من أول ما خوطب به رسول الله ﷺ، فلما رسخ قدمه في النبوة والرسالة، فُخم وعظم بالخطاب المنوه بهما"(٤).

---

(١) رموز الكنوز (٤/٢٦٦/ب).

(٢) المصدر السابق (٤/٦٤/ب).

(٣) سورة المزمل: الآية (١).

(٤) رموز الكنوز (٤/١٦٥/أ).

الفصل الرابع

منهج الرسعني في الرد على المخالفين

الفصل الرابع

منهج الرسعني في الرد على المخالفين

للسلف منهج مميز في الرد على المخالفين، وذلك جلي من خلال مؤلفاتهم وتصانيفهم، ومن ترجم لهم في كتب التاريخ والتراجم، وهو منهج واضح مقنع، يعتمد على الكتاب والسنة في بيان ضلال البدع، وزيغ معتنقيها.

ولقد اقتفى الإمام الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ أثر سلف هذه الأمة في الرد على المخالفين لمنهج أهل السنة والجماعة من المعتزلة، والخوارج، والرافضة، والقدرية، وغيرهم.

والمتتبع لمنهج الرسعني في ذلك، يجده يسير وفق الأمور التالية:

أولاً: اعتماده على نصوص الكتاب والسنة في الرد على المخالفين:

اعتمد الإمام الرسعني على كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ، في تقرير أمور العقيدة، تلقياً واستدلالاً وعرضاً، ومناقشةً، ورداً، فعندما يرد على المخالفين، يبين فساد ما خالفوا فيه بالأدلة القرآنية، ثم ما روى عن رسول الله ﷺ .

فمثلاً عند رده على القدرية عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[1].

يقول: "وهذه الآية ... من جملة الدلائل الدامغة للقدرية، والبراهين المبطلة لمذهبهم الخبيث"[2].

---

(١) سورة القمر: آية (٤٩).

(٢) رموز الكنوز (٤/٥٣/ب).

وبعد ذلك حشد عدداً من الأحاديث بأسانيدها[1] في بطلان مذهبهم، وضلالهم، ومن ثم ختم حديثه عن القدرية في ذلك الموطن بقوله: "وقد ذكرت في أثناء كتابي هذا أنواعاً من الأدلة الدالة على بطلان مذهبهم، ولولا خشية الإطالة لذكرت في إقامة حجج الله عليهم من الكتاب والسنة، وإجماع الأمة ما يملأ أوراقاً كثيرة لكن في هذا القدر كفاية لمن أراد الله هدايته"[2].

وفي موضع آخر يرد على المعتزلة[3] الذين ينفون رؤية الله في الآخرة فيقول رَحِمَهُ اللَّهُ: "وقد ذكرنا في أثناء كتابنا هذا من دلائل الكتاب والسنة، وآثار أخبار الأئمة على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة، ما لا يسع المسلم تركه؛ فنسأل الله أن يعيذنا من الزيغ والعناد، وأن يمتعنا بالنظر إليه إذا حجب عنه أهل الإلحاد"[4].

وهذا المنهج هو الذي سار عليه السلف الصالح -رحمهم الله-، وهو أفضل طريقة في الرد على المخالفين والمبتدعة؛ لأن مناظرتهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ودحض شبههم بذلك، هو المنهج الصحيح السليم المناسب للفطرة والعقل، أما مناظرتهم بالآراء والأقيسة العقلية البعيدة عن نصوص الكتاب والسنة، فهو منهج أهل الضلال والطوائف المنحرفة، بسبب تحكيم العقل، وتقديمه على الوحيين.

---

(١) انظر: رموز الكنوز (٤/٥٣/ب – ٥٥/ب).

(٢) المصدر السابق (٤/٥٥/أ).

(٣) المعتزلة: سموا بذلك لاعتزال واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد -من رؤسائهم- مجلس الحسن البصري؛ لقولهما بأن الفاسق -مرتكب الكبيرة- لا مؤمن ولا كافر، ويجمع المعتزلة القول بنفي الصفات عن الله تعالى، والقول بأن القرآن محدث، وأن الله لا يرى في الآخرة، وأن الله ليس خالقاً لأفعال العباد، ويسمون أيضاً: القدرية، والعدلية، وتصل فرقهم إلى عشرين فرقة.
انظر: مقالات الإسلاميين (١/٢٣٥) وما بعدها، الفرق بين الفرق ص(٢٠، ٢١)، (١١٤-١١٦)، الملل والنحل (١/٤٣، ٤٦)، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية من الفرقة الهالكة، للإسفراييني، ص (٦٣-٦٧)، تحقيق: كمال الحوت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، عالم الكتب -بيروت، اعتقاد فرق المسلمين والمشركين، لفخر الدين الرازي ص٣٨، ٣٩، دار الكتب العلمية، تلبيس إبليس، لابن الجوزي ص٨٣، نشر: محمود الإستانبولي، ١٣٩٦هـ.

(٤) رموز الكنوز (٤/٢١٤/أ).

ثانياً: استدلاله بأقوال السلف وردودهم على المخالفين:

وذلك لعلم السلف -رحمهم الله- بالنصوص ودلالاتها واتباعهم لها، وإدراكهم للمخالف والمعرض عنها.

ومما استدل به الإمام الرسعني في الرد على المخالف من أقوال السلف ما قاله الإمام مالك بن أنس لذلك الرجل الذي سأله عن كيفية الاستواء فقال له: "الكيف مجهول، والاستواء معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"[(١)(٢)].

وأيضاً مما استدل به من أقوال السلف في الرد على المخالفين من الجهمية الذين لا يثبتون صفة الكلام لله تعالى قول ثعلب[(٣)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[(٤)] حيث قال: "لولا أن الله أكد الفعل بالمصدر لجاز أن يكون كما يقول أحدنا للآخر: قد كلمت لك فلاناً بمعنى كتبت إليه رقْعة، أو بعثت إليه رسولاً"[(٥)(٦)].

كما استدل بقول الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الرد على المخالفين الذين ينفون رؤية الله في الآخرة: "قال: "قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قول الله تبارك وتعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ

---

(١) سبق تخريجه ص ١٤٠.

(٢) رموز الكنوز (٢/١٨/أ).

(٣) أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني مولاهم، البغدادي، أبو العباس ثعلب، إمام الكوفيين في النحو والعربية، كان ثقة متقناً، له مصنفات كثيرة، توفي سنة ٢٩١هـ.

انظر ترجمته في: تهذيب الأسماء واللغات (٢/٢٧٥)، سير أعلام النبلاء (١٤/٥-٧) البداية والنهاية (١١/٩٨)، بغية الوعاة (١/٣٩٦-٣٩٨)، شذرات الذهب (٢/٢٠٧، ٢٠٨).

(٤) سورة النساء: آية (١٦٤).

(٥) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (٢/٢٥٦)، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ، المكتب الإسلامي.

وفي القرطبي (٦/١٨): قال النحاس: وأجمع النحويون على أنك إذا أكدت الفعل بالمصدر لم يكن مجازاً، ... أن يقول: قال قولاً، فكذا لما قال: "تكليماً" وجب أن يكون كلاماً على الحقيقة من الكلام الذي يعقل.

(٦) رموز الكنوز (١/٦٣٢).

عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ [(١)]: فيه دلالة على أن أولياء الله يـرون الله تبـارك وتعالى [(٢)] ، وقال الربيع بن سليمان[(٣)]: كنت ذات يوم عند الشافعي رضـي الله عنـه وجاءه كتاب من الصعيد[(٤)]، يسألونه عـن قـول الله تعـالى: كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ [(٥)] فكتب فيه: لما حجب قوماً بالسخط دل على أن قوماً يرونه بالرضا؛ فقلت له: أو تدين بهذا سيدي؟ فقال: والله لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى ربه في المعاد لما عبده في الدنيا"[(٦)(٧)].

وأيضاً استدل بقول مالك بن أنس في هذا الموطن عندما سئل عن هذه الآية آنفة الذكر فقال: "حجب أعداءه فلم يروه، وتجلى لأوليائه حتى رأوه"[(٨)(٩)].

---

(١) سورة المطففين: آية (١٥).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤٤٦/٤).

(٣) هو الربيع بن سليمان بن عبدالجبار بن كامل أبو محمد المرادي المصري، الإمام المحدث الفقيه ، صاحب الإمام الشافعي وناقل علمه، شيخ المؤذنين بجامع الفسطاط، ازدحم عليه أصحاب الحديث، توفي سنة (٢٧٠هـ).
انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (٢٤٥/٣)، وفيات الأعيان (١٨٣/١).

(٤) الصعيد: منطقة واسعة بدولة مصر، فيها عدة مدن منها أسوان، وأسيوط، والأقصر، والمنيا وغيرها.
انظر: معجم البلدان (٤٠٨/٣)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، لعبـدالمؤمن بـن عبـدالحق البغدادي (٨٤١/٢-٨٤٢)، تحقيق: علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ، دار إحيـاء الكتـب العربية ، موسوعة المدن العربية ص ٤٨٣.

(٥) سورة المطففين: آية (١٥).

(٦) رواه البيهقي في "مناقبه" (٤١٩/١) من طريق عبدالملك بن محمد بن عدي الجرجاني عن الربيع بن سليمان، وذكره الواحدي في الوسيط (٤٤٦/٤).

(٧) رموز الكنوز (٢١٤/٤/أ).

(٨) ذكره الواحدي في الوسيط (٤٤٦/٤).

(٩) رموز الكنوز (٢١٤/٤/أ).

ثالثاً: قوته في الرد على المخالفين:

تميز منهج السلف الصالح بالقوة في الرد على المبتدعة، والتحذير من شبههم، وبيان خطورة بدعهم، كل ذلك صيانة للمسلمين من الوقوع في هذه البدع، وتحجيماً لانتشارها؛ لأنه إذا حصلت مقاطعة المبتدعة، وهجرهم، والنفرة منهم، حصل بذلك الزجر عن هذه البدع، وعدم الوقوع فيها.

ولقد كان الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوياً في رده على المخالفين، فما يأتي ذكر لهم إلا ويذمهم ويذم بدعهم، ويبين خطرها، ويوضح ما ورد من النصوص الشرعية في ذمها، ويورد أقوال السلف الصالح في التحذير منها، ويقرر أن من السنة هجر المبتدعة، وترك كلامهم، وعدم النظر في كتبهم، من أجل مخالفتهم لمنهج أهل السنة والجماعة.

يقول الحافظ ابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة عن الرسعني: "وكان متمسكاً بالسنة والآثار، ويصدع بالسنة عند المخالفين من الرافضة وغيرهم"[١].

ومما يدل على ذلك موقفه مع أحد الرافضة حيث يقول: "لقد احتدت شوكة الرافضة في زماننا بالموصل واشتدت شكيمتهم، وظنوا أن الوثب [illegible]زهم، ولات حين ما يطلبون، وأني وكلمة الله هي العليا، والله مظهر دينه، وناصر من نصره وخاذل من خذله، وطمعوا اغتراراً منهم وجهلاً بما كتبه الله تعالى على نفسه من حفظ كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أن يحرفوا مواضع من القرآن، وينزلوها على وفق أهوائهم؛ فقرأ قارئ منهم في محفل من محافلهم آيات من سور شتى انتخبها طواغيتهم، ولفقوها تلفيقاً متناقضاً، ونظموها نظماً تشهد رصانة القرآن وفصاحته بتهافتها وافتراءها، وأنا أستحيي من حكايتها، وأستغفر الله تعالى من جريان قلمي بكتابتها، فقرأ آيات كثيرة منها: (إنما وليكم الله ورسوله وعلي الذين يقيمون الصلاة) وقرأ: (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كعلي آمن بالله)، وفساد هذا في العربية أكثر وأظهر من أن يذكر، وقرأ: (أن الله وملائكته يصلون علياً بالنبي) وقرأ: (فأما علي فأعطى واتقى وصدق بالحسنى)، وزاد آية في كتاب الله، فقرأ في سورة الشعراء عند قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة (٤/٨١).

﴿زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ [(١)] : (وأن علياً وشيعته لهم الفائزون)، إلى آيات كثيرة اقترؤوها ثم افتروها، فلما شاع ذلك وذاع، حدثني به رجل صالح من فضلاء القُراء ممن حضر وسمع، لزمتني حجة الله الذي اتخذها على الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه، وطوقت القول في ذلك طوق الحمامة، فرفعت حديثه إلى والي الأمر بالموصل، فنفى ذلك القارئ من البلاد، وأراح منه العباد، ومن أعجب ما بلغني عن بعض عظمائهم، أنه قال: إنما أنكروا ذلك لكونه في فضائل علي، فقلت: لو أن شخصاً استحل الزيادة في كتاب الله، أو التحريف فيه، بتوحيد الله وتمجيده والثناء عليه مضيفاً ذلك إلى القرآن، معتقداً نزوله فيه، كان كافراً بإجماع أهل العلم، ولكن هذا دأبهم وديدنهم عند إنكار أهل الحق عليهم فيما يختلقونه في المناقب والمثالب، ونحن بحمد الله تعالى بفضائل أمير المؤمنين علي وآله أدرى، وبمحبته وولايته أولى وأحرى"[(٢)].

وفي موقف آخر مع أحد الرافضة عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾ [(٣)] يقول: وطائفة جعلت مكان الصلاة عليهم والدعاء لهم، اللعنة والتنفير منهم، فتراهم مجاهدين في سب السابقين الأولين من المهاجرين، ولقد سمعت عظيماً من عظمائهم، وطاغية من طغاتهم يذكر الزبير بن العوام[(٤)]، حواري رسول الله ﷺ وابن عمه وأول من سل سيفاً في سبيل الله، يقول: هو من أهل النار، فقلت: للطاغي الباغي: رسول الله قد شهد له بالجنة، فشهادة رسول الله ﷺ أقوم من شهادتك وأعدل"[(٥)].

وإن دل صنيعه هذا فإنما يدل على قوته وحزمه مع المبتدعة والمخالفين، وأنه رَحِمَهُ اللَّهُ يصدع بالحق لا يخشى في الله لومة لائم.

---

(١) سورة الشعراء: الآية (١٩٦).

(٢) رموز الكنوز (١٨٧/٢/أ).

(٣) سورة التوبة: آية (١٠٠).

(٤) هو الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي، أبو عبدالله، أحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم وله (١٢) سنة، وأول من سل سيفه في الإسلام، قتله ابن جرموز غيلة يوم الجمل سنة (٣٦هـ).
انظر ترجمته في: أسد الغابة (٢٩٥/٢-٢٩٨)، تقريب التهذيب ص ٣٣٦.

(٥) رموز الكنوز (٨٨/٢/أ).

رابعاً: حرصه على عدم تجريح المخالفين:

مع قوة الإمام الرسعني في رده على المبتدعة، فإن منهجه قد خلا من الألفاظ التي لا تليق، فقد التزم مبدأ الأدب في النقاش مع المخالفين، فلم يجرح أحداً، أو يشهر به، أو يصفه بما لا يليق.ومع سير الرسعني على هذه القاعدة عموماً؛ فإنه قد يخرج عنها أحياناً.

ومثال ذلك قوله عن الزمخشري عند عدم أخذه بأحد الأحاديث النبوية: "ولقد عجبت من جرأة المعطلين على هذه الشريعة، وتسميتهم المتمسكين ـا أهـل حـشو، فتراهم يبادرون إلى تكذيب الأخبار النبوية، المنقولة على ألسنة العلماء الثقات الأثبات، بناء على خيالات فاسدة، يتوهمو ا، لكن شؤم البدعة سلبهم وصف التوفيـق، فحـال بينهم وبين التصديق والتحقيق، وعميت عليهم مسالك الهدى، فتورطـوا في مهالـك الردى، هذا صاحب الكشاف الزمخشري يقول في تفسيره: "وما روى من الحديث: «ما من مولود...»، ثم ساق الحديث إلى آخره، ثم قال: إن صح، فمعناه: أن كـل مولـود يطمع الشيطان في إغوائه، إلا مريم وابنها، واستهلاله صارخاً تخييل لطمعه فيـه، وأمـا حقيقة المس والنخس كما يتوهم أهل الحشو فكلا، لو سلط إبليس على الناس ينخسهم لامتلأت الدنيا صراخاً وعياطاً"[1]. قلت: ولست أعجب من قوله عن حديث اتفق أئمة الإسلام على تصحيحه وتدوينه، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده، والبخاري ومـسلم في صحيحيهما[2]: إن صح؛ لأن الرجل كان جاهلاً ـذا العلم الجليل ولكن من صفاقة وجه في رد الحديث على تقدير التصحيح، والتمحل لتعطيل اللفظ الصريح... فكيف يتوجه منه هذا الإلحاد... فسبحان من حفظ هذا الدين بحملة عدول، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين..."[3].

---

(١) الكشاف (١/١٨٦-١٨٧).

(٢) مسند الإمام أحمد (١٢/١٧١)، وصحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة آل عمران (٦/٤٢)، وصـحيح مسلم، كتاب الفضائل (٤/١٨٣٨).

(٣) رموز الكنوز (١/٩٧-٩٨).

ويقول أيضاً عن الزمخشري في موضع آخر: "ولقد عجبت من كشف صـاحب الكشاف قِناع الحياء ورفضه الأحاديث الصحيحة الصريحة لخيالات الآراء وتحريفه كلام الله عن مواضعه ... فمن أجهلُ جهلاً، وأسخف عقلاً، وأضل سبيلاً ممن يقابل القـرآن بالتعطيل، والأحاديث النبوية بالتبطيل، وهو يدعي الاستسلام لدين الإسلام، ولكن هذه جناية الكلام عليهم، وشؤوم البدعة لديهم"(١).

كما رد على الزمخشري عند تفسيره لقوله تعـالى: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾(٢).

"قال الزمخشري: أورثتموها بما كنتم تعملون، بسبب أعمالكم لا بالتفـضل ...، قلت: هذا كلام خبيث تقشعر منه الجلود، فإن النعم بأسرها وإن نيطت بأسبا ا الظاهرة تفضل من الله، قال الله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾(٣)(٤)".

ويتكلم عن المعتزلة الذين ينفون الشفاعة فيقول: "ولم يخالف في إثبات منـصب الشفاعة يوم القيامة، لسيد الرسل محمـد ﷺ إلا هـذه الطائفـة الزائغـة المنبـوذة بالاعتزال"(٥).

ويقول عن القدرية: "ويكفي في إثبات كفرهم وضلالهم(٦) ما أخبرنا به شـيخنا الإمام أبو عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي رضي الله عنه بقـراءتي عليـه [ثم

(١) رموز الكنوز (٥٩٣/١، ٥٩٤).
(٢) سورة الأعراف: آية (٤٣).
(٣) سورة النحل: آية (٥٣).
(٤) رموز الكنوز (١٥/٢/ب).
(٥) المصدر السابق (١٣٣/٢/أ).
(٦) يحتمل أن الرسعني يقصد بالقدرية هنا هم غلاة القدرية الذين أنكروا علم الله القديم، وهو لم يصرح بذلك ولكن من إيراده الأدلة وأقوال السلف في ذم القدرية خاصة الغلاة الأولى، وإهانتهم، والنهي عن مجالستهم يؤكد على أ م هم.

ساق الإسناد كاملاً إلى ابن عمر]، قال: قال رسول الله ﷺ: «القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا، فلا تشهدوهم »(١)(٢).

خامساً: عدم الخوض مع المبتدعة في تفاصيل بدعهم:

تميز منهج أهل السنة في الرد على المبتدعة، بعرض البدعة أو الشبهة موجزة ثم نقضها، فقد كان من مذهبهم التحذير من مجالسة المبتدعة، والنهي عن نقل شبهاتهم، أو عرضها على المسلمين، لما يترتب عليه من الآثار الخطيرة؛ ومنها الرضا بما هم عليه من الباطل، وعدم الإنكار عليهم، وإلقاء الشبه التي تكون سبباً للزيغ عن طريق الحق والهدى وما ذلك إلا لحماية عقول المسلمين وقلوبهم، وصيانة للعقيدة الصافية الصحيحة، وإهانة للمبتدعة، ومحاصرة لآرائهم واعتقاداتهم.

وقد سار الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ على هذا المنهج، عند عرضه لأقوال المبتدعة وشبههم حيث لا يخوض في تفاصيلها، بل يذكرها إجمالاً ثم يرد عليها وينقضها.

ومن ذلك موقفه من الجهمية الذين يقولون بعدم خلق النار، حيث يقول عند

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن، باب في القدر (٦٣٤/٢) حديث رقم (٤٦٩١)، والحاكم (٨٥/١) من طريق أبي حازم سلمة بن دينار، عن ابن عمر، وهو منقطع؛ لأن أبا حازم لم يسمع من ابن عمر، ورواه اللالكائي في "شرح السنة" (١١٥٠)، والآجري في "الشريعة" ص١٩٠، من طريق زكريا بن منظور، عن أبي حازم، عن نافع، عن ابن عمر ... وزكريا بن منظور ضعيف، وقال الدارقطني: متروك، وفي الباب عن سهل بن سعد عند اللالكائي (١١٥٢)، وفي سنده يحيى بن سابق المدني، قال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الثقات، وقال ابن الجوزي في العلل المتناهية: وهذا حديث لا يصح (١٥١/١)، وقد رمز له السيوطي بعلامة الصحة، لكن تعقبه المناوي بأن ابن المنذر قال: إنه منقطع. انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف المناوي (٥٣٥/٤)، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ، المكتبة التجارية الكبرى – مصر.

قال الشيخ الألباني: حسن. انظر: صحيح وضعيف الجامع الصغير وزياداته، للألباني ص٧٩٠ حديث رقم (٧٨٩٢)، الناشر: المكتب الإسلامي. وقد حسنه أيضاً الشيخ محمد الصباغ حيث قال: "إنه بتعدد طرقه يرقى إلى الحسن". انظر: الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، ملا علي القاري ص٢١٣، تحقيق: محمد الصباغ، طبعة عام ١٣٩٢هـ، دار الأمانة، مؤسسة الرسالة.

(٢) رموز الكنوز (٥٣/٤ب – ٥٤/أ).

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾[(١)]: "وفي الآية رد على الجهمية في قولهم: إن النار لم تخلق بعد"[(٢)].

ويقول في موضع آخر رداً على المعتزلة عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨﴾[(٣)]: "وفي هذه الآية دليل على أن من مات على الإيمان من أهل الكبائر لا يخلّد في النار، وبرهان قاطع على بطلان ما انتحلته القدرية من قولهم: لا يجوز أن يغفر الله الكبيرة، ولا أن يعفو عن المعاصي"[(٤)].

ثم استشهد بحديث أبي ذر[(٥)] في الصحيحين: قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة »، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق »، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق »، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق »، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق »، ثم قال في الرابعة: «على رغم أنف أبي ذر »، فكان أبو ذر يحدث بهذا بعد ويقول: "وإن رغم أنف أبي ذر"[(٦)(٧)].

---

(١) سورة آل عمران: آية (١٣١).

(٢) رموز الكنوز (٢٣٥/١).

(٣) سورة النساء: آية (٤٨).

(٤) رموز الكنوز (٤٨٧/١).

(٥) هو جندب بن سفيان بن عبيد، أبو ذر، من بني غفار، قديم الإسلام، من كبار الصحابة، يضرب به المثل في الصدق، وهو أول من حيا رسول الله ﷺ بتحية الإسلام، توفي سنة (٣٢هـ).
انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد (١٦١/٤-١٧٥)، الإصابة (٦٠/٧)، الكنى والأسماء، لمسلم بن الحجاج النيسابوري (٢٨/١)، طبعة دار الفكر، أسد الغابة (٤٤٠/١-٤٤٢).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب: الثياب البيض (١٩٢/٧-١٩٣)، ومسلم في كتاب الإيمان (٩٥/١).

(٧) رموز الكنوز (٤٨٧/١).

الباب الثاني
جهود الرسعني في تقرير عقيدة السلف

وفيه سبعة فصول:

الفصل الأول: جهود الرسعني في تقرير الإيمان بالله.

الفصل الثاني: جهود الرسعني في تقرير الإيمان بالملائكة.

الفصل الثالث: جهود الرسعني في تقرير الإيمان بالكتب.

الفصل الرابع: جهود الرسعني في تقرير الإيمان بالرسل.

الفصل الخامس: جهود الرسعني في تقرير الإيمان باليوم الآخر.

الفصل السادس: جهود الرسعني في تقرير الإيمان بالقضاء والقدر.

الفصل السابع: جهود الرسعني في تقرير مسائل الإيمان وفي الصحابة والإمامة.

الفصل الأول

جهود الرسعني في تقرير الإيمان بالله

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: جهود الرسعني في تقرير توحيد الربوبية.

المبحث الثاني: جهود الرسعني في تقرير توحيد الألوهية.

المبحث الثالث: جهود الرسعني في تقرير توحيد الأسماء والصفات.

المبحث الأول

جهود الرسعني في تقرير توحيد الربوبية

تمهيد:

لما كانت ضرورة البحث العلمي تقتضي أحياناً شرح مفردات العناوين، قبل البدء في التفصيلات، وحيث إن عنوان الفصل (جهود الرسعني في تقرير الإيمان بالله) كان لابد من الإشارة إلى تعريف الإيمان أولاً في اللغة والاصطلاح؛ لا سيما وأن الإيمان بالله هو الركن الأول من أركان الإيمان، حيث لا سعادة ولا فلاح للمؤمن، إلا بالإيمان بالله حق الإيمان، وإفراده بالعبادة وحده، ومعرفته، والإقرار به.

وقد اعتنى أئمة السلف بهذا الركن عناية عظيمة من حيث التتبع والتقصي لما حوته نصوص الكتاب والسنة ودلت عليه، لما يقتضي معرفته سبحانه والتصديق بوجوده، والتعرف عليه، من خلال ما أودعه الله في الفطر السليمة، من معرفة الله حق المعرفة، وبالنظر والتفكر في مخلوقاته.

تعريف الإيمان في اللغة:

قال ابن فارس[(١)] في "معجم مقاييس اللغة" : "أمن؛ الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة، التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب؛ والآخر التصديق، والمعنيان متدانيان"[(٢)].

---

(١) تقدمت ترجمته ص ١٣١ .

(٢) معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكريا (١٣٣/١-١٣٥)، تحقيق: د. محمد عوض، وفاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان.

وقال الأزهري[١] في "تهذيب اللغة": "وأما الإيمان: فهو مصدر آمن إيماناً، فهو مؤمن، واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه التصديق، قال الله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾[٢]"[٣].

تعريف الإيمان في الاصطلاح الشرعي:

الإيمان في الاصطلاح الشرعي حقيقة مركبة من القول والعمل، قول القلب وقول اللسان، وعمل القلب وعمل الجوارح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول وعمل: قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح"[٤].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وهاهنا أصل آخر: وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل، والقول قسمان: قول القلب وهو الاعتقاد، وقول اللسان، وهو التكلم بكلمة الإسلام، والعمل قسمان: عمل القلب وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح"[٥].

أما تعريف التوحيد فهو: مصدر وحد يوحد توحيداً، والواحد الأحد ذو الوحدانية، وأصله مشتق من "و ح د"، وهو أصل واحد يدل على الانفراد، والواحد المنفرد[٦].

---

(١) محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة، أبو منصور الهروي الأزهري، النحوي، الشافعي، كان رأساً في اللغة والفقه، ثقة، ديناً، ثبتاً، له مصنفات كثيرة، توفي سنة ٣٧٠هـ.
انظر ترجمته في: وفيات الأعيان (٤٥٨/٣-٤٦٠)، سير أعلام النبلاء (٣١٥/١٦-٣١٧)، بغية الوعاة (١٩/١، ٢٠)، شذرات الذهب (٧٢/٣، ٧٣).

(٢) سورة الحجرات، آية (١٤).

(٣) تهذيب اللغة (٥١٠/١٥).

(٤) العقيدة الواسطية ص١٦١.

(٥) الصلاة وحكم تاركها، لابن القيم الجوزية ص٤٥، تحقيق: بسام عبدالوهاب الجابي، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، دار ابن حزم – قبرص – بيروت.

(٦) انظر: معجم مقاييس اللغة (٣٧٨-٣٧٩).

قال صاحب اللسان[1]: "التوحيد هو: "الإيمان بالله وحده لا شريك له والله الواحد الأحد ذو الوحدانية والتوحد"[2].

وتدور مادة "وحد" على الانفراد والاختصاص، فتوحيد الله تعالى معناه: إفراده بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

وقد ذكر الحافظ ابن حجر أن التوحيد هو العلم بأن الله تعالى واحد[3].

ومعنى العلم بأنه واحد أي المنفرد الذي لا يشبهه شيء ولا نظير له ولا مثيل.

وقد ذكر بعض العلماء أن التوحيد هو جعل الشيء واحداً، وهذا لا يصح أن يقال في توحيد الله تعالى، فإن وحدانية الله تعالى ذاتية ليست بجعل جاعل كما ذكر العلامة السفاريني[4] إذ يقول: "والتوحيد: تفعيل للنسبة كالتصديق والتكذيب لا للجعل، فمعنى وحدت الله نسبت إليه الوحدانية لا جعلته واحداً، فإن وحدانية الله تعالى ذاتية له ليست بجعل جاعل"[5].

وسمي دين الإسلام توحيداً لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له، وواحد في إلهيته وعبادته لا ند له، وهذه هي أقسام توحيد الأنبياء والمرسلين؛ توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد

---

(١) صاحب اللسان هو ابن منظور محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي المصري جمال الدين أبو الفضل، أديب لغوي ناظم ناثر، توفي سنة (٧١١هـ).

انظر ترجمته في: الدرر الكامنة (٣١/٥-٣٣)، بغية الوعاة (٢٤٨/١)، معجم المؤلفين (٤٦/١٢، ٤٧).

(٢) لسان العرب (٤٥٠/٣) مادة "وحد".

(٣) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٣٤٥/١٣)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة – بيروت.

(٤) محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني الحنبلي، أبو العون، شمس الدين، محدث فقيه، أصولي مؤرخ، له تصانيف كثيرة، توفي سنة (١١٨٨هـ).

انظر ترجمته في: هداية العارفين (٣٤٠/٢)، الأعلام (٢٤٠/٦)، معجم المؤلفين (٢٦٢/٨).

(٥) لوامع الأنوار البهية للسفاريني (ص٥٦-٥٧)، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ، الناشر/ مؤسسة الخافقين، دمشق.

الإلهية والعبادة[(١)].

وهناك تقسيم آخر للتوحيد وهو مبني على نوعي الكلام: الخبر والإنشاء، وعليه فيكون التوحيد نوعين: نوع في العلم والاعتقاد ويشمل الربوبية والأسماء والصفات، ونوع في الإرادة والقصد وهو توحيد الألوهية، ويسمى الأول التوحيد العلمي لتعلقه بالخبر والمعرفة، ويسمى الثاني: التوحيد القصدي الإرادي لتعلقه بالقصد والإرادة، فالأول من باب الخبر الدائر بين النفي والإثبات، والثاني: من باب الإنشاء والطلب الدائر بين الإرادة والمحبة وبين الكراهة والبغض نفياً وإثباتاً[(٢)].

معنى توحيد الربوبية:

أما توحيد الربوبية الذي نحن بصدده فهو إفراده سبحانه بأفعاله، وهو الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومليكه وخالقه ورازقه، وأنه المحيي والمميت، النافع الضار، المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، القادر على كل شيء، ليس له في ذلك شريك[(٣)].

وأصل الربوبية في اللغة مشتقة من ربب أي ملك، و"رب كل شيء أي مالكه، وكل من ملك شيئاً فهو ربه"[(٤)]، ومن هذا المعنى اشتقت الإطلاقات الأخرى وهي: "المالك والسيد والمدبر والمربي والقيم والمنعم"[(٥)]، وكلها راجعة إلى المُلك، إما ملك التدبير أو ملك العين، والربوبي هو العلم المنسوب إلى الرب وهو على غير القياس،

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب (ص٣٢)، الطبعة الأولى، الناشر/ المكتب الإسلامي بدمشق.

(٢) انظر: التدمرية، لابن تيمية ص(٦، ٧)، تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٥هـ، ومدارج السالكين، لابن القيم الجوزية (٢٤/١، ٢٥)، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، عام ١٣٧٥هـ.

(٣) انظر: مجموعة التوحيد (٥/١)، مجموعة رسائل، لابن تيمية ومحمد بن عبدالوهاب وغيرهما، طبعة دار الفكر، بيروت.

(٤) لسان العرب (٣٩٩/١).

(٥) المصدر السابق (٣٨٢/٢).

والنسبة إليه الربابة والربوبية، ولا يطلق الرب بالألف واللام إلا على الله تعالى، وفي غيره لا يجوز إلا عند الإضافة فتقول: رب هذا الشيء، أي مالكه، مثل: هو رب الدابة، ورب الدار، وفلان رب البيت، وهن ربات الحجال[١].

والرب في اللغة: هو "الله عز وجل" وهو رب كل شيء"[٢].

ومعنى قوله تعالى: رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ [٣]، أي راب العالمين، فإنه سبحانه هو الخالق الموحد لعباده القائم بتربيتهم وإصلاحهم المتكفل بصلاحهم من خلق ورزق وعافية"[٤].

فالربوبية في اللغة، هي الملك، سواءً كان ملك الأعيان أو ملك التدبير.

وبين الرسعني معنى "الرب" في قوله تعالى: قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ [٥].

"قالت على وجه التعجب والاستعلام، مخاطبة الله عز وجل... بمعنى: يا سيدي، فإن الرب يطلق بمعنى السيد"[٦].

وفي موطن آخر عند تفسيره لقوله تعالى: فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ [٧] قال: خص العرش بالذكر لأنه أعظم المخلوقات، وفي قوله تعالى: لَا

(١) انظر: لسان العرب (٣٩٩/١).
(٢) المصدر السابق (٣٩٩/١).
(٣) سورة الفاتحة، الآية (٢).
(٤) تجريد التوحيد، للمقريزي (ص٤، ٥)، تحقيق: العمران، الطبعة الأولى، عالم الفوائد.
(٥) سورة آل عمران، الآية (٤٧).
(٦) رموز الكنوز (١١٦/١).
(٧) سورة الأنبياء، الآية (٢٢).

يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ [(١)] أي: عن ما يحكم في عباده من هـدي وإضـلال وعـز وإذلال وسعادة وشقاء وغير ذلك، لأنه الرب المالك للخليقة على الحقيقة".

وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ [(٢)] لأ م عبيد يجب عليهم الامتثال ويتطرق عليهم الخطأ في الأقوال والأفعال"[(٣)] .

ويقول عند تفسيره لقوله تعـالى: قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ [(٤)]...، معنى من رب السموات؟ لمن السموات فقال: لله، كما يقال من مالك هذه الدار فيقال لزيدٍ؛ لأن معناه لمن هذه الدار، وكذلك من بيـده ملكـوت؛ معنـاه لمن الأشياء كلها فقيل لله. وأنشدوا :

إذا قيـل مـن رب المزالـف والقـرى ∴ ورب الجياد الجرد قيل لخالد [(٥)] [(٦)]

أما توحيد الربوبية في الاصطلاح : فقد عرفه شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه: "لا خالق إلا الله فلا يستقل شيء سواه بإحداث أمر من الأمور، بل ما يشاء كان وما لم يشأ لم يكن، فكل ما سواه إذا قدر سبباً فلابد له من شريك معاونٍ وضد معوق"[(٧)]، وقـال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "توحيد الربوبية هو الإقرار بأنه خالق كل شيء"[(٨)].

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية (٢٣).
(٢) سورة الأنبياء ، الآية (٢٣).
(٣) رموز الكنوز (٣/٨٧/أ).
(٤) سورة المؤمنون: الآية (٨٦).
(٥) أورد البيت النسفي في تفسيره (٣/١٨٨)، تحقيق مروان الشعار، الطبعـة الأولى، عـام ١٤١٦هـ ـ، دار النفائس، بيروت – لبنان، والشوكاني في فتح القدير (٣/٤٩٦)، دار الفكر للطباعة والنـشر والتوزيـع ، والثعلبي في الكشف والبيان (٤/٣٣٣)، تحقيق: سيد كسروي حسن، الطبعة الأولى عام ١٤٢٥هـ ـ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٥/٨٠)، الطبعة الأولى ١٢٨٧هـ ـ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.
(٦) رموز الكنوز (٣/١٤٢/ب ، ١٤٣/أ).
(٧) مجموع الفتاوى (١٠/٣٣١).
(٨) المصدر السابق (١١/٥٠).

وعرفه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنه: "الاعتراف بأنه لا خالق إلا الله"(١).

وخلق الله إما أعيان وإما أفعال لهذه الأعيان، وعلى هذا فإن معنى توحيد الربوبية في الاصطلاح: هو إفراد الله تعالى بأفعاله.

وهذا التوحيد لا يكفي العبد في حصول الإسلام، بل لابد أن يأتي بلازمه وهو توحيد العبادة، لأن توحيد الربوبية يستلزم توحيد العبادة، ولا يتضمنه، فمن أقر بالربوبية وأنكر الألوهية فلا يكن مسلماً ولا ينفعه ذلك الإقرار(٢).

وتوحيد الربوبية أقرت به معظم الأمم والطوائف سوى بعض شذاذ البشرية كالدهرية والطبائعية والقائلين بالصدفة(٣)، وفرعون(٤)، وأهل المذاهب المادية الملحدة، كالشيوعية(٥)، والوجودية(٦).

---

(١) مدارج السالكين (٣٢٧/١).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢٣/١)، (٢٨٤/١٠).

(٣) الدهرية والطبائعية والقائلون بالصدفة: طوائف شذت من الصائبة والفلاسفة، وبعض العرب في الجاهلية، وجماعة من المجوس، والباطنية والقرامطة؛ فقابلت أهل الأديان وقالت بقدم العالم وأنه لم يزل من غير خالق، وأن الطبيعة أوجدت نفسا بنفسها أو وجدت صدفة، لم يزل الحيوان من النطفة، والنطفة من الحيوان، وهم الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [سورة الجاثية: آية (٢٤)] ويميل الدهرية إلى اعتماد أصل الحس والعقل في استدلالهم، بينما يميل الطبائعيون إلى القول بالمحسوس دون المعقول.
انظر: الملل والنحل (٣/٢)، الفصل في الملل والأهواء والنحل (١٥/١)، الفرق بين الفرق (٢٧٨/١-٢٧٩).

(٤) الوليد بن مصعب، لقبه (فرعون)، ملك مصر قبل ولادة موسى عليه السلام، وعذب بني إسرائيل عذاباً شديداً حتى أهلكه الله في اليم بعد أن أنجى موسى وقومه منه.
انظر: تاريخ الطبري (٢٣١/٢-٢٤٩)، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

(٥) الشيوعية: مبدأ إلحادي مادي يعتمد على إنكار وجود الله ورفض جميع الديانات، ويقوم على الحتمية المادية للتاريخ والمناداة بشرع الملكيات الفردية، وهي تعتبر نظرية قامت كرد فعل لطغيان الإقطاع وتسلطه، أسس هذا المذهب كارل ماركس اليهودي المولود في ألمانيا سنة ١٨١٨م، وأعلن أفكاره عام ١٨٤٧م.
انظر: حركات ومذاهب في ميزان الاعتدال، لفتحي يكن (ص١١).

(٦) الوجودية: مذهب من المذاهب الفلسفية الحديثة يقوم على دعوى خادعة وهي أن يجد الإنسان نفسه، ومعنى
==

وتنقسم ربوبية الله تعالى لخلقه إلى نوعين: "عامة وخاصة؛ فالعامة: هـي خلقـه للمخلوقين، ورزقهم وهدايتهم لما فيه مصالحهم، التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

والخاصة: تربيته لأوليائه، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكمله لهـم، ويـدفع عنهم الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه، وحقيقتها: تربية التوفيـق لكـل خـير، والعصمة عن كل شر، ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبيـاء بلفـظ الرب، فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة"[1].

وهذا التوحيد قد فُطرت عليه النفوس، وأقر به الناس، ومشركو قريش الـذين بعث إليهم محمد ﷺ كانوا مقرين به، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[2]،

والمتأمل لكتب السلف يجد أ م لا يطيلون الكلام على أدلته والخوض في دقـائق مسائله بالأدلة المنطقية والحجج العقلية؛ لأنه مما جبلت عليه النفوس واسـتقرت عليـه الفطر، وليس هو المقصد الأسنى، بل هو مقدمةٌ نتيجتها الإقرار بتوحيد الألوهية.

قال ابن سعـدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ

==

ذلك أن يتحلل من القيم والأخلاق وتعني أيضاً أن يهتدي الإنسان إلى وجوده بنفسه وأن يكـون مـستقلاً بنفسه عن الآخرين وأن يسبر غور وجوده، ومن أشهر أقطاب الوجودية المتأخرين (جـان بـول سـارتر) الفرنسي.

انظر: المذاهب المعاصرة وموافف الإسلام منها، د. عبدالرحمن عميرة (ص ٢٠٩)، الطبعة الرابعة، دار الجيل – بيروت.

(١) انظر: تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن للشيخ: عبدالله بن ناصر السعدي (ص ٣٩).

(٢) سورة المؤمنون، الآية (٨٦- ٨٧).

خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ [١]: "أي: ولئن سألت المشركين عن توحيد الربوبية، ومن هو الخالق، لأقروا أنه الله وحده لا شريك له، فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ أي: فكيف يصرفون عن عبادة الله والإخلاص له وحده؟!؛ فإقرارهم بتوحيد الربوبية يلزمهم به الإقرار بتوحيد الألوهية، وهو من أكبر الأدلة على بطلان الشرك"[٢].

دلائل الربوبية:

لقد تفاوتت مناهج العلماء عامة في الاستدلال على توحيد الربوبية، فمنهم من لم يتجاوز الكتاب والسنة في إثبات ربوبيته، ومنهم من تجاوزها إلى منهج أهل الكلام الذي يغلب عليه الاستدلال المطول بالمقدمات والنتائج من علم الكلام على إثبات الصانع.

ولم أجد للإمام الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ خوضاً في علم الكلام لإثبات الربوبية، بل كان على منهج السلف في هذا الباب، حيث كان يورد أدلة توحيد الربوبية وفق طريقة الكتاب والسنة ويقرر من خلال إيرادها ما تدل عليه من توحيد العبادة؛ وقد سلك مسلك السلف إذ لم يطل الخوض في إثبات توحيد الربوبية، ولم يتعرض لمنهج المتكلمين المفرطين في إثباته، المتجاهلين لتوحيد الألوهية، بل كان إذا تعرض لتوحيد الربوبية ذكر ما يلائمه من نفي الشريك عن الله ووجوب إفراده بالعبادة وحده، ومن ذلك قوله عند تفسيره لقوله تعالى: إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ [٣] : "لدلالات على وحدانيته وانفراده باستحقاق العبادة والطاعة"[٤].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "نفي الربوبية يوجب نفي الإلهية، إذ الإلهية هي الغاية وهي مستلزمة للبداية كاستلزام العلة الغائية للفاعلية"[٥].

---

(١) سورة الزخرف: الآية (٨٧).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٧٧١).

(٣) سورة يونس : الآية (٦٧).

(٤) رموز الكنوز (٢/١٠٨/ب).

(٥) مجموع الفتاوى (٢/٣٧).

وهذا هو منهج السلف في توحيد الربوبية حيث يجعلونه مقدمة لتوحيد الألوهية، ولا يغرقون في الاستدلال له بالمقدمات المنطقية؛ لأنه أمر مستقر في النفوس، ويرون أنه طريق لإثبات الألوهية.

وعليه فإن الاستلال للربوبية وفق منهج السلف مطلوب، مما يزيد به اليقين ويطمئن به القلب.

هذا ويمكن تقسيم ما أورده الإمام الرسعني رَحِمَهُ اللَّهُ من الأدلة لإثبات الربوبية إلى الأقسام التالية :

١- دلالة الفطرة :

وجود الله تعالى والإقرار بربوبيته أمر فطري في نفس الإنسان منذ ولادته الأولى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الكتاب والسنة دلا على كون الخلق مفطورين على دين الله، الذي هو معرفة الله والإقرار به، بمعنى أن ذلك موجب فطرتهم، ومقتضاها يجب حصوله فيها، إذا لم يحصل ما يعوقها، فحصوله فيها لا يقف على وجود شرط بل على انتفاء مانع، ولهذا لم يذكر النبي ﷺ لموجب الفطرة شرطاً، بل ذكر ما يمنع موجبها"[1].

ولفظ الفطرة إذا كان معرفاً بالألف واللام يستعمل في النصوص الشرعية ويراد به الإسلام، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : "الفطرة حيث جاءت مطلقة معرفة باللام لا يراد بها إلا فطرة التوحيد والإسلام، وهي الفطرة الممدوحة، ولهذا جاء في حديث الإسراء: "لما أخذ النبي ﷺ اللبن، قيل له: أصبت الفطرة"[2] ولما سمع النبي ﷺ المؤذن يقول: "الله أكبر، الله أكبر" قال: «على الفطرة »، وحيث جاءت "الفطرة" في كلام رسول الله ﷺ فالمراد بها فطرة الإسلام لا غير"[3].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٤٥٤/٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، ورقمه (٣٨٨٧)، وكتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ورقمه (٣٢٠٧)، ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ (٢٢٣/٢، ٢٢٥).

(٣) تهذيب السنن، لابن القيم الجوزية (٨٢/٧)، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

يقول الإمام الرسعني رَحِمَهُ اللَّهُ **عند تفسيره لقوله تعـالى:** ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ (١).

" ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ **أي الزموا فطرة الله، أو عليكم فطرة الله التي فطـر النـاس عليها، والفطرة الخلق بدليل قوله:** ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ...﴾ **، وقول النبي** ﷺ: **«كل مولود يولد على الفطرة »**(٢) **حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه معناه: أن الله عز وجل فطر الخلق على الإيمان به، على ما جاء في الحديث: "أن الله تعالى أخرجهم من صـلب آدم كالذر وأشهدهم على أنفسهم بأنه خالقهم"**(٣)**، وذلك لقوله تعالى:** ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ

---

(١) سورة الروم: الآية (٣٠).

(٢) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه؟ ورقمه (١٣٥٨)، وباب ما قيل في أولاد المشركين، ورقمه (٤٧٧٥)، وكتاب التفسير، باب ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ **ورقمـه (١٣٨٥)، وكتاب القدر، باب أعلم بما كانوا عاملين، ورقمه (٤٧٧٥)، ورواه مسلم، كتاب القدر، باب معنى كـل مولود يولد على الفطرة، ورقمه (٢٦٥٨)، ونص الحديث: عن أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال: قـال رسـول الله** ﷺ: **«كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعـاء هل تحسون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجد عو ا؟ » ثم قرأ أبو هريرة:** ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ **الآية.**

(٣) وهذا الحديث من رواية ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **عن النبي** ﷺ **أنه قال: «أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان » -يعني عرفة- فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم قُبلاً، وقال:** ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ **، وهذا الحديث في "المسند" (٢٧٢/١) حـديث رقم (٢٤٥٥) وهو في "مجمع الزوائد" (٢٥/٧) وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، ونقله ابن كثير في "التفسير" (٢٦٢/٢) عن أحمد وقال: وقد روى هذا الحديث النسائي في كتاب "التفسير" من "سننه" عن محمد بن عبدالرحيم صاعقة عن حسين بن محمد المروزي به، ورواه ابن جرير، وابن أبي حاتم مـن حـديث حسين بن محمد به إلا أن ابن أبي حاتم جعله موقوفاً، وأخرجه الحاكم في "مستدركه" من حديث حسين بـن محمد وغيره عن جرير بن حازم عن كلثوم بن جبر به، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقد احتج مـسلم**

==

مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ ... الآية[١]، فكل مولود هو من تلك الذرية التي شهدت بأن الله تعالى خالقها، فمعنى "فطرة الله" دين الله التي فطر الناس عليها"[٢].

ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن ابن عبدالبر[٣] إجماع السلف على تفسير الفطرة بالإسلام فقال: "قال ابن عبدالبر: وقال آخرون: الفطرة ههنا الإسلام، قالوا: وهو المعروف عند عامة السلف أهل التأويل، وقد أجمعوا في تأويل قوله عز وجل: فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا [٤] على أن قالوا فطرة الله دين الله الإسلام"[٥].

ويقول الإمام الرسعني عند تفسيره لقوله تعالى: وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ [٦].

==

بكلثوم بن جبر هكذا قال: وقد رواه عبدالوارث عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير فوقفه، وكذا رواه إسماعيل بن علية، ووكيع عن ربيعة بن كلثوم بن جبر عن أبيه به، وكذا رواه العوفي، وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(١) سورة الأعراف: آية (١٧٢).

(٢) رموز الكنوز (٣/١٦٠/أ).

(٣) هو يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر، عالم سلفي صنف "التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد" و"جامع بيان العلم وفضله"، توفي سنة (٤٦٣هـ).
انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/١٥٣).

(٤) سورة الروم: آية (٣٠).

(٥) درء تعارض العقل والنقل (٨/٣٦٧)، وانظر: كلام ابن عبدالبر في التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٨/٧٢)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبدالكبير البكري، نشر وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية في المغرب.

(٦) سورة الأعراف: آية (١٧٢، ١٧٣).

"أخرج الإمام أحمد في المسند من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان -ونعمان قريب من عرفة-، فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم قِبلاً، وقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾»(١) وأخرج مالك في الموطأ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل عن قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ ...الآية فقال: سئل عنها رسول الله ﷺ فقال: «إن الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون، فقال رجل: يا رسول الله ففيم العمل؟ فقال رسول الله ﷺ: «إذا خلق الله العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة، وإذا خلق الله العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار »(٢) هذا حديث صحيح أخرجه أبو داود في سننه والحاكم في صحيحه، قال ابن عباس: "لما خلق الله تعالى آدم مسح على ظهره، فأخرج من ظهره كل نسمةٍ هو خالقها إلى يوم القيامة، فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ﴾ فنودي يومئذٍ أن القلم جف

---

(١) تقدم تخريجه ص ١٧٩.

(٢) رواه مالك في الموطأ، كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر، رقم الحديث (٢)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي – مصر ، والحاكم في المستدرك (٢٧/١)، وأبو داود في سننه، كتاب البينة، باب في القدر، برقم (٤٧٠٣، ٤٧٠٤)، والنسائي في الكبرى (١١٤/٨)، تحقيق: د. عبدالغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية – بيروت ، وفي التفسير (٥٠٤/١) برقم (٢١٠)، والترمذي، كتاب التفسير، سورة الأعراف (٤٥٢/٨)، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن"، ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر، وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وبين عمر رجلاً". أ.هـ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة، ورقمه (٩٩٠)، وابن عبدالبر في التمهيد (٤/٦)، وابن حبان في صحيحه، كتاب التاريخ، باب بدء الخلق، ورقمه (٦١٣٣)، والطبري في جامع البيان (١١٢/٦، ١١٣)، وأحمد في المسند (٤٤/١، ٤٥).

بما هو كائن إلى يوم القيامة"[1]... ﴿وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ فأقروا جميعاً بربوبيته"[2].

ثم قال مجيبا على بعض الاعتراضات: "فإن قيل: قد خرجت الآية بأن أخذ الميثاق على الذرية إنما كان قطعاً لاحتجاجهم؛ لئلا يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، ونحن ما فينا من يذكر ذلك، قلت: قام إخبار الصادق مقام الذكر، فالمعرض عنه عما أخبر به مقطوع الحجة والاعتذار بالغفلة، فإن قيل: فأي فائدة فيه مع النسيان؟ قلت: تأكيد الحجة على الكافر الجاحد بعد الإشهاد عليه بإقراره على نفسه بأن الله تعالى ربه لا شريك له، فإن الجحد بعد الإقرار أقبح، وأعظم جريمة منه غير مسبوق بإقرار، فإن قيل: ما الحكمة في إنشاء الإنسان الإقرار الأول، قلت: لأنه لو ذكر يوم ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡ﴾ وكلام الله له بذلك، لكان إيمانه اضطرارياً لا اختيارياً، ولزال معنى الابتلاء والامتحان والتكليف بالإيمان بالغيب، وما يترتب عليه من حسن الجزاء، فإن قيل: فما تقول في قول الزمخشري: "بأن هذا تخييل وتمثيل، وأن معنى ذلك أنه نصبت لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته، وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها الله فيهم، فكأنه أشهدهم على أنفسهم"[3]. قلت: هو قول يصادم صريح القرآن وصحيح السنة وآثار السلف وإجماع الأمة[4]، وأخاف أن يزاحم الكفر؛ لأنه تكذيب وتعطيل في المعنى، فليت شعري، أي

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢٧٢/١)، والنسائي في التفسير، برقم (٢١١)، (٥٠٦/١)، والحاكم (٢٧/٤)، (٥٤٤/٢)، والطبري في جامع البيان (١١٠/٦)، والبيهقي في الأسماء والصفات برقم (٤٤١)، (٥١٨/١)، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ورقمه (٩٩٢)، موقوفاً، وابن أبي عاصم برقم (٢٠٢) بنحوه، وحسنه الشيخ الألباني.

انظر: السلسلة الصحيحة (١٥٨/٤) برقم (١٦٢٣).

(٢) رموز الكنوز (٤٣/٢/أ).

(٣) الكشاف (١٦٦/٢).

(٤) من أهل السنة من قال بهذا القول وبذلك يتبين بأنه ليس هناك إجماع على هذا القول.

انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢٤٠/١)، الروح، لابن القيم الجوزية ص١٥٨، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٣٩٥هـ ، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، حافظ بن أحمد ==

ضرورة تحمل على مثل هذا، وليس في المصير إلى مدلول اللفظ ما يخالف القضايا العقلية والدلائل النقلية، اللهم فاعصمنا من مخالفة كتابك، وألا تعرضنا لغضبك وعقابك"[١].

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ﴾ الآية[٢]. يقول: "لا يقدرون على الاحتجاج بذلك، ولأن الله سد عليهم مسالك الاعتذار بما أخذه عليهم من الإقرار وأنتهم به الرسل من الإنذار"[٣].

وهذا الميثاق يدل على فطرية معرفة الله تعالى، وهو شاهد من شـواهدها، وفيـه دلالة على أن جميع بني آدم يعرفون الله ويقرون بربوبيته ووحدانيته وألوهيتـه إلا مـن فسدت فطرته.

كما أنه لو لم يكن الإقرار بالله تعالى وبربوبيته فطرياً لساغ لمعارضي الرسل عنـد دعوتهم لهم بقول الله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدُونِ﴾[٤] أن يقولوا نحن لم نعرفه أصـلاً فيكـف يأمرنا، فلما لم يحدث ذلك دل على أن المعرفة كانت مستقرة في فطرهم[٥].

ويتبين بما سبق موافقة الإمام الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأهل السنة والجماعـة في القـول بدلالة الفطرة على معرفة الله والإقرار بوجوده.

==

الحكمي (٩٠/١)، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، دار ابن القيم – الدمام.

وانظر بخصوص تفصيل هذه المسألة والراجح فيها كتاب (الفطرة حقيقتها ومذاهب الناس فيها) لعلي بن عبدالله القرني، ص٥٢١ وما بعدها، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، دار المسلم للنشر والتوزيع - الرياض.

(١) رموز الكنوز (٤٣/٢/ب).

(٢) سورة الأعراف: آية (١٧٣).

(٣) رموز الكنوز (٤٣/٢/ب).

(٤) سورة الأنبياء : آية (٢٥).

(٥) انظر: منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى (٢٨٣/١-٢٨٤).

٢- الاستدلال بالآفاق:

لقد حث الإسلام على التفكر والتأمل وأخذ العبرة والعظة، وذلك من خلال النظر في ملكوت السموات والأرض، وتقلب الليل والنهار.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[1].

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآيات: "إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ **أي: هذه في ارتفاعها واتساعها، وهذه في انخفاضها وكثافتها واتضاعها، وما فيهما من الآيات المشاهدة العظيمة من كواكب وسيارات، وثوابت، وبحار، وجبال وقفار، وأشجار ونبات، وزروع وثمار، وحيوان ومعادن، ومنافع مختلفة الألوان والطعوم والروائح والخواص،** ﴿وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ **أي: تعاقبهما وتقارضهما الطول والقصر، فتارة يطول هذا ويقصر هذا، ثم يعتدلان، ثم يأخذ هذا من هذا، فيطول الذي كان قصيراً، ويقصر الذي كان طويلاً وكل ذلك تقدير العزيز العليم، ولهذا قال:** ﴿لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ **أي: العقول التامة الذكية التي تدرك الأشياء بحقائقها على جلياتها، وليسوا كالصم البكم الذين لا يعقلون"[2].**

ويقول ابن جرير الطبري[3] في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ

---

(١) سورة آل عمران: آية (١٩٠، ١٩١).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/١٧٥).

(٣) هو محمد بن جرير بن زيد، أبو جعفر الطبري المفسر، سلفي العقيدة، متبع للسنة، صنف التفسير المسمى بـ"جامع البيان" وله في العقيدة "صريح السنة" وغيرها، توفي سنة (٣١٠هـ).
انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/٢٦٧).

ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ [(١)]: أو لم ينظر هؤلاء المكذبون بآيات الله في ملك الله وسلطانه في السموات وفي الأرض وفيما خلق جل ثناؤه من شيء فيهما، فيتدبروا ذلك، ويعتبروا به، ويعلموا أن ذلك لمن لا نظير له ولا شبيه... فيؤمنوا به ويصدقوا رسوله، وينيبوا إلى طاعته، ويخلعوا الأنداد والأوثان"[(٢)].

وكان الإمام الرسعني يحث على النظر والتفكر في آيات الله سبحانه وتعالى فهو يقول عند قوله تعالى: إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ [(٣)]: تفكراً يفضي بهم إلى معرفة الله تعالى وقدرته ووحدانيته"[(٤)].

ومن ثم قال عند قوله تعالى: إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ [(٥)]: "لعلامات ودلالات على قدرة الله ووحدانيته وحكمته، وقدم التفكر في الآية التي قبل هذه على العقل [(٦)]؛ لأن التفكر في الرتبة الأولى، ثم ختم هذه بالعقل لأنه إذا تفكر استثمر من تفكره العقل وطمأنينة النفس وسكونها إلى ما دلت عليه الآيات"[(٧)].

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تعالى: وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ [(٨)]: "فيستدلون ببدائع صنعة الله، وعجائب قدرته على عظمة شأنه، وجلال سلطانه فيستثمرون من ذلك علماً بالله، وخوفاً يبعثهم على مراقبة أمره ونهيه"[(٩)].

---

(١) سورة الأعراف: الآية (١٨٥).
(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٣/٢٩٠).
(٣) سورة الرعد: الآية (٣).
(٤) رموز الكنوز (٢/١٦٣/أ).
(٥) سورة الرعد : الآية (٤).
(٦) قوله تعالى: وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ [سورة الرعد: الآية (٣)].
(٧) رموز الكنوز (٢/١٦٣/ب).
(٨) سورة آل عمران: الآية (١٩١).
(٩) رموز الكنوز (١/٣٣٩).

ثم استشهد بما جاء عن السلف من آثار في مدح التفكر والاعتبار والحث عليه، ومنها أن سفيان الثوري[١] نظر إلى السماء، فلما رأى الكوكب غشي عليه[٢]، وما قاله أبو الأحوص[٣] أنه بلغه أن عابداً تعبد في بني إسرائيل ثلاثين سنة، وكان الرجل إذا تعبد ثلاثين سنة أظلته غمامة، فلم ير شيئاً، فشكى ذلك إلى والدته، فقالت: يا بني؛ فكر هل أذنبت ذنباً منذ أخذت في العبادة؟ قال: لا، ولا أعلم أني هممت به منذ ثلاثين سنة، فقالت: يا بني؛ بقيت واحدة، فإن نجوت منها رجوت لك أن تظلك الغمامة، قال: وما بقي هناك؟ قالت: هل رفعت طرفك إلى السماء، ثم رددته بغير فكر؟ قال: كثير. قالت: فمن ههنا أتيت[٤][٥].

ويقول الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ﴾[٦]: "علامات ودلالات على الصانع وقدرته وعظمته وحكمته، من إجراء أنهارها وإخراج ثمارها وإرساء جبالها، وانقسامها إلى حزنٍ وسهل وبرٍ وبحرٍ، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على قدرة خالقها، للموقنين بالله تعالى"[٧].

ويقول عند قوله تعالى: ﴿وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾[٨].

---

(١) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبدالله، أمير المؤمنين في الحديث، كان سيد زمانه في علوم الدين والتقوى، ولد في الكوفة سنة (٩٧هـ)، ونشأ بها، وتوفي بالبصرة سنة (١٦١هـ).
انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٢٢٩/٧)، تاريخ بغداد (١٥١/٩)، وفيات الأعيان (٢١٠/١).

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (١٧١/٣).

(٣) هو سلام بن سليم الحنفي، مولاهم، أبو الأحوص الكوفي، ثقة متقن، صاحب حديث من كبار التابعين، مات سنة (١٧٩هـ).
انظر ترجمته في: تاريخ الإسلام (٤١١/١١-٤١٢)، تذكرة الحفاظ (٦٠٥/١)، تهذيب التهذيب (٢٨٢/٤، ٢٨٣).

(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره (١٧١/٣) بغير إسناد.

(٥) انظر: رموز الكنوز (٣٤٠/١).

(٦) سورة الذاريات: الآية (٢٠).

(٧) رموز الكنوز (٢٥/٤/أ).

(٨) سورة التوبة: الآية (١١).

"يبين الآيات ويوضحها لقوم يعلمون، فيدلهم علمهم وعقلهم على صحة الاستدلال بالصنعة على الصانع وبالمقدور على القادر"[(١)].

كما أن في خلق الشمس والقمر والنجوم دليلاً على عِظم قدرة الله، ووحدانية خالقها، يقول الرسعني حول ذلك: "انظروا ماذا في السموات والأرض من الآيات والعبر الدالة على القدرة والوحدانية، كالشمس والقمر والنجوم وغيرها من العجائب المقتضية صانعاً حكيماً ومدبراً لا يشبهه شيء"[(٢)].

ويقول عند قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾[(٣)]:

"آياتها شمسها وقمرها ونجومها، وما لازمها من الطلوع والغروب على الحساب القويم الدال على الحكمة البالغة، والقدرة الباهرة ﴿مُعْرِضُونَ﴾ لا يتفكرون ولا يعتبرون"[(٤)].

وكذلك فإن إنزال الماء وإحياء الأرض بعد موتها من الأدلة على وحدانيته وربوبيته.

ويقول الرسعني عند قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾[(٥)] مبرزاً هذا الدليل:

" ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ يعني المكذبين ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ أي من كل صنف ونوع حسن، من ما لا يقدر أحد على إنباته إن في ذلك الإنبات

---

(١) رموز الكنوز (٢/٩٩/أ).
(٢) المصدر السابق (٢/١١٣/ب).
(٣) سورة الأنبياء: الآية (٣٢).
(٤) رموز الكنوز (٣/٨٨/ب).
(٥) سورة الشعراء: الآية (٧).

المشار إلى كثرته والإحاطة به بكلمتي (كم وكل) لآية: لدلالة على عظمة الله ووحدانيته وقدرته"[١].

ويقول في موضوع آخر عند قوله تعالى: وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ [٢]:

" وَلَئِن سَأَلْتَهُم **يعني أهل مكة** مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً **يريد المطر** فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ **... والذي يظهر في نظري أنه أمر بالحمد شكراً لله على التمتع بنعمة العقل، حيث سلب الكفار نعمة الانتفاع به في عبادة أحجار لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع وجعلهم إياها آلهة، مع اعترافهم أن الخالق الرازق المسخر للشمس والقمر والمنزل من السماء الماء لإحياء الأرض بالنبات وإخراج الثمرات هو الله رب العالمين، ألا تراه يقول:** بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ **أي لا ينتفعون بعقولهم"[٣].**

وكذلك فإن تعاقب الليل والنهار آية من آياته الدالة على وحدانيته سبحانه.

يقول الرسعني عند قوله: قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟

---

(١) رموز الكنوز (٣/١٩٧/أ).
(٢) سورة العنكبوت : الآية (٦٣).
(٣) رموز الكنوز (٣/٢٥٦/أ).

فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٧٣﴾ [(١)].

" قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ أي قل يا محمد لكفار مكة أخبروني إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ يعني دائماً متتابعاً واشتقاقه من السرد وهو المتابعة مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍ نور ساطع أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ما يتلوه عليكم رسولي من الحجج البالغة ومثله أفلا تبصرون آثار عظمتي ودلائل وحدانيتي وقدرتي، ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار هذا للسكن والراحة وهو قوله لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وهذا للانتشار وطلب المعيشة وهو قوله: وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ من أنعم عليكم بهذه النعم وغيرها فتوحدون"[(٢)].

فهذه من الأدلة الصريحة التي تستلزم وجود مدبر وصانع حكيم.

وقد أسهب الرسعني في إبرازها وبيانها وقد اكتفيت بهذا القدر منها للاختصار.

٣- الاستدلال بالنفس:

السلف -رحمهم الله- أكثروا من الاستدلال بهذا النوع من الأدلة لكثرة ما ورد منه في القرآن الكريم، ولكونه من أبلغ الأدلة تأثيراً في النفس لأنه محسوس، وشاهد قريب من الخلق.

قال تعالى: وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ [(٣)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "الاستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والاستقامة، وهي طريقة عقلية صحيحة، وهي شرعية دل القرآن عليها وهدى

---

(١) سورة القصص: الآية (٧١-٧٣).

(٢) رموز الكنوز (٣/٢٤٠/أ).

(٣) سورة الذاريات: الآية (٢١).

الناس إليها وبينها وأرشد إليها"[١].

ويقول تلميذه ابن القيم: "لما كان أقرب الأشياء إلى الإنسان نفسه، دعاه خالقه وبارئه ومصوره وفاطره من ماء إلى التبصر والتفكر في نفسه، فإذا تفكر الإنسان في نفسه استنارت له آيات الربوبية وسطعت له أنوار اليقين، واضمحلت عنه غمرات الشك والريب"[٢].

وكان الإمام الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ يكثر من الاستدلال بالنفس موافقاً بذلك منهج السلف الصالح، مبيناً أن ذلك من الشواهد على وحدانية الله وربوبيته وقدرته على الخلق.

يقول حول ذلك: "وفي أنفسكم آيات إذ كنتم نطفا ثم علقا ثم مضغاً إلى أن نفخت فيكم الأرواح، وصرتم بشراً ناطقاً سميعاً بصيراً فاهماً ذوي ألسنة مختلفة وطبائع غير مؤتلفة، وصور متباينة وألوان متغايرة، أفلا تبصرون آيات أنفسكم فتستدلوا بالصنعة على الصانع، و بهذه العجائب على قدرة مكونها على بعثكم بعد إماتتكم"[٣].

ويقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾[٤]:

"ومعنى الآية: خلقكم من ماءٍ ذي ضعف، وهو المني، ثم جعل من بعد ضعف الطفولية قوة الشباب، ثم جعل من بعد قوة الشباب ضعف الكبر والهرم ﴿وَشَيْبَةً﴾ وهو التغير من صفة إلى صفة، وهيئة إلى هيئة؛ أعدل شاهد وأظهر دليل على الصانع الحكيم"[٥].

---

(١) النبوات، لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٥٢)، الناشر: المطبعة السلفية بالقاهرة عام ١٣٨٦هـ.

(٢) التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم الجوزية ، (ص٢٠٢)، الناشر: دار الفكر

(٣) رموز الكنوز (٤/٢٥/أ).

(٤) سورة الروم: الآية (٥٤).

(٥) رموز الكنوز (٣/١٦٢/أ).

ويقول في موضع آخر عند قول تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾[(١)]: "أي من دلائل قدرته وعظمته أن خلق أصلكم يا بني آدم من تراب ثم إذا أنتم بشر من لحم ودم تنتشرون في الأرض ... ﴿وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾[(٢)] يريد بالألسنة اللغات وقيل: أشكال النطق، فإن القدير الحكيم خالف بين مناطق عباده، حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين في جهارة ولا همس ولا فصاحة ولا لكنة ولا صوت ولا نغمة، واختلاف الألوان ظاهر لأن الخلق ما بين أبيض وأسود وأحمر وآدم، وقيل: المراد باختلاف الألوان اختلاف الصور، فسبحان من خالف بين الصور والألوان حتى لا تكاد ترى أخوين توأمين متفرعين من أصل واحد متماثلين؛ ماذاك إلا عن قدرة قادر وحكمة حكيم، فإ ا لو اتفقت وتشاكلت لوقع الالتباس في الناس، إن في ذلك لآيات للعالمين: البر منهم والفاجر والجن والإنس"[(٣)].

ويقول أيضاً عند قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[(٤)]:

"أعطى كل شيء صورته وشكله المطابق للنفع المنوط به، على ما اقتضته الحكمة الإلهية، كالعين والأذن واليد والرجل، فإن كل واحد من هذه الأعضاء مركب على هيئة لا ينوب غيرها عنها، وفيه دقائق من الحكمة لا ينتبه لها إلا حذاق الأطباء ... ما ذاك إلا لاطلاعه على عجائب قدرة الله ودقائق حكمته في تشريح خلق الحيوان، فتبارك الله أحسن الخالقين ... ثم هدى كل مخلوق إلى ما يصلحه من مطعمه ومشربه ومنكحه وغير ذلك، فانظر إلى هذ الجواب ما أخصره وأحصره فسبحان من لا شبيه له في ذاته

---

(١) سورة الروم: الآية (٢٠).

(٢) سورة الروم: الآية (٢١).

(٣) رموز الكنوز (١٥٨/٣/ب-١٥٩/أ).

(٤) سورة طه: الآية (٥٠).

وصفاته"[(١)].

هذا وبعد الاستعراض لأقوال الإمام الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب؛ نصل إلى نتيجة، مفادها التزامه بالدليل الشرعي "الكتاب والسنة" واقتفاؤه لمنهج السلف الصالح في ذلك.

الرد على منكري الربوبية:

لم ينكر توحيد الربوبية طائفة معروفة من بني آدم، بل فطرت القلوب على الإقرار به أعظم من الإقرار بغيره من الموجودات.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "قد أقر به المشركون الذين قال الله فيهم: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾[(٢)]، قال ابن عباس: تسألهم من خلق السموات والأرض فيقولون الله وهم يعبدون غيره، وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ﴾[(٤)] فالكفار المشركون مقرون أن الله خالق السموات والأرض"[(٥)].

---

(١) رموز الكنوز (٣/٦٧/أ، ب).

(٢) سورة يوسف: الآية (١٠٦).

(٣) سورة لقمان: الآية (٢٥).

(٤) سورة المؤمنون: الآية (٨٤-٨٩).

(٥) مجموع الفتاوى (١١/٥٠).

وأشهر من عرف بتعطيل الصانع فرعون إذ قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [(١)] فقال الله تعالى عنه وعن قومه: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمًا وَعُلُوًّا﴾ [(٢)].

وأيضاً لم يزعم أحد من الخلق أن هناك خالقاً مع الله شاركه في خلق السموات والأرض، بل ولا زعم أحد من الناس أن العالم له صانعان متكافئان في الصفات والأفعال والثنوية[(٣)] الذين قالوا بأن هناك خالقين هما النور والظلمة، وأن النور خلق الخير والظلمة خلقت الشر، ذكروا لهم في الظلمة قولين: أحدهما: أنها محدثة فتكون من جملة المخلوقات، والثاني: أنها قديمة، لكنها لا تفعل إلا الشر، فكانت ناقصة في ذاتها وصفاتها[(٤)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فقد تبين أن ليس في العالم من ينازع في أصل هذا الشرك، لكن غاية ما يقال: إن من الناس من جعل بعض الموجودات خلقاً لغير الله، كالقدرية وغيرهم، لكن هؤلاء يقرون بأن الله خالق العباد وخالق قدرتهم، وإن قالوا إنهم خلقوا أفعالهم وكذلك أهل الفلسفة[(٥)]

---

(١) سورة النازعات: الآية (٢٦).

(٢) سورة النمل: الآية (١٤).

(٣) الثنوية: هم أصحاب الاثنين الأزليين، يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان، بخلاف المجوس فإنهم قائلون بحدوث الظلام، وهؤلاء قائلون بتساويهما في القدم واختلافهما في الجوهر والطبع والمكان.
انظر: تلبيس إبليس (ص٤٤، ٤٥)، الملل والنحل (٢٤٤/١).

(٤) انظر: التدمرية ص (١٧٦-١٧٨)، دعوة التوحيد للشيخ محمد خليل هراس (ص ٢٧، ٢٨)، مكتبة ابن تيمية.

(٥) أهل الفلسفة: الفلاسفة هم من ينسبون إلى الفلسفة، والفلسفة أصلها كلمة يونانية مركبة من كلمتين هما: "فيلو، وسوفيا" ومعنى "فيلو" في اليونانية محب، و"سوفيا": الحكمة، فالفيلسوف هو محب الحكمة، ومذهبهم: أن العالم قديم وعلته مؤثرة بالإيجاب، وليست فاعلة بالاختيار وأكثرهم ينكرون علم الله تعالى وينكرون النبوات والبعث الجسماني، أما موضوع الفلسفة فهو موضع خلاف، فمن قائل: إن دائرة الفلسفة تتسع فتشمل كل علم أو فرع من فروع العلوم، إلى قائل: بأنها تختص فقط بالبحث فيما وراء الطبيعة أو ما يتصل له كالمنطق.

==

والطبع[1] والنجوم [2] الذين يجعلون من بعض المخلوقات مبدعة لبعض الأمور هم مع الإقرار بالصانع، يجعلون هذه الفاعلات مصنوعة مخلوقة، لا يقولون إنها غنية عن الخالق مشاركة له في الخلق، فأما من أنكر الصانع فذاك جاحد معطل للصانع كالقول الذي أظهره فرعون"[3].

وقد رد الإمام الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ على هؤلاء بردود واضحة تكشف فساد مذهبهم ومخالفته للفطر والعقول السليمة.

فهو يقول عند قوله تعالى: ﴿وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٍ فِي ٱلۡأُكُلِ﴾[4]:

"والمعنى يفضل بعضها على بعض في الطعم، هذا حلو وهذا حامض وهذا بينهما، وفي هذا دلالة على بطلان قول الطبائعيين؛ لأنه لو كان انفعال هذه الأشياء بطبع الهواء

==

انظر: الملل والنحل (٧٩٥/٢)، إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، للإمام ابن قيم الجوزية (٢٥٦/٢)، تحقيق: محمد عفيفي، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٧هـ، المكتب الإسلامي – بيروت، مبادئ الفلسفة، أ.س. دابوبوت، ترجمة: أحمد أمين، (ص ١٦)، دار الكتاب العربي – بيروت، المرشد الأمين إلى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، لطه عبدالرؤوف سعد ومصطفى الهواري، (ص١٤٥)، عام ١٣٩٨، مكتبة الكليات الأزهرية.

(١) الطبع: هو ما يقع على الإنسان بغير إرادة، وقيل: الطبع بالسكون: الجبلة التي خلق عليها الإنسان، وأهل الطبع أو الطبائعيون : هم الذين ينكرون ما سوى هذا الوجود الذي يشاهده الناس ويحسونه، وهو وجود الأفلاك وما فيها.

انظر: التعريفات، علي بن محمد الجرجاني (ص١٤)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، دار الكتاب العربي – بيروت ، درء تعارض العقل والنقل (١٦٨/٥).

(٢) أهل النجوم: هم الذين يعتقدون بأن الأجسام السفلية مرتبطة بالنجوم وإن لها تأثير في ذلك، أي يستدلون بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية.

انظر: مجموع الفتاوى (١٨١/١٣)، حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح، أحمد بن محمد الطحطاوي (٥٤٣/٢)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق – مصر – ١٣١٨هـ.

(٣) التدمرية ص١٨١.

(٤) سورة الرعد : الآية (٤).

والأرض والماء لوجب أن تتفق لاتفاق الموجب، فلما وقع الافتراق مع اتفاق الموجب دل على مدبرٍ قادرٍ حكيم"(١).

والحاصل أن إثبات توحيد الربوبية محل وفاق، والشرك فيه قليل، ولكن الإقـرار به وحده لا يكفي العبد في حصول الإسلام، بل لابد مع ذلك أن يأتي بلازمـه، وهـو توحيد الألوهية، فإن الأمم الكفرية كانت تقر بتوحيد الربوبية خصوصاً مشركي العرب الذين بعث فيهم خاتم الرسل ﷺ ولم يكونوا بهذا مسلمين لما لم يأتوا بتوحيـد الإلهيـة، والمستقرئ لآيات القرآن الكريم يجد أنها تطالب بتوحيد الإلهية وتستدل عليه بتوحيـد الربوبية، فهي تطالب المشركين بما جحدوه وتستدل عليهم بما أثبتوه، فهي تأمر بتوحيـد العبادة، وتخبر عن إقرارهم بتوحيد الربوبية، فتذكر توحيد العبادة في سـياق الطلـب، وتوحيد الربوبية في سياق الخبر(٢)، ولا نريد أن نطيل في موضوع توحيد العبـادة لأنـه سيأتي في المبحث القادم بإذن الله.

---

(١) رموز الكنوز (٢/١٦٣/أ-ب).

(٢) بيان حقيقة التوحيد، للدكتور صالح الفوزان (ص١٩)، الطبعة الأولى عام ١٤٠٨هـ، مطابع جامعة الإمـام محمد بن سعود الإسلامية.

المبحث الثاني

جهود الرسعني في تقرير توحيد الألوهية

المبحث الثاني

جهود الرسعني في تقرير توحيد الألوهية

تعريف توحيد الألوهية :

يعتبر تحرير مفهوم الإله في غاية الأهمية؛ ذلك لأن التوحيد هو التأله لله عز وجل، والشرك هو اتخاذ غير الله عز وجل إلهاً، فإذا عرف مفهوم الإله عرف بالتالي مفهوم التوحيد ومفهوم الشرك.

ويسمى هذا التوحيد أيضاً توحيد العبادة، وتوحيد الإرادة والقصد، وتوحيد الطلب[(١)].

مفهوم الإله في اللغة :

إله: مصدر أَلِه يأله فهو إله، وقد بين الزجاجي[(٢)] معناه فقال: "فإله "فِعال" بمعنى "مفعول" كأنه مألوه أي معبود مستحق للعبادة يعبده الخلق ويؤلهونه"[(٣)].

قال الإمام ابن فارس: "الهمزة واللام أصل واحد، وهو التعبد، فالإله الله تعالى وسمي لأنه معبود، ويقال تأله الرجل إذا تعبد"[(٤)].

و"الإله: الله عز وجل، وكل ما اتخذ من دونه معبوداً إله عند متخذه، والجمع

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢٤/١-٢٥)، مدارج السالكين (٤٦٨/٣-٤٦٩).

(٢) هو عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي البغدادي النحوي، أبو القاسم، وهو تلميذ "الزجاج"، له :اشتقاق أسماء الله"، توفي سنة (٣٠٤هـ).
انظر: سير أعلام النبلاء (٤٧٥/١٥).

(٣) اشتقاق أسماء الله، للزجاجي (ص٢٤)، تحقيق: د. عبدالحسين المبارك، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ، مؤسسة الرسالة.

(٤) معجم مقاييس اللغة (١٢٧/١).

آلهة، والآلهة الأصنام"[١].

ويلاحظ أن معاني الفعل "أله" تتنوع بحسب لزومه أو تعديه، كما أنه يختلف المعنى بحسب الحرف الذي عدي به، لكن الجميع يرجع إلى معنى واحد عام وهو العبادة، ولهذا سمى العرب الشمس الإله لما عبدوها"[٢].

توحيد الألوهية في الاصطلاح:

هو إفراد الله عز وجل بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة قولاً وعملاً، ونفي العبادة عن كل ما سوى الله تعالى كائناً من كان[٣].

فلا يعبد إلا إياه سبحانه وتعالى، ولا يشرك به في عبادته سواه، بل يكون وحده هو المعبود[٤].

منزلة توحيد الألوهية:

توحيد الألوهية هو أول العلم الواجب على العبد تعلمه، وهو أول الفقه الذي يوفق إليه من يرد الله به خيراً، وهو العلم الذي لا يسع أحداً جهله، والنبي ﷺ يقول في حديث معاذ رضي الله عنه: «إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله »[٥]، وبناءً عليه فليس أول الواجبات على العبد النظر، ولا القصد إلى النظر، ولا

---

(١) لسان العرب (٤٦٧/١٣).

(٢) انظر: المصدر السابق (٤٦٨/١٣).

(٣) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، لحافظ بن أحمد الحكمي، (ص٥٠)، تحقيق: أحمد علي المدخلي ، الطبعة الثانية عام ١٤١٤هـ، مكتبة الرشد – الرياض.

(٤) انظر: بدائع الفوائد، ابن القيم الجوزية (١٤٦/١)، تحقيق: هشام عبدالعزيز عطا، كمال عبدالحميد العدوي، أشرف أحمد، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة.

(٥) رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة (٥٢٩/٢)، برقم (١٣٨٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين، وشرائع الإسلام (٥١/١) برقم (١٩).

الشك، كما هي أقوال أهل الكلام[1].

وهذا التوحيد نتيجة لازمة للإقرار بتوحيد الربوبية، وهو أعظم أنواع التوحيد، وغاية دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[2].

وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[3].

وقول نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾[4].

وهذا التوحيد هو الأساس الذي تبنى عليه صحة الأعمال مع المتابعة للنبي ﷺ، فإن ذهب أحدهما بطل العمل، وهو أصل الأصول الذي يبنى عليه غيره، كما في حديث الأعرابي الذي جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله علمني كلاماً أقوله، قال: «قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا »[5].

وتوحيد الألوهية شهد الله به، ثم شهدت به الملائكة وأولو العلم مستدلين بما وفقهم الله سبحانه وتعالى من الدلائل لتلك الشهادة، قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[6]،

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢٣/١)، دعوة التوحيد (ص ٣٥).

(٢) سورة النحل: الآية (٣٦).

(٣) سورة الأنبياء: الآية (٢٥).

(٤) سورة الأعراف: الآية (٥٩).

(٥) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (٢٠٧٢/٤) برقم (٢٦٩٦).

(٦) سورة آل عمران: الآية (١٨).

وهو العاصم للدم والمال، إلا من استثناه الشرع بجرمٍ فعله ؛ لحديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة »[(١)].

وتوحيد الألوهية من حققه من العباد فقد وفى بشرط الله عليه في البيع واشترى نفسه شراءً عاماً من الله تعالى، وهذا الشراء يعني تحرر العبد من رق غير الله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله عز وجل: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾[(٢)] قال: «يا معشر قريش -أو كلمة نحوها- اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبدالمطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً »[(٣)].

فمن حقق هذا التوحيد غير شاك في كلمة الإخلاص لم يحجب عن الجنة، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من قال أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاكٍ فيحجب عن الجنة »[(٤)].

ومن أخل بتحقيق توحيد الألوهية فإنه وقع في أعظم ذنب يعصي به الله، حيث إن عدم تحقيقه يورث الذنب الذي لا يغفر، كما أخبر تعالى في كتابه الكريم عن ذلك

---

(١) رواه البخاري في كتاب الديات، باب قوله تعالى: ﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (٢٥٢١/٦) برقم (٦٤٨٤)، ومسلم في كتاب القسامة والمحاربين والقصاص، باب ما يباح به دم المسلم (١٣٠٢/٣) برقم (١٦٧٦).

(٢) سورة الشعراء: الآية (٢١٤).

(٣) رواه البخاري في كتاب الوصايا، باب هل يدخل النساء في الولد والأقارب؟ (١٠١٢/٣) برقم (٢٦٠٢).

(٤) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (٥٦/١) برقم (٢٧).

بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾[(١)].

وهذا التوحيد هو حق الله على عباده كما جاء في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، وقد استشهد الرسعني به عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾[(٢)].

"قوله: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ **أخرجا في الصحيحين من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: بينا أنا رديف رسول الله ﷺ ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل، قال: « يا معاذ »، فقلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة، ثم قال: « يا معاذ »، قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة، ثم قال: « يا معاذ »، قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: « هل تدري ما حق الله على عباده؟ » قلت: الله ورسوله أعلم، قال: « حق الله على عباده، أن يعبدوه فلا يشركوا به شيئاً »، ثم سار ساعة، ثم قال: « يا معاذ »، قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: « هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه »؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: « حق العباد على الله أن لا يعذ م »، فقلت: يا رسول الله؛ ألا أبشر الناس؟ قال: « لا تبشرهم فيتكلوا»، فأخبر ا معاذ عند موته تأثماً »[(٣)(٤)].**

وهو أول التوحيد وآخره، وباطنه وظاهره، وهو أول دعوة الرسل وآخرها، وهو

---

(١) سورة النساء: الآية (٤٨).

(٢) سورة النساء: الآية (٣٦).

(٣) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب: إرداف الرجل خلف الرجل (٢١٨/٧)، ومسلم، كتاب الإيمان (٥٨/١-٥٩)، وقوله فأخبر ا معاذ عند موته تأثماً، عند البخاري في كتاب العلم، باب: من خص بالعلم قوماً دون قوم (٤٤/١).

(٤) رموز الكنوز (٤٥٦/١-٤٥٧).

معنى قول لا إله إلا الله[١].

يقول الرسعني عند قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[٢].

"قوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ﴾ وهي: "لا إله إلا الله"، ولعمري إنها كلمات، ولكن العرب تسمي الكلام المشتمل على شرح قصة كلمة... فالمعنى: هلموا إلى كلمة عادلة، مستوية بيننا وبينكم، لا تختلف فيها التوراة والإنجيل والقرآن ... وبهذه الآية العظيمة دعا رسول الله ﷺ قيصر ملك الروم إلى الإسلام حين كتب إليه بقوله: «من محمد رسول الله إلى قيصر عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم الأريسيين»[٣]، و﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[٤][٥].

وما زال أهل السنة والجماعة منذ عهد الصحابة إلى يومنا هذا وأهم المهمات عندهم هو توحيد الألوهية وتحقيقه، كما هي طريقة الأنبياء والرسل.

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص ٣٦).

(٢) سورة آل عمران: الآية (٦٤).

(٣) الأريسيون: جمع أريسي وهم: الفلاحون، والمراد: فإن عليك إثم الضعفاء والاتباع من رعيتك، لأنهم إنما ضلوا بسببك.
انظر: غريب الحديث للخطابي (٤٩٩/١-٥٠٠)، تحقيق: عبدالكريم إبراهيم العزباوي، جامعة أم القرى - مكة المكرمة.

(٤) الحديث في الصحيحين، أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي من صحيحه (٧/١)، ومسلم، كتاب (الجهاد والسير) (١٣٩٦/٣).

(٥) رموز الكنوز (١٣٥/١، ١٣٦).

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمةٌ قامت بها الأرض والسموات، وخلقت لأجلها جميع المخلوقات، وبها أرسل الله تعالى رسله، وأنزل كتبه، وشرع شرائعه، ولأجلها نصبت الموازين، ووضعت الدواوين، وقام سوق الجنة والنار، وبها انقسمت الخليقة إلى المؤمنين والكفار، والأبرار والفجار، فهي منشأ الخلق والأمر، والثواب والعقاب، وهي الحق الذي خلقت له الخليقة، وعنها وعن حقوقها السؤال والحساب، وعليها يقع الثواب والعقاب، عليها نصبت القِبلة، وعليها أسست الملة، ولأجلها جردت سيوف الجهاد، وهي حق الله على جميع العباد، فهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام"[1].

ويقول الإمام الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبرزاً مكانة هذا التوحيد وأهميته: "التوحيد هو رأس كل حكمة وملاكها، ومن عدمه لم تنفعه حكمه وعلومه، وإن بدا فيها من العلماء وجلّ بيافوخه السماء، وما أغنيت عن الفلاسفة أسفار الحِكم وهم عن دين الله أضلّ من النعم"[2].

أدلة توحيد الألوهية

توحيد الألوهية هو الغاية والحكمة من خلق الثقلين، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾[3].

وكثيراً ما نجد في القرآن الكريم الدعوة إلى توحيد العبادة والأمر به والجواب عن الشبه الموجهة إليه، وكل سورة في القرآن بل كل آية في القرآن هي داعية إلى هذا

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم الجوزية (٣٤/١)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعبدالقادر الأرناؤوط، الطبعة الرابعة عشر ١٤٠٧هـ، مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان.

(٢) رموز الكنوز (٢٢٥/٢/أ).

(٣) سورة الذاريات: الآية (٥٦-٥٨).

التوحيد؛ لأن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وإما دعـاء إلى عبادتـه وحده لا شريك له وترك ما يعبد من دونه، وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده وطاعتـه في الدنيا والآخرة، وهذا جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وعن جزائهم في الدنيا والآخرة، وهذا جزاء من خرج عن حكم التوحيد، وإما أحكام وتشريع، وهـذا مـن حقوق التوحيد، فإن التشريع حق الله وحده (١) .

والأدلة التي تدل على أن الرب عز وجل هو المستحق وحده للعبادة وغـيره لا يستحقها كثيرة؛ ويجمع هذه الأدلة أربعة أنواع كلها تدل على توحيد الألوهية وهي:

١- الاستدلال بتوحيد الربوبية:

٢- الاستدلال بتوحيد الأسماء الصفات.

٣- الاستدلال بفقدان المعبودات لصفات الكمال واتصافها بالنقص.

٤- الاستدلال بضرب الأمثال.

وسأعرض لهذه الأنواع الأربعة ودلالتها على توحيد الألوهية.

أولاً: الاستدلال بتوحيد الربوبية:

توحيد الربوبية هو إفراد الله تعالى بالخلق والملك والتدبير، وعندما يثبت العبـد ذلك لله تعالى وحده فإنه يوجب تعلّق القلب بالله تعالى خوفاً ورغبة ورهبة، والتأله لـه وحده لا شريك له.

وقد سبق الحديث حول أدلة توحيد الربوبية في المبحث الأول من هذا الفـصل، وهذه الأدلة وإن كانت دالة على توحيد الربوبية فهي أيضاً متضمنة لتوحيد الألوهيـة ومستلزمة له.

ولذلك نجد أن الإمام الرسعني يستدل بأدلة الربوبية على إثبات توحيد الألوهيـة

---

(١) انظر: مدارج السالكين (٤٤٩/٣، ٤٥٠)، شرح العقيدة الطحاوية (٣٦/١).

فيقول عند تفسيره لإحدى الآيات من سورة يونس[١]:

"ثم ذكرهم ونبههم على أنه هو المستحق للعبادة بما يدل على كمال قدرته ونعمته على عباده فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾ فتستريحوا من تعب التردد ارأ في طلب المعايش، ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًا﴾ مضيئاً تبصرون فيه مذاهب المكاسب ومطالب الأرزاق، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الذي فعل وجعل الآيات لدلالات على وحدانيته وانفراده بإستحقاق العبادة والطاعة ﴿لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾ سماع اعتبار"[٢].

وقد أوضح الشيخ ابن سعدي أن للمنهج القرآني مسلكين في تقرير دلالة الربوبية على الألوهية:

أحدهما: دلالة أن الله تعالى هو المنفرد بالخلق والتدبير.

والثاني: دلالة أن الله تعالى هو المنفرد بة النعم الظاهرة والباطنة[٣].

ويقول الرسعني في موطن آخر حول هذا الدليل: "إن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه بمجادلة الكفار وعلّمه كيفية مجادلتهم فقال: ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[٤]، وكانوا لا ينكرون أنه الله تعالى، بدليل قوله في موضع آخر: ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ﴾[٥]، ولمّا كان الجواب متفقاً عليه أمر نبيه بالمبادرة إليه فقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾، وقيل: هو حكاية لقولهم تقريراً لهم عليه واستيثاقاً منهم، ويجوز أن يكون المعنى: قل لهم من رب السموات والأرض، فإن توقفوا عن الجواب خيفة من مضايق الإلزام، فلقّنهم مقرراً لهم بما لا

(١) سورة يونس: الآية (٦٧).

(٢) رموز الكنوز (١٠٨/٢/ب).

(٣) انظر: القواعد الحسان لتفسير القرآن، للسعدي، ص(١٩٣-١٩٤)، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٠هـ.

(٤) سورة الرعد: الآية (١٦).

(٥) سورة:المؤمنون، الآية (٨٦-٨٧).

يجدون بداً من الاعتراف به، وقل لهم: الله رب السموات والأرض، فإذا قالوا ذلك فقل لهم: ﴿أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾(١) يعني: الأصنام توليتموها وعبدتموها واتخذتموها آلهة من دونه، مع إقراركم أن الله تعالى هو رب السموات والأرض"(٢).

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾(٣):

"أي ما خلقناهما وما بينهما من سائر المخلوقات على هذا الوجه العجيب البديع المشحون بضروب الحكم عابثين بذلك، إنما خلقناهما وما بينهما دلالة على قدرتنا وحكمتنا ووحدانيتنا ومصالح عبادنا؛ وإعلاماً أنّ العبادة لا تصلح إلاّ للخالق العظيم القادر الحكيم"(٤).

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في دلالة توحيد الربوبية على توحيد الألوهية: "فتوحيد الربوبية أعظم دليل على توحيد الإلهية، ولذلك وقع الاحتجاج به في القرآن أكثر مما وقع بغيره، لصحة دلالته وظهورها، وقبول العقول والفطر لها، ولاعتراف أهل الأرض بتوحيد الربوبية، وكذلك عباد الأصنام يقرون به وينكرون توحيد الإلهية"(٥).

ثانياً: الاستدلال بتوحيد الأسماء والصفات:

سمى الله تعالى نفسه بالأسماء الحسنى ووصف نفسه بالصفات العلى، ومن كان كذلك استحق العبادة وحده دونما سواه؛ لأن الإله يجب أن يكون كاملاً حائزاً لجميع صفات الكمال، فإن النقص والعجز والافتقار منافٍ للألوهية، فإذا ثبت أن الله مختص

---

(١) سورة الرعد: الآية (١٦).

(٢) رموز الكنوز (٢/١٦٧/أ).

(٣) سورة الأنبياء، الآية (١٦).

(٤) رموز الكنوز (٣/٨٥/ب).

(٥) طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن القيم الجوزية (ص٨٠)، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ، دار ابن القيم – الدمام.

بالأسماء الحسنى وهي البالغة غاية الحسن، ومختص بالصفات ثبت أن العبـادة يجـب أن تكون خاصة به وحده دون شريك(١).

وقد أشار الشيخ ابن سعدي أن توحيد الأسماء والصفات يدل على وحدانية الله تعالى في الألوهية فقال: "ويدعوهم أيضاً إلى هذا الأصل بما يمتدح به، ويثني على نفـسه الكريمة، من تفرده بصفات العظمة وا د، والجلال والكمال، وأن من له هذا الكمـال المطلق الذي لا يشاركه فيه مشارك أحق من أخلصت له القلوب والأعمـال الظـاهرة والباطنة"(٢).

فالترابط بين استحقاق الله تعالى وحده للعبادة وبين الكمال المطلـق في أسمائـه وصفاته ترابط تام، فإن الكامل الكمال المطلق يستحق العبادة وحده، والمستحق للعبادة وحده لابد وأن يكون كاملاً كمالاً مطلقاً، ولا يعقل بأي صورة من الصور بأن يكـون الناقص إلهاً، كما لا يتصور أن يكون الكامل غير إله.

يقول الرسعني عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾(٣):

"يصغر في جلاله كل [كبير](٤)، وقيل: يكبر عن شبه المخلوقين، والمعنى: إن الله كان كبيراً فاحذروه، أيها الأقوياء الأشداء المستطيلون على من في قبـضتهم، وتحـت تصرفهم"(٥).

أي له العلو المطلق، بجميع الوجوه والاعتبارات، علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر، الكبير الذي لا أكبر منه ولا أجل ولا أعظم، كبير الذات والصفات(٦).

ويستدل بصفة العلم على توحيد العبادة فيقول عند قوله تعـالى: ﴿إِنَّمَآ إِلَـٰهُكُمُ

---

(١) انظر: دعوة التوحيد (ص ٣٩).

(٢) القواعد الحسان (ص ١٧-١٨).

(٣) سورة النساء: الآية (٣٤).

(٤) في الأصل: (كبيرة)، ولعل الصواب (كبير)؛ لعدم وجود رابط بين كلمة (كبيرة) وسياق الكلام.

(٥) رموز الكنوز (١/٤٥٤).

(٦) تيسير الكريم الرحمن (ص ١٧٧).

ﭐللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا (١):

إِنَّمَآ إِلَـٰهُكُمُ ٱللَّهُ أي إنما إلهكم الذي يستحق العبادة ٱلله ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا أي وسع علمه كل شيء"(٢).

فلا معبود إلا وجهه الكريم، فلا يؤله، ولا يحب، ولا يرجى، ولا يخاف، ولا يدعى إلا هو؛ لأنه الكامل الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، المحيط علمه بجميع الأشياء، الذي ما من نعمة بالعباد إلا منه، ولا يدفع السوء إلا هو، فلا إله إلا هو، ولا معبود سواه(٣).

وهو يسمع جميع الأصوات على اختلاف اللغات وتباينها، ويبصر جميع المخلوقات في كل زمان ومكان علويها وسفليها، صغيرها وكبيرها.

يقول الإمام الرسعني حول هاتين الصفتين ودلالتيهما على توحيد الألوهية: "وأن الله سميع لأقوالهم عليم بنيا م ومقادير جزائهم ... أي بسبب أن الله هو الحق الثابت الإلهية وأن ما تدعون من دونه هو الباطل؛ لأنه لا ينفع ولا يضر، ولا يقدر على شيء، وأن الله هو العلي العالي على كل شيء بقدرته الكبير الذي يصغر كل شيء بالنسبة إلى عظمته"(٤).

و ذا يتبين أن وصف الله عز وجل بالسمع والبصر يقتضي إثبات الوحدانية لله تعالى وإفراده بالعبادة.

ثالثاً: الاستدلال بفقدان المعبودات لصفات الكمال واتصافها بالنقص:

الإله المستحق للعبادة لابد أن يكون كاملاً في ذاته وأفعاله وصفاته، وقد سبق

---

(١) سورة طه: الآية (٩٩).
(٢) رموز الكنوز (٣/٧٧/ب).
(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص ٥١٢).
(٤) رموز الكنوز (٣/١٢٧/ب ، ١٢٨/أ).

وأن أشرت بأن المتصف بالربوبية المطلقة في الملك والخلق والتدبير هو الذي يصح أن يكون إلهاً، أما من لا يملك شيئاً من خصائص الربوبية فلا يصلح أن يكون إلهاً، كما أن الإله المستحق للعبادة لا يوصف بالنقص بأي وجه من الوجوه، فلا يتصور أن يكون الناقص إلهاً معبوداً، وهذا أمر متفق عليه عقلاً، وقد أبطل الله تعالى عبادة آلهة المشركين بسبب أنها لا تملك شيئاً من خصائص الربوبية كما أبطل عبادتها ببيان أنها متصفة بالنقص.

وبذلك يتبين بأن المعبودات من دون الله فاقدة لصفات الكمال المطلق مع اتصافها بصفات النقص.

يقول الإمام الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾[(١)]:

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، أي قل: يا محمد للمشركين الذين أنت بين أظهرهم ادعوا الذين زعمتم أنهم آلهة من دون الله ليدفعوا عنكم ضرراً، أو يجلبون لكم نفعاً، ثم أخبر عن عجزهم بقوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ يعني من خير أو شر في السموات ولا في الأرض ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا﴾ أي في هذين الجنسين يعني السموات والأرض من شرك في الخلق ولا في الملك ولا في التدبير، وماله منهم من ظهير، أي ما لله من الالهية من ظهير أي معين يعينه على الخلق والتدبير؛ فكيف دعوتموهم آلهة عبدتموهم ورجوتموهم من دون الله"[(٢)].

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فتأمل كيف أخذت هذه الآية على المشركين بمجامع الطرق التي دخلوا منها إلى الشرك، وسدها عليهم أحكم سد وأبلغه؛ فإن العابد

---

(١) سورة سبأ: الآية (٢٢).

(٢) رموز الكنوز (١٩٧/٣/أ).

إنما يتعلق بالمعبود لما يرجو من نفعه وإلا فلو لم يرج منه منفعة لم يتعلق قلبه بـه وحينئـذٍ فلابد أن يكون المعبود مالكاً للأسباب التي ينفع ا عابده أو شريكاً لمالكها أو ظهيراً أو وزيراً ومعاوناً له أو وجيهاً ذا حرمة وقدر يشفع عنده فإذا انتفت هذه الأمور الأربعة من كل وجه وبطلت؛ انتفت أسباب الشرك وانقطعت مواده"[1].

ويلاحظ نفي الملك في الآية على مثقال الذرة ليدل على عدم ملكية ما فوقهـا، ويبين الرسعني فقدان المعبودات لصفات الكمال المطلق بحيث أ ا لا تستطيع أن تخلـق شيئاً وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ [2]:

"أيشركون يعني: الذين اتخذوا الأوثان آلهةً مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا لأنـه جمـاد لا يقدر على شيء فيجعلو ا شركاء لله، الذي خلق ورزق، ويعبدو ا مـن دونـه وَهُمْ يُخْلَقُونَ يعني: الأصنام، وإنما أجريت مجرى من يعقل؛ لأن عابديها اعتقدوا فيها أنهـا تعقل وتميز، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ يعني: الأصنام لَهُمْ نَصْرًا يعـني: لعابـديها وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ فيدفعوا عنها ما يؤذيها ويرديها"[3].

وقد أوضح الشيخ ابن سعدي بأن عدم اتصاف المعبودات بـصفات الكمـال، كالخلق والملك ونحوهما يدل على بطلان عباد ا ومن ثم فإن المعبود بحق هـو الله تعـالى الخالق المالك لكل شيء فقال: "ومن براهين التوحيد معرفة أوصاف المخلوقين، ومن عبد مع الله، فإن جميع ما يعبد من دون الله من ملك وبشر ومن شجر وحجر وغيرها، كلهم فقراء إلى الله، عاجزون ليس بيدهم من النفع مثقال ذرة، ولا يخلقون شيئاً وهم يخلقـون ولا يملكون ضراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، والله تعالى هو الخـالق لكـل

---

(١) الصواعق المرسلة (٤٦١/٢).

(٢) سورة الأعراف: الآية (١٩١ ، ١٩٢).

(٣) رموز الكنوز (٤٩/٢/ب).

مخلوق، والرازق لكل مرزوق المدبر للأمور كلها الضار والنافع المعطي المانع الذي بيده ملكوت كل شيء، وإليه يرجع كل شيء وله يقصد ويصمد ويخضع كل شـيء، فـأي برهان أعظم من هذا البرهان الذي أعاده الله وأبداه في مواضع كثيرة من كتابه وعلـى لسان رسوله، فهو دليل عقلي وفطري، كما أنه دليل سمعي نقلي على وجوب توحيد الله وأنه الحق ودليل كذلك على بطلان الشرك"[(١)].

وقد أشار الرسعني بأن المعبودات من دونه ليس لها شيء من الملك وذلك عنـد قوله تعـالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾[(٢)]:

"قل ادعوا الذين زعمتم من دونه أي قل: يا محمد لكفار قريش ادعـوا الـذين زعمتم من دونه، أ ا آلهة تكشف عنكم العذاب وذاك أ م شكوا إلى رسـول الله ﷺ جهد القحط الذي أصا م سبع سنين، فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أي لا يستطيعون أن يكشفوا عنكم الضر الذي أصابكم ولا يحولوه إلى غيركم"[(٣)].

يقول ابن كثير: "أن الذي يقدر على ذلك هو الله وحده لا شريك له الذي لـه الخلق والأمر"[(٤)].

كما بين الإمام الرسعني اتصاف تلك المعبودات بصفات النقص، فيقول عند قوله تعـ ـالى: ﴿أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾[(٥)]:

"أم جعلوا لله شركاء، الاستفهام للإنكار، يعني لم يتخذوا شركاء خالقين مثل خلق

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٢/١٨٠).
(٢) سورة الإسراء: الآية (٥٦).
(٣) رموز الكنوز (٢/٢٢٧/ب).
(٤) تفسير القرآن العظيم (٥/٨٦).
(٥) سورة الرعد: الآية (١٦).

الله، فتشابه خلق الله وخلق الشركاء عليهم، لكونهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقـدرون على ما يقدر عليه المخلوق فضلاً عن الخالق، قل الله خالق كل شي، أي: كل شيء يصح أن يكون مخلوقاً لا خالق سواه، وهو الواحد المتفرد بالربوبية القهار، وغيره المقهور"(١).

يقول ابن الجوزي: "ليس الأمر على هذا، بل إذا فكروا علموا أن الله هو المتفرد بالخلق، وغيره لا يخلق شيئاً"(٢).

وهذه المعبودات التي عبدوها من دون الله لا تملك لهم ضراً ولا نفعاً، وهذا وإن دل على شيء فإنما يدل على عدم إلهيتها .

يقول الرسعني عند قوله تعـالى: ﴿يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾(٣):

"يدعو أي: يعبد هذا المرتد المنقلب على وجهه من دون الله مـا لايـضره إن لم يعبده وما لا ينفعه إن عبده، وهي الأصنام، ذلك هو الضلال البعيد عن سنن الرشـاد، يدعو لمن ضره أقرب من نفعه ... وقال صاحب الكشاف إن قلـت: الـضرر والنفـع منفيان عن الأصنام مثبتان لها في الآيتين (٤) وهذا تناقض، قلت: إذا حصل المعنى ذهـب هذا الوهم، وذلك أن الله سفه الكافر بأنه يعبد جماداً لا يملك ضراً ولا نفعاً، وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله أنه يستنفع به حين يستشفع به، ثم قال يوم القيامة بقول هذا الكـافر بدعاء وصراخ، حين يرى استضراره بالأصنام ودخوله النار بعبادتـها، ولا يـرى أثـر

---

(١) رموز الكنوز (٢/١٦٧/ب).

(٢) زاد المسير (٤/٣٢٠).

(٣) سورة الحج: الآية (١٢).

(٤) في قوله تعالى: ﴿يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الحج: الآية (١٢-١٣)].

الشفاعة التي ادعاها لمن ضره أقرب من نفعه، لبئس المولى ولبئس العشير"(١)(٢).

يقول الشيخ ابن سعدي: "وهذا صفة كل مدعو ومعبود من دون الله، فإنه لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً ... حيث أعرض عن عبادة النافع الضار الغني المغني، وأقبل على عبادة مخلوق مثله أو دونه، ليس بيده من الأمر شيء بل هو إلى حصول ضد مقصوده أقرب"(٣).

رابعاً : الاستدلال بضرب الأمثال :

الله سبحانه وتعالى ضرب في كتابه كثيراً من الأمثال لمعان متعددة، لا سيما وأن هذه الأمثال لها أهمية كبيرة في معرفة الحقائق الشرعية يقول المولى سبحانه: وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ (٤).

ويقول: وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ (٥).

كما قال تعالى: وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٦).

ومن فوائد الأمثال المضروبة تقريب المعاني للعقل، وتصويرها بصورة المحسوس مما يكون له أثر عظيم في النفس(٧).

---

(١) الكشاف (١٤٨/٣).
(٢) رموز الكنوز (١١١/٣/ب).
(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص ٥٣٥).
(٤) سورة العنكبوت: الآية (٤٣).
(٥) سورة الروم: الآية (٥٨).
(٦) سورة الإسراء: الآية (٨٩).
(٧) انظر: الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي (١٠٤١/٢)، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٧هـ، دار ابن كثير – دمشق.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه-: "القياس هو ضرب المثل وأصله تقديره، فضرب المثل للشيء: تقديره له، كما أن القياس أصله تقدير الشيء بالشيء"[(١)].

ولأهمية الأمثال عد الشافعي -رحمه الله تعالى- معرفة الأمثال مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن[(٢)].

ولقد اعتنى الإمام الرسعني رَحِمَهُ اللَّهُ بإبراز هذا الجانب كدليل من أدلة توحيد الألوهية.

فهو يقول عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾[(٣)]:

"قال صاحب الكشاف: إن قلت: الذي جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلاً؟ قلت: قد سميت الصفة أو القصة الرائعة المتلقاه بالاستحسان والاستغراب: مثلاً؛ تشبيهاً لها ببعض الأمثال المُسيرة لكونها مستحسنة مستغربة عندهم[(٤)] ... والمعنى: أن الأوثان الذين تدعونهم آلهة من دون الله لن يخلقوا ذباباً الذي هو أقل مخلوقات الله وأحقرها، ولو اجتمعوا له ... ثم بالغ في وصفهم بالعجز فقال: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ﴾، أي: وإن يسلب الذباب الذي هو أحقر المخلوقات وأضعفها من الآلهة التي عبدوها شيئاً من الأشياء لا يستنقذوه منه، أي: لا يستخلصوه منه، فكيف اتخذوها آلهة، وهي النهاية في

---

(١) مجموع الفتاوى (٥٤/١٤).

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن (١٠٤١/٢).

(٣) سورة الحج: الآية (٧٣، ٧٤).

(٤) الكشاف (١٧٢/٣).

العجز المنافي للإلهية ... ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ أي: ضعف الصنم والذباب، فهو على معنى التسوية بينهم في الضعف، وعند التحقيق تجد الصنم أضعف من الذباب؛ لأنه جماد، والذباب حيوان ... ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ أي: ما عرفوه حق معرفته، ولا عظموه حق عظمته، حيث جعلوا ما هو أعجز من الذباب وأحقر شركاءه في الإلهية، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ فكيف يعدلون به الضعيف الذليل"(١).

وهذا المثل من أبلغ ما أنزل الله سبحانه في بطلان الشرك وتجهيل أهله وتقبيح عقولهم.

وقد جاء الأمر باستماع هذا المثل للناس كلهم، وإنه حقيق بأن يستمع إليه العبد ويتدبره حق تدبره، فإنه يقطع مواد الشرك من القلب(٢).

وقد بين ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا المثل فقال: "المعبود أقل درجاته أن يقدر على إيجاد ما ينفع عابده، وإعدام ما يضره، والآلهة التي يعبدها المشركون من دون الله لن تقدر على خلق الذباب، ولو اجتمعوا كلهم لخلقه، فكيف ما هو أكبر منه؟ ولا يقدرون على الانتصار من الذباب إذا سلبهم شيئاً مما عليهم من طيب ونحوه، فيستنقذوه منه، فلا هم قادرون على خلق الذباب الذي هو من أضعف الحيوانات، ولا على الانتصار منه، واسترجاع ما سلبهم إياه، فلا أعجز من هذه الآلهة، ولا أضعف منها، فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله؟"(٣).

ويقول الرسعني في موطن آخر عند قوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ

---

(١) رموز الكنوز (٣/١٢٩/أ ، ب).

(٢) انظر: أعلام الموقعين (١/٢٣٥-٢٣٧).

(٣) المصدر السابق (١/٢٣٥-٢٣٧)، وانظر: الصواعق المرسلة (٤/٤٦٦-٤٦٧).

بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴾[(١)]:

"... والذين يدعون من دونه، أي: الأصنام الذين يدعو م من دونه الكفار مـن دون لا يستجيبون لهم بشيء من طلبا م إلا كباسط كفيـه إلى المـاء، أي الاسـتجابة كاستجابة باسط كفيه، أي كاستجابة الماء من يبسط كفيه إليه، يطلب منه أن يبلغ فاه، والماء لا يستجيب ولا يعقل ولا يشعر بشيء؛ كذلك آلهتهم جماد لا تحس بـدعائهم ولا تشعر بعباد م ... ، وشبهوا في عدم نفعهم بدعائهم آلهتهم بشخص يريد أن يقبض الماء وهو ناشر أصابعه ليوصله إلى فيه، والعرب تقول: لمن خاب مسعاه ولم ينل ما رجاه هـو كالقابض على الماء"[(٢)].

فالماء مثل الأصنام كلاهما جماد لا يسمع دعاء من دعا، مهما كانت حاجتـه أو مصيبته، والداعي للأصنام مثل العطشان الذي يدعو الماء ليصعد إليه ويرويه من عطشه ولن يصعد إليه الماء ولو مات بجواره، وكذلك الصنم لن يستجيب له حتى لو تمزق قلبه أسى وحسرة وعبادة، بل إنه لا يدري مكانه لأنه جماد.

يقول ابن جرير[(٣)] في جامع البيان: "لا ينفع داعي الآلهة دعاؤه إياه، إلا كما ينفع باسط كفيه إلى الماء بسطه إياه إليه من غير أن يرفعه إليه في إناء، ولكن ليرتفع بدعائـه إياه، وإشارته إليه، وقبضه عليه"[(٤)].

ويقول الرسعني عند قوله تعالى: ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[(٥)]:

"فلا تضربوا لله الأمثال، أي: تشبهوه بخلقه فإن من ضرب المثل لشيء لابد له من

---

(١) سورة الرعد: الآية (١٤).

(٢) رموز الكنوز (٢/١٦٦/ب).

(٣) تقدمت ترجمته ص ١٨٤.

(٤) جامع البيان (٧/٣٦٤).

(٥) سورة النحل: الآية (٧٤).

تشبيهٍ حالٍ بحال وقضية بقضية، إن الله يعلم ما يصح من ضرب الأمثال وما لا يصح، وأنتم لا تعلمون ذلك"(١).

ويقول عند قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٢):

"ضرب الله مثلاً: أي: ضرب لكم في إشراككم به الأوثان مثل من سوى بين عبد مملوك لا يقدر على شيء من التصرف، وبين حر مالك، قد رزقه الله تعالى رزقاً حسناً، فهو يتصرف فيه وينفق منه سراً وجهراً لا يخاف أحداً ولا يداجيه، هل يستوون؟ يعني: جنس العبيد والأحرار ... فالذي لا يقدر على شيء هو الكافر؛ لأنه لا خير عنده، وصاحب الرزق الحسن هو المؤمن، لما عنده من الخير ... ، ثم ضرب لهم مثلاً آخر فقال: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ ثم بينهما فقال: أحدهما أبكم قد ولد أخرس فلا يفهم ولا يفهم، لا يقدر على شيء من الأوصاف التي سلبها، وهو كلّ على مولاه، ثقل على وليه القائم بأموره، أينما يوجهه لعجزه واختلاله ... على معنى أين ما يرسله، هل يستوي هذا الأبكم، ومن هو صحيح سليم الحواس، ذو رشدٍ وأمانةٍ وديانة ﴿يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ أي: بالسواء من الفعل والقول، وهو مع ذلك على صراط مستقيم، وهذا مثل مضروب للصنم العاجز والرب القادر"(٣).

ويقول الشيخ ابن سعدي: "فلهذا ضرب تعالى مثلين له ولمن يعبد من دونه،

---

(١) رموز الكنوز (٢/٢٠٦/أ).
(٢) سورة النحل: الآية (٧٥-٧٦).
(٣) رموز الكنوز (٢/٢٠٦/أ، ب).

أحدهما عبد مملوك، أي: رقيق لا يملك نفسه، ولا يملك من المال والدنيا شيئاً، والثاني حر غَني قد رزقه الله منه رزقاً حسناً، من جميع أصناف المال وهو كريم محب للإحسان، فهو ينفق منه سراً وجهراً، هل يستوي هذا وذاك؟! لا يستويان مع أنهما مخلوقان، غير محال استواؤهما، فإذا كان لا يستويان، فكيف يستوي المخلوق العبد الذي ليس له ملك ولا قدرة، ولا استطاعة، بل هو فقير من جميع الوجوه، بالرب الخالق المالك لجميع الممالك، القادر على كل شيء؟!! ... فلا يستوي من عبد من دون الله وهو لا يقدر على شيء من مصالحه، فلولا قيام الله بها لم يستطع شيئاً منها، لا يكون كفواً ونداً لمن لا يقول إلا الحق، ولا يفعل إلا ما يحمد عليه"[١].

ويقول الرسعني عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾[٢]:

"والمعنى: إن مثل عيسى عند الله في الخلق والإنشاء من غير أب، وإيجاده إيجاداً خارقاً للعادة، كمثل آدم، وكون آدم خلق من غير أبوين لا يمنع من تشبيه عيسى به، في أحد الطرفين إذ المماثلة لا تقتضي المشاركة من كل وجه، وفي ضمن تمثيل عيسى بآدم قطع لحُجة الخصم بأبلغ الطرق، حيث اعتقد استحقاق عيسى للإلهية بإيجاده من غير أب، فأورد عليه ما هو أعجب من عيسى وهو آدم"[٣].

وما تلك الأمثال المضروبة إلا لإثبات وحدانية الله تعالى، وبيان أنه هو المستحق للعبادة دونما سواه.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص ٤٤٥).

(٢) سورة آل عمران: الآية (٥٩).

(٣) رموز الكنوز (١/١٣٠).

المبحث الثالث

جهود الرسعني في تقرير توحيد الأسماء والصفات

المبحث الثالث

جهود الرسعني في تقرير توحيد الأسماء والصفات

تعريف توحيد الأسماء والصفات :

توحيد الأسماء والصفات عند السلف:

هو وصف ما وصف الله به نفسه نفياً وإثباتاً، فيثبت ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ من غير تحريف[١] ولا تكييف[٢] ولا تعطيل[٣] ولا تمثيل[٤]، ونفي ما نفاه الله عن نفسه، وما نفاه عنه رسوله ﷺ من غير إلحاد في أسمائه أو آياته[٥].

وتوحيد الأسماء والصفات هو النوع الثالث من أنواع التوحيد ويطلق عليه أيضاً:

---

(١) التحريف: تغيير ألفاظ الأسماء والصفات، أو تغيير معانيها، فالأول تحريف اللفظ كقراءة بعض المبتدعة قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء:١٦٤] بنصب لفظ الجلالة، والثاني التحريف المعنوي، كقولهم في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف:٥٤] استولى عليه.
انظر: معجم ألفاظ العقيدة ، لعامر عبدالله فالح ص (٨٢-٨٥)، الطبعة الأولى، عام ١٤١٧هـ ، مكتبة العبيكان – الرياض.

(٢) التكييف: هو جعل الشيء على حقيقة معينة من غير أن يقيدها بمماثل.
انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١١٢/١)، معجم ألفاظ العقيدة ص٩٧.

(٣) التعطيل: جحد الصفات وإنكار قيامها بذاته –سبحانه- وفيما دلت عليه من صفات الكمال.
انظر: فتح رب البرية بتلخيص الحموية، محمد بن صالح بن عثيمين ص(١٠٦-١٠٧)، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، معجم ألفاظ العقيدة ص (٨٢-٨٥).

(٤) التمثيل: هو الاعتقاد في صفات الله أ ا مثل صفات المخلوقين، وهو كقول الممثل: له يد كيدي أو بصر كبصري تعالى الله عن ذلك.
انظر: معجم ألفاظ العقيدة (ص٩٩)، فتح البرية بتلخيص الحموية (ص١٦٩).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٣/٣)، مدارج السالكين (٣٣/١)، شرح العقيدة الواسطية، للشيخ صالح بن فوزان الفوزان ص (١٣، ١٧).

التوحيد العلمي، أو توحيد المعرفة والإثبات.

وهذا التوحيد يقوم على قاعدتين مهمتين، الأولى: قاعدة الإثبات، والثانية: قاعدة النفي، وقد أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: "إن الله سبحانه موصوف بالإثبات والنفي، فالإثبات كإخباره أنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه سميع بصير، ونحو ذلك، والنفي كقوله: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾[(١)]"[(٢)].

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن "الله سبحانه وتعالى بعث رسله بإثبات مفصل ونفي مجمل"[(٣)]، فإنه إذا كثرت صفاته الثبوتية مع تنوع دلالاتها ظهر كماله وجلاله. فالمدح والكمال إنما يكون بالصفات الثبوتية لا بالصفات العدمية السلبية إلا إذا تضمنت ثبوتاً، فإن مجرد النفي لا يتضمن مدحاً ولا كمالاً، وقد بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية فقال: "وينبغي أن يعلم أن النفي ليس فيه مدح ولا كمال، إلا إذا تضمن إثباتاً، وإلا فمجرد النفي ليس فيه مدح ولا كمال، لأن النفي المحض عدم محض، والعدم المحض ليس بشيء، وما ليس بشيء هو كما قيل ليس بشيء، فضلاً عن أن يكون مدحاً أو كمالاً، ولأن النفي المحض يوصف به المعدوم والممتنع، والمعدوم والممتنع لا يوصف بمدح ولا كمال"[(٤)].

يقول الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ملتزماً هاتين القاعدتين القائمتين على النفي والإثبات، وذلك عند قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾[(٥)]: "نفي الظلم عن الله إثبات

---

(١) سورة البقرة، الآية (٢٥٥).
(٢) التدمرية، لابن تيمية ص (٥٧).
(٣) المصدر السابق ص٨.
(٤) المصدر السابق ص٥٧.
(٥) سورة آل عمران، الآية (١٨٢).

لوصفه بالعدل"[١].

وهذا التوحيد وسيلة من الوسائل إلى توحيد الألوهية، لتحقيق العبادة لله وحده، ونفي العبادة عما سواه، شأنه في ذلك شأن توحيد الربوبية، حيث يعتبر من الأدلة على توحيد الألوهية، كما مضى في المبحث السابق.

وبهذا التوحيد امتحن أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ فرفع الله ذكره وصيته، وسمي بعدها بإمام أهل السنة والجماعة[٢].

تقرير الرسعني مذهب السلف في أسماء الله وصفاته :

يقرر الإمام الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنه يجب إثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ، ونفي ما نفاه الله عن نفسه، وما نفاه عنه رسوله ﷺ، من غير تكييف، ولا تعطيل، ولا تحريف، ولا تمثيل.

فهو يقول عند كلامه عن صفة الاستواء: "مذهب أهل الحق في هذه الآية[٣]، وأمثالها من آيات الصفات وأخبار الصفات الإقرار والإمرار، من غير تشبيه ولا تمثيل، ولا تأويل ولا تعطيل، وإلى هذا وأمثاله أشار النبي ﷺ بقوله: «وسكت عن أشياء رحمة لكم فلا تبحثوا عنها» [٤]، وقيل: للإمام مالك بن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كيف استوى؟ فقال: "الكيف مجهول، والاستواء معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"[٥]، ولو استقصيت ما ورد في الزجر عن الخوض في آيات الصفات عن الصحابة والتابعين، فمن بعدهم من الأئمة الأربعة وغيرهم لطال ذلك، ويكفي الإنسان في ذلك قول الشافعي

---

(١) رموز الكنوز (٣٢٦/١).

(٢) انظر: محنة الإمام أحمد بن حنبل، لعبدالغني المقدسي، تحقيق: د. عبدالله التركي، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٧هـ، دار هجر - مصر.

(٣) يعني قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف:٥٤] .

(٤) أخرجه البيهقي في الكبرى (١٢/١٠)، والدارقطني (١٨٤/٤)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٢١/٢٢).

(٥) سبق تخريجه ص (١٤٠).

رضي الله عنه : "آمنت بالله وما جاء من عند الله، على مراد الله، وآمنت برسول الله وما جـاء عن رسول الله على مراد رسول الله"(١)"(٢).

وهذا ما قرره سلف الأمة في باب الأسماء والصفات، واتفقوا عليه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها، إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريـف ولا تعطيـل، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه مع إثبات ما أثبته من الصفات من غير إلحاد، لا في أسمائه ولا في آياته، فإن الله ذم الذين يلحدون في أسمائه وآياته كما قـال تعـالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(٤).

فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات، مع نفي مماثلة المخلوقات، إثباتاً بـلا تشبيه، وتنزيهاً بلا تعطيل"(٥)، ثم بين أن الإثبات والنفي وجدا في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(٦)، ففي قوله تعـالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ رد للتشبيه والتمثيل، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ رد للإلحاد

---

(١) لمعة الاعتقاد، لابن قدامة (ص ١٥)، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، الطبعة الثالثة، عـام ١٤٠٨هـ، دار الهدى للنشر والتوزيع – الرياض.

(٢) رموز الكنوز (٢/١٨/أ-ب).

(٣) سورة الأعراف، الآية (١٨٠).

(٤) سورة فصلت، الآية (٤٠).

(٥) التدمرية ص ٧.

(٦) سورة الشورى، الآية (١١).

والتعطيل"[١].

يقول الإمام احمد رحمه الله: "ليس كمثله شيء في ذاته، كما وصف نفسه، قد أجمل الله الصفة، فحد لنفسه صفة ليس يشبهه شيء"[٢] ثم قال: "لا يبلغ الواصفون صفته، ولا نتعدى القرآن والحديث، فنقول كما قال، ونصفه بما وصف به نفسه ولا نتعدى ذلك، ولا يبلغ صفته الواصفون، نؤمن بالقرآن كله، محكمه ومتشا ه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته بشناعة شنعت"[٣].

وهذا المعتقد في أبواب أسماء الله وصفاته هو اعتقاد الطائفة الناجية المنصورة[٤].

والأصل في أبواب العقيدة عموماً، وأبواب الأسماء والصفات خـصوصاً، هـو الاتباع لا الابتداع فما قاله السلف قلناه، وما سكتوا عنه سكتنا عنه يقول النبي ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد »[٥].

وهذا كما هو معلوم مذهب الصحابة والتابعين وسائر السلف الـصالح، حيـث كانوا يمرون تلك النصوص من غير أن يتعرضوا لبيان كيفيتها، يقول الإمام أحمد رحمه الله: "أدركنا الناس وما ينكرون من هذه الأحاديث شيئاً، وأحاديث الرؤية، وكانوا يحـدثون ا على الجملة، يمرو ا على حالها غير منكرين لذلك ولا مرتابين"[٦].

يقول الرسعني عن النصوص الوارد ا صفة من صفاته تعالى: "والواجب فيه وفي

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/٣)، التدمرية ص٧.

(٢) انظر: الإبانة، لابن بطة (٣٢٦/٣)، اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهميـة، لابـن القـيم ص(١٣٢)، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٢هـ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

(٣) انظر: الإبانة، لابن بطة (٣٢٦/٣)، العقيدة الأصفهانية، لابن تيمية ص٢٥، تحقيق: إبراهيم سعيداي، الطبعة الأولى، عام ١٤١٥هـ، مكتبة الرشد - الرياض، اجتماع الجيوش الإسلامية ص١٣٢.

(٤) انظر: شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين ص (٥٦-٩٥)، الطبعة الأولى، عام ١٤١٩هـ، بعناية: فهـد السليمان، دار الثريا للنشر – الرياض.

(٥) رواه مسلم في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (١٣٤٣/٣) برقم (١٧١٨).

(٦) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، لابن تيمية (٣٤٩/١)، تحقيق: محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، الطبعة الأولى، عام ١٣٩٢هـ، مطبعة الحكومة – مكة المكرمة، وانظر: مجموع الفتاوى (٤٩٩/٦).

أمثاله الإيمان والتسليم من غير تشبيه ولا تمثيل، وعلى هذا درج السلف الصالح رضي الله عنهم أجمعين"[١].

و بهذا يتبين موقفه من النصوص الشرعية بعامة، ونصوص الأسماء والصفات خاصة، ووقوفه معها نفياً وإثباتاً، وهذا موافق لطريقة السلف -رحمهم الله- في موقفهم من أسماء الله وصفاته.

وقال أبو القاسم التيمي[٢] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فلا يسمى -أي الله تعالى- إلا بما سمى به نفسه في كتابه، أو سماه به رسوله ﷺ، وأجمعت عليه الأمة، أو أجمعت الأمة على تسميته به،ولا يوصف إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، أو أجمع عليه المسلمون، فمن وصفه بغير ذلك فهو ضال"[٣].

يقول الرسعني عند قوله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٤].

"﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَۚ﴾ أي تشبهوه بخلقه، فإن من ضرب المثل لشيء لابد له من تشبيه حالٍ بحال وقضية بقضية"[٥].

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ على منهج السلف الصالح من حيث أن كل ما يتعلق بالعقيدة هو من الأمور التوقيفية التي لا تؤخذ إلا من الكتاب والسنة، ويدخل في ذلك من باب أولى معرفة أسماء الله وصفاته.

---

(١) رموز الكنوز (٢/٣٥/ب).

(٢) هو إسماعيل بن محمد بن الفضل، أبو القاسم التيمي الأصبهاني، الملقب بقوام السنة، المحدث الكبير، إمام في فنون عدة، ومنها التفسير، والحديث، واللغة، توفي سنة (٥٣٥هـ).
انظر في ترجمته: البداية والنهاية (١٢/٢١٧)، سير أعلام النبلاء (٢٠/٨٠)، شذرات الذهب (٤/١٠٥).

(٣) الحجة في بيان المحجة، أبو القاسم إسماعيل الأصبهاني، الملقب بقوام السنة (٢/٣٨٣)، تحقيق: المدخلي، وأبورحيم، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، دار الراية – الرياض.

(٤) سورة النحل، الآية (٧٤).

(٥) رموز الكنوز (٢/٢٠٦/أ).

فهو يقول عند قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ۝٣ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤﴾[(١)]:

" وهذه الآية وإن نزلت على سببٍ خاص فإنها عامة في كل مجادل في الله؛ في صفاته، وما يجوز عليه وما لا يجوز بغير كتاب ناطق ولا سنة واضحة، بل يخبط بآرائه الغائلة المختلة، وأهوائه المردية المُضلة"[(٢)].

يقول الإمام أبو الحسن القابسي[(٣)]: "أسماء الله وصفاته لا تعلم إلا بالتوقيف من الكتاب أو السنة، أو الإجماع، ولا يدخل فيها القياس"[(٤)].

---

(١) سورة الحج، الآية (٣-٤).

(٢) رموز الكنوز (١٠٩/٣/أ).

(٣) هو علي بن محمد بن خلف المعافري، أبو الحسن القابسي، من المالكية، أحد علماء المغرب وفقهائها، توفي سنة (٤٠٣هـ)، انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٥٨/١٧)، تذكرة الحفاظ (١٨٦/٣)، طبقات الحفاظ (ص ٤١٩).

(٤) فتح الباري (٢٢٠/١١-٢٢١).

أسماء الله الحسنى:

يثبت أهل السنة أسماء الله تعالى، ويرون أنه يجب على كل موحد أن يثبت ما أثبته الله تعالى لنفسه من الأسماء الحسنى، وما أثبته له رسوله ﷺ، وأسماؤه تطلق عليه حقيقة لا مجازاً، وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ اتفاقهم على ذلك فقال: "وقد اتفق جميع أهل الإثبات على أن الله حي حقيقة، عليم حقيقة، قدير حقيقة، سميع حقيقة، بصير حقيقة"(١).

وقد وصف الله تعالى أسماءه بأ ا حسنى كما في قوله تعالى: وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا **(٢).**

والمراد ذا الوصف أي أ ا بالغة الغاية في الحسن والكمال والجلال(٣).

وكما أن أهل السنة يثبتون أسماء لله تعالى كما يليق بجلاله، فإ م أيضاً ينفون عنه مماثلة المخلوقين كما في قوله تعالى: هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا (٤)، وقوله تعالى: لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ **(٥)، وأسماء الله تعالى لا تعرف إلا عن طريق النقل الصحيح، ولا مدخل للعقل فيها، حيث إ ا من قبيل الخبر عن الله تعالى، والخبر لا يمكن إدراكه بالعقل.**

ولهذا فإن أسماء الله تعالى كلها توقيفية ولا يجوز تسمية الله تعالى بما لم يسم به نفسه.

---

(١) التدمرية (ص ٢٠-٢١).

(٢) سورة الأعراف، الآية (١٨٠).

(٣) التدمرية ص ٢١.

(٤) سورة مريم، الآية (٦٥).

(٥) سورة الشورى، الآية (١١).

حصر أسماء الله الحسنى:

إن معرفة أسماء الله الحسنى من أعظم الغايات لتعلقها بذات الباري، وكلما كان العبد عارفاً لمعانيها مدركاً لحقيقتها، كان هذا أبلغ في التعبد لها.

يقول الرسعني عند قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1]:

"سبب نزولها: أن رجلاً دعا الله في صلاته، ودعا الرحمن، فقال الأحمق الجاهل أبو جهل: أليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون رباً واحداً، فما بال هذا يدعوا اثنين؟ فنزلت هذه الآية[2]... والمعنى ولله الأسماء الدالة على المعاني الحسنة، والأوصاف الجميلة، من الرحمة والمغفرة والحلم والعفو والرزق والتعظيم والتحميد والتقديس فادعوه بها، أي: اسألوه بأسمائه الحسنى وتوسلوا إليه بها، كقولك: يالله يا رحمن، يا رحيم، يا كريم، يا حليم".

ثم ساق بإسناده حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعاً وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة» قلت: هذا حديث متفق على صحته[3].

ثم قال: "فإن قيل أسماء الله كثيرة جداً، فما وجه الحديث؟ قلت: ليس المراد حصر أسماء الله تعالى في هذا العدد، وإنما المعنى: أن هذه الأسماء من أحصاها دخل الجنة، كما تقول: لزيدٍ مائة درهم أعدها للصدقة، ولا يدل على أنه ليس عنده أكثر من ذلك؛ وإنما يدل على أن الذي عنده للصدقة هذا القدر، فإن قيل: ما معنى أحصاها؟ قلت: عنه أجوبة: أحدها: أن معناه حفظها، وفي بعض ألفاظ الحديث: "من حفظها"[4].

---

(١) سورة الأعراف: الآية (١٨٠).

(٢) انظر: معالم التنزيل، للبغوي (٣٠٦/١)، زاد المسير (٢٩٢/٣).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار والشروط التي يتعارفها الناس بينهم، وإذا قال: مائة إلا واحدة، أو ثنتين (٩٨١/٢)، برقم (٢٥٨٥)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها (٢٠٦٣/٤) برقم (٢٦٧٧).

(٤) أخرجه ابن ماجه (١٢٦٩/٢) حديث رقم (٣٨٦١). قال الشيخ الألباني: صحيح. انظر: صحيح ابن ماجه (٣٣٠/٢).

الثاني : أن المعنى: من أطاقها، كقوله تعالى: عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ [(١)] **، وقوله** عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ **: «استقيموا ولن تحصوا »** [(٢)] **. والمعنى: من أطاق العمل بها؛ كالسميع والعليم، فالعمل بهما أن يكف لسانه عن قول ما لا يجوز، ويجتنب في خلواته ما يكره اطلاع الناس عليه، ولا يركن ويعزم على ما يحرم، وعلى هذا سائر الأسماء.**

الثالث: أن المعنى: من عقلها وآمن بها دخل الجنة، مأخوذة من الحصاه؛ وهو العقل... قال بعض العلماء: من قرأ القرآن وجمعه أتى على هذه الأسماء وعلى غيرها من أسماء الله تعالى المنزلة في كتابه ... والصحيح أن معنى الإحصاء: الحفظ، لما ذكرناه أولاً ولما كان في بعض طرق الصحيح: "من حفظها دخل الجنة"[(٣)]**.**

هذا وقد قال بعدم حصر أسماء الله تعالى في التسعة والتسعين اسماً علماء السلف -رحمهم الله تعالى- ونقل الاتفاق النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **حيث قال في شرح حديث أبي هريرة: "اتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه سبحانه وتعالى، فليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين، وإنما مقصود الحديث أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها، لا الإخبار بحصر الأسماء، ولهذا جاء في الحديث الآخر: "أسألك بكل اسم سميت به نفسك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك"**[(٤)][(٥)]**.**

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في معنى هذا الحديث: "هذا معناه في أشهر**

---

(١) سورة المزمل: الآية (٢٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١/١٠١) حديث رقم (٢٧٧)، وأحمد (٥/٢٧٦)، والحاكم (١/٢٢٠) حديث رقم (٤٤٧) وقال: صحيح. انظر: إرواء الغليل للألباني (٢/١٣٥)، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.

(٣) رموز الكنوز (٢/٤٦/أ).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده من حديث عبدالله بن مسعود ص٣١٨، حديث (٣٧١٢)، وابن حبان في صحيحه (٣/٢٥٣)، حديث رقم (٩٧٢)، والحاكم في المستدرك (١/٦٩٠) حديث رقم (١٨٧٧)، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبدالرحمن بن عبدالله عن أبيه فإنه مختلف في سماعه عن أبيه، ويقول الألباني: إسناده صحيح. انظر: السلسلة الصحيحة (١/٣٨٣)، التوسل أنواعه وأحكامه، له أيضاً، ص(٣٠)، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي - بيروت.

(٥) شرح صحيح مسلم، للنووي (١٧/٨).

قولي العلماء وأصحها أن من أسمائه تعالى تسعة وتسعين اسماً، من أحصاها وإلا فأسماؤه -تبارك وتعالى- أكثر من ذلك"[١].

ويقول أيضاً: "الذي عليه جماهير المسلمين أن أسماء الله أكثر من تسعة وتسعين"[٢].

ويقول الحافظ ابن حجر[٣] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ذهب جمهور أهل العلم إلى أن أسماء الله الحسنى لا تنحصر في هذه العدة"[٤].

هذا ومما سبق يتبين موافقة الإمام الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ للسلف بعدم حصر أسماء الله الحسنى في هذا العدد.

وليس لأحد أن يسمي الله إلا بما سمى به نفسه أو سماه به رسوله ﷺ، وقد نهى عز وجل عن الاقتداء بمن يلحد في أسمائه فقال تعالى: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[٥].

يقول الرسعني عند هذه الآية: "والملحدون أبو جهل وأضرابه الذين عدلوا بأسماء الله وسموا بها آلهتهم وزادوا ونقصوا، فاشتقوا اللات من اسم الله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان، وكل من سمى الله تعالى بما لم ينطق به كتاب ناطق أو سنة دالة فقد ألحد

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٢٢٣/٣)، تحقيق: علي المدني، مؤسسة المدني - مصر.

(٢) مجموع الفتاوى (٣٨١/٦)، وانظر: بدائع الفوائد، لابن القيم الجوزية (١٦٦/١)، تحقيق: هشام عبدالعزيز عطا، عادل عبدالحميد العدوي، أشرف أحمد، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة.

(٣) هو أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، أبو الفضل ابن حجر، من أئمة العلم والتاريخ حافظ الإسلام في عصره، تصانيفه كثيرة جليلة، توفي سنة ٨٥٢هـ.
انظر ترجمته في: الجواهر الدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر للسخاوي، تحقيق: إبراهيم باجس عبدالمجيد، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، دار ابن حزم – بيروت – لبنان، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لمحمد بن عبدالرحمن السخاوي (٣٦/٢)، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني (٨٧/١)، دار المعرفة – بيروت.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٢٢٠/١١)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت.

(٥) سورة الأعراف: الآية (١٨٠).

في أسمائه ... قال الزجاج: لا ينبغي لأحد أن يدعوه بما لم يسم به نفسه، فيقول: يا قوي، ولا يقول: يا جلد، ويقول: يا رحيم، ولا يقول يا رفيـق [١]، لأنـه لم يـصف نفـسه بذلك[٢]"[٣].

ويقول ابن سعدي : "وحقيقة الإلحاد الميل ا عما جعلت له، إما بأن يسمي ـا من لا يستحقها كتسمية المشركين ا لآلهتهم، وإما بنفي معانيها وتحريفها، وأن يجعل لها معنى ما أراده الله ولا رسوله ﷺ، وإما أن يشبه ا غيرها، فالواجب أن يحذر الإلحـاد فيها، ويحذر الملحدون فيها"[٤].

أما بشان حديث سرد أسماء الله الحسنى، فقد ساقه الرسعني بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة تسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة، هو الله الذي لا إله إلا هو، الرحمن الرحيم، الملك القدوس، السلام المؤمن، المهيمن العزيـز الجبار، المتكبر، الخالق البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق الفتاح، العليم، القابض الباسط، الخافض، الرافع، المعز المذل، السميع البصير، الحكيم العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي الكبير، الحفيظ، المقيـت، الحـسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، ا يب، الواسع، الحكيم، الودود، ا يد، الباعـث الـشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدي، المعيد، المحيـي، المميـت، القيوم، الواجد الماجد، الواحد، الأحد،الفرد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المـؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البر، التواب، المنتقم، العفو، الـرؤوف،

---

(١) الرفيق من أسماء الله الحسنى، يقول النبي ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي علـى العنف»، أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفـق (٢٠٠٣/٤)، حـديث رقـم (٢٥٩٣).

(٢) معاني الزجاج (٣٩٢/٢).

(٣) رموز الكنوز (٤٧/٢/ب).

(٤) تيسير الكريم الرحمن ص٣١٠.

مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني المغني، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد الصبور"(١).

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذكر هذا الحديث: "قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث غريب، حدث غير واحد عن صفوان بن صالح(٢)، ويوثقه عند اهل الحديث، وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث"(٣).

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات (٥٣٠/٥) برقم (٣٥١٦) وابن ماجه في باب أسماء الله عز وجل (١٢٦٩/٢) برقم (٣٨٦١)، والبيهقي في شعب الإيمان، أحمد بن حسين البيهقي (١١٥/١)، الطبعة الأولى عام ١٤١٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، وصححه ابن حبان (٨٩/٣)، والحاكم (٦٢/١)، وقد بين الحاكم أن علة عدم ذكر الشيخين لحديث سرد الأسماء في الصحيحين هو تفرد الوليد بن مسلم بتلك الرواية إلا أن الحافظ ابن رجب أجاب عن هذا بأن العلة في عدم تخريج الشيخين له في الصحيحين ليست فقط تفرد الوليد بن مسلم به؛ بل الاختلاف في الحديث والاضطراب، وتدليسه واحتمال الإدراج في الحديث كلها علل تضاف إلى تفرد الوليد بن مسلم به.

انظر: فتح الباري (٢١٥/١١)،/ وقد ذهب كثير من علماء السلف –رحمهم الله تعالى- إلى تضعيف رواية الإمام الترمذي، قال الإمام ابن حزم: "والأحاديث الواردة في سرد الأسماء ضعيفة، لا يصح شيء منها أصلاً". المحلى، لعلي بن أحمد ابن حزم الأندلسي (٢٢٠/١١)، المكتب التجاري للطباعة والنشر – بيروت ، ويقول الإمام البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ويحتمل أن يكون التفسير وقع من بعض الرواه، وكذلك في حديث الوليد بن مسلم، ولهذا الاحتمال ترك البخاري ومسلم إخراج حديث الوليد في الصحيح". الأسماء والصفات، للبيهقي (٣٢/١)، كما نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ اتفاق العلماء من أئمة الحديث على أن حديث سرد أسماء الله ليس من كلام الرسول ﷺ حيث قال: "وقد اتفق أهل المعرفة بالحديث على أن هاتين الروايتين ليستا من كلام النبي ﷺ، وإنما كل منهما من كلام بعض السلف، فالوليد ذكرها عن بعض شيوخه الشاميين كما جاء مفسراً في بعض طرق حديثه" مجموع الفتاوى (٣٧٩/٦)، وكذلك ضعفه الألباني، ضعيف الجامع برقم (١٩٤٦)، فالراجح أن سرد أسماء الله هو من كلام أحد رواة الحديث، ولم يثبت أن النبي ﷺ عين الأسماء المذكورة، فالحديث ضعيف، والرواية مدرجة.

(٢) هو صفوان بن صالح أبو عبدالملك الثقفي، مولاهم، الثقة وكان يدلس تدليس التسوية، توفي سنة (٢٣٩هـ).

انظر ترجمته في: التهذيب (٢١٢/٢)، التقريب ص ٢١٨، الكاشف (٥٠٣/١).

(٣) رموز الكنوز (٤٦/٢/ب).

شرح الأسماء الحسنى:

عقد الرسعني رحمه الله عند تفسيره لسورة الأعراف فصلاً شرح فيه أسماء الله الحسنى بشكل مختصر، فقال: "فصل: يتضمن شرح ما أشكل من هذه الأسماء وإن كان معظمها قد مضى في كتابنا، ويأتي فيما بقي إن شاء الله تعالى، إلا أن نشير إليه بطريق الاختصار ليكون مجموعاً هاهنا.

أما اسم الله الرحمن الرحيم، فقد ذكرناه في أول الكتاب[1].

القدوس: الطاهر من العيوب.

السلام: الذي يسلم من كل عيب ونقص.

المؤمن: الذي أمن المؤمنين من عذابه.

المهيمن: الشهيد.

المتكبر: البليغ في الكبرياء والعظمة، قال أهل المعاني: المتكبر في صفة الله: الكبير[2]، والعرب تضع نفعل في موضع فعل، مثل: نظلم في موضع ظلم.

الفتاح: الحاكم.

الحكم: الحاكم أيضاً.

العدل: الذي لا يجور.

اللطيف: البر بعباده.

الشكور: الذي يشكر القليل من الطاعة فيثيب عليه.

المقيت: المقتدر، الحسيب: الكافي، الجليل: العظيم.

الرقيب: الحافظ، الودود: ا يب عباده الصالحين.

المجيد: الواسع الكرم، الوكيل: الكافي، المتين: الشديد القوة، الولي: الناصر،

---

(١) أي في كتابه (رموز الكنوز) علماً بأنه سقط من أول الكتاب: المقدمة، والفاتحة، والبقرة، وصدر آل عمران.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي (٤١/١٨).، الطبعة الأولى ١٢٨٧هـ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.

الحميد: المحمود، **والقيوم**: الدائم بلا زوال، **الواجد**: الغني، **الماجد**: بمعنى المجيد، **والأحد**: المنفرد بالمعنى الذي لا يشاركه فيه أحد، **والواحد**: المنفرد بالذات، **والصمد**: السيد الظاهر بالحجج[1]، **الباطن**: المحتجب عن الأبصار.

الوالي: المتولي للأشياء، **البر**: العطوف.

ومعنى **ذو الجلال والإكرام**: إنه أهلٌ أن يجلّ ويكرم، **والمقسط**: العادل، **المانع**: الناصر.

ومعنى **النور**: الذي بنوره يبصر ذو العماية.

والبديع: المبتدع الأشياء، **والوارث**: الباقي بعد فناء خلقه.

والرشيد: بمعنى المرشد، **والصبور**: الذي لا يعاجل بالعقوبة"[2].

ومن الأسماء أيضاً الذي ذكر معانيها عند تفسيره:

١- الشهيد: عند قوله تعالى: وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ [3] أي شاهد، لا يغيب عنه شيء من عملكم[4].

٢- العفو الغفور: عند قوله تعالى: إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا [5] يصفح ويتجاوز عنكم، ويغفر لكم ما كان منكم[6].

٣- العلي الكبير: عند قوله تعالى: إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا [7] يصغر في

---

(١) ويقول في موضع آخر: الظاهر : هو الظاهر بالحجج والبراهين الواضحة الدالة على وحدانيته وعظمته وقدرته فهو الظاهر للبصائر المحتجب عن الأبصار [رموز الكنوز: (٤/٧٥/أ)].

(٢) رموز الكنوز (٢/٤٦/ب، ٤٧/أ).

(٣) سورة آل عمران: الآية (٩٨).

(٤) رموز الكنوز (١/١٨٥).

(٥) سورة النساء: الآية (٤٣).

(٦) رموز الكنوز (١/٤٨١).

(٧) سورة النساء: الآية (٣٤).

جلاله كل كبير، وقيل: يكبر عن شبه المخلوقين، والمعنى: إن الله كان كبيراً فاحـذروه، أيضاً أيها الأقوياء الأشداء[١].

٤- الواسع، الحكيم: عند قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾[٢]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا﴾ يسع رزقه جميع خلقه، ﴿حَكِيمًا﴾ فيما أمر به، و ـى عنـه، وخـوف منه[٣]، و ﴿حَكِيمًا﴾ فيما قضاه وقدره[٤] وفي تدبيره[٥].

٥- الأول والآخر: أي هو القديم [٦] قبل كل شيء، الباقي بعـد هـلاك كـل شيء[٧].

٦- المتعال: المستعلي على كل شيء بعظمته وقدرته[٨].

٧- الكبير: العظيم الشأن، الذي كبر عن مشا ة المخلوقين[٩].

وما كان من الأسماء المضافة إلى الله تعالى مثل: أحكم الحاكمين.

يقول الرسعني عند قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾[١٠]:

"أي: بأقضى القاضين ... وبأحكم الحاكمين صنعاً وتدبيراً"[١١].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك: "وكذلك أسماؤه المـضافة مثـل:

---

(١) رموز الكنوز (٤٥٤/١).
(٢) سورة النساء: الآية (١٣٠).
(٣) رموز الكنوز (٦٠٧/١).
(٤) المصدر السابق (٢٢٩/١).
(٥) المصدر السابق (٥٢٤/١).
(٦) انظر: بخصوص إطلاق كلمة القديم على اسم الله (الأول)، شرح العقيدة الطحاوية (٧٥/١-٧٨).
(٧) رموز الكنوز (٧٥/٤/أ).
(٨) المصدر السابق (١٦٤/٢/ب).
(٩) المصدر السابق (١٦٤/٢/ب).
(١٠) سورة التين: الآية (٨).
(١١) رموز الكنوز (٢٤٧/٤/ب).

أرحم الراحمين، وخير الغافرين، ورب العالمين، ومالك يوم الدين، وأحسن الخالقين، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه، ومقلب القلوب، وغير ذلك مما ثبت في الكتاب والسنة، وفي الدعاء بها بإجماع المسلمين"(١).

وبهذا يتضح اتباع الإمام الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمنهج السلف في إثبات أسماء الله الحسنى.

صفات الباري عز وجل:

الإمام الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ من المثبتين لصفاته سبحانه وتعالى على حقيقتها التي لا تماثل صفات المخلوقين، بل على وجه يليق بالله تعالى، ولا يعلم كيفيته إلا هو سبحانه، وهذا منهج أهل السنة والجماعة في الصفات فهم لا يسألون عن صفات الله تعالى بـ"كيف" فإن صفات الله تعالى وإن كان لها كيف في نفس الأمر إلا أن العباد لا يعلمونه، بل هو مما لا يعلمه إلا الله تعالى.

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذلك بقوله: "إن العلم بكيفية الصفات ليس بحاصلٍ لنا، لأن العلم بكيفية الصفة فرع عن العلم بكيفية الموصوف، فإذا كان الموصوف لا تعلم كيفيته، امتنع أن تعلم كيفية الصفة"(٢).

وعندما يثبت أهل السنة الصفات فإنه لا يلزمهم التمثيل بصفات المخلوقين، وكذلك أيضاً إذا نفوا عنه مماثلة المخلوقين فإنه لا يلزمهم نفي الصفات الثبوتية عنه، وهم بذلك وسط بين نفاة الصفات الذين فهموا أن النفي يلزم منه عدم إثبات الصفات، وبين المشبهه الذين فهموا من الإثبات أنه يلزم منه مشابهة المخلوقين.

والأصل في باب الأسماء والصفات أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، نفياً وإثباتاً.

---

(١) مجموع الفتاوى (٤٨٥/٢٢).

(٢) المصدر السابق (٢١٠/٥).

يقول الإمام ابن خزيمة(١) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "مذهبنا أنا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه، نقر بذلك بألسنتنا، ونصدق ذلك بقلوبنا، من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين، عز ربنا عن أن يشبه المخلوقين، وجلّ ربنا عن مقالة المعطلين، وعز أن يكون عدماً كما قال المبطلون، لأن ما لا صفة له عدم، تعالى الله عما يقول الجهميون الذين ينكرون صفات خالقنا الذي وصف بها نفسه في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه محمد ﷺ"(٢).

ويقول الرسعني عند قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾(٣):

"لم يكن له شبيه ولا عدل، وليس كمثله شيء"(٤).

هذا ومن الصفات التي تكلم عنها الرسعني ما يلي:

١-صفة الكلام:

يقول الرسعني عند قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾(٥):

"قوله عز وجل ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ يتأملونه، ويتفكرون فيه، فيستدلوا برصانة مبانيه عن المناقضة، وصيانة معانيه عن المعارضة، وكثرة حكمه وأحكامه مع إيجازه وإعجازه، وتشويق هواديه إلى إعجازه، على أنه كلام من تنزهت ذاته عن مشاكلة

---

(١) هو محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري، أبو بكر المعروف بإمام الأئمة، صاحب كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، والصحيح، توفي سنة (٣١١هـ).
انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٣٦٥/١٤)، تذكرة الحفاظ (٢٠٧/٢)، البداية والنهاية (١٤٩/١١).

(٢) التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، لابن خزيمة (٢٦/١)، إدارة الطباعة المنيرية سنة ١٣٥٣هـ.

(٣) سورة الإخلاص، الآية (٤).

(٤) رموز الكنوز (٢٦٨/٤/أ).

(٥) سورة النساء، الآية (٨٢).

الذوات، وصفاته عن مماثلة الصفات.

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ﴾ كما زعم حسادوك ومعانـدوك ﴿لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ تفاوتاً في النظم والمعنى على نحو كلام البشر ما بين بديع مستحسن، ومرذول مستهجن، وكلام الله تعالى جار على سنن واحدة من البلاغة والبراعة وصـحة اللفظ والمعنى، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه"(١).

قال ابن حزم(٢) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأن القرآن المقروء المكتوب في المصاحف حق، نزل به جبريل على قلب محمد ﷺ وأنه كلام الله عز وجل حقاً لا مجاز، وهو علم الله تعـالى، وأنه محفوظ لم يغير منه شيء ولا حرف، ولا زيد فيه حرف فما فوقه، ولا نقـص منـه حرف فما فوقه"(٣).

ومسألة إثبات الكلام لله تعالى من المسائل التي كانت محل خلاف بين أهل السنة والجماعة والفرق المخالفة.

يقول الرسعني عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾(٤).

"وإنما لم تنفذ كلمات الله؛ لأن كلامه صفة من صفاته فلا يتطرق إليها نفاد"(٥).

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إن لله عز وجل كلاماً هو به متكلم، وذلك صفة له في

---

(١) رموز الكنوز (٥٢٩/١).

(٢) هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد، الفقيه الحافظ، عالم الأندلس في عصره، من أشـهر مؤلفاته: الفصل في الملل والأهواء والنحل، المحلى، جمهرة الأنساب، الإحكام في أصول الأحكام، توفي سـنة (٤٥٦هـ).

انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٨٤/١٨)، لسان الميزان (١٩٨/٤)، وفيـات الأعيـان (٢٢٥/٣)، معجم الأدباء (٢٣٥/١٢).

(٣) الدره فيما يجب اعتقاده لابن حزم (ص٢١٨-٢١٩).

(٤) سورة الكهف، الآية (١٠٩).

(٥) رموز الكنوز (٣٦/٣/أ).

ذاته"[(١)].

وقال الرسعني عند قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[(٢)]: "لم يكن إلا كلاماً مسموعاً من الله عز وجل"[(٣)].

وفي موطن آخر يقول عند قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾[(٤)]:

" ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ أسمعه كلامه من غير واسطة، وإلا فأي ميزة كانت له بوصف التكليم"[(٥)].

ولقد قال بعضهم لأبي عمرو بن العلاء[(٦)] أحد القراء السبعة: أريد أن تقرأ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[(٧)] بنصب اسم الله، ليكون موسى هو المتكلم لا الله، فقال له أبو عمرو: هب أني قرأت هذه الآية كذا فكيف تصنع بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ ؟! فبهت المعتزلي[(٨)].[(٩)].

---

(١) العقيدة، للإمام أحمد (ص١٠٦).
(٢) سورة النساء، الآية (١٦٤).
(٣) رموز الكنوز (٦٣٢/١).
(٤) سورة الأعراف، الآية (١٤٣).
(٥) رموز الكنوز (٣٤/٢/ب).
(٦) هو زبان بن العلاء بن عمار التميمي البصري شيخ العربية، وأحد أئمة القراء السبعة، ثقة كان من أعلم الناس بالقرآن والعربية والشعر، وكان مقدماً في عصره، توفي سنة (١٥٤هـ).
انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٤٠٧/٦-٤١٠)، وفيات الأعيان (١٣٦/٣)، فوات الوفيات (٢٨/٢-٢٩)، تهذيب التهذيب (١٧٨/١٢).
(٧) سورة النساء، الآية (١٦٤).
(٨) المعتزلي هو: عمرو بن عبيد.
(٩) شرح العقيدة الطحاوية (٧٧/١)، وانظر: الصواعق المرسلة (١٠٣٧/٣)، نقض تأسيس الجهمية، لشيخ الإسلام ابن تيمية (٥/٣).

و ذا يتضح موافقة الإمام الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأهل السنة والجماعة في إثبات صفة الكلام لله سبحانه وتعالى.

٢-صفة العلو:

العلو من صفات الله الذاتية، فله سبحانه العلو المطلق، علو ذاته فوق مخلوقاته، وعلو قدره وعظمته، وعلو قهره وسلطانه.

ومن المعلوم أن أهل الكلام ينكرون صفة العلو، فهم أولوا جميع الآيات والأحاديث المثبتة للعلو والفوقية، وصرفوا معناها إلى علو القدر والمكانة، وفوقية القهر والقدرة، ونحو ذلك من التأويلات المنافية لسياق الكلام، فمن ذلك تأويلهم قوله تعالى:

ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ [1].

قالوا: معنى الآية: أي من في السماء ملكه، وسلطانه وأمره، ونحو ذلك[2].

هذا ومن أصرح الأحاديث في إثبات العلو حديث الجارية، فقد استدل به أهل السنة على ذلك[3]، فقد سألها النبي ﷺ صراحة: «أين الله؟» فقالت بصريح العبارة: "في السماء"، فقال النبي ﷺ: «اعتقها فإ ا مؤمنة »[4]، فجعل اعتقادها كونه سبحانه في السماء دليلاً على إيما ا.

يقول الإمام الدارمي[5] تعليقاً على هذا الحديث:

"ففي حديث رسول الله ﷺ هذا دليل على أن الرجل إذا لم يعلم أن الله عز

---

(١) سورة الملك، الآية (١٦).

(٢) انظر: أساس التقديس (ص ٢٠٩، ٢١٠).

(٣) انظر: إثبات صفة العلو، لموفق الدين ابن قدامة المقدسي (ص٦٩)، ، تحقيق: د. أحمد بن عطية الغامدي، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، مؤسسة علوم القرآن – بيروت، اجتماع الجيوش الإسلامية (ص٤٩).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته (٣٨١/١) حديث رقم (٥٣٧).

(٥) هو عثمان.بن سعيد بن خالد الدارمي، أبو سعيد، من أئمة أهل السنة والجماعة، له في العقيدة "الرد على الجهمية"، وخص بشر المريسي برد مستقل، توفي سنة ٢٨٠هـ، انظر: سير أعلام النبلاء (٣١٩/١٣).

وجل في السماء دون الأرض فليس بمؤمن، ولو كان عبداً فأعتقه لم يجز في رقبة مؤمنة، إذ لا يعلم أن الله في السماء، ألا ترى أن رسول الله ﷺ جعل أمارة إيمانها معرفتها أن الله في السماء؟ وفي قول رسول الله ﷺ: «أين الله؟» تكذيب لقول من يقول: هو في كل مكان لا يوصف بأين ..."(١).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وسنة رسوله ﷺ من أولها إلى آخرها، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين، ثم كلام سائر الأئمة مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى هو العلي الأعلى، وهو فوق كل شيء ... وأنه فوق السماء ... ثم عن السلف في ذلك من الأقوال، ما لو جمع لبلغ مئين، وألوفاً، ثم ليس في كتاب الله، ولا في سنة رسوله ﷺ، ولا عن أحد من سلف الأمة، ولا من التابعين لهم بإحسان، ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف حرف واحد يخالف ذلك لا نصاً ولا ظاهراً"(٢).

ويقول الإمام الرسعني رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾(٣):

"ومن المواضع التي سلب فيها الزمخشري التوفيق، وقاده إليها شؤم بدعته قوله: هاهنا كانوا يعتقدون التشبيه وأن الله في السماء وأن العذاب والرحمة ينزلان منه، وكانوا يدعونه من جهتها، فقيل لهم: على حسب اعتقادهم أأمنتم من تزعمون أنه في

---

(١) الرد على الجهمية، للدارمي (ص٢٧١)، مطبوع ضمن عقائد السلف، جمع وتحقيق: علي سامي النشار، وعمار الطالبي، الناشر: منشأة المعارف بالاسكندرية.

(٢) الحموية، لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٢/٥-١٥)، ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ بإختصار، وانظر: مجموع الفتاوى (١٣٦/٥-١٤٠، ١٦٤-١٦٦)، مختصر الصواعق (٢٠٥/٢-٢١٧).

(٣) سورة الملك، الآية (١٦).

السماء[١]، وهذا الهذيان الذي رام به جحد النص الجلي، أقل من أن يتعرض له برد وإبطال، وقد قررنا وأثبتنا صفة العلو لله في مواضع من هذا الكتاب"[٢].

وبهذا فإن الرسعني يثبت صفة العلو لله تعالى كما يليق بجلاله وكماله من غير تمثيل، أو تحريف، أو تكييف.

٣-صفة الاستواء على العرش:

الإمام الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ أثبت صفة استواء الله تعالى على عرشه على ما يليق بجلاله، وعظيم سلطانه من غير تكييف ولا تمثيل.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾[٣]:

"وضل قوم فقالوا: العرش بمعنى: الملك وهو قول يشهد ببطلانه الكتاب والسنة والإجماع واللغة ... ومذهب أهل الحق في هذه الآية وأمثالها من آيات الصفات وأخبار الصفات: الإقرار والإمرار من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل، وإلى هذا وأمثاله أشار النبي ﷺ وسكت عن أشياء رحمة لكم، فلا تبحثوا عنها، وقيل للإمام مالك بن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: وكيف استوى؟ فقال: "الكيف مجهول، والاستواء معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"[٤].

ومذهب أهل السنة في العرش بأنه سرير عظيم ذو قوائم تحمله الملائكة، وهو كالقبة على العالم، وهو سقف المخلوقات[٥].

---

(١) الكشاف، للزمخشري (١٣٨/٤).
(٢) رموز الكنوز (١٣٧/٤/ب).
(٣) سورة الأعراف: الآية (٥٤).
(٤) سبق تخريجه ص١٤٠.
(٥) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٣٦٦/٢-٣٦٧).

مناقشة الرسعني للأقوال الواردة في معنى استوى:

فيقول رَحِمَهُ اللَّهُ: " فما تقول فيما روي عن الفراء [١] وأبي العباس والزجاج: أن المعنى: عمد إلى خلق العرش وأقبل إليه بعد خلق السموات والأرض، وقول قوم: أن استوى بمعنى: استقر، وقول بعضهم أنه بمعنى: استولى [٢]، وانشدوا فيما زعموا قول الشاعر:

حتى استوى بشر[٣] على العراق ∴ من غير سيف ودم مهراق[٤]

وقول الآخر:

هما استويا بفضلهما جميعاً ∴ على سرر الملوك بغير زور [٥]

قلت: أما قول أهل اللغة، فغايته أن العرب تستعمل هذه الكلمة بالمعنى الذي ذكروه ثمّ، وهو مسلم، فلما قالوا: بأنه هاهنا المراد مع تجويز غيره من المعاني، ولئن قالوا بأنه معنى جائز الإرادة فيكون مراداً فعارضهم بمثله.

وأما قول: الذين قالوا أنه بمعنى: استقر، فنقول لهم: ما معنى الاستقرار هاهنا؟ فإن فسره بالمعنى المتبادر إلى الأفهام، فلا يخفى ما في ذلك من المحذور، حيث أثبتوا لله صفة لم ينطق بها كتاب ولا سنة، ولم يساعد عليها دليل العقل، وإن لم يفسروه بالمعنى المتبادر إلى الأفهام، فلا يخلوا: إما أن يفسروا الاستقرار بشيء معلوم أولاً، فإن فسروه بشيء معلوم ورد عليهم من الكلام ما ورد عليهم في تفسير الاستقرار بالمعنى المتبادر إلى الأفهام من

---

(١) هو يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الأسدي مولاهم، الكوفي النحوي العلامة صاحب التصانيف، أبوزكريا، له مشاركات في علوم كثيرة، توفي سنة ٢٠٧هـ.
انظر ترجمته في: طبقات الحنابلة (٢٥٩/١-٢٦٢)، سير أعلام النبلاء (١١٨/١٠-١٢١)، البداية والنهاية (٢٦١/١٠).

(٢) وهو قوله المعتزلة وجماعة من المتكلمين. انظر: الماوردي (٢٢٩/٢)، البغوي (١٦٥/٢)، زاد المسير (٢١٣/٣).

(٣) سبق ترجمته ص ١٣٠.

(٤) سبق بيان مواطن هذا البيت ص١٣٠.

(٥) سبق بيان مواطن هذا البيت ص١٣٠.

كونهم أثبتوا لله صفة من غير كتابٍ ولا سنة، وإن لم يفسروه بشيء فليقتصروا أولاً على تلاوة الآية، والإيمان بالاستواء على المعنى الذي أراده الله كما قلنا.

وأما قول الذين قالوا أنه بمعنى: استولى، فغير صحيح من جهة نقل اللغة ومن جهة المعنى، قال ابن الأعرابي[(١)]: العرب لا تعرف استوى بمعنى استولى، ومن قال ذلك فقد أعظم[(٢)]، وقال ابن فارس[(٣)]: البيتان لايعرف قائلهما[(٤)]، وقال جماعة من حذاق العلماء: إنما يقال: استولى فلان على كذا؛ إذا كان بعيداً عنه غير متمكن منه، ثم تمكن منه، والله تعالى لم يزل مستولياً على الأشياء"[(٥)].

وبعد ذلك استشهد بأقوال السلف حول ثبوت صفة استواء الله تعالى على عرشه، وأنه بلا حد وكيف، ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وعلى هذا القول الذي قاله الشريف[(٦)] وارتضاه، وجدت علماءنا وأشياخنا الذين بالشام والعراق، وله نعتقد، وعليه نعتمد وبه نقول، وقد صنف شيخنا الإمام موفق الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي[(٧)]، كتاباً[(٨)] سمعناه عليه، يخص هذه المسألة، وجمع فيه ما صح في الأخبار والآثار الدالة على أن الله تعالى مستو على عرشه فوق سبع سماواته، وذكر فيه ما لا يجد المسلم المُتبع لشريعة محمد ﷺ بداً من الانقياد إلى تسليمه والإيمان به، فمن أراد الوقوف على

---

(١) سبقت ترجمته ص ١٣١.

(٢) انظر: اعتقاد أهل السنة، للالكائي (٣٩٩/٣).

(٣) سبقت ترجمته ص ١٣١.

(٤) زاد المسير (٢١٣/٣).

(٥) رموز الكنوز (١٨/٢/أ، ب – ١٩/أ)، وانظر: حول معاني الاستواء [الصواعق المرسلة لابن القيم (٢٩١/١-٢٩٢)].

(٦) هو الشريف القاضي أبو علي بن أبي الهاشمي ، وقد استشهد الرسعني بقوله عند حديثه عمن يؤول الاستواء بمعنى الارتفاع. قال الشريف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فأنا لا أقول في ذلك إلا ما قال أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه استوى كما قال: بلا حد ولا كيف" [رموز الكنوز ١٨/٢/ب-١٩/أ]، وقد تقدم الحديث عن معاني استوى في اللغة وعبارات السلف في تفسيرها ص (١٣١) هامش (١).

(٧) سبقت ترجمته ص٧٢

(٨) الكتاب هو : مسألة العلو.

دلائلنا السمعية وبراهيننا القطعية فليقف عليه؛ ليستبين له الصواب، ويعرف المبتدع من المتبع للسنة والكتاب، نسأل الله أن يعافينا مما ابتلى به فرق الضلال من أمراض الشك في عقائدهم، وأن يثبت قلوبنا على سنة نبيه، وأن يلهمنا العمل بكتابه إنه قريب مجيب"(١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "وكل هذا الكلام الذي ذكره الله سبحانه من أنه فوق العرش وأنه معنا، حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف، ولكن يصان عن الظنون الكاذبة، مثل أن يظن أن ظاهر قوله: ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أن السماء تقله أو تظله، وهذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان، فإن الله قد وسع كرسيه السموات والأرض، وهو الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا، ويمسك أن تقع على الأرض إلا بإذنه ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾(٢)"(٣).

٤- صفة الرضا:

أثبت الرسعني هذه الصفة عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾(٤):

"أي وشيء من رضوان الله أكبر، أعظم من ذلك النعيم كله؛ لأن رضاه سبحانه أصل كل خير وبتمامه يتم النعيم ويتكامل السرور، وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يقول الله عز وجل لأهل الجنة: هل رضيتم، فيقولون: وما لنا لا نرضى، وقد أعطيتنا ما لم تعطِ أحداً من خلقك، فيقول: أفلا أعطيكم أفضل من ذلك، فيقولون: وأي شيء أفضل من ذلك، فقال: أحل عليكم رضواني فلا

(١) رموز الكنوز (٢/١٩/أ).
(٢) سورة الروم: الآية (٢٥).
(٣) مجموع الفتاوى (٣/١٤٣).
(٤) سورة التوبة: الآية (٧٢).

أسخط عليكم أبداً »[(١)][(٢)].

٥-صفة الوجه:

الإمام الرسعني -يرحمه الله- يثبت صفة الوجه لله تعالى، كما يليق بجلاله من غير تحريف، ولا تكييف، ولا تأويل.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾[(٣)]:

"المعنى كل شيء غير وجهه هالك"[(٤)].

وقد نقل أبو بكر الخلال[(٥)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ قول الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إثبات صفة الوجه لله عز وجل، فقال: "ومذهب أبي عبدالله أحمد بن حنبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن: لله عز وجل وجهاً، لا كالصورة المصوّرة، والأعيان المخططة، بل وجه وصفه بقوله: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾ ومن غير معناه فقد ألحد عنه وذلك عنده وجه في الحقيقة، دون المجاز، ووجه الله باقٍ لا يبلى، وصفة له لا تفنى، ومن ادعى أن وجهه نفسه فقد ألحد، ومن غير معناه فقد كفر"[(٦)].

وقد بوب الحافظ ابن منده[(٧)] في كتابه (الرد على الجهمية) باباً في ذلك فقال: "باب قول الله جلّ وعز: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾[(٨)]، وقال الله عز وجل: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾[(٩)]، وذكر ما ثبت عن النبي ﷺ، مما يدل على حقيقة ذلك"[(١٠)].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣٦٣/١١-٣٦٤)، ومسلم (٢١٧٦/٤).
(٢) رموز الكنوز (٨١/٢/أ-ب).
(٣) سورة القصص: الآية (٨٨).
(٤) رموز الكنوز (٢٤٥/٣/ب).
(٥) أحمد بن محمد بن هارون الخلال، أبو بكر، حنبلي، كانت له عناية بمذهب الإمام أحمد بن حنبل، وهو شيخ الحنابلة في زمنه، من مصنفاته السنة، توفي سنة ٣١١هـ، انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٢٩٧/١٤)، شذرات الذهب (٢٦١/٢).
(٦) العقيدة للإمام أحمد بن حنبل برواية أبي بكر الخلال ص١٠٣.
(٧) سبقت ترجمته ص ١٥٢.
(٨) سورة القصص، الآية (٨٨).
(٩) سورة الرحمن: الآية (٢٧).
(١٠) الرد على الجهمية، لابن منده ص٩٤، تحقيق: د. علي بن محمد الفقيهي، الطبعة الأولى عام ١٤٠١هـ.

الفصل الثاني

جهود الرسعني في تقرير الإيمان بالملائكة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: المراد بالإيمان بالملائكة.

المبحث الثاني: صفات الملائكة ووظائفهم.

المبحث الأول
المراد بالإيمان بالملائكة

قبل الشروع في هذا المبحث سوف نتحدث عن تعريف الملائكة في اللغة والشرع.

تعريف الملائكة في اللغة:

المَلك واحد الملائكة، والأصل مألك، فقدموا اللام وأخروا الهمزة فقالوا: مَـلْأَكٌ، وهو مفعل من الألوك وهو الرسالة، واجتمعوا على حذف همزته كهمزة "رأي"[(١)]، وحركت اللام، فصار: ملك.

تعريف الملائكة في الشرع:

الملائكة: عالم غيبي، عابدون لله تعالى، خلقهم الله تعالى من نور ومنحهم الانقياد التام لأمره، مسخرون بإذن الله في شؤون الخلق وتدبير الكون، وحفظ العباد وكتابةأعمالهم، وأمناء على الوحي في حفظه وتبليغه، ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء[(٢)].

الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان الستة، يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ

---

(١) معجم كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (٥/٣٨٠-٣٨١)، مادة (ألك)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، و د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢/٤٠٥-٤١٠)، معجم ألفاظ العقيدة (ص٣٨٦)، شرح ثلاثة أصول، للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين (ص٨٧)، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، جمعية إحياء التراث الإسلامي – الكويت.

بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ [(١)]، وقوله تعـالى: لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ [(٢)].

وقد كفّر من لم يؤمن بالملائكة قال تعـالى: وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَـٰلَۢا بَعِيدًا [(٣)].

ويقول النبي ﷺ في الحديث المتفق على صحته، حديث جبريل وسـؤاله للـنبي ﷺ عن الإيمان، فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخـر، وتـؤمن بالقدر خيره وشره »[(٤)].

يقول الإمـام الرسـعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عنـد قولـه تعـالى: وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ [(٥)]:

"أن أكون من المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر"[(٦)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ولابد في الإيمان أن يؤمن العبـد بـالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويؤمن بكل رسولٍ أرسله، وكل كتاب أنزله"[(٧)].

ويقول ابن القيم: "الإيمان بالملائكة عليهم السلام أحد الأصول الخمسة التي هي

---

(١) سورة البقرة، الآية (٢٨٥).

(٢) سورة البقرة، الآية (١٧٧).

(٣) سورة النساء، الآية (١٣٦).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: (إن الله عِندَه عِلْـم الـساعةِ وينـزلُ ، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أركان الإيمان (٣٩/١)، وذكـره الرسـعني في رمـوز الكنـوز (٥٥/٤/أ).

(٥) سورة يونس، الآية (١٠٤).

(٦) رموز الكنوز (١١٣/٢/ب).

(٧) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لابن تيمية (ص ٧٧)، مطبعة معارف لاهور ١٣٩٧هـ.

أركان الإيمان وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر"(١).

والإيمان بالملائكة يتضمن الأمور التالية:

١- الإيمان بوجود الملائكة، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾(٢). وهذا الخبر يتضمن أ م موجودن حقاً.

٢- الإيمان بأن الملائكة خلق من خلق الله تعالى، كالإنس والجن مأمورون مكلفون لا يقدرون إلا على ما أقدرهم الله عليه.

يقول الإمام الرسعني عند قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۝٤٩ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾(٣):

"فإن قيل: أي فائدة في قوله ﴿وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ مع دخولهم في العموم، قلت: التنبيه على فضلهم وشرفهم ... وفي الآية دليل على أن الملائكة مكلفون بالأمر والنهي مخاطبون بالوعد والوعيد، وأ م بين الخوف والرجاء"(٤).

والموت عليهم جائز، ولكن الله جعل لهم أمداً بعيداً، فلا يتوفاهم حتى يبلغوه، ولا يستطيعون إلا ما أذن الله لهم به من الأعمال، حتى جبريل عليه السلام الذي هو أفضلهم، لا يمكن أن ينزل إلى الأرض إلا بأمر الله تعالى، ولهذا لما قال النبي ﷺ لجبريل: «ما يمنعك أن تزورنا»(٥)(٦) نزل قول الله عز وجل: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ

---

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لابن القيم (١٣١/٢)، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت – لبنان.

(٢) سورة الحج: الآية (٧٥).

(٣) سورة النحل: الآية (٤٩-٥٠).

(٤) رموز الكنوز (٢٠٢/٢/أ).

(٥) رواه البخاري في كتاب التفسير وما نتنزلُ إلا بأمر ربك (١٧٦٠/٤) برقم (٤٤٥٤).

(٦) رموز الكنوز (٥٠/٣/أ).

أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا[(١)].

يقول الرسعني عند قوله تعالى: بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨[(٢)]:

" بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ **أي بل هم عباد، يعني الملائكة مكرمون أكرمهم واصطفاهم،** لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ **أي لا يتكلمون قبل أن يأذن لهم في الكلام** وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ **أخبر الله عنهم في معرض الثناء عليهم وإثبات العبودية لهم أن أقوالهم وأعمالهم منوطة بإذن الله تعالى: وأنهم لا يستبدون بأمر** يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ **أي: ما قدموا من الأعمال وما يعملون،** وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ **أي رضيه الله"[(٣)].**

٣- الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه، كجبريل، وميكال، ومالك.

فقد أخبر الله عنهم، وسماهم بأسمائهم، في كتابه فقال: مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ[(٤)]، **وقال:** وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ[(٥)].

ومن لم نعلم اسمه منهم، نؤمن بهم إجمالاً.

---

(١) سورة مريم: الآية (٦٤).
(٢) سورة الأنبياء: الآية (٢٦-٢٨).
(٣) رموز الكنوز (٣/٨٧/ب).
(٤) سورة البقرة: الآية (٩٨).
(٥) سورة الزخرف: الآية (٧٧).

٤- الإيمان بما علمنا من صفاتهم، كصفة جبريل، فقد أخبر النبي ﷺ أنه رآه على صفته التي خلقه الله عليها، فقد سئل ابن مسعود[(١)] رضي الله عنه عن قول الله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾[(٢)].

فقال: "إن النبي ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح"[(٣)].

ووصف ﷺ حملة العرش، فقال في الحديث الذي يرويه جابر[(٤)] رضي الله عنه: «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله عز وجل من حملة العرش، ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام»[(٥)].

---

(١) هو عبدالله بن مسعود بن غافل الهذلي، أبو عبدالرحمن، احد السابقين الأولين، أسلم قديماً وهاجر الهجرتين وشهد بدراً والمشاهد بعدها، ولازم النبي ﷺ، توفي سنة (٣٢هـ).
انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى (٣/١٥٠-١٦١)، الإصابة (٤/٢٣٣-٢٣٥).

(٢) سورة النجم، الآية (٩-١٠).

(٣) أخرجه البخاري في باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، من كتاب بدء الخلق (٢/٤٢٩)، ومسلم في باب ذكر سدرة المنتهى من كتاب الإيمان (١/١٥٨).

(٤) تقدمت ترجمته ص١٤١.

(٥) أخرجه أبو داود في باب في الجهمية، من كتاب السنة (٢/٥٣٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/١٤٢)، والذهبي في العلو (ص ٥٨)، تحقيق: أبو محمود أشرف بن عبدالمقصود، الطبعة الأولى ١٩٩٥م، مكتبة أضواء السلف - الرياض ، وقال: "إسناده صحيح"، وقال به ابن كثير في تفسيره (٤/٤١٤) (إسناده جيد، ورجاله كلهم ثقات)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١/٨٠)، وقال: "رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح"، كما صحح الحديث الألباني في السلسلة الصحيحة (١/٢٣٢-٢٣٣).

المبحث الثاني

صفات الملائكة ووظائفهم

أولاً: صفات الملائكة:

الملائكة مخلوقة من نور، خلقها الله تعالى لطاعته وعبادته، يقول النبي ﷺ: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»(١)، وهذا يعطي دلالة أن خلق الملائكة مغاير لخلق الآدمي وخلق الجانّ، وبالتالي فإن صفات الملائكة مختلفة تماماً عن صفات الإنس والجن فمن تلك الصفات:

١-**عِظم الخلقة:** خلق الله الملائكة على هيئة عظيمة، وتتمثل هذه العظمة في نواح كثيرة من خلقتهم، فمن ذلك تعدد اجنحتهم، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ۝١﴾(٢).

يقول الإمام الرسعني عند هذه الآية: " ﴿أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ﴾ أصحاب أجنحة ... ﴿مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ صفات للأجنحة ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ أي: في خلق الأجنحة وغيرها مما تقتضيه مشيئته وحكمته، والأصل: الجناحان؛ لأ ما بم لة اليدين، قال ابن عباس: رأى رسول الله ﷺ ليلة المعراج جبريل عليه السلام وله ستمائة جناح"(٣).(٤)".

ويبين الرسعني بأن الله تعالى إذا أرسل جبريل لأحد خلقه يرسله بصورة آدمي

---

(١) رواه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب أحاديث متفرقة (٣٣٩٤/٤).

(٢) سورة فاطر: الآية (١).

(٣) انظر: السراج المنير، محمد بن أحمد الشربيني (٤٣٣٢/١)، دار الكتب العلمية – بيروت.

(٤) رموز الكنوز (٢٠١/٣/ب-٢٠٢/أ).

حتى لا يفزع منه أحد إذا جاء بصورته الحقيقية فهو يقول عند قوله تعـالى: ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا﴾[1].

"﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا﴾ آدمياً سوياً، لم يفته شيء من صورة ابن آدم، لطفـاً من الله ا إذ لو جاءها في الصورة الملكية لنفرت منه، ولم تفهم ما جاء به"[2].

ويقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾[3]:

"وهو بالأفق الأعلى على صورته الحقيقية، التي جبل عليها، فإنه كـان يتمثـل لرسول الله إذا هبط عليه في صورة رجل، فأحب رسول الله ﷺ أن ينظره في صـورته الملكية التي خلق عليها، فاستوى في أفق المشرق، فملأ الأفق"[4].

وفي موضع آخر استشهد الرسعني بحديث جابر بن عبدالله[5] رضي الله عنه لبيان عظـم خلقه حملة العرش والذي قال فيه النبي ﷺ: «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكـة الله عز وجل من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام »[6][7].

٢- القوة والإحكام والمتانة:

وهذه الصفات منحهم الله إياها لعظم المهام التي يقومون ا، قال تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ﴾[8]، قال الرسعني في تفسيرها: "وهو جبريل صلى

---

(١) سورة مريم: الآية (١٧).
(٢) رموز الكنوز (٣/٤٠/ب).
(٣) سورة النجم: الآية (٧).
(٤) رموز الكنوز (٤/٣٦/ب).
(٥) تقدمت ترجمته ص ١٤١.
(٦) سبق تخريجه ص ٢٥٢.
(٧) رموز الكنوز (٤/١٤٩/ب).
(٨) سورة النجم: الآية (٦).

الله عليه وسلم، ومن آثار قوته اقتلاعه قرى قوم لوطٍ، حاملاً لها على جناحه، رافعاً لهـا إلى السماء، وصياحه بثمود فأصبحوا جاثمين، ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ حصافة في عقله ورأيه، ومتانة في دينه"(١).

وقال عند قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً﴾(٢).

"أشداء يعجز طوق البشر عن مغالبتهم(٣)"(٤).

ويقول عند تفسيره لقوله تعـالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾(٥).

"ثم وصف جبريل بقوله ﴿ذِى قُوَّةٍ﴾ شديد القوة ذو مرة، والمعنى: ذي قوة على أعداء الله ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾ صاحبه وهو الله عز وجـل ﴿مَكِينٍ﴾ رفيـع الـمـ لـة والمكانة عند ذي العرش، مطاع في الملائكة ممتثل الأمر فيهم، علماً منهم بـأن إيـراده وإصداره منوط بإذن رب العزة جلّ وعلا"(٦).

٣- عدم الملل والتعب والنوم:

فالملائكة لا يعتريهم ملل ولا تعب من عبادة الله وطاعته، فهم دوماً في صلاة وتسبيح وذكر، وقد دل على هذا آيات كثيرة من القرآن الكريم، منها قوله تعالى:

---

(١) رموز الكنوز (٤/٣٦/ب).

(٢) سورة المدثر: الآية (٣١).

(٣) لقد نقل الرسعني هنا قول مقاتل: إن أسيد بن كلدة قال: يا معشر قريش إذا كان يوم القيامة فأنا أمشي بين أيديكم إلى الصراط فأدفع عشرة بمنكبي الأيمن وتسعة بمنكبي الأيسر في النار وندخل الجنة، فأنزل الله تعـالى هذه الآية [انظر: زاد المسير (٨/٤٠٨)].

(٤) رموز الكنوز (٤/١٧٤/ب).

(٥) سورة التكوير: الآية (١٩-٢٠).

(٦) رموز الكنوز (٤/٢٠٨/أ-ب).

﴿فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ۩﴾ (١).

يقول الرسعني عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ۩﴾ (٢):

" ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ يريد الملائكة لا يستكبرون عن عبادته أي طاعته والخضوع لجلاله في الصلاة وغيرها...، ويسبحونه الليل والنهار لا يفترون"(٣).

ثم استشهد بحديث أبي ذر رضي الله عنه فقال: أخرج الإمام أحمد في المسند من حديث أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع يعني أصابع إلا عليه ملك ساجد ...الحديث »(٤).

ثم قال: " ﴿وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ﴾ أي: يصلّون، وهذا تعريض بالمكلف من بني آدم، وتحريض على الطاعة؛ لأن الملائكة الكروبيين (٥) مع قربهم وفضلهم وعصمتهم بهذه المثابة، فالمتلوث بأنجاس المعاصي أولى بتطهير نفسه لله، وتزكيتها بفعل العبادة

---

(١) سورة فصلت، الآية (٣٨).

(٢) سورة الأعراف، الآية (٢٠٦).

(٣) رموز الكنوز (٢/٥١/أ).

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده. انظر : الفتح الرباني، كتاب خلق العالم، باب ما جاء في خلق الملائكة (١٧/٢٠)، ورواه الترمذي في جامعه في أبواب الزهد، باب في قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً" وقال: حسن غريب، انظر: عارضة الأحوذي (١٩٤/٩)، والحديث صححه الألباني في كتابه صحيح سنن الترمذي (٢٦٨/٢) برقم (١٨٨٢).

(٥) الكروبيون: جمع كروبي، بفتح الكاف وضم الراء المهملة من كرب، بمعنى قرب، وهم سادة الملائكة حملة العرش، والحافون به، منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام.

انظر: تفسير مجاهد (٤٥٠/٢)، تحقيق: عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي، المنشورات العلمية – بيروت، روح المعاني (٤٦/٢٤).

والطاعة لرب العالمين"[١].

ويقول الشيخ ابن سعدي عند قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ﴾ فليقتد العبـاد ؤلاء الملائكة الكرام، وليداوموا في عبادة الملك العلام"[٢].

٤-جمال الملائكة:

وهذا مما ميزهم الله به حتى أصبح جمالهم يضرب به المثل، يقول الرسعني عند قوله تعالى: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ﴾[٣]: "قال جمهور المفسرين: نفين عنه البشرية، وأثبتن له الملكية، لما رأين من غرابة جماله، فإن قيل: من أين علمن حسن الملائكة حـتى قلـن: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾، قلت: حسن الملائكة أمر مستقر في النفـوس، مركـوز في الطباع، كما أن قبح الشيطان مستقر في النفوس، وضرب ما المثل في الحسن والقـبح، والذي يظهر في نظري أن قولهن ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ ليس على وجه السلب لنوع الإنسانية عن يوسف وإثبات الملكية له، وإنما هو على مذهب الاستعظام، لما خص به من النـضارة والجمال من بين ولد آدم"[٤].

٥- عدم الأكل والشرب والنكاح:

وهذا مما تميزت به الملائكة عن الإنس والجن، أما الأكل والشرب فقد دلت آيات القرآن الكريم على ذلك، ومنها قوله تعالى عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وضيفه من الملائكـة: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٤ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ

---

(١) رموز الكنوز (٢/٥١/ب).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص ٣١٤).

(٣) سورة يوسف: الآية (٣١).

(٤) رموز الكنوز (٢/١٤٦/ب).

سَلَٰمٌ قَوۡمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةً ۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ [(١)].

يقول الرسعني عند تفسيره لهذه الآيات: "الاستفهام بمعنى تفخيم شأن القصة والتنبيه على أن العلم بهذا الحديث لا طريق له سوى الوحي ... وهم من الملائكة الذين جاءوه بالبشرى ... فراغ إلى أهله، عدل إليهم في خفية من ضيفه، وهذا من فتوته ومروءته وحسن أدبه وعشرته، فإن مبادرة الضيف بالقرى وإخفاء ذلك منه، لئلا يكفه عنه ويمنعه منه من شيم الأكارم وخصال المكارم... فجاء بعجل سمين والمعنى، جاء به مشوياً، بدليل قوله في هود جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٍ [(٢)] فقربه إليهم قال ألا تأكلون، أنكر عليهم ترك الأكل وحثهم عليه"[(٣)] .

أما عدم النكاح فقد حكى غير واحد من محققي العلماء الاتفاق على أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون[(٤)].

٦- الأمانة: وهي من خصائص الملائكة ومن صفاتهم الخُلقية، وهذه الأمانة تتمثل في أداء ما استحفظوا عليه من أعمال.

يقول الرسعني موضحاً أمانة جبريل عليه السلام عند قوله تعالى: مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ [(٥)].

"تعظيماً لأمانة جبريل وبياناً لأنها أفضل صفاته المعدودة ... وجبريل عليه السلام

---

(١) سورة الذاريات: الآية (٢٤-٢٨).

(٢) سورة هود: الآية (٦٩).

(٣) رموز الكنوز (٢٦/٤/ب ، ٢٧/أ).

(٤) انظر: لوامع الأنوار البهية شرح الدرة المضية، للسفاريني (٤٤٧/١)، المكتب الإسلامي، بيروت، الحبائك في أخبار الملائك للسيوطي ص٢٦٤، الطبعة الأولى عام ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية.

(٥) سورة التكوير: الآية (٢١).

أمين الوحي ورسول الله إلى أنبيائه"(١).

ويقول ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: "جبريل ... ذو أمانة وقيام بما أمر به، لا يزيد ولا ينقص، ولا يتعدى ما حد له، وهذا كله يدل على شرف القرآن عند الله تعالى، فإنه بعث به هذا الملك الكريم، الموصوف بتلك الصفات الكاملة، والعادة أن الملوك لا ترسل الكريم عليها إلا في أهم المهمات، وأشرف الرسائل"(٢).

ثانياً: وظائف الملائكة:

وظائف الملائكة التي ذكرت في الكتاب والسنة كثيرة جداً، يقول ابن القيم: "والقرآن مملوء بذكر الملائكة وأصنافهم وأعمالهم ومراتبهم ... وأما ذكرهم في الأحاديث النبوية فأكثر وأشهر من أن يذكر"(٣).

وإليك الآن ذكر وظائفهم التي تكلم الرسعني عنها:

١- **التنزل بالوحي:** الملائكة هم الواسطة بين الله وخلقه في التنزيل بالوحي، والأمر من عند الله تعالى، وقد اختص بهذا الوحي من الملائكة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ودل على تكليفه بهذه المهمة العظيمة آيات كثيرة منها قول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾(٤).

يقول الإمام الرسعني رَحِمَهُ اللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٥): "يعني القرآن نزل به الروح الأمين، وهو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ"(٦).

كما نقل الرسعني قول الزجاج عند قوله تعالى: ﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ

---

(١) رموز الكنوز (٢٠٨/٤/ب).
(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص ٩١٣).
(٣) إغاثة اللهفان (١٣١/٢).
(٤) سورة البقرة: الآية (٩٧).
(٥) سورة الشعراء: الآية (١٩٢).
(٦) رموز الكنوز (٢٠٧/٣/ب).

بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي [(١)]، قال: "لو كان إنما سمع[(٢)] كلام غير الله لما قال: بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي ؛ لأن الملائكة تنزل على الأنبياء عليهم السلام بكلام الله تعالى"[(٣)(٤)].

وقد ورد في السنة الصحيحة أحاديث كثيرة في ذكر هذه المهمة العظيمة لجبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ، أكتفي بذكر حديث واحد منها، وهو حديث عبدالله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: "كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة"[(٥)].

٢- الموكل بالصور: وهو إسرافيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ، قال تعالى: وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ [(٦)]، وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما طرف صاحب الصور مذ وكل به مستعد ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه، كأن عينيه كوكبان دريان »[(٧)].

وقد ورد ذكر إسرافيل بهذا الاسم، فقد كان من دعاء الرسول ﷺ في قيام الليل: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض ...»[(٨)] الحديث.

---

(١) سورة الأعراف: الآية (١٤٤).
(٢) في معاني الزجاج: تبع.
(٣) معاني القرآن (٢/٣٧٥).
(٤) رموز الكنوز (٢/٣٦/ب).
(٥) رواه البخاري في الصحيح، كتاب بدء الوحي رقم الحديث (٦)، انظر: فتح الباري (١/٣٠).
(٦) سورة الزمر: الآية (٦٨).
(٧) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/٩٩)، والحاكم في المستدرك (٤/٥٥٨-٥٥٩)، وصححه ووافقه الذهبي وزاد: (على شرط مسلم)، وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (صـ١٨٦)، وقال البدر في تحقيقه لكتاب العلو لابن قدامة (صـ٩٠): (إسناده حسن).
(٨) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه (١/٥٣٤).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور للقيام من القبور، والحضور يوم البعث والنشور ليفوز الشكور، ويجازى الكفور فذاك ذنبه مغفور، وسعيه مشكور، وهذا قد صار عمله كالهباء المنثور، وهو يدعو بالويل والثبور"(١).

وقد ورد في السنة ما يدل على أن إسرافيل هو الموكل بالصور، فعن عبدالله بن الحارث(٢) قال: كنت عند عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وعندها كعب الحبر(٣) فذكر إسرافيل، فقالت عائشة: يا كعب أخبرني عن إسرافيل، فقال كعب: عندكم العلم، قالت: أجل فأخبرني، قال: له أربعة أجنحة جناحان في الهواء وجناح قد تسربل به وجناح على كاهله، والقلم على أذنه فإذا نزل الوحي كتب القلم ثم درست الملائكة، وملك الصور جاث على إحدى ركبتيه وقد نصب الأخرى ملتقم الصور، محمي ظهره وقد أمر إذا رأى إسرافيل قد ضم جناحه أن ينفخ في الصور، قالت عائشة: هكذا سمعت رسول الله ﷺ (٤).

وفي هذا الحديث دلالة واضحة أن إسرافيل عليه السلام له أعوان يعاونونه على القيام بمهمة النفخ في الصور، ومثل هذا الحديث الحديث الآخر الذي قال فيه ﷺ: «كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن، واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ »(٥).

يقول الإمام الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ

---

(١) البداية والنهاية (٤٦/١).

(٢) عبدالله بن الحارث بن جزء الزبيدي، صحابي سكن مصر وهو آخر من مات بها من الصحابة وذلك سنة خمس أو ست أو سبع أو ثمان وثمانين. انظر: تقريب التهذيب (ص٢٩٩)، أسد الغابة (١٩٨/٣-١٩٩).

(٣) هو كعب بن ماتع الحميري، من أوعية العلم، ومن كبار علماء أهل الكتاب، أسلم في زمن أبي بكر الصديق وقدم من اليمن في خلافة عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فأخذ عنه الصحابة وغيرهم، وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة، توفي في خلافة عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. انظر: تذكرة الحفاظ (٥٢/١)، أسد الغابة (٥١٤/٤).

(٤) رواه الطبراني في الأوسط (١١٤/٩)، وقال الهيثمي: إسناده حسن، انظر: مجمع الزوائد، كتاب البعث، باب النفخ في الصور (٣٣١/١٠) طبعة دار الفكر.

(٥) رواه الترمذي (٦٢٠/٤)، وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي رقم (١٩٨٠)، أبواب صفة القيامة، باب ما جاء في الصور (٢٩٢/٢).

ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ [(١)]:

"يومئذ يتبعون الداعي إلى المحشر وهو إسرافيل، لا عوج له أي لا يعوج له مدعو، بل يتبعون صوته مستوين غير منحرفين عنه"[(٢)].

ويقول عند قوله تعالى: وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ (٤١) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ [(٣)]:

"أي: واستمع حديث يوم ينادي المنادي، والمنادي إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال المفسرون: يقف على صخرة بيت المقدس وينادي: يا أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحوم المتفرقة، والشعور المتمزقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء[(٤)]، وهذه هي النفخة الأخيرة.

والمعنى: يوم يسمعون الصيحة بالحق، بالأمر الثابت الذي لا مِرية فيه، وهو البعث، ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ من القبور"[(٥)].

ويقول في موضع آخر عن إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ [(٦)]:

"يوم يدعو الداعي وهو إسرافيل، يوم ينفخ النفخة الثانية "[(٧)].

وهو من رؤساء الملائكة، وهم ثلاثة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، فجبريل

---

(١) سورة طه: الآية (١٠٨).

(٢) رموز الكنوز (٧٨/٣/ب).

(٣) سورة ق: الآية (٤١-٤٢).

(٤) أخرجه الطبري (١٨٣/٢٦)، وذكره الواحدي في الوسيط (١٧٢/٤)، والسيوطي في الدر (٦١١/٧)، وعزاه لابن جرير عن كعب، ومن طريق آخر عن يزيد بن جابر، وعزاه لابن عساكر، والواسطي في فضائل بيت المقدس.

(٥) رموز الكنوز (٢١/٤/أ).

(٦) سورة القمر: الآية (٦).

(٧) رموز الكنوز (٤٨/٤/ب).

موكل بالوحي الذي به حياة القلوب والأرواح، وميكائيل موكل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم[(١)].

وقد حكى القرطبي[(٢)] إجماع الأمم على أن الذي ينفخ في الصور هو إسرافيل، فقال: "قال علماؤنا، والأمم مجمعون على أن الذي ينفخ في الصور إسرافيل عليه السلام"[(٣)].

٣- الموكلون بحفظ العبد: وهم موكلون بحفظه في حله وارتحاله وفي نومه ويقظته وفي كل حالاته.

قال تعالى: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[(٤)].

قال الرسعني في تفسيرها: "... له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه ... معقبات من الملائكة، يتعاقبون لحفظه، قال أكثر المفسرين: هم الحفَظَة؛ اثنان بالنهار، واثنان بالليل، إذا مضى فريق خلفه فريق، يحفظونه من أمر الله أي: بأمر الله، والمعنى: له معقبات من أمر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه"[(٥)].

---

(١) انظر: إغاثة اللهفان (١٢٨/٢)، شرح العقيدة الطحاوية (٤٠٨/٢).

(٢) هو أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي، الإمام المفسر، كان ذا عبادة وزهد، وكان حسن التصنيف، توفي سنة (٦٧١هـ).
انظر ترجمته في: الوافي بالوفيات (١٢٢/٢، ١٢٣)، شذرات الذهب (٣٣٥/٥).

(٣) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، محمد بن أحمد القرطبي (٢٢٩/١)، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة ١٤٠٠هـ ، وانظر: فتح الباري (٣٦٨/١١).

(٤) سورة الرعد: الآية (١٠-١١).

(٥) رموز الكنوز (١٦٤/٢/ب ، ١٦٥/أ).

واستشهد بقول مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي يقول فيه: "ما من عبد إلا وملك موكل به يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فإذا أراده شيء قال: وراءك، إلا شيئاً قد قضي له أن يصيبه"[1][2].

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موطن آخر عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا﴾[3]:

"حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين، ويحرسونه من الوساوس لئلا يلبسوا عليه، حتى يبلغ ما أوحي إليه على الوجه الصحيح"[4].

٤- الموكلون بكتابة أعمال العباد: فالملائكة موكلون بإحصاء الأعمال ورفعها. قال تعالى: ﴿سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ﴾[5].

قال الرسعني في تفسيرها: "أي سنأمر الحفظة بكتابته في صحائف أعمالهم وأقوالهم"[6].

ويقول أيضاً عند قوله تعالى: ﴿كَلَّاۚ سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ﴾[7]:

"أي سنأمر الحفظة بكتابة قوله وإثباته في صحيفة عمله ليجازى به في الآخرة.

قال صاحب الكشاف: إن قلت: كيف؟ قيل: "سنكْتب" بسين التسويف، وكما قاله كُتب من غير تأخير[8]، قال الله تعالى: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ

---

(١) أخرجه الطبري (١١٩/١٣)، وذكره السيوطي في الدر (٦١٤/٤)، وعزاه للطبري.

(٢) رموز الكنوز (١٦٥/٤/أ).

(٣) سورة الجن: الآية (٢٧).

(٤) رموز الكنوز (١٦٤/٤/ب).

(٥) سورة آل عمران: الآية (١٨١).

(٦) رموز الكنوز (٣٢٥/١).

(٧) سورة مريم: الآية (٧٩).

(٨) الكشاف (٤١/٣-٤٢).

عَتِيدٌ[(١)]، قلت: المعنى سنظهر له ونعلمه أنا كتبنا قوله على طريقة قوله:

إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمةٌ [(٢)] .

أي: تبين وعلم بالانتساب أني لست بابن لئيمة"[(٣)].

ويقول: "وقد وكل به ملكين يحفظان عليه أقواله إلزاماً للحجة عليه وتحقيقاً لمعنى العدل ... ما يلفظ من قول أي ما يتكلم من كلام يلفظه أي يلقيه من فمه إلا لديه رقيب حافظ موكل به عتيد حاضر معه ملازم له"[(٤)].

قال تعالى: وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ۝١٢ [(٥)]. والله سبحانه وتعالى أجرى أموره مع عباده على ما يتعاملون به فيما بينهم؛ لأن ذلك أبلغ في تقرير المعنى عندهم، ولما كان الأبلغ عندهم في المحاسبة إخراج كتاب بشهود خوطبوا بمثل هذا فيما يحاسبون به يوم القيامة، فيخرج لهم كتباً منشورة[(٦)].

٥- الموكلون بقبض الأرواح: وهم ملك الموت وأعوانه، قال تعالى: حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ [(٧)].

وقال تعالى: إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ [(٨)].

قال الرسعني في تفسيرها: "المراد بتوفيهم: قبض أرواحهم، و"الملائكة" ملك

(١) سورة ق: الآية (١٨).

(٢) صدر بيت وعجزه: "ولم تجدي من أن تقري به بدا". انظر البيت في: الطبري (٣٢٨/١، ٤٢٠) (٧٣/٣)، زاد المسير (٢٧٦/٢).

(٣) رموز الكنوز (٥٤/٣/ب).

(٤) المصدر السابق (١٥/٤/أ).

(٥) سورة الانفطار: الآية (١٠-١٢).

(٦) انظر: التفسير الكبير، محمد بن عمر الرازي (٨٤/١٦)، طبعة دار الفكر.

(٧) سورة الأنعام: الآية (٦١).

(٨) سورة النساء: الآية (٩٧).

الموت وأعوانه"[١].

ويقول عند قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾[٢]:

"هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم أو يأتي أمر ربك وهو العذاب، أو يوم القيامة كذلك فعل الذين من قبلهم وهم كفار الأمم السالفة، أي كذبوا كما كذب هؤلاء وما ظلمهم الله بتعذيبهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بالكفر والمعاصي، فأصابهم سيئات ما عملوا من الشرك، وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن من العذاب"[٣].

قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾[٤].

يقول الرسعني عند هذه الآية: "أي وكل بقبض أرواحكم"[٥].

ويقول أيضاً رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾[٦]:

"أي نزل به سلطانه، وعاين الملائكة، فحينئذ لا تقبل توبته، لأنه يصير مضطراً، والقبول يتوقف على الإيمان الاختياري، والتوبة الاختيارية، فإن لقمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[٧] قال لابنه: يا بني لا تؤخر التوبة فإن ملك الموت يأتي بغتة"[٨].

٦- نصرة المؤمنين: وهذه الوظيفة قد دل عليها قول الله عز وجل: ﴿أَلَن

---

(١) رموز الكنوز (٥٦٣/١).
(٢) سورة النحل: الآية (٣٣).
(٣) رموز الكنوز (٢٠٠/٢/أ).
(٤) سورة السجدة: الآية (١١).
(٥) رموز الكنوز (١٦٨/٣/أ).
(٦) سورة النساء: الآية (١٨).
(٧) لقمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: رجل صالح، ولم يكن نبياً ولم يوح له، أعطاه الله الحكمة وكان له كتاب يؤثر عنه يسمى بحكمة لقمان. انظر: الدر المنثور (٥٠٩/٦-٥٢٠).
(٨) رموز الكنوز (٤١٠/١).

يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١).

يقول الإمام الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند هذه الآية: "فإن المقصود من بشارتهم بإمدادهم بالملائكة إظهار شرفهم وتطييب قلوبهم، ليثقوا بنصر الله لهم، وليزدادوا جرأة على أعدائهم، فإذا علموا أنهم ليسوا من ملائكة الأرض، وأنهم من ملائكة السماء المكرمين، المخصوصين بزيادة القرب من الله، ازدادوا شرفاً، وطمأنينة في أنفسهم، وإقداماً على المشركين"(٢).

ويقول في موضع آخر: "الذي ذهب إليه جمهور العلماء، وشهدت الأخبار والآثار بصحته أن الملائكة قاتلت يوم بدر ... عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: "بينما رجل من المسلمين يومئذٍ يعني يوم بدر يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم(٣)، إذ نظر إلى المشرك أمامه خر مستلقياً، فنظر إليه فإذا هو قد خطم(٤) أنفه وشق وجهه بضربة كضربة السوط، فاخضر ذلك أجمع فجاء الأنصاري، فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: «صدقت ذاك من مدد السماء الثالثة»(٥)"(٦).

---

(١) سورة آل عمران، الآية (١٢٤، ١٢٥).

(٢) رموز الكنوز (٢٢٣/١).

(٣) حيزوم: فرس الملك، وهو منادى على تقدير أقدم يا حيزوم، وأقْدِم على وزن أكْرِم: من الإقدام لزجر الفرس، أو على وزن اخرج من التقدم. انظر: شرح مسلم للنووي (٥٨/١٢ ، ٨٦)، والديباج على مسلم، لعبدالرحمن السيوطي (٣٦٩/٤)، تحقيق: أبي إسحاق الأثري، لعام ١٤١٦هـ، دار ابن عفان، الخبر – السعودية.

(٤) الخطم: هو الأثر يكون على الأنف. انظر: شرح مسلم للنووي (٨٥/١٢).

(٥) رواه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم (١٣٨٣/٣)، برقم (١٧٦٣).

(٦) رموز الكنوز (٥٥/٢ب – ٥٦/أ).

٧-حب المؤمنين وبغض الكفار: يقول الإمام الرسعني عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [(١)]:

"قال ابن عباس: يحبهم ويحببهم إلى المؤمنين[(٢)]، ثم استشهد بحديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «إذا أحب الله العبد، قال لجبريل: قد أحببت فلاناً فأحبه فيحبه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء إن الله قد أحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يضع له القبول في الأرض، وإن أبغض عبداً، دعا جبريل فيقول: أني أبغض فلاناً فأبغضه، قال: فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه، قال: فيبغضونه ثم توضع له البغضاء في الأرض »[(٣)]، وقد روى الضحاك[(٤)] عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، جعل الله له وداً في قلوب المؤمنين"[(٥)] ثم قال: "وصدق ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فإن لعلي في قلوب المؤمنين الذي اتبعوا الهدى، وجانبوا الهوى وداً راسخ الأوتاد، شامخ الأطواد، لا يخامره ما خامر قلوب الرافضة من الغل لأصحاب رسول الله ﷺ، ورضي عنهم، ولا يشينه ما شانهم من الإفراط في حال مدحهم وقدحهم"[(٦)].

إذاً فإن الملائكة يحبون المؤمنين، ويتقربون إلى الله بذلك الحب، ويبغضون الكفار

---

(١) سورة مريم: الآية (٩٦).

(٢) زاد المسير (٢٦٦/٥).

(٣) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (١١٧٥/٣) برقم (٣٠٣٧)، وكتاب الأدب باب المقة من الله تعالى (٢٢٤٦/٥)، ومسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبداً حببه إلى عباده (٢٠٣٠/٤) برقم (٢٦٣٧).

(٤) الضحاك بن مزاحم بن الهلالي، أبو محمد، صاحب التفسير، كان من أوعية العلم، وليس بالمجود لحديثه، وهو صدوق في نفسه، توفي سنة (١٠٢هـ)، وقيل بعدها.

انظر ترجمته في: التاريخ الكبير (٣٣٢/٤، ٣٣٣)، البداية والنهاية (٢٢٣/٩)، سير أعلام النبلاء (٥٩٨/٤-٦٠٠)، تهذيب التهذيب (٤٥٣/٤-٤٥٤)، شذرات الذهب (١٢٤/١-١٢٥).

(٥) زاد المسير (٢٦٦/٥).

(٦) رموز الكنوز (٥٦/٣/أ،ب).

وغيرهم مما يبغضهم الله، ويتقربون إلى الله بذلك البغض.

٨-الإستغفار للمؤمنين: من رحمة الله بالمؤمنين أن جعل الله من الملائكة من يستغفر لهم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (١).

يقول الرسعني رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٢)، ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾، قال ابن السائب(٣) وغيره: سبب استغفار الملائكة لمن في الأرض: أن الملائكة لما رأت الملكين (٤) [اللذين اختبرا] (٥) وبعثا إلى الأرض [ليحكما بينهم] (٦)، فافتتنا بالزهرة -على ما حكيناه في البقرة- فأتيا إدريس، وهو جد أبي نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ فسألاه أن يدعو الله لهما، سبحت الملائكة بحمد ربهم واستغفرت لبني آدم" (٧).

والذي يقتضيه البحث الصحيح: أنه من العام الذي يراد به الخصوص، وأن استغفارهم للمؤمنين خاصة، بدليل قوله تعالى في موضع آخر: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ

---

(١) سورة غافر: الآية (٧).

(٢)سورة الشورى: الآية (٥).

(٣) هو محمد بن السائب بن بشر الكلبي، أبو النظر، المفسر العلامة الأخباري، كان رأساً في الأنساب، توفي سنة ١٤٦هـ . انظر ترجمته في: التاريخ الكبير (١/١٠١)، ذيب التهذيب (١٧٨/٩).

(٤) أي: هاروت وماروت.

(٥) في الأصل: الذين اختبرا. والتصويب من الماوردي (١٩٣/٥).

(٦) زيادة من الماوردي، الموضع السابق.

(٧) ذكره الماوردي (١٩٣/٥).

آمَنُوا [(١)] ، وقوله تعالى حاكياً عنهم: فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ [(٢)]، ثم إن الله تعالى قد أخبر أن الملائكة يلعنون الكفار في قوله تعالى: أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ [(٣)] ، فكيف تتوارد اللعنة والاستغفار على محل واحد؟ وهذا قول الضحاك والسدي [(٤)] [(٥)] ، وزعم مقاتل: أن هذه الآية منسوخة بالآية المخصوصة [(٦)] . وليس هذا بشيء.

وزعم ابن السائب: أن المراد باستغفارهم لمن في الأرض:سؤال الرزق لهم [(٧)] .

وقال صاحب الكشاف: يحتمل أن يقصدوا بالاستغفار: طلب الحلم والغفران في قوله تعالى: إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا إلى أن قال: إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا [(٨)] ، وقوله تعالى: وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ [(٩)] . والمراد: الحلم عنهم، وأن لا يعاجلهم بالانتقام، فيكون عاماً [(١٠)] .. وهذا قول محتمل.

والتفسير الصحيح ما ذكرته لك أولاً [فاعتمد] [(١١)] عليه، فإن كتاب الله تعالى يصدق بعضه بعضاً" [(١٢)] .

---

(١) سورة غافر: الآية (٧).
(٢) سورة غافر: الآية (٧).
(٣) سورة البقرة: الآية (١٦١).
(٤) هو إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة السدي، أبو محمد القرشي، له أقوال في تفسير القرآن، اختلف في توثيقه، وقال الحافظ ابن حجر: صدوق يهم، توفي سنة (١٢٧هـ).
انظر ترجمته في: التاريخ الكبير (٣٦١/١)، الجرح والتعديل (١٨٤/٢، ١٨٥)، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن أحمد الذهبي (٢٣٦/١، ٢٣٧)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة – بيروت، تهذيب التهذيب (٣١٣/١، ٣١٤).
(٥) ذكره الماوردي (١٩٣/٥).
(٦) تفسير مقاتل (١٧٣/٣).
(٧) ذكره الماوردي (١٩٣/٥).
(٨) سورة فاطر: الآية (٤١).
(٩) سورة الرعد: الآية (٦).
(١٠) الكشاف (٢١٤/٤).
(١١) في الأصل: فاتعتمد.
(١٢) رموز الكنوز (٥٢/٧-٥٣).

الفصل الثالث

جهود الرسعني في تقرير الإيمان بالكتب

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: المراد بالإيمان بالكتب.

المبحث الثاني: القرآن الكريم وإعجازه.

المبحث الأول

المراد بالإيمان بالكتب

الإيمان بالكتب هو الركن الثالث من أركان الإيمان بالله تعالى، والمقصود بـه أن تؤمن بالكتب التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على رسله عليهم الصلاة والسلام، مـع التصديق الجازم بما صح من أخبارها[1].

ولا يتم الإيمان إلا بهذا الركن من أركان الإيمان، ومن كفر به فإنه منتقص الإيمان، يقول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا﴾[2].

ويبين الله سبحانه وتعالى بأن البر في الإيمان بهذا الركن وبقيـة أركـان الإيمـان الأخرى، يقول جـل شـأنه: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[3].

والله سبحانه وتعالى أنزل هذه الكتب، وجعلها دليلاً إلى الحق، وأمر الناس باتباع الكتب المنزله، وجعل الحاكم بين الناس فيما اختلفوا فيه الكتاب الذي أنزله تعالى، يقول سبحانه: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾[4].

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢/٢٢٤-٢٢٥)، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصـول في التوحيد (٢/٧٤).

(٢) سورة النساء: الآية (١٣٦).

(٣) سورة البقرة: الآية (١٧٧).

(٤) سورة البقرة: الآية (٢١٣).

ودل على الإيمان بالكتب من السنة حديث جبريل، حيث قال فيه النبي ﷺ: «الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»(١).

يقول الإمام الرسعني: "إذا اتبع الإنسان خواتيم سورة البقرة واستضاء بنورها، كان موافقاً لرسول الله ﷺ في الإيمان بما أنزل إليه من ربه، والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وقارنه الفلاح والفوز الأبدي"(٢).

ويقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾﴾(٣):

"قل يا أيها الناس أي يا أهل مكة، إن كنتم في شك من ديني، بما خامر قلوبكم من الفواحش المضلة والوساوس المزلة، فإني أحاكمكم إلى عقولكم بشرط الاتصاف بالإنصاف، فليت شعري من أي وجه يتطرق الشك إليكم في ديني وقد جاء أمراً لكم بتوحيد الذي أنعم عليكم بالإيجاد وتنزيهه عن الشركاء والأولاد وزاجراً لكم عن ما أنتم عليه من عبادة أحجار لا تقدر على مثوبة عابديها ولا على عقوبة جاحديها، فإذا نظرتم في ذلك علمتم أن ديني لا مدخل للشك فيه، وجزمتم بتضليل القائل بما تنافيه ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم، فهو الإله الحق الذي يجب أن يعبد ويخشى وأمرت أن أكون من المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر"(٤).

ويبين الإمام الرسعني بأن الإيمان بالكتب يشمل الإيمان بالكتب كلها وليس بكتاب دون كتاب، فيقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ

---

(١) تقدم تخريجه ص ٢٤٩.
(٢) رموز الكنوز (٢/٤٠/ب).
(٣) سورة يونس: الآية (١٠٤).
(٤) رموز الكنوز (٢/١١٣/ب).

﴿كُلِّهِۦ﴾[١]: "هو اسم جنس، يريد الكتب كلها"[٢].

ويتضمن الإيمان بالكتب أربعة أمور:

١- الإيمان بأن الله تعالى أنزل كتباً إلى رسله عليهم السلام، قال تعـالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾[٣]، فيجب الإيمان جملة بجميع الكتب التي أنزلها الله على رسله علـيهم السلام، والإيمان بأن نزولها من عند الله حقاً.

قال الإمام الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٤]: "يعني: القرآن ... وإن معانيه لفي الكتب النازلة من السماء على الرسل"[٥].

٢- الإيمان بالكتب يجب إجمالاً فيما أجمل، وتفصيلاً فيما فصل، فنؤمن بما سمى الله تعالى منها في كتابه وهي:

أ- التوراة: قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾[٦].

يقول الرسعني عند قولـه تعـالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾[٧]: "يعـني

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١١٩).
(٢) رموز الكنوز (٢١١/١).
(٣) سورة النساء: الآية (١٣٦).
(٤) سورة الشعراء: الآية (١٩٢).
(٥) رموز الكنوز (٢٠٨/٣/أ).
(٦) سورة المائدة: الآية (٤٤).
(٧) سورة البقرة: الآية (٨٧).

التوراة أعطيها دفعة واحدة"[١].

ب- الإنجيل: قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾[٢].

ج- زبور داود: قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾[٤].

قال الرسعني عند هذه الآية: "الزبر: جمع زبور، وهي الصحف المزبورة، أي: المكتوبة ... وقيل: هو من زبره إذا زجره، وسمي الزبور لكثرة زواجره"[٥].

د- صحف إبراهيم وموسى: وقد أخبر عنهما سبحانه وتعالى بقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩﴾[٦]. وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ۝٣٧ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۝٣٨ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ۝٤١ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝٤٢﴾[٧].

هـ- القرآن الكريم: الذي نزله الله على رسولنا محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ

---

(١) رموز الكنوز (١٣٦/٣/ب).
(٢) سورة المائدة: الآية (٤٦).
(٣) سورة النساء: الآية (١٦٣)، سورة الإسراء: الآية (٥٥).
(٤) سورة آل عمران: الآية (١٨٤).
(٥) رموز الكنوز (٣٢٧/١).
(٦) سورة الأعلى: الآية (١٨، ١٩).
(٧) سورة النجم: الآية (٣٦-٤٢).

نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾(١)، **وقـال تعـالى:** ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾(٢).

و- نؤمن بأن لله تعالى سوى ذلك، كتباً أنزلها على أنبيائـه، لا يعـرف أسماءهـا وعددها إلا الله تعـالى(٣)، قـال تعـالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾(٤).

٣- الإيمان بما جاء في الكتب السماوية من أخبار، فيجب الإيمان بكل ما ورد في القرآن الكريم، أو في صحيح السنة النبوية من أخبار الكتب المنزلة، كقوله تعـالى عـن التـوراة: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾(٥).

٤- الإيمان بأن القرآن نسخ ما قبله من الكتب السماوية قال تعـالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾(٦).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "السلف كلهم متفقون على أن القرآن هو

---

(١) سورة الحجر: الآية (٩).

(٢) سورة الواقعة: الآية (٧٧-٧٨).

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٤٢٥/٢).

(٤) سورة البقرة: الآية (٢١٣).

(٥) سورة المائدة: الآية (٤٥).

(٦) سورة المائدة: الآية (٤٨).

المهيمن المؤتمن الشاهد على ما بين يديه من الكتب، ومعلوم أن المهيمن على الشيء أعلى منه مرتبة"[١].

وقد قرر السلف أن الفرق بين الإيمان بالقرآن، والإيمان بسائر الكتب السماوية، هو العمل به، يقول المروزي[٢]: "إيمانك به غير إيمانك بسائر الكتب، إيمانك بغيره من الكتب إقرارك به بالقلب واللسان، وإيمانك بالفرقان إقرارك به، واتباعك ما فيه"[٣].

وقد استشهد الرسعني بقول ابن عباس عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾[٤].

قال ابن عباس: اختصم أهل الأديان، فقال أهل التوراة: كتابنا خير الكتب، ونبينا خير الأنبياء، وقال أهل الإنجيل مثل ذلك، وقال المسلمون: كتابنا نسخ كل كتاب، ونبينا خاتم الأنبياء، فنزلت هذه الآية"[٥][٦].

ويقول أيضاً في موضع آخر عند قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[٧]: "أي هذا كتاب أحكمت آياته، نظمت نظماً رصيناً سليماً عن الخلل والتناقض والنسخ، قال ابن عباس: لم ينسخ بكتاب كما نسخت الكتب والشرائع[٨]"[٩].

---

(١) مجموع الفتاوى (٤٣/١٧).

(٢) هو محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، أبو عبدالله، الحافظ، كان فقيهاً محدثاً، شافعي المذهب، سلفي المعتقد، توفي سنة (٢٩٤هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٣٣/١٤-٤٠)، شذرات الذهب (٢١٦/٢-٢١٧).

(٣) تعظيم قدر الصلاة، للمروزي (٣٩٣/١)، تحقيق: د. عبدالرحيم الفريوائي، الطبعة الأولى عام ١٤٠٦هـ، مكتبة الدار - المدينة المنورة.

(٤) سورة النساء: الآية (١٢٣).

(٥) تفسير ابن جرير (٢٣٠/٩)، أسباب نزول القرآن، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ص(١٧٤) تحقيق: كمال بسيوني زغلول، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ، دار الكتب العلمية – بيروت ، زاد المسير (٢٠٨/٢).

(٦) رموز الكنوز (٥٩٧/١).

(٧) سورة هود: الآية (١).

(٨) زاد المسير (٧٣/٤).

(٩) رموز الكنوز (١١٤/٢/ب).

المبحث الثاني
القرآن الكريم وإعجازه

أولاً: القرآن الكريم:

تعريف القرآن الكريم:

القرآن كلام الله، المنزل على محمد ﷺ، غير مخلوق، المتعبد بتلاوته، منه بدأ وإليه يعود، وهو سور وآيات وحروف وكلمات، المتلو بالألسنة، والمحفوظ في الصدور، والمسموع بالآذان، والمكتوب في المصاحف، فيه محكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، وخاص وعام، وأمر ونهي[1]، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[2].

حفظ القرآن من التبديل والتحريف:

مما يجب اعتقاده في كتاب الله أنه لم ينله شيء من التحريف أو الزيادة أو النقص،

---

(١) انظر: لمعة الاعتقاد صـ(١٨-١٩)، روضة الناظر وجنة المناظر، عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي (١٧٨/١-١٧٩)، تحقيق: د. عبدالعزيز بن عبدالرحمن السعيد، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة، عبدالله بن أحمد المقدسي صـ(١٧)، تحقيق: عبدالله يوسف الجديع، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، مكتبة الرشد – الرياض، تحريم النظر في كتب أهل الكلام، موفق الدين ابن قدامة المقدسي صـ(٦٦)، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد سعيد دمشقيه، الطبعة الأولى ١٩٩٠م، دار عالم الكتب – الرياض، وانظر: عن تعريف القرآن: مجموع الفتاوى (٢٣٥/١٢-٢٣٦)، تفسير القرطبي (٨٠/١)، عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني (١٠٧/١-١٠٨).

(٢) سورة فصلت: الآية (٤٢).

بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾(١).

يقول الإمام الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسيره لهذه الآية الكريمة: "(إنا نحن نزلنا الذكر) رد لإنكارهم واستهزائهم، وقولهم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾(٢). ولذلك قال: (إنا نحن)، فأكّد عليهم أنه هو المنزل على القطع والبت، وأنه هو الذي بعث به جبريل إلى محمد ﷺ ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ من الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل، بخلاف الكتب المتقدمة، فإنه لم يتول سبحانه وتعالى حفظها، بل وكلها إلى الأحبار، واستحفظهم إياها، فأضاعوها وبدلوها وحرفوها... فلو تمالأ الثقلان على تحريفه وتبديله وزيادته ونقصانه لم يقدروا على ذلك(٣).

ولقد كان الرسعني شديد الموقف من الرافضة بالموصل والذين عمدوا إلى تحريف مواضع من القرآن لما يتفق مع أهوائهم ومعتقداتهم فيقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"ولقد احتدت شوكة الرافضة في زماننا بالموصل (٤) واشتدت شكيمتهم، وظنوا أن الوثب فرصتهم، ولات حين ما يطلبون، وأنى وكلمة الله هي العليا، والله مظهر دينه، وناصر من نصره وخاذل من خذله، وطمعوا اغتراراً منهم وجهلاً بما كتبه الله تعالى على نفسه من حفظ كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أن يحرفوا مواضع من القرآن، وينزلوها على وفق أهوائهم؛ فقرأ قارئ منهم في محفل من محافلهم آيات من سور شتى انتخبها طواغيتهم، ولفقوها تلفيقاً متناقضاً، ونظموها نظماً تشهد رصانة القرآن وفصاحته بتهافتها وافترائها؛ وأنا أستحيي من حكايتها، وأستغفر الله تعالى من جريان قلمي بكتابتها"(٥).

---

(١) سورة الحجر: الآية (٩).

(٢) سورة الحجر: الآية (٦).

(٣) رموز الكنوز (١٨٧/٢/أ).

(٤) الموصل: سبق التعريف بها ص ٢٧.

(٥) رموز الكنوز (١٨٧/٢/أ).

ثم ذكر الرسعني بعض الآيات التي حرفوها وزادوا على بعضها فقال:

"فقرأ آيات كثيرة منها: (إنما وليكم الله ورسوله وعلي الذين يقيمون الصلاة) وقرأ: (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كعلي آمن بالله)، وفساد هذا في العربية أكثر وأظهر من أن يذكر، وقرأ: (أن الله وملائكته يصلون علياً بالنبي) وقرأ: (فأما علي فأعطى واتقى وصدق بالحسنى)، وزاد آية في كتاب الله، فقرأ في سورة الشعراء عند قوله: (وأنه لفي زبر الأولين وأن علياً وشيعته لهم الفائزون)، إلى آيات كثيرة افتروها ثم افتروها"(١).

وبعد ذلك اتخذ الرسعني خطوات عملية للوقوف في وجه هؤلاء المحرفين فقال:

"فلما شاع ذلك وذاع، حدثني به رجل صالح من فضلاء القُراء ممن حضر وسمع، لزمتني حجة الله الذي اتخذها على الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه، وطوقت القول في ذلك طوق الحمامة، فرفعت حديثه إلى والي الأمر بالموصل، فنفى ذلك القارئ من البلاد، وأراح منه العباد"(٢).

حكم من استحل التحريف والتبديل في القرآن الكريم:

يقول الرسعني حول ذلك وامتداداً لقصته رَحِمَهُ اللَّهُ مع الرافضة المحرفين لآيات من القرآن الكريم:

"ومن أعجب ما بلغني عن بعض عظمائهم، أنه قال: إنما أنكروا ذلك لكونه في فضائل علي، فقلت: لو أن شخصاً استحل الزيادة في كتاب الله، أو التحريف فيه، بتوحيد الله وتمجيده والثناء عليه مضيفاً ذلك إلى القرآن، معتقداً نزوله فيه، كان كافراً بإجماع أهل العلم، ولكن هذا دأبهم وديدنهم عند إنكار أهل الحق عليهم فيما يختلقونه في المناقب والمثالب، ونحن بحمد الله تعالى بفضائل أمير المؤمنين علي وآله أدرى، ومحبته

---

(١) رموز الكنوز (٢/١٨٧/أ).

(٢) المصدر السابق (٢/١٨٧/أ)

وولايته أولى وأحرى"[(١)].

ومن هنا نخلص بأن الإمام الرسعني يصدع بالحق لا يخشى في الله لومة لائم وخاصة كل من يحاول النيل من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

يقول ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الرسعني: "وكان متمسكاً بالسنة والآثار، ويصدع بالسنة عند المخالفين من الرافضة وغيرهم" [(٢)].

ويقول الرسعني عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾ [(٣)]:

" ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ وهم مشركوا أهل مكة ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ﴾ يعنون بقرآن ليس فيه ما يغيظنا ويؤذينا من سب آلهتنا وتضليل آبائنا وتسفيه آرائنا، ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ من قبل نفسك، فاجعل مكان آية عذاب آية رحمة، واسقط عيب الآلهة وما يؤذينا ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ﴾ أي ما ينبغي ولا يصلح ولا يصح لي ﴿أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ﴾ أي من قبلها، ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ ليس إليّ تبديل ولا نسخ ولا تصرف بزيادة ولا نقصان، ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ بالتبديل وغيره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ .

فإن قيل: لأي حكمة أجابهم عن سؤال التبديل دون سؤالهم الإتيان بقرآن غير هذا، قلت: لأن التبديل المشار إليه مقدور عليه، والإتيان بقرآن غير هذا ليس في وسعه، لأنه إما أن يأتي به من عند الله أو من عند نفسه، الأول: ليس إليه، والثاني: محال لا يقدر

(١) المصدر السابق (٢/١٨٧/أ-ب).

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة (٤/٨١).

(٣) سورة يونس: الآية (١٥).

عليه بحال"[١].

حكم من جحد شيئاً من كتاب الله:

الإيمان بأن القرآن محفوظ، أصل من أصول اعتقاد المسلمين[٢]، وقد أجمع المسلمون على ذلك، فمن جحد شيئاً من القرآن فقد كفر.

وقد حكى شيخ الرسعني ابن قدامة رحمه الله اتفاق المسلمين على هذا فقال: "ولا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورة، أو آية، أو كلمة، أو حرفاً متفقاً عليه، أنه كافر"[٣].

فالقرآن كلام الله، فمن كذب بحرف منه، أو ببعضه، فقد كفر بجميعه. قال الطبري رحمه الله: "فإن الكفر ببعضه كفر بجميعه، والكفر بحرف من ذلك كفر بجميعه"[٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إن الكتاب والسنة والإجماع دل على أن هذا الذي يقرؤه المسلمون هو كلام الله، لا كلام غيره، ولو قال أحد: إن حرفاً منه أو معنى ليس هو من كلام الله، أو أنه كلام غير الله، وسمع ذلك منه النبي ﷺ، أو أحد من أصحابه، لعلم بالاضطرار أ م كانوا يقابلونه بما يقابلون أهل الجحود والضلال"[٥].

تكفير من قال بخلق القرآن:

مسألة إثبات كلام الله تعالى من المسائل التي اشتد فيها النزاع بين أهل السنة ومخالفيهم، حتى أصبح القول بإثبا ا أصلاً من أصول أهل السنة والجماعة وشعاراً لهم

---

(١) رموز الكنوز (٢/١٠٠/أ).

(٢) انظر: الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة، للعكبري صـ(٢٦٥)، تحقيق: د. رضا معطي، الطبعة الأولى عام ١٤٢٣هـ، مكتبة العلوم والحكم في المدينة المنورة، ودار العلوم والحكم في دمشق.

(٣) الصراط المستقيم في إثبات الحرف القديم، لابن قدامة المقدسي (صـ١٣٦)، تحقيق: د. محمد الخميس، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، مكتبة الفرقان - الإمارات العربية المتحدة.

(٤) مقدمة التفسير (١/٤٥).

(٥) مجموع الفتاوى (١٢/٤٠٧).

للأدلة الكثيرة الدالة على إثبات كلام الله حقيقة ومنه القرآن، ومن هذه الأدلة:

قوله تعالى: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ (١).

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾ (٢).

وقوله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ (٣).

وروى أبو سعيد الدارمي(٤) بسنده عن عمرو بن دينار(٥)، أنه قال: "أدركت أصحاب النبي ﷺ فمن دونهم منذ سبعين سنة يقولون: الله الخالق وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله منه خرج وإليه يعود"(٦).

ويقول الإمام الرسعني عن الإمام احمد رحمه الله في فتنة خلق القرآن: "والتقية رخصة لا عزيمة، نص عليه إمامنا رحمة الله عليه قولاً ودان به فعلاً في فتنة الاعتزال(٧)، وذلك حين دعي إلى القول بخلق القرآن، وقيل له تلك الأيام: إن عرضت على السيف

(١) سورة التوبة: الآية (٦).
(٢) سورة آل عمران: الآية (٧).
(٣) سورة البقرة: الآية (٢٨٥).
(٤) تقدمت ترجمته ص ٢٤٠.
(٥) هو عمرو بن دينار الجمحي المكي الأثرم، أبو محمد، الإمام الحافظ شيخ الحرم في زمانه، من أوساط التابعين، توفي سنة (١٢٦هـ).
انظر ترجمته في: التاريخ الكبير (٦/٣٢٨-٣٢٩)، سير أعلام النبلاء (٥/٣٠٠-٣٠٧).
(٦) نقض الدارمي على المريسي (١/٥٧٣).
(٧) مناقب الإمام أحمد بن حنبل، لابن الجوزي صـ٣٨٥، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الطبعة الأولى ١٩٧٩م، مكتبة الخانجي – مصر، الجوهر المحصل في مناقب الإمام أحمد بن حنبل، محمد بن محمد السعدي صـ٦٢، تحقيق: د. عبدالله التركي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع.

تجيب؟ قال: لا، إذا أجاب العالم تقية ، والجاهل بجهله، فمتى يظهر الحق؟[1]. فلله دره ما كان أصبره على تلك الشدة، وأشبهه بأبي بكر الصديق أيام الردة، وقال شيخ الإسلام الأنصاري[2] رحمة الله عليه: عرضت على السيف أربع مرات، وما قيل لي اترك مذهبك، إنما قيل لي: أسكت عن مخالفيك، فلم أفعل[3]"[4].

وقد اشتهر عن أئمة السلف تكفير من قال: إن القرآن مخلوق، وأنه يستتاب وإلا قتل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "اشتهر عن أئمة السلف تكفير من قال: القرآن مخلوق وأنه يستتاب، فإن تاب وإلا قتل"[5].

ثانياً: إعجاز القرآن:

الحديث عن إعجاز القرآن ضرب من الإعجاز، حيث لا يصل الباحث فيه إلى سر جانب منه حتى يجد وراءه جوانب أخرى يكشف عن سر إعجازها الزمن[6]، فالقرآن معجز لذاته، ويشمل هذا الإعجاز أموراً كثيرة ذكرها العلماء، فهو معجز ببلاغته التي وصلت إلى مرتبة لم يعهد لها مثيل، ومعجز بتضمنه للبديع الغريب المخالف لما عهد في كلام العرب من الفواصل والمقاطع، ومعجز بأخباره عن المغيبات المستقبلية

---

(١) زاد المسير (٤/٢٩٦).

(٢) هو عبدالله بن محمد الأنصاري، أبو إسماعيل الهروي، الفقيه، المفسر الحافظ، الواعظ، إمام الحنابلة في عصره، كان شديداً على المبتدعة، متمسكاً بالسنة، توفي سنة (٤٨١هـ) بهراة.
انظر ترجمته في: المنتظم لابن الجوزي (٩/٤٤)، سير أعلام النبلاء (١٨/٥٠٣)، ذيل طبقات الحنابلة (١/٥٠).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٨/٥٠٩).

(٤) رموز الكنوز (١/٩٠).

(٥) مجموع الفتاوى (١٢/٥٠٦)، وانظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/٣٤٦-٣٥٦).

(٦) مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان (صـ٢٥٨)، الطبعة الثانية والثلاثون، عام ١٤١٧هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت.

التي لا يطلع عليها إلا بالوحي، ومعجز مما فيه من علوم مختلفة وحكم بليغة، إلى غير ذلك من وجوه الإعجاز التي لا يحصيها إلا المتكلم بهذا القرآن سبحانه وتعالى[1].

وجوه إعجاز القرآن:

القرآن معجز لذاته، ويشمل هذا الإعجاز وجوهاً كثيرة لا يحصيها إلا المتكلم بهذا القرآن سبحانه وتعالى.

وقد بين الرسعني بعض أوجه إعجاز القرآن ومنها:

١- القرآن معجز ببلاغته ونظمه وبيانه وما تضمنه من البديع الغريب والحكم البليغة.

يقول الإمام الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[2]:

"قوله عز وجل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ يتأملونه، ويتفكرون فيه، فيستدلوا برصانة معانيه عن المناقضة، وصيانة معانيه عن المعارضة، وكثرة حكمه وأحكامه مع إيجازه وإعجازه، وتشويق هواديه إلى أعجازه، على أنه كلام من تنزهت ذاته عن مشاكلة الذوات، وصفاته عن مماثلة الصفات، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ﴾ كما زعم حاسدوك ومعاندوك ﴿لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ تفاوتاً في النظم والمعنى على نحو كلام البشر ما بين بديع مستحسن، ومرذول مستهجن، وكلام الله تعالى جار على سنن واحد من البلاغة والبراعة وصحة اللفظ، والمعنى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من

---

(١) انظر: الكلام على وجوه إعجاز القرآن في البرهان في علوم القرآن (٩٣/٢-١٥٦)، الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (١٠٥/٢-١٥٦)، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، دار ابن كثير - دمشق، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ، للقاضي عياض (٢٥٨/١-٢٨٠)، دار الفكر – بيروت – لبنان – ١٤٠٩هـ.

(٢) سورة النساء: الآية (٨٢).

خلفه"[١].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "كون القرآن أنه معجزة ليس هو من جهة فصاحته وبلاغته فقط، أو نظمه وأسلوبه فقط ، ولا من جهة إخباره بالغيب فقط، ولا من جهة صرف الدواعي عن معارضته فقط، ولا من جهة سلب قدرتهم على معارضته فقط، بل هو آية بينة معجزة من وجوه متعددة؛ من جهة اللفظ، ومن جهة النظم، ومن جهة البلاغة في دلالة اللفظ على المعنى، ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وملائكته وغير ذلك، ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الغيب الماضي وعن الغيب المستقبل، ومن جهة ما أخبر به عن المعاد، ومن جهة ما بين فيه من الدلائل اليقينية والأقيسة العقلية التي هي الأمثال المضروبة"[٢].

ويقول الإمام الرسعني عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[٣]:

"﴿لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ﴾ أي يبين صدقك ورسالتك ﴿بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَ﴾ من القرآن المعجز، ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ﴾ أي ملتبساً بعلمه الذي لا يعلمه غيره، وهو ما اشتمل عليه من البلاغة والبيان، والإخبار عما كان ويكون والسلامة من المناقضة والمعارضة، إلى غير ذلك من العلوم التي يقوّم إعجاز القرآن بها، والأسرار المودعة فيه"[٤].

٢- إخباره عن المغيبات الماضية:

يقول الرسعني: "قرآن مجيد كريم عظيم، عالٍ على سائر الكتب، بما اشتمل عليه من البلاغة والحكم والأحكام والإخبار بما كان ... لا كما قالوا سحر وكهانة وأساطير

---

(١) رموز الكنوز (٥٢٩/١).

(٢) الجواب الصحيح، لابن تيمية (٤٢٩/٥).

(٣) سورة النساء: الآية (١٦٦).

(٤) رموز الكنوز (٦٣٣/١).

الأولين"[١].

٣- إخباره عن المغيبات المستقبلة التي لا يُطلع عليها إلا بالوحي:

يقول الرسعني عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾[٢]:

" ﴿وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ﴾ أي ولا تعرضوا عن الرسول ولا تخالفوه فيما أمركم به و[...]اكم عنه ﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ ما قرأه عليكم من الكتاب الذي شهد إعجازه بصدقه، وما يشتمل عليه من الموعظة والزواجر والبشارة لكم في هذه الدنيا بالظهور والغلبة وفتح البلاد، وفي الآخرة بالمصير إلى رضوان الله وجنته"[٣].

٤- القرآن معجز لما تضمنه من قصص:

يقول الرسعني عند قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٤]:

" ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ﴾ أي في قصص يعقوب وأولاده، وقيل في قصص الرسل ﴿عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي عظة لأصحاب العقول ودلالة لهم على قدرة الله تعالى وحكمته في تصاريف قضائه وقدره، وبرهان على رسالة محمد ﷺ، حيث قص عليهم قصة يوسف وإخوته على الوجه الذي تشهد التوراة والكتب القديمة بصحته، مع كونه أمياً من أمة أمية، بعيداً من علماء أهل الكتاب، ما كان القصص الذي جاء به

---

(١) المصدر السابق (٤/٢٢٣/ب).

(٢) سورة الأنفال: الآية (٢٠).

(٣) رموز الكنوز (٢/٥٨/أ).

(٤) سورة يوسف: الآية (١١١).

حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ **من الكتب المتقدمة،** وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ **يحتاج إليه من أمر الدين** وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ **يصدقون بما جاء بمحمد ﷺ"(١).**

٥- تحدي العرب أن يأتوا بمثل هذا القرآن:

لقد تحدى القرآن الكريم العرب على أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو عشر سور منه أو سورة واحدة.

يقول الرسعني عند قوله تعالى: أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ **(٢):**

" أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ **في حسن النظم ورصانة اللفظ وصحة المعنى** مُفْتَرَيَٰتٍ **بزعمكم ودعواكم"(٣).**

ويقول يرحمه الله عند قوله تعالى: وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ **(٤):**

" وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا **أي: إذا قرأت على قريش آيات القرآن** قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا **ذكر الماوردي والشيخ أبو الفرج ابن الجوزي في معناها قولين، أحدهما:**

---

(١) رموز الكنوز (١٦٢/٢/أ)

(٢) سورة هود : الآية (١٣ ، ١٤).

(٣) رموز الكنوز (١١٦/٢/ب).

(٤) سورة الأنفال: الآية (٣١).

سمعنا قولك ولا نطيعك، والثاني: سمعنا قبل هذا مثله[1]، ويظهر عندي: أن مقصودهم بهذا القول: إظهار التبرم بسماع القرآن إيهاماً للطغام الأغمار، أنه إفك مفترى وحديث مختلق، وتحقيراً لشأنه عندهم، وكذلك قالوا: ﴿لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ﴾ وهو كلام يستخفون به أحلام السفهاء منهم، وإلا فما بال الفصحاء الخطباء من العرب العرباء، مع فرط أنفتهم، وشدة حميتهم، وحرصهم على إطفاء نور المبعوث بتضليل آبائهم، وتسفيه أحلامهم وآرائهم، وسب آلهتهم، يتحداهم باقتضاب سورة مثله، ويسجل عليهم بالعجز في قوله: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾[2] ثم يضربون عن ذلك صفحاً، هذا مع قدرتهم على المعارضة والمناقضة ... هذا الوليد بن المغيرة المخزومي[3]، مع براعته وشجاعته وإبائه بأبنائه وآبائه لم يجد بداً من الاستسلام لأمر الرسول ﷺ حتى قال وهو من أشد العرب شكيمة في عداوة الرسول ﷺ: لقد وضعت قوله على أقراء الشعر، فما رأيته يلتئم بها، والله إن لقوله حلاوة، وإن عليه طلاوة[4]، وأنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وأنه يعلو ولا يعلى[5].

---

(١) الماوردي (٣١٣/٢)، زاد المسير (٣٤٨/٣).

(٢) سورة الإسراء: الآية (٨٨).

(٣) الوليد بن المغيرة المخزومي، من أعيان قريش، وأغنيائهم، أول من صعد على الكعبة ثم بدأ يهدمها لتجديدها في الجاهلية، وأمر قريشاً ألا تدخل في بنيانها إلا الكسب الطيب، وبعد البعثة لان قلبه للقرآن لما سمعه، ثم خاف العار من قومه، مات بمكة على شركه، توفي سنة (١هـ).

انظر: تاريخ الطبري (٥٢٥/١ ، ٥٢٦)، البداية والنهاية (٢٣٥/٣).

(٤) الطلاوة: هي الرونق والحسن. انظر: النهاية في غريب الأثر (١٣٧/٣).

(٥) القصة صححها الحاكم في المستدرك (٥٥٠/٢)، وقال: "صحيح الإسناد على شرط البخاري" والألباني في صحيح السيرة النبوية صـ(١٥٨) الطبعة الأولى، المكتبة الإسلامية – عمان – الأردن ، وانظر: قصة الوليد كاملة في البداية والنهاية (٦١/٣-٦٥).

وشمائل شهد العدو بفضلها ** والفضل ما شهدت به الأعداء"[١].

يقول الرسعني عند قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٢]:

"أو لم يكفهم إنزال القرآن عليك آية ظاهرة ومعجزة باهرة، تتلى عليهم في كل زمان ومكان لا تضمحِل وتزول، كما تزول آيات الأنبياء"[٣].

يقول الشيخ ابن سعدي: " ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ في علمهم بصدقك وصدق ما جئت به ﴿أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ وهذا كلام مختصر جامع، فيه من الآيات البينات، والدلالات الباهرات، شيء كثير، فإنه كما تقدم: إتيان الرسول به بمجرده -فهو أمي- من أكبر الآيات على صدقه، ثم عجزهم عن معارضته، وتحديه إياهم، آية أخرى، ثم ظهوره وبروزه جهراً علانية، يتلى عليهم ويقال: هو من عند الله، قد أظهره الرسول، وهو في وقت قل فيه أنصاره، وكثر مخالفوه وأعداؤه، فلم يخفه ذلك، ولم يثن ذلك عزمه، بل صرح به على رؤوس الأشهاد، ونادى به بين الحاضر والباد، بأن هذا كلام ربي، فهل أحد يقدر على معارضته، أو ينطق بمباراته أو يستطيع مجاراته؟ ثم إخباره عن قصص الأولين وأنباء السابقين، والغيوب المتقدمة والمتأخرة، مع مطابقته للواقع، ثم هيمنته على الكتب المتقدمة، وتصحيحه للصحيح، ونفي ما أدخل فيها من التحريف والتبديل، ثم هدايته لسواء السبيل، في أمره و يه، فما أمر بشيء فقال العقل: "ليته لم يأمر به"، ولا ى عن شيء فقال العقل: "ليته لم ينه عنه" بل هو مطابق للعدل والميزان، والحكمة المعقولة لذوي البصائر والعقول، ثم مسايرة إرشاداته وهدايته وأحكامه لكل حال وكل زمان بحيث لا تصلح الأمور إلا به، فجميع ذلك يكفي من

---

(١) رموز الكنوز (٢/٦٢/ب).

(٢) سورة العنكبوت: الآية (٥١).

(٣) رموز الكنوز (٣/٢٥٠/ب).

أراد تصديق الحق، وعمل على طلب الحق، فلا كفى الله من لم يكفه القرآن، ولا شـفى الله من لم يشفه القرآن، ومن اهتدى به واكتفى فإنه رحمة له وخير"[١].

ومما تقدم يتضح بأن القرآن الكريم هو المعجزة الباقية إلى أن يـرث الله الأرض ومن عليها.

(١) تيسير الكريم الرحمن صـ (٦٣٣-٦٣٤).

الفصل الرابع

جهود الرسعني في تقرير الإيمان بالرسل

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: المراد بالإيمان بالرسل.

المبحث الثاني: آيات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

المبحث الثالث: عصمة الأنبياء.

المبحث الرابع: نبوة محمد ﷺ.

المبحث الأول
المراد بالإيمان بالرسل

إن من الحقائق التي لا يشك فيها مؤمن بالله -سبحانه وتعالى- أنه عز وجـل لم يخلق الإنسان عبثاً، ولم يتركه سدى، بل بين سبحانه أنه ما خلق الخلق إلا لحكمة عظيمة، وغاية جليلة، وهي عبادته سبحانه دون ما سواه، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

ومن أجل تحقيق هذا الغرض، المتضمن عبادة الله عز وجل، وإقامة دينه، وتوحيده في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، اصطفى سبحانه مجموعة من خلقه، وفضلهم علـى سائر الناس، وعهد إليهم بوظيفة جليلة، ومهمة كبيرة، ألا وهي تحقيق هـذا الهـدف، والدعوة إليه، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[2].

فمعرفة الله والإيمان به لا تكون ولا تحصل إلا عن طريق أولئك الذين بعثهم الله لهداية الناس، مبينين لهم هذا الأمر العظيم، وموضحين الطريق الموصل إلى ذلك.

يقول الرسعني: "فلله الحجة البالغة حيث أنزل الكتب، وبعث الرسل، وأوضـح الدلائل"[3].

فالإيمان بأنبياء الله ورسله ركن من أركان الإيمان، فلا يتحقق إيمان العبـد حـتى يؤمن بجميع الأنبياء، ويصدق بأن الله تعالى أرسلهم لهداية البشر، وإرشاد الخلق، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وأ م بلغوا ما أنزل إليهم من ر م البلاغ المـبين، وأدوا

---

(١) سورة الذاريات: الآية (٥٦).
(٢) سورة الأنبياء: الآية (٢٥).
(٣) رموز الكنوز (٢/٤/ب).

الأمانة، ونصحوا للأمة، وجاهدوا في الله حق جهاده.

قال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[(٢)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الإيمان بالرسل وأهميته: "وأما الإيمان بالرسل فهو المهم، إذ لا يتم الإيمان بالله بدون الإيمان به، ولا تحصل النجاة والسعادة بدونه؛ إذ هو الطريق إلى الله سبحانه؛ ولهذا كان ركنا الإسلام (أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله)"[(٣)].

يقول الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ مِّن دِينِي فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[(٤)]:

"﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي: يا أهل مكة إن كنتم في شك من ديني بما خامر قلوبكم من الفواحش المضلة، والوساوس المزلة، فإني أحاكمكم إلى عقولكم؛ بشرط الاتصاف بالإنصاف، فليت شعري من أي وجه يتطرق الشك إليكم في ديني، وقد جاء آمراً لكم بتوحيد الذي أنعم عليكم بالإيجاد، وتنزيهه عن الشركاء والأولاد، وزاجراً

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢٨٥).

(٢) سورة البقرة: الآية (١٧٧).

(٣) مجموع الفتاوى (٦٣٨/٧).

(٤) سورة يونس: الآية (١٠٤).

لكم عن ما أنتم عليه من عبادة أحجار لا تقدر على مثوبة عابديها ولا على عقوبة جاحديها، فإذا نظرتم في ذلك علمتم أن ديني لا يدخل الشك فيه، وجزمتم بتضليل القائل بما ينافيه، ﴿وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ [(١)]، فهو الإله الحق الذي يجب أن يعبد ويخشى، وأمرت أن أكون من المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر"[(٢)].

والإيمان بالرسل يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بالرسل جملة، من علمنا منهم، ومن لم نعلم، وهذا الأمر دل عليه قوله تعالى: قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ [(٣)].

والإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى فمن كفر برسالة واحدٍ منهم فقد كفر بالجميع.

يقول الإمام الرسعني عن قوم عاد الذين جحدوا وعاندوا رسولهم هود عَلَيْهِ السَّلَامُ وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ [(٤)]:

"وإنما وصفهم بمعصية جميع الرسل لأنهم عصوا رسوله، ومعصية رسولٍ واحدٍ معصية لجميع الرسل لأن الرسل يشهد بعضها لبعض بالصدق ويأمر بعضها بطاعة

---

(١) سورة يونس: الآية (١٠٤).
(٢) رموز الكنوز (٢/١١٣/ب).
(٣) سورة البقرة: الآية (١٣٦).
(٤) سورة هود: الآية (٥٩).

بعض"(١).

ويقول في موضع آخر: "تكذيب رسول واحد تكذيب بجميع الرسل لأن كل رسول يأمر بتصديق جميع الرسل ويؤمن بهم"(٢).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والإيمان بالرسل يجب أن يكون جامعاً عاماً، مؤتلفاً لا تفريق فيه ولا تبعيض ولا اختلاف، بأن يؤمن بجميع الرسل وبجميع ما أنزل إليهم، فمن آمن ببعض الرسل وكفر ببعض، أو آمن ببعض ما أنزل الله وكفر ببعض فهو كافر"(٣).

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم ومن لم نعلمه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾(٤).

فنؤمن بمن علمنا اسمه منهم باسمه مثل: محمد، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ونوح وغيرهم عليهم الصلاة والسلام، وأما من لم نعلم اسمه منهم فنؤمن به إجمالاً.

يقول شارح الطحاوية: "وأما الأنبياء، والمرسلون، فعلينا الإيمان بمن سمى الله تعالى في كتابه من رسله، والإيمان بأن الله تعالى أرسل رسلاً سواهم وأنبياء لا يعلم أسماءهم وعددهم إلا الله تعالى الذي أرسلهم، فعلينا الإيمان بهم جملةً"(٥).

ويتضمن الإيمان بالرسل، الإيمان بالأصل الواحد الذي دعا إليه جميع الأنبياء وهو عبادة الله وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ

(١) رموز الكنوز (١٢٣/٢/ب).
(٢) المصدر السابق (٢٠٤/٣/أ).
(٣) مجموع الفتاوى (١١/١٢).
(٤) سورة غافر: الآية (٧٨).
(٥) شرح العقيدة الطحاوية (٤٢٣/٢).

ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾[(١)].

يقول الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝﴾[(٢)]:

"أي واذكر إذ أخذنا من النبيين ميثاقهم بتبليغ الرسالة والدعاء إلى التوحيد والطاعة، وإيمان بعضهم ببعض، ومنك يا محمد ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، ولما كان هذا العطف لبيان فضيلة الأنبياء المشهورين قدم أفضلهم وهو محمد ﷺ ... ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ أي: أخذنا ميثاقهم ليسأل الصادقين وهم الأنبياء عن صدقهم في تبليغهم، ومعنى سؤال الأنبياء وهو يعلم صدقهم؛ تبكيت مكذبيهم"[(٣)].

"وعلينا الإيمان بأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به على ما أمرهم الله به، وأنهم بينوه بياناً لا يسع أحداً ممن أرسلوا إليه جهله، ولا يحل له خلافه"[(٤)]. قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[(٥)].

ثالثاً: الإيمان بما ورد في القرآن الكريم، وفي صحيح السنة النبوية عنهم من أخبار على سبيل التفصيل، كالإيمان بما ورد في القرآن من قصصهم، وكذلك ما صح في السنة النبوية من ذلك.

أما ما ورد في كتب أهل الكتاب من القصص فإنه لا يصدق إلا بموافقته شرعنا، ولا يكذب إلا بمخالفته شرعنا، وما عداه فلا يصدق ولا يكذب، ذلك لأن ما لديهم من

---

(١) سورة النحل: الآية (٣٦).

(٢) سورة الأحزاب: الآية (٧-٨).

(٣) رموز الكنوز (١٧٢/٣/ب – ١٧٣/أ).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (٤٢٣/٢).

(٥) سورة النحل: الآية (٣٥).

الكتب دخل فيه التحريف، فلا يدرى ما يذكرونه هل هو من كلام الله أو مما حرفوه؟ ولهذا لما كان اليهود يقرأون التوراة على المسلمين بلغتهم ثم يفسروا بالعربية للصحابة قال النبي ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم، و قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا (١) ... الآية»(٢).

يقول الإمام الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يقم دليل النسخ"(٣).

رابعاً: الإيمان بمن أرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم محمد ﷺ المرسل إلى جميع الناس، والإيمان به يتضمن قبول ما جاء به من عند الله عنه، والعزم على العمل به واتباعه ﷺ، واعتقاد نسخ ما جاء به للشرائع السابقة، واعتقاد أنه لا يسع أحداً الخروج على ملته ﷺ بعد ما جاء بالإسلام(٤)، قال تعالى: وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ (٥).

والإيمان بنبينا محمد ﷺ غير الإيمان بسائر الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، فالإيمان بسائر الرسل الإقرار م، والإيمان به: الإقرار به مع اتباع ما جاء به.

قال الله تعالى: يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ (٦).

يقول الرسعني عند هذه الآية: "طاعة الله: العمل بكتابه، وطاعة الرسول: امتثال أمره والعمل بسنته"(٧).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ونؤمن بمحمد ﷺ وإيمانك به غير إيمانك بسائر

---

(١) سورة البقرة: الآية (١٣٦).

(٢) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب: قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا (٤/١٦٣٠) برقم (٤٢١٥).

(٣) رموز الكنوز (٣/٩٧/أ).

(٤) انظر: شعب الإيمان (١/١٥٠).

(٥) سورة آل عمران: الآية (٨٥).

(٦) سورة النساء: الآية (٥٩).

(٧) رموز الكنوز (١/٤٩٨).

الرسل، إيمانك بسائر الرسل إقرارك بهم، وإيمانك بمحمد ﷺ إقرارك به وتصديقك إياه دائباً على ما جاء به، فإذا اتبعت ما جاء به أديت الفرائض، وأحللت الحلال، وحرمت الحرام، ووقفت عند الشبهات، وسارعت في الخيرات"[1].

(١) مجموع الفتاوى (٣١٣/٧).

المبحث الثاني

آيات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

الآيـة في اللغـة : تطلق على معنيين، العلامة، والجماعة، وسميت الآية من القرآن لأ ا علامة انقطاع كلام عن كلام، ولأ ا جماعة من الحروف[(١)].

أما اصطلاحاً: فهي "الأدلة والعلامات المستلزمة لصدق الأنبياء، وهـي دلائـل النبوة وبراهينها"[(٢)].

يقول الرسعني عنـد قولـه تعـالى: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْآيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾[(٣)]: "﴿ٱلْآيَٰتِ﴾ هي الدلالات على صدقك، وصحة نبوتك"[(٤)].

وحقيقة الأمر أن ما يدل على النبوة هو آية على النبوة، وبرهان عليها، فلابد أن يكون مختصاً ا، لا يكون مشتركاً بين الأنبياء وغيرهم، فإن الدليل هو مستلزم لمدلوله، لا يجب أن يكون أعم وجوداً منه، بل إما أن يكون مساوياً له في العموم والخصوص، أو يكون أخص منه، وحينئذٍ فآية النبي لا تكون لغير الأنبياء[(٥)].

فالآيات التي تكون للأنبياء هي دليل وبرهان، والله تعالى سماها برهاناً، في قولـه لموسى: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾[(٦)(٧)].

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (٨٥)، لسان العرب (٦١/١٤).

(٢) انظر: النبوات (١٦٣/١، ٢١٣).

(٣) سورة آل عمران: الآية (٥٨).

(٤) رموز الكنوز (١٢٩/١).

(٥) المصدر السابق (١٦٣/١).

(٦) سورة القصص: الآية (٣٢).

(٧) البرهانان هما: العصا واليد، في قول المفسرين جميعاً.

وآيات الأنبياء متنوعة وكثيرة دل عليها إجمالاً قوله تعـالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾(١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "آيات الأنبياء الدالة على صدقهم كـثيرة متنوعة، وأن النبي الصادق خير الناس، والكاذب على الله شر النـاس، وبينـهما مـن الفروق ما لا يحصيه إلا الله، فكيف يشتبه هذا وهذا، بل لهذا من دلائل صدقه، ولهذا من دلائل كذبه ما لا يمكن إحصاؤه، وكل من خص دليل الصدق بشيء معين فقط، غلط، بل آيات الأنبياء هي من آيات الله الدالة على أمره و يه، ووعده ووعيده"(٢).

ودل على آيات الأنبياء تفصيلاً ما ورد في القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية من قصص الأنبياء مع أقوامهم ومما أيدهم الله به من المعجزات والبراهين الدالـة علـى صدقهم وثبوت نبو م.

ومذهب أهل السنة والجماعة أن آيات الأنبياء كثيرة ومتنوعة، ولا تقتصر علـى المعجزات، بل ولا تقتصر على زمن النبوة فقط، بل قد يتعدى بعضها إلى ما بعده مـن أزمان، ويسبقه بعضها بأزمان.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "فمن آيات الأنبياء ما كان قبل ولاد م، وقبـل إنبائهم، وما يكون بعد مو م؛ فإن الآية هي دليل على صدق الخبر بأنه رسول الله، وهذا الدليل لا يختص؛ لا بمكان ولا زمان، ولا يكون هذا الدليل إلا من جنس لا يقدر عليـه الإنس كلهم، ولا الجن، فلابد أن يكون جنسه معجزاً أعجز الإنس والجن"(٣).

ولقد تكلم الرسعني عن آيات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في مواضع متعددة، فهو يقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا﴾(٤):

---

(١) سورة الحديد: الآية (٢٥).

(٢) النبوات (٥٢٢/١-٥٢٣).

(٣) النبوت (٧٩٤/٢)، وانظر: الجواب الصحيح (٣٨٠/٦).

(٤) سورة هود: الآية (٩٦).

"أي: بعلاماتنا الشاهدة بنبوته ﴿وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ﴾ ، حجة ظاهرة، وهي العـصا، وكانت أظهر حججه وأ رها، وأوضح معجزاته وأشهرها"(١).

ويقول أيضاً عن آية العصا لموسى: "وقد تعلقت ا معجزات شتى: من انقلا ـا حية، وتلقفها ما أفكته السحرة، وانفلاق البحر، وانفجار العيون من الحجر بضر ما ا، وكو ا حارساً، وشمعة، وشجرة خضراء مثمرة، ودلواً ورشاء، جعلت كأ ـا ليـست بعضها -يعني: بعض الآيات- لما استبدلت به من الفضل ... وهي آيات وحجة بينة إلى فرعون وملئه"(٢) فأراه الآية الكبرى وهي قلب العصا حية وهي أصـل آياتـه وأكـبر معجزاته(٣)".

ويقول: "لعمري إن الله تعالى لم يبعث رسولاً إلا مؤيداً بسلطان دال على رسالته، ولكن سألوهم الإتيان بآيات اقترحوها تعنتاً عليهم ولجاجاً في كفرهم، فاعترفـت لهـم رسلهم بمساوا م إياهم في وصف البشرية فقالوا: إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ (٤) بالنبوة من غير اكتساب ولا سعي"(٥) (٦).

ويقول عن آية اليد لموسى عليه السلام عند تفسيره لقوله تعالى: وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ (٧):

"أي من غير برص وكان موسى شديد الأدمة فإذا أخرج يده غلب نورها شعاع الشمس، "آية أخرى" دلالة أخرى على صدقك ورسالتك سوى العصا"(٨).

---

(١) رموز الكنوز (٢/١٣٠/أ-ب).

(٢) االمصدر السابق (١٣٦/٣/ب).

(٣) المصدر السابق (١٩٩/٤/ب).

(٤) سورة إبراهيم: الآية (١١).

(٥) هنا رد من الرسعني على المعتزلة وغلاة الباطنية والفلاسفة القائلين باكتساب النبوة.

(٦) رموز الكنوز (١٧٥/٢/أ).

(٧) سورة طه: الآية (٢٧).

(٨) رموز الكنوز (٦٣/٣/ب).

ويقول أيضاً عند قوله تعـالى: ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ﴾(١):

"**أو لم يكفروا** بما **أوتي موسى من قبل من الآيات** الخوارق التي **تضطر العقول** إلى **التصديق** ا"(٢).

وبيين رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أن تلك الآيات** بقدرة الله **وحكمته، وليست بيد رسله.**

يقول عند قولـه تعـالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾(٣):

"**قالوا** يعني **أهل مكة لولا أنزل عليه آية من ربه .. آية على التوحيد على معـنى آيه خارقة** مثل ناقة صالح، **وعصى موسى، ومائدة عيسى، قل إنما الآيات عند الله ليست بيد رسله؛ وإنما هي بيده يـ ل منها ما يشاء على من يشاء**"(٤).

ولقد امتن الله سبحانه وتعالى **على** نبيه **زكريا** عَلَيْهِ السَّلَامُ **بالولد وهو شيخ طـاعن** في **السن وامرأته عاقر، قال تعالى:** ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۝٤٠ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾(٥).

يقول الرسعني عند هذه الآية: "﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ﴾" **ليس علـى وجه الشك** في **ما جاءه من عند الله، لأن الأنبياء معصومون من مثل هذه الحالة، ولا على وجه الاستبعاد، كما زعم** جماعة **من العلماء؛ لأن كمال معرفته** بالله تنفي **اسـتبعاد مـا**

---

(١) سورة القصص: الآية (٤٨).

(٢) رموز الكنوز (٢٣٦/٣/أ).

(٣) سورة العنكبوت: الآية (٥٠).

(٤) رموز الكنوز (١٥٤/٣/أ).

(٥) سورة آل عمران: الآية (٤٠-٤١).

ينفعل عن القدرة الإلهية، ثم إن دلالة الحال، وإقدامه على السؤال تنفي استبعاده لذلك، وإنما هو استعلام عن الحالة التي يتكون الولد فيها. المعنى: أيأتينا الولد على الحالة التي أنا عليها من الكبر، وامرأتي من العقر؟ أم يأتينا بعد رد شبابي؟ وإزالة العقر عن امرأتي ... ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل خلق الولد بين شيخ هرم وعجوز عاقر يفعل ما يشاء من الآيات الخارقة للعادات، ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ علامة، أعرف بها وجود الحمل، سأل العلامة على وجود ما أمله ورامه، ليتلقى النعمة بالشكر، ويتعجل السرور"[(١)].

يقول ابن سعدي: "وهذه آية عظيمة أن لا تقدر على الكلام، وفيه مناسبة عجيبة، وهي أنه كما يمنع نفوذ الأسباب مع وجودها، فإنه يوجدها بدون أسبابها ليدل ذلك أن الأسباب كلها مندرجة في قضائه وقدره، فامتنع من الكلام ثلاثة أيام، وأمره الله أن يشكره ويكثر من ذكره بالعشي والإبكار"[(٢)].

ومن آيات عيسى -عليه الصلاة والسلام- تكليم الناس وهو في المهد قال تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ﴾[(٣)].

قال الرسعني عند هذه الآية: "فإن قيل: ما الحكمة في تكليمه الناس في المهد قلت: الحكمة في ذلك تبرئة أمه، وتحقيق معجزته"[(٤)].

وأيضاً من آياته التي تكلم عنها أنه يخلق من الطين كهيئة الطير بإذن الله ويبرئ الأكمه والأبرص ويحي الموتى بإذن الله وينبئ قومه بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم.

ويقول حول تلك الآيات التي أجراها الله لنبيه عيسى عليه السلام: "فأيد الله حجته، وشيد معجزته بأن أبرأ على يديه ما لا يقدر حذّاق الأطباء عليه"[(٥)].

---

(١) رموز الكنوز (١/١٠٧-١٠٩).
(٢) تيسير الكريم الرحمن صـ(١٣٠).
(٣) سورة آل عمران: الآية (٤٦).
(٤) رموز الكنوز (١/١١٦).
(٥) المصدر السابق (١/١١٨).

يقول ابن سعدي: "فكل واحدة من هذه الأمور آية عظيمة بمفردها، فكيف ـا إذا اجتمعت وصدق بعضها بعض؟ فإ ا موجبة للإيقان وداعية للإيمان"(١).

ويقول الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن نبي الله هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عند قوله تعـالى: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ (٢) وعن نبينـا ﷺ عنـد قولـه تعـالى: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ (٣):

"وهذا من أعظم آيات الرسل وأعجبها، أن يواجه الرجل الواحد منـهم ـذا الكلام وأمثاله أمة عظيمة كثيرة العدد والعدد، شديدة الشكيمة في عداوته، حرصاً على استئصال شأفته وإسكان نأمته، عطاشا إلى إراقة دمه، ما ذاك إلا لرسـوخ قلـو م في التوكل والاعتماد على الله، وقلة المبالاة بحزب الشيطان"(٤).

وتسخير الرياح لسليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من آياتـه، قـال تعـالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾ (٥).

يقول الرسعني عند هذه الآية: "أي وسخرنا لسليمان الـريح عاصـفة شـديدة الهبوب، فإن قيل: فقد قال في موضع آخر ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ (٦) أي لينة، قلت: كانت تجري بتسخير الله لها على وفق إرادة سليمان وأمره فـإن أمرهـا أن تجري عاصفة جرت، وإن أمرها أن تجري رخاء جرت، تجري بـأمره إلى الأرض الـتي باركنا فيها وهي أرض الشام، فكانت تسير به حيث شاء ثم تعود به إلى م ـلـه بالـشام (وكنا بكل شيء عالمين) فعلمنا أن سليمان أهل لما أنعمنا به عليه، وأنه يدعوه إلى زيادة

---

(١) تيسير الكريم الرحمن صـ (١٣١).
(٢) سورة هود: الآية (٥٥).
(٣) سورة المرسلات: الآية (٣٩).
(٤) رموز الكنوز (٢/١٢٣/ب).
(٥) سورة الأنبياء: الآية (٨١).
(٦) سورة ص: الآية (٣٦٩).

الخضوع لعزتنا وجلالنا"(١).

ومن آياته أيضاً تصرفه في الحديد كيف يشاء يقول الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ (٢) كان إذا أخذه صار في يده كالعجين والطين والشمع، يتصرف فيه كيف شاء من غير نار، ولا ضرب مطرقة"(٣).

وأرسل الله تعالى إلى ثمود صالحاً عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فـدعاهم إلى التوحيـد، وحـذرهم وأنذرهم، فلم يتبعه إلا قليل، وتمادوا في غيهم، واقترحوا عليه أن يخرج لهم من صـخرة في ناحية الحجر ناقة لكي يصدقوه، قال تعالى: وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـالِحًا قَـالَ يَـا قَـوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَـةُ اللَّهِ لَكُـمْ آيَـةً فَـذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤) .

يقول الرسعني عند هذه الآية: " قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ أي: علامة ظاهرة شاهدة بصدقي ونبوتي، فكأنه قيل له: ما هذه البينة؟ فقال: هَـذِهِ نَاقَـةُ اللَّهِ لَكُـمْ آيَـةً أضيفت الناقة إلى الله إضافة تكريم وتشريف؛ تفخيماً لشأ ا وتعظيماً لأمرها، ولكو ـا جاءت من عنده تبارك وتعالى من غير فحل وطروقه.

فإن قيل: هي آية لهم ولغيرهم، فلم قال: لَكُمْ آيَةً ؟.

قلت: المعنى لكم ولسائر الناس آية، غير أنه غلّـب المخـاطبين، لأ ـم هـم المقصودون بتكوينها، وهم الذين اقترحوها" (٥) .

أما آيات النبي محمد ﷺ، ودلائل نبوته، فسترد في المبحث الرابع من هذا الفصل إن شاء الله.

---

(١) رموز الكنوز (٣/٩٧/أ-ب).

(٢) سورة سبأ: الآية (١٠).

(٣) رموز الكنوز (٣/١٩٣/ب).

(٤) سورة الأعراف: الآية (٧٣).

(٥) رموز الكنوز (٢/٢٢/ب).

المبحث الثالث

عصمة الأنبياء

العصمة: هي المنع، ومنه قوله تعـالى: ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعۡصِمُنِى مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ﴾[1] **.**

ومعنى العصمة هنا: حفظ الله لأنبيائه من الذنوب والمعاصي، ووقايته لهم منها[2].

وكذلك فهم معصومون فيما يبلغون عن الله تعالى، فلا يجوز عليهم الكذب فيما أخبروا به [3] .

وعصمة الله عبده أن يمنعه من سوء يقع فيه[4].

العصمة في التبليغ:

إنه من المعلوم من الدين بالضرورة أن الأنبياء صادقون في كل ما أخبروا به عـن الله عز وجل، فمن كذّب نبياً في خبر مما أخبر به فقد كفر، وذلك أن جميع تلك الأخبار التي صحت عن الأنبياء إنما هي في الحقيقة أخبار من الله عز وجل، أوحى بها إلى رسـله وأنبيائه؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗۚ وَمَا كَانَ

---

(١) سورة هود: الآية (٤٣).

(٢) انظر: المصباح المنير صـ(٤١٤)، لوامع الأنوار (٣٠٤/٢)، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهـل الشرك والإلحاد، صالح بن فوزان الفوزان صـ(١٦٤)، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ، دار ابن خزيمـة للنـشر والتوزيع – الرياض.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٢٨٩/١٠، ٢٩٠).

(٤) انظر: معجم مقاييس اللغة صـ(٧٥١)، لسان العرب (٤٠٣/١٢-٤٠٨).

لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ [(١)] .

ويقول عن رسوله ﷺ: وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ [(٢)]

ومقتضى الإيمان بالرسل -عليهم الصلاة والسلام- أن نصدق بجميع ما أخبروا به، فمن كذبهم، أو كذب واحداً منهم فقد ناقض مقتضى هذا الركن العظيم، وذلك لأن الأمة متفقة على أصل عظيم، وهو أن الرسل جميعاً -عليهم الصلاة والسلام- معصومون في التبليغ، وفيما يخبرون به عن الله تعالى، فحاشاهم الكذب في هذا المقام، ومن هنا وجب الإيمان والتصديق والانقياد التام لجميع ما جاؤوا به.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:" أجمع أهل الملل قاطبة على أن الرسل معصومون فيما يبلغونه عن الله تبارك وتعالى، لم يقل احد قط أن من أرسله الله يكذب عليه"[(٣)].

بخلاف غير الأنبياء فإنهم ليسوا معصومين كما عصم الأنبياء، ولو كانوا أولياء لله، ولهذا من سب نبياً من الأنبياء قتل باتفاق الفقهاء، ومن سب غيرهم لم يقتل[(٤)].

يقول الإمام الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسيره لقوله تعالى: وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ

---

(١) سورة الرعد: الآية (٣٨).

(٢) سورة النجم: الآية (٣-٤).

(٣) الجواب الصحيح (٤٤٦/١)، وانظر: منهاج السنة النبوية (٤٧٠/١-٤٧٢)، مجموع الفتاوى (٦٦/١١)، درء التعارض (٩٧/١)، النبوات (٢٣٥/١)، عصمة الأنبياء للرازي ص٢، الطبعة الأولى عام ١٩٩٠م، الدار العربية – بغداد، الأعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام للقرطبي ص١٩٢، تحقيق د. أحمد السقا، عام ١٣٩٨هـ، دار التراث العربي – القاهرة.

(٤) مجموع الفتاوى (٢٨٩/١٠).

عَلَيۡكَ عَظِيمٗا (١) .

" وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖ لأنك مؤيد بالنبوة والعصمة، ومن نتائج هـذا أن الواو في قوله وَأَنزَلَ ٱللَّهُ واو الحال على معـنى: وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ... والمعـنى: وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وهـو القرآن وَٱلۡحِكۡمَةَ وهو إلهام الصواب وبيان معاني الكتـاب وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُ من شرائع الدين، وسنن المرسلين، ونبأ الأولين والآخرين وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ بالنبوة، والعصمة والكتاب والحكمة عَظِيمٗا (٢) .

ويقول في موطن آخر عند قوله تعـالى: لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ (٣) :

" لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ أي في قصص يعقوب وأولاده، وقيل في قـصص الرسل ... عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ أي: عظة لأصحاب العقول، ودلالة لهم على قدرة الله تعالى وحكمته في تصاريف قضائه وقدره، وبرهان على رسالة محمد ﷺ حيث قص عليهم قصة يوسف وإخوته على الوجه الذي تشهد له التوراة والكتب القديمة بصحته، مع كونه أمياً من أمة أمية، بعيداً من علماء أهل الكتاب، ما كان القصص الذي جاء به حديثاً يفترى، ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتـب المتقدمـة، ﴿وَتَفۡصِيلَ كُلِّ

---

(١) سورة النساء: الآية (١١٣).

(٢) رموز الكنوز (٥٨٤/١).

(٣) سورة يوسف: الآية (١١١).

شَيۡءٖ﴾ يحتاج إليه من أمر الدين ﴿وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ يصدقون بما جاء به محمد ﷺ"(١).

ويقول موضحاً أمر الخضر مع موسى عليه السلام: "فإن قيل: كيف أنكر موسى على الخضر، مع علمه أن مثله لا يأت منكراً من الفعل والقول، ويحققه أنه معصوم من ذلك، ومعرفته أن الله أرسله إليه ليعلّمه مما علّمه، ولذلك قال له موسى: ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾(٢) قلت: لم يكن موسى -عليه الصلاة والسلام- في مرية من أمر الخضر عليه السلام وأنه معصوم معلم من جهة الله تعالى، مخصوص بنوع من العلم أوجب رحلته إليه، لكنه رأى أمراً منكراً في ظاهر الشرع، وفعلاً يوجب نفور الطبع، فانتهض باعث الشرع، وداعي الطبع حاملين لموسى على إنكار ما شاهده، عملاً بظاهر الشرع الذي بعثه الله به، مستفهماً عن وجه الحكمة والعلم المغيب المودع في غضون هذا الفعل، الصادر من هذا المؤيد بالعلم اللدنيّ، فجمع بين المصلحتين وعمل بكلا الدليلين"(٣).

ويقول: "قال العلماء بالتفسير والسير: كان رجلان على عهد داود عليه السلام، أحدهما: صاحب حرث، والآخر صاحب غنم، فتفلّتت الغنم فَرعت الحرث ليلاً، فلم تبق منه شيئاً، فاختصما إلى داود، فقال لصاحب الحرث: لك رقاب الغنم. فقال سليمان: أو غير ذلك؟ قال: ماهو؟ قال: ينطلق صاحب الحرث بالغنم فيصيب من ألبانها ومنافعها، ويقوم أصحاب الغنم على الكَرم(٤) حتى إذا كان كَلَيلةٍ نفشت فيه، دفع هؤلاء إلى هؤلاء غنمهم، ودفع هؤلاء إلى هؤلاء أرضهم، فقال داود: القضاء ما قضيت، وحكم

---

(١) رموز الكنوز (١٦٢/٢/أ).
(٢) سورة الكهف: الآية (٦٦).
(٣) رموز الكنوز (٢٤/٣/ب).
(٤) الكرم: شجرة العنب، واحدها: كرمة. انظر: لسان العرب (٥١٠/١٢)، تاج العروس من جواهر القاموس، (٨٠٠/١).

داود بذلك فذلك قوله: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ (١) ، أراد داود وسليمان والخصمين ... ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "فصل وفي هذه القصة بيان ظاهر وبرهان باهر على جواز كون النبي ﷺ وغيره من الأنبياء متعبدين بالاجتهاد فيما لا نص فيه"(٢).

وبذلك يتبين جواز وقوع الخطأ من الأنبياء ولكن لا يقرون عليه (٣)، فإن الله سبحانه وتعالى أثنى على سليمان لصوابه، وعذر داود باجتهاده، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ (٤) .

العصمة من الذنوب والمعاصي:

اختلف العلماء في مسألة وقوع المعاصي من الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- والناس في هذه المسألة على أقوال:

الأول: أنهم معصومون من جميع الذنوب كبيرها وصغيرها، فلا يجوز البتة أن تقع من نبي معصية، وقد ذهب إلى هذا القول بعض السلف، وانتصر له ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ وجعله قولاً لأهل السنة وكثيراً من الفرق الأخرى(٥)، وذكره القرطبي(٦) فقال: "واختلف العلماء في هذا الباب هل وقع من الأنبياء -صلوات الله عليهم أجمعين- صغائر من الذنوب يؤاخذون بها ويعاقبون عليها أم لا، بعد اتفاقهم على أنهم معصومون من الكبائر ومن كل رذيلة فيها شين ونقص إجماعاً ... إلى أن قال: وقال جمهور من الفقهاء

---

(١) سورة الأنبياء: الآية (٧٨)

(٢) رموز الكنوز (٩٦/٣/أ-ب).

(٣) انظر: روضة الناظر (٤٢١/٢).

(٤) سورة الأنبياء: الآية (٧٩).

(٥) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (٥/٤) وما بعدها.

(٦) تقدمت ترجمته ص ٢٦٣.

من أصحاب مالك وأبي حنيفة والشافعي: إنهم معصومون من الصغائر كلها كعصمتهم من الكبائر أجمعها"(١).

الثاني: أنهم معصومون من جميع الكبائر بخلاف الصغائر، فإنها من الممكن أن تقع منهم، ولكنهم لا يقرون عليها، بل سرعان ما يتوبون منها.

وبهذا قال كثير من السلف والعلماء من أهل التفسير والحديث والفقه وأهل الكلام.

قال القاضي عياض(٢)، وهو يحكي الأقوال في هذه المسألة: "وأما الصغائر فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الأنبياء، وهو مذهب أبي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين"(٣).

وقد أورد شيخ الإسلام ابن تيمية القولين السابقين فقال: "الناس لهم في جواز وقوع الذنب من الأنبياء قولان: فالسلف والأكثرون يقولون بجواز ذلك، وإن كانوا معصومين عن الإقرار عليه، وكثير من الناس منع من ذلك بالكلية"(٤).

الثالث: ذهبت طائفة إلى جواز وقوع الكبائر والصغائر من الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- حاشا الكذب في التبليغ فقط، وقد ذكر ابن حزم هذا القول، ونسبه

---

(١) تفسير القرطبي (٣٠٨/١).

(٢) هو عياض بن موسى اليحصبي السبتي، قاضي مدينة سبتة في المغرب العربي، وأحد مشايخ العلماء المالكية، وصاحب المصنفات الكثيرة المفيدة منها الشفا، وشرح مسلم، كان إماماً في علوم كثيرة، كالفقه واللغة والحديث والأدب وأيام الناس. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان (٤٨٣/٣-٤٨٥)، البداية والنهاية (٢٢٥/١٢).

(٣) الشفا، للقاضي عياض (١٤٤/٢)، وانظر: تفسير القرطبي (٣٠٨/١).

(٤) تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف "بالرد على البكري" صـ (٣٧١).

إلى الكرامية[١] من المرجئة[٢]، وذكر أنه قول الباقلاني[٣] من الأشعرية، وقد رد ابن حزم هذا القول، وشنع على من قال به[٤].

وذكر شيخ الإسلام أن أكثر الناس على خلاف هذا القول فقال: "وأكثر الناس -أو كثير منهم- لا يجوزون عليهم الكبائر ..."[٥].

يقول الإمام الرسعني رحمه الله: "والأنبياء منزهون معصومون من الكبائر والرذائل والنقائص المنفرة"[٦].

ويقول رحمه الله في قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز وبراءته من الوقوع في الزنا لتقرير عصمة الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- من الكبائر: "وأنه عليه السلام كان من سِنخ [٧] إبراهيم وسلالة النبوة وبيت الرسالة، وكانت دلائل النبوة لائحة على

---

(١) الكرامية: أتباع أبي عبدالله محمد بن كرام المتوفى سنة (٢٥٥هـ)، يثبتون الصفات، وينتهون في إثباتها إلى التشبيه، ويثبتون القدر والإيمان عندهم هو الإقرار باللسان فقط، دون التصديق بالقلب وعمل الجوارح. انظر: مقالات الإسلاميين صـ ١٤١ وما بعدها، الفرق بين الفرق صـ(٢١٥-٢٢٥)، التبصير في الدين صـ(١١١-١١٧)، الملل والنحل (١٠٨/١-١١٣)، لسان الميزان (٣٥٣/٥-٣٥٦).

(٢) المرجئة: أصلها من الإرجاء، وهو التأخير، سمو بذلك لأنهم يؤخرون العمل عن النية والعقد، وهم أصناف وفرق كثيرة، منهم الغالي، ومنهم دون ذلك، ويجمعهم القول بأن الأعمال ليست من الإيمان. انظر: مقالات الإسلاميين (٢١٣/١) وما بعدها، الفرق بين الفرق صـ(٢٠٢)، التبصير في الدين صـ(٩٧)، الملل والنحل (١٣٩/١)، اعتقاد فرق المسلمين والمشركين صـ(٧٠).

(٣) أبو بكر محمد بن الطيب بن عمر الباقلاني، شيخ المالكيين في عصره، متكلم مشهور، كان في علمه أوحد زمانه له تصانيف مشهورة، توفي سنة (٤٠٣هـ)، انظر ترجمته في: وفيات الأعيان (٢٦٩/٤-٢٧٠)، سير أعلام النبلاء (١٩٠/١٧-١٩٣)، شذرات الذهب (١٦٨/٣-١٧٠)، تبيين كذب المفتري، لابن عساكر (صـ٢١٧-٢٢٦)، دار الكتاب العربي – بيروت ١٣٩٩هـ.

(٤) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (٥/٤).

(٥) منهاج السنة (٣٧٣/٣).

(٦) رموز الكنوز (١٢٢/٢/أ).

(٧) السنخ: الأصل من كل شيء، وسنخ كل شيء أصله. انظر: لسان العرب (٢٦/٣)، القاموس المحيط (٣٢٣/١).

صفحات وجهه الكريم، وكان في مظنة أن يرسله الله تعالى إليهم، فنزه منصب الرسـالة وبيت النبوة عن أن يزن بمثل هذه الفاحشة الشنعاء التي تنفر الناس عن المتابعة، وتمنعهم من المشايعة، وهذه سنة الله تعالى فيمن اختصهم لرسالته وجعلهم دعاة إلى طاعتـه، أن يطهرهم من الكبائر الموبقة، والرذائل المنفرة، والنقائص الشائنة للحق والخلق"[(١)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأما يوسف الصديق فلم يذكر الله عنـه ذنبـاً، فلهذا لم يذكر الله عنه ما يناسب الذنب من الاستغفار، بل قـال: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾[(٢)] فأخبر أنه صـرف عنـه السوء والفحشاء، وهذا يدل على أنه لم يصدر منه سوء ولا فحشاء"[(٣)].

ويقول الرسعني عند قوله تعالى: قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ[(٤)]:

" قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ ليس على وجه الشك في ما جاءه من عند الله؛ لأن الأنبياء معصومون من مثل هذه الحالة، ولا على وجه الاستبعاد، كما زعم جماعة من العلماء؛ لأن كمال معرفته بالله تنفي استبعاد ما ينفعل عن القدرة الإلهيـة، ثم إن دلالـة الحال، وإقدامه على السؤال تنفي استبعاده لذلك، وإنما هو استعلام عن الحالـة الـتي يتكون الولد فيها. المعنى: أيأتينا الولد على الحالة التي أنا عليها من الكبر، وامرأتي مـن العقر؟ أم يأتينا بعد رد شبابي؟ وإزالة العقر عن امرأتي"[(٥)].

ويقول في موضع آخر عن نبي الله زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ عند تفسيره لقولـه تعـالى:

---

(١) رموز الكنوز (٢/١٤٤/ب).

(٢) سورة يوسف : الآية (٢٤).

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/٢٩٦، ٢٩٧).

(٤) سورة آل عمران: الآية (٤٠).

(٥) رموز الكنوز (١/١٠٧).

﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي﴾[(١)]:

﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي﴾ يعني الذين يلونه في النسب وهم ورثته من بني عمه وعصبته، قال ابن عباس: خاف أن يرثوه[(٢)]، فإن قيل: أين هذا من قوله: (نحن معاشر الأنبياء لا نورث)[(٣)] قلت: محال أن يظن بنبي الله زكريا -عليه الصلاة والسلام- أنه سأل ربه عز وجل الولد حرصاً على وصول مالٍ لو كان له إليه، وبخلاً به على غيره من عصبته وبني عمه ونفاسةً عليهم بعرضٍ من الدنيا الفانية يصل إليهم، فإن هذا من الأخلاق المذمومة البعيدة عن اخلاق العقلاء ذوي الحنكة والتجربة، البصيرين بعيوب الدنيا الناظرين إليها بعين الفناء، فكيف بمن اصطفاه الله لنبوته، واجتباه لرسالته، واختصه بولايته، وأكرمه بسفارته، وإنما خاف ضياع الدين والعلم لما كان يشاهد من بني إسرائيل من قتل الأنبياء وتضييع حدود الله تعالى وانتهاك محارمه، فسأل ربه ولداً من سنخه يرثه حكمته وعلمه، ويحسن الخلافة من بعده في قومه، فمعنى قول ابن عباس: "خاف أن يرثوه": أي: خاف أن يرثوه فيسيئوا خلافته في ما يرثونه منه من القيام بأمور الدين وحقوق الموحدين"[(٤)].

وأما ما يقع من الأنبياء من الأمور التي يتعرض لها البشر كالنسيان، والخطأ، والمرض، والموت فلا إشكال في جوازها عليهم، إذ إن النبي ﷺ سحِر[(٥)]، ونسي فقصر

---

(١) سورة مريم: الآية (٥).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٣٠٦/٨).

(٣) رواه البخاري (٤/١٢)، ومسلم (١٣٧٩/٣)، بلفظ "لا نورث ما تركناه صدقة".

(٤) رموز الكنوز (٣٨/٣/أ).

(٥) انظر: صحيح البخاري، كتاب الطب، باب هل يستخرج السحر؟ (٢١٧٩/٥)، وكتاب الدعوات، باب تكرير الدعاء (٢٣٤٧/٥) برقم (٥٤٣٢).

الصلاة[١]، وظن النبي ﷺ أنه لا ينفع تأبير النخل[٢]، وكلها وكما هو معلوم أمور دنيوية لا تتعلق ببلاغ ولا تشريع.

يقول الإمام الرسعني: "حديث النفس وعوارض الوساوس لا يسلم منه أحد من البشر، والأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- من البشر"[٣].

والحاصل أن عصمة الأنبياء فيما يخبرون عن الله تعالى، وفي تبليغ الرسالة مجمع عليها وهي باتفاق الأمة، أما عصمتهم من المعاصي فقد اختلف العلماء فيها، فقال بعضهم بعصمتهم من جميعها كبيرها وصغيرها، وقال الجمهور: من الكبائر والفواحش والموبقات، مع جواز وقوع الصغائر منهم، لكن لا يقرون عليها، ولا يحصل منهم الإصرار على هذه الصغائر، بل سرعان ما يتوبون منها، وهذا واضح من قصص الأنبياء في القرآن الكريم، فلم يقعوا في خطأ إلا وذكر الله توبتهم منه، وهذا أصل يجب أن يعلمه كل أحد، فإن الأنبياء معصومون عن الاستمرار في الخطأ، بل إن الله يوفقهم للتوبة منه، والإقلاع عنه.

و ذا الأصل يجاب على الذين رجحوا عصمة الأنبياء من جميع الذنوب كبيرها وصغيرها، فإن من أعظم حججهم قولهم: إننا مأمورون بالتأسي م في الأفعال، وتجويز ذلك يقدح بالتأسي[٤]، فيقال لهم: التأسي م إنما هو فيما أقروا عليه، ولا يقرون على مثل هذه الصغائر، فلم يمنع تجويز مثل ذلك من التأسي م، وقد أشار إلى هـذا المعنى

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما يجوز من ذكر الناس، نحو قولهم: الطويل، والقصير (٢٢٤٩/٥) برقم (٥٧٠٤).

(٢) انظر: صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما أمر به النبي ﷺ شرعاً دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا على سبيل الرأي (١٨٣٥/٤) برقم (٢٣٦١)، والتأبير: تلقيح النخل. انظر: لسان العرب (٤/٤).

(٣) رموز الكنوز (١٦٢/٢/أ).

(٤) انظر: الشفا (١٤٥/٢)، تفسير القرطبي (٣٠٨/١).

شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمة الله عليه-[١].

وعليه فإن الإمام الرسعني قرر عقيدة السلف في عـصمة الأنبيـاء في التبليـغ وكذلك عصمتهم عن الكبائر والإصرار عليها، وأن الهفوات منهم محتملة ومغفورة، وبين أ م في أمور الدنيا بشر يجوز عليهم ما يجوز على المخلوقين من الخطأ، والنسيان وغيرهما.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٤٨/١٥).

المبحث الرابع

نبوة محمد ﷺ

من الأصول العظيمة التي يرتكز الإيمان عليها الإقرار والتصديق الجازم بأن محمداً ﷺ مرسل من رب العالمين إلى الناس كافة، فلا يصح إيمان عبد حتى يقر بذلك، ويتبع هذا الرسول، وينقاد لما جاء به عن ربه، مع اعتقاد أنه خاتم النبيين، وسيد الأولين والآخرين.

فالإيمان بنبينا محمد ﷺ غير الإيمان بسائر الرسل، فالإيمان بسائر الرسل الإقرار بهم، والإيمان به: الإقرار به مع اتباع ما جاء به.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأما قوله: (ورسله) فأن تؤمن بما سمى الله في كتابه من رسله، وتؤمن بأن لله سواهم رسلاً وأنبياء، لا يعلم أسماءهم إلا الذي أرسلهم، وتؤمن بمحمد ﷺ وإيمانك به غير إيمانك بسائر الرسل، إيمانك بسائر الرسل إقرارك بهم، وإيمانك بمحمد إقرارك به وتصديقك إياه دائباً على ما جاء به، فإذا اتبعت ما جاء به أديت الفرائض، وأحللت الحلال، وحرمت الحرام، ووقفت عند الشبهات، وسارعت في الخيرات"[(١)].

والإيمان بنبوته ورسالته ﷺ هو الركن الثاني من أركان شهادة "أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله".

عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذ بن جبل[(٢)] إلى اليمن فقال: «إنك تأتي قوماً أهل كتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله،

---

(١) مجموع الفتاوى (٣١٣/٧).

(٢) معاذ بن جبل بن عمرو الأنصاري الخزرجي، أبو عبدالرحمن، كان أعلم الأمة بالحلال والحرام، أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ، بعثه رسول الله بعد غزوة تبوك، قاضياً ومرشداً لأهل اليمن، توفي سنة (١٨هـ). انظر ترجمته في: أسد الغابة (٣٧٦/٤)، غاية النهاية (٣٠١/٢).

فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أمولهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب »[(١)].

ومقتضى الإيمان بمحمد ﷺ: الانقياد التام والامتثال الكامل لكل ما جاء به، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾[(٢)] ويجب تقديم قوله على قول كل أحد، لأنه قول صادر من معصوم لا ينطق عن الهوى.

يقول ابن قدامة: "فقول رسول الله ﷺ واجب الاتباع، سواء وافق القياس أو خالفه، لأنه قول المعصوم، الذي جعل الله قوله حجة على الخلق أجمعين، وأمرنا باتباعه وطاعته، وحذر بالعقاب في مخالفة أمره، وجعل الفوز في طاعته، والضلال في معصيته"[(٣)].

يقول تعالى على لسان رسول الله ﷺ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ﴾[(٤)].

ويقول المصطفى ﷺ في الحديث الصحيح الذي يرويه أبو هريرة: «دعوني ما تركتكم فإنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم »[(٥)].

وقد استشهد الرسعني عند تفسيره للآية السابقة بحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن أطاع الأمير فقد أطاعني، ومن عصاني

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد (١٥٤٥/١) برقم (٧٣٧١)، ومسلم في كتاب التوحيد ص (٣١)، برقم (٢٩).

(٢) سورة الحشر: الآية (٧).

(٣) المغني (٣٨١/١٤).

(٤) سورة آل عمران: الآية (٣١).

(٥) أخرجه البخاري في باب الاقتداء بسنة رسول الله ﷺ، من كتاب الاعتصام بالسنة (٣٦١/٤).

فقد عصى الله، ومن عصى الأمير فقد عصاني»[١][٢].

وقــال تعــالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[٣].

يقول الرسعني عند هذه الآية: "طاعة الله: العمل بكتابه، وطاعة الرسول: امتثال أمره والعمل بسنته، وأولو الأمر: الولاة كالخلفاء والملوك، والقـضاة، ... ، ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[٤]، ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أي: اختلفت آراؤكم فيه، وأصله من النزع، كـأن المتنـازعين يتجاذبـان، ويتمانعان ... ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ أي ردوا المتنازع فيـه إلى كتـاب الله وإلى رسوله في حياته، وإلى سنته بعد مماته نصاً واستدلالاً، والرد عند الجهل تفويض علم ذلك الشيء إلى الله وإلى رسوله ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الرد إلى الله والرسول، ﴿خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ أي: أحمد عاقبة، وسميت العاقبة، تأويلاً لأنها مآل الأمر"[٥].

ومما يندرج تحت الإيمان بالرسول ﷺ، تصديقه في جميع ما أخبر به، فهو الصادق المصدوق.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام (٩/٧٧)، ومسلم في كتاب الإمارة (٣/١٤٦٦-١٤٦٧).
(٢) رموز الكنوز (١/٩٣).
(٣) سورة النساء: الآية (٥٩).
(٤) سورة النساء: الآية (٨٣).
(٥) رموز الكنوز (١/٤٩٨، ٥٠٤).

قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾(١) .

يقول الرسعني في تفسير هذه الآية: "أي: فمن أشد ظلماً ممن جحد بالقرآن ومعجزات محمد ﷺ، وأعرض عنها بعد أن عرفها"(٢).

وعليه يجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ، وصح به النقل عنه فقوله وخبره حق وصدق.

رسالته ﷺ عامة:

بعث الله محمداً ﷺ إلى جميع الثقلين الإنس والجن، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾(٣) .

قال الرسعني: "قال ابن عباس والأكثرون: هو رحمة للبر والفاجر(٤)، ولهذا قال ﷺ حينما قيل له: ادع على المشركين: «إني لم أبعث لعاناً، وإنما بعثت رحمة » هذا حديث صحيح انفرد به مسلم من حديث أبي هريرة"(٥)(٦).

وهذه خاصية من خصائصه ﷺ، فقد كان كل رسول من الرسل قبله يبعث إلى قومه خاصة، أما هو فقد بعث إلى الناس كافة، فقد صح عنه ﷺ أنه قال: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي ... ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة »(٧).

---

(١) سورة الأنعام: الآية (١٥٧).

(٢) رموز الكنوز (٢/٦/أ).

(٣) سورة الأنبياء: الآية (١٠٧).

(٤) زاد المسير (٥/٣٩٨).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/٢٠٠٧).

(٦) رموز الكنوز (٣/١٠٦/ب).

(٧) أخرجه البخاري في الباب الأول من كتاب التيمم (١/١٢٦).

ويقول السعدي عند قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾(١):

" ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً﴾ أي: لجميع الناس الموجودين في زمانك، والذين يوجدون إلى يوم القيامة، ومثله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾(٢)، وقوله -عليه الصلاة والسلام- : «بعثت إلى الأحمر والأسود»(٣) أي: إلى العجم والعرب.

وقيل: إلى الإنس والجن ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ ... والمعنى: كفى بالله شهيداً لك بالرسالة، وعليهم بالضلالة"(٤).

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٥).

يقول السعدي عند تفسيره لهذه الآية: "والمعنى: أرسلناك جامعاً للناس بالإنذار والإبلاغ، وأرسل ﷺ إلى العرب والعجم"(٦).

فمن أنكر أن رسولنا مبعوث إلى العالمين، فقد خرج من دائرة الإسلام إلى الكفر؛ لكونه أنكر ما صرح به الكتاب والسنة، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»(٧).

---

(١) سورة النساء: الآية (٧٩).
(٢) سورة سبأ: الآية (٢٨).
(٣) قطعة من حديث طويل، فيما فضل فيه رسول الله ﷺ، وأمته، أخرجه مسلم في كتاب المساجد (١/٣٧٠-٣٧١) من حديث جابر.
(٤) رموز الكنوز (١/٥٢٦-٥٢٧).
(٥) سورة سبأ: الآية (٢٨).
(٦) رموز الكنوز (٣/١٩٨/أ).
(٧) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته (١/١٣٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ومما يجب أن يعلم أن الله بعث محمداً ﷺ إلى جميع الإنس والجن، فلم يبق إنسي ولا جني إلا وجب عليه الإيمان بمحمد ﷺ واتباعه، فعليه أن يصدقه فيما أخبر، ويطيعه فيما أمر، ومن قامت عليه الحجة برسالته فلم يؤمن به فهو كافر، سواء كان إنسياً أو جنياً، ومحمد ﷺ مبعوث إلى الثقلين باتفاق المسلمين"(١).

ختم النبوة به ﷺ:

من الأصول التي يجب على العبد اعتقادها أن محمداً ﷺ خاتم النبيين، كما صرح بذلك الكتاب والسنة، قال تعالى: مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ (٢).

وقد استشهد الرسعني عند تفسيره لهذه الآية بحديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بسنده أن رسول الله ﷺ قال: «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل ابتنى بيوتاً فأحسنها وأكملها وأجملها، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياها، فجعل الناس يطوفون ويعجبهم البنيان فيقولون: ألا وضعت هاهنا لبنة فيتم بنيانك، فقال محمد ﷺ: فكنت أنا اللبنة»(٣)(٤).

وقال -عليه الصلاة والسلام-: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي »(٥) الحديث.

وقد سمي النبي ﷺ عاقباً ؛ لأنه آخر الأنبياء عليهم السلام، وقد ذكر الرسعني

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان صـ ١٥١.

(٢) سورة الأحزاب: الآية (٤٠).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ (٥١٣/٢)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين (١٧٩١/٤).

(٤) رموز الكنوز (١٨٥/٣/أ-ب).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٤٩٣/٢).

بسنده حديث النبي ﷺ الذي يقول فيه: «إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد،وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب»[(١)][(٢)].

يقول ابن قدامة: "محمد رسول الله ﷺ خاتم النبيين، وسيد المرسلين، لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته، ويشهد بنبوته" [(٣)] .

ومن أنكر كونه خاتم الأنبياء والمرسلين، فهو كذاب خارج من دائرة الإسلام؛ لإنكاره ما صرح به الكتاب والسنة وأجمع عليه المسلمون.

معجزات الرسول ﷺ وخصائصه ودلائل نبوته:

معجزات النبي ﷺ وخصائصه الدالة على صدقه وثبوت نبوته كثيرة ومتعددة وقد أشار الرسعني إلى بعضها وهي كالتالي:

١-القرآن الكريم:

القرآن الكريم أعظم معجزات الرسول ﷺ.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيناً بأن القرآن الكريم هو المعجزة الباهرة لمحمد ﷺ، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [(٤)]:

"أو لم يكفهم إنزال القرآن عليك آية ظاهرة ومعجزة باهرة، تتلى عليهم في كل زمان ومكان لا تضمحِل وتزول، كما تزول آيات الأنبياء"[(٥)].

ويقول -أيضاً- في موطن آخر موضحاً جانب من جوانب إعجاز القرآن الكريم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ (٥١٢/٢)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب في أسمائه ﷺ (١٨٢٨/٤).

(٢) رموز الكنوز (١١٤/٤/أ-ب).

(٣) لمعة الاعتقاد ص٣٥.

(٤) سورة العنكبوت: الآية (٥١).

(٥) رموز الكنوز (٢٥٠/٣/ب).

من ناحية كونه معجز بنظمه وبلاغته وبيانه:

"قوله عز وجل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾[(١)] **يتأملونـه، ويتفكـرون فيـه، فيستدلوا برصانة معانيه عن المناقضة، وصيانة معانيه عن المعارضـة، وكثـرة حكمـه وأحكامه مع إيجازه وإعجازه، وتشويق هواديه إلى أعجازه، على أنه كلام من تنزهـت ذاته عن مشاكلة الذوات، وصفاته عن مماثلة الـصفات،** ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ﴾ **كما زعم حاسدوك ومعاندوك** ﴿لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ **تفاوتاً في النظم والمعنى على نحو كلام البشر ما بين بديع مستحسن، ومرذول مستهجن، وكلام الله تعالى جـار على سنن واحد من البلاغة والبراعة وصحة اللفظ"[(٢)].**

٢- الإسراء والمعراج:

الإسراء والمعراج من أعظم خصائص محمد ﷺ ومعجزاته، لا ينكره إلا مكـابر جاحد ضال مبتدع خارج عن الإسلام؛ لإنكاره ما جاء به الكتاب والسنة.

قال تعـالى: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[(٣)].

يقول الإمام الرسعني عند قولـه تعـالى: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾[(٤)].

---

(١) سورة النساء: الآية (٨٢).

(٢) رموز الكنوز (٥٢٩/١).

(٣) سورة الإسراء: الآية (١).

(٤) سورة الأنفال: الآية (٤١).

" وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يعني محمداً ﷺ، فإن قيل: لم قال: عَلَىٰ عَبۡدِنَا دون أن يذكره باسمه، أو بوصفه الغالب وهو الرسالة؟ قلت: يعلمهم أنه لم يخرجه وصف الرسالة وشرف النبوة، وإنزال الكتاب عليه ورفعه ليلة المعراج إليه؛ عن أن يكون عبداً لله، وقل أن يطلق عليه هذه اللفظة إلا مقترنة بأمر عظيم وشرف منيف، كقوله سبحانه وتعالى: سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ ...الآية [(١)] ، وقوله تبارك وتعالى: تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ...الآية [(٢)] ، وليشرفه باسم العبودية المضاف إليه جلت عظمته؛ ألا ترى أن الملك العظيم من ملوك الدنيا، إذا أضاف شخصاً إليه بلفظ العبودية، فقال: فلان عبدي وغلامي، فإنه يجد لذلك لذاذة وسروراً، ويكسب به شرفاً وفخراً، لأن ذلك دليل على أنه رضيه لنفسه واختاره لقربه وموالاته، كأن المعنى: على عبدنا الذي هو عبدنا على الحقيقة ... ولأن زيادة الخضوع لله والتواضع لعظمته مما يوجب زيادة الشرف، وارتفاع الدرجات للعبد، ومما تتلذذ به نفوس المحبين لله والعارفين به"[(٣)].

والذي عليه جمهور أهل السنة، أن هذا الإسراء كان بالجسد والروح في اليقظة[(٤)]، وهذا ما قرره الإمام الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسيره لقوله تعالى: أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ حيث قال: "وفيه إشعار بأنه أسري بجسده"[(٥)]، ومن المعلوم أن الروح تابعة للجسد في الحياة.

وقال أيضاً: "وقد روى حديث الإسراء والمعراج جماعة منهم علي وابن مسعود

---

(١) سورة الإسراء: الآية (١).

(٢) سورة الفرقان: الآية (١).

(٣) رموز الكنوز (٢/٦٥/أ).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٣/٢) وما بعدها، شرح العقيدة الطحاوية (١/٢٧٠) وما بعدها، لوامع الأنوار (٢/٢٨٨-٢٨٩).

(٥) رموز الكنوز (٢/٢١٤/أ).

وأبي بن كعب وحذيفة وسعيد وجابر وأبو هريرة وابن عباس وأم هانئ، فإن قيل: المعراج والإسراء في ليلة واحدة، فهلا أخبرهم بعروجه إلى السماء مقترناً بالإسراء؟ قلت: استدرجهم إلى الإيمان بذكر الإسراء أولاً، فلما ظهرت أمارات صدقه، ووضحت لهم براهين رسالته، واستأنسوا بتلك الآية الخارقة، أخبرهم بما هو أعظم منها، وهو المعراج، فحدثهم النبي ﷺ به وأنزله الله تعالى في كتابه في سورة النجم"(١).

وهذا الإسراء والمعراج إكرام من الله سبحانه وتعالى لنبيه محمد ﷺ.

يقول الرسعني عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ﴾ (٢):

" ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ﴾ وهو التوراة، يشير تعالى إلى إكرامه به من إنزال التوراة عليه، كما أكرم محمداً ﷺ بالإسراء وإنزال القرآن إليه"(٣).

٣- بشارة التوراة والإنجيل به ﷺ:

من دلائل نبوته ﷺ، بشارة التوراة والإنجيل به، وهذا دل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (٤).

يقول الإمام الرسعني رحمه الله عند هذه الآية مبيناً الحكمة من بشارة عيسى عليه السلام لبني إسرائيل بإرسال محمد ﷺ من بعده: "فإن قيل: ما الحكمة في بشارة عيسى لبني إسرائيل بإرسال محمد ﷺ من بعده، قلت: التنبيه على فخامة أمره ﷺ وتعظيم شأنه وتحقيق رسالته وتقرير نبوته في قلوب أهل الكتاب وتأكيد حجته، مع ما في

---

(١) رموز الكنوز (٢/٢١٤/ب).

(٢) سورة الإسراء: الآية (٢).

(٣) رموز الكنوز (٢/٢١٦/ب).

(٤) سورة الصف: الآية (٦).

ذلك من المعجزة له ولعيسى ﷺ"[١].

ويقول الرسعني عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾[٢]:

"... قل لهم يا محمد معرضاً عنهم مزدرياً بشأنهم، مظهراً لاحتقارهم، غير مكترث بهم، استغناء بالله واكتفاء بأصحابك المؤمنين، ﴿ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ صدقوا بالقرآن أو لا تصدقوا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ أي: من قبل إنزال القرآن، وقيل: من قبل إرسال محمد ﷺ، فعلموا الشرائع، وكانوا يوقنون بالنبي العربي، الذي نطقت بنبوته ﷺ الكتب السالفة، وشهدت برسالته معجزاته المستأنفة"[٣].

ويقول عند قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾[٤]

"وفي هذا تنبيه على صحة نبوة محمد ﷺ حيث أخبر بقصة موسى على الوجه المتعارف عند أهل الكتاب، وعلى ما هو في التوراة، وليس من أهل العلم بذلك"[٥].

ويقول أيضاً : "الإيمان بالنبي المنعوت في الكتب المتقدمة، بما استثبتته الأحبار والربانيون، فيه من الدلائل الناطقة برسالته الشاهدة بنبوته"[٦].

ويقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ

---

(١) رموز الكنوز (٤/١١٤/ب).
(٢) سورة الإسراء: الآية (١٠٧).
(٣) رموز الكنوز (٢/٢٣٤/ب).
(٤) سورة القصص: الآية (٤٤).
(٥) رموز الكنوز (٣/٢٣٥/ب).
(٦) المصدر السابق (٣/٢٣٧/ب).

بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ (١) :

" وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ أي: ما كنت قارئاً ولا كاتباً، فإنك لو كنت كذلك إِذًا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ أي: إذاً لشكوا فيك، لأن صفتك في التوراة والإنجيل إنك أمي لا تكتب ولا تقرأ فإن قيل: لو كان كاتباً قارئاً، لكان غير المنعوت بالرسالة في التوراةوالإنجيل قطعاً، فما معنى ارتيابهم، وهو على هذا التقدير غير المنعوت في كتابهم، قلت: هذا على سبيل الفرض والتقدير، أي لو بعثت كاتباً قارئاً، وأنت على الحال الذي أنت عليها من الشواهد الدالة على صدقك ورسالتك لارتابوا فإن قيل: لو لم يكن أمياً لما كانوا مبطلين في الارتياب لكونه على غير النعت الذي نعت به في الكتاب فكيف سماهم مبطلين؟ قلت: وصفهم بما هم متلبسون به كأنه قيل: إذاً لارتاب هؤلاء المبطلون في كفرهم"(٢).

ويقول عند تفسيره لقوله تعالى: يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ (٣) :

قوله تعالى: لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يعني القرآن، والآيات المشتملة على نعته، والشهادة برسالته في التوراة والإنجيل وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ أنها حق"(٤).

ويقول عند قوله تعالى: ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ (٥) :

(١) سورة العنكبوت: الآية (٤٨).
(٢) رموز الكنوز (٣/١٥٤/أ).
(٣) سورة آل عمران: الآية (٧٠).
(٤) رموز الكنوز (١/١٤٥).
(٥) سورة الأعراف: الآية (١٥٧).

"منعوتاً فيهما موصوفاً بما يأمرهم به وينهاهم عنه ويحله لهم ويحرمه عليهم" ثم استشهد بحديث عطاء بن يسار[(١)] حيث قال: "لقيت عبدالله بن عمرو[(٢)] فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله في التوراة، فقال: أجل إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً نذيراً، وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب[(٣)] في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو، ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا لا إله إلا الله، ويفتح به أعيناً عمياء، وآذاناً صماء[(٤)]، وقلوباً غلفاً[(٥)]"[(٦)] -ثم قال الرسعني-: "هذا حديث صحيح"[(٧)].

ويقول الرسعني عند قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَـٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ﴾[(٨)]:

"النصيب الذي أوتوه علمهم بما في كتابهم من نعت النبي ﷺ وغيره، ﴿يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَـٰلَةَ﴾ يؤثرونها، ويرفضون ما كانوا عليه من الهدى والإيمان بمحمد ﷺ قبل

---

(١) عطاء بن يسار الهلالي المدني، أبو محمد، تابعي جليل، مولى أم المؤمنين ميمونة، ثقة، إمام، كان يقضي بالمدينة، روى عن كبار الصحابة، توفي سنة (١٠٣هـ). انظر ترجمته في: شذرات الذهب (١٢٥/١)، مشاهير علماء الأمصار لمحمد بن حبان البستي صـ(٦٩)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

(٢) عبدالله بن عمرو بن العاص بن وائل القرشي، أبو محمد صحابي جليل، من أكثر الصحابة رواية للحديث عن النبي ﷺ، كان يكتب الحديث، توفي سنة (٦٥هـ). انظر: الطبقات الكبرى (٢٦١/٤-٢٦٨)، الإصابة (١٩٢/١-١٩٣).

(٣) السخب والصخب بمعنى: الصياح. انظر: لسان العرب (٤٦٢/١).

(٤) الصماء: هي الأذن المنسدة أو ضعيفة السمع. انظر: لسان العرب (٣٤٢/١٢).

(٥) الغلف: جمع أغلف وهو الذي لا يعي شيئاً فكأنه في غلاف. انظر: لسان العرب (٢٧١/٩).

(٦) رواه البخاري في كتاب البيوع، باب كراهية السخب في السوق (٧٤٧/٢) برقم (٢٠١٨).

(٧) رموز الكنوز (٣٩/٢/ب).

(٨) سورة النساء: الآية (٤٤).

مبعثه"[١].

ويقــول عنــد قولــه تعــالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[٢]:

"أولم يكف لهم علم علماء بني إسرائيل، أنه النبي المنعوت في الكتـب المتقدمـة المبعوث في آخر الزمان، آية: علامة على صدقه ونبوته"[٣].

٤- انشقاق القمر:

انشقاق القمر من معجزات النبي ﷺ. قال تعـالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾[٤].

يقول الرسعني عن هذه الآية: "قال المفسرون: كان انشقاق القمر من معجـزات النبي ﷺ وآياته التي اقترحها قومه عليه ... وشذ قوم فقالوا: المعنى: سينـشق القمـر، وليس هذا القول بشيء؛ لمصادمته الأحاديث، والآثار الصحيحة، وإجماع العلماء، والآية التي بعد هذه الآية، وما تشتمل عليه من نسبتهم السحر إليه، هذا مع ما فيه من مخالفـة مدلول اللفظ، فإنه فعل ماض، فَصرفُه إلى المستقبل يفتقر إلى دليل صـارف لـه عـن موضوعه الأصلي.

ومعنى الآية: اقتربت الساعة وقد حصل من أمارات اقترابها انشقاق القمر الدال على رسالة النبي ﷺ المبعوث في آخر الزمان"[٥].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "انشقاق القمر كان آية على شيئين: على صـدق

---

(١) رموز الكنوز (٤٨١/١).

(٢) سورة الشعراء: الآية (١٩٧).

(٣) رموز الكنوز (٢٠٨/٣/أ).

(٤) سورة القمر: الآية (١).

(٥) رموز الكنوز (٤٧/٤/ب).

الرسول، وعلى مجيء الساعة" [١].

٥- إخباره ﷺ بالمغيبات المستقبلة، والماضية، والحاضرة:

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ بعد تفسيره لسورة تبت: "قال أهل العلم وفي هذه السورة دلالة واضحة على صحة نبوة محمد ﷺ؛ لأن الله أخبر عن مصير أبي لهب وامرأته إلى النار، وكانا من أحرص الناس على إبطال أمره وإفساد ما جاء به، ولم يؤمنا به، فقاما ليظهرا للناس الخلف فيما توعدا به، وعندي أن فيه دلالة على صحة نبوته من وجهين آخرين، أحدهما: أنه لو لم يكن هذا من عند الله تعالى لم يقدم محمد ﷺ على التسجيل عليهما به لجواز وقوع الإسلام منهما في ثاني الحال فيفضي إلى تطرق الطعن عليه من أعدائه. الثاني: أنه أخبر بذلك واستمر موجبه وهو كفرهما إلى الموت المفضي بهما إليه"[٢].

٦- المقام المحمود:

ومن خصائصه عليه الصلاة والسلام المقام المحمود، فقد خصه الله به، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ [٣].

يقول الرسعني عند هذه الآية: "والمعنى مقاماً يحمده عليه جميع أهل الموقف، بما يظهر من علو منزلته وكرامته على ربه عز وجل"[٤].

والمقام المحمود هو الشفاعة العظمى التي اختص بها من بين سائر الأنبياء يوم القيامة على القول الراجح [٥].

---

(١) الجواب الصحيح (٤٢٠/١-٤٢١).

(٢) رموز الكنوز (٢٦٦/٤/ب).

(٣) سورة الإسراء: الآية (٧٩).

(٤) رموز الكنوز (٢٣٢/٢/أ).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٢٩/٨)، التذكرة للقرطبي (٣٠٧/١-٣٠٨)، التوحيد لابن خزيمة (٧٢٤/٢) وما بعدها، مجموع الفتاوى (٣٢٠/٢٧).

٧- الحوض المورود:

يقول الرسعني عند تفسيره لسورة الكوثر: "الكوثر فوعل من الكثرة، والـذي عليه جمهور المفسرين وتدل عليه الأخبار والآثار، أنه نهر في الجنة، ثم استشهد بعدد مـن الأحاديث بسنده في هذا الباب منها حديث أنس رضي الله عنه قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا في المسجد إذا غفى إغفاءه، ثم رفع رأسه مبتسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله، قال: أنزلت علي آنفاً سورة، فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾ [1] ثم قـال: هـل تدرون ما الكوثر، قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خلق كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم»[2][3].

وفي هذا القدر كفاية، وإلا ففضائل النبي محمد ﷺ وخصائصه ومعجزاته أكثـر من أن تحصر في هذا المبحث.

---

(١) سورة الكوثر: الآيات (١-٣).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/٣٠٠).

(٣) رموز الكنوز (٤/٢٦٣/أ).

الفصل الخامس

جهود الرسعني في تقرير الإيمان باليوم الآخر

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: المراد بالإيمان باليوم الآخر.

المبحث الثاني: أشراط الساعة.

المبحث الثالث: الموت والحياة البرزخية.

المبحث الرابع: البعث والنشور

المبحث الأول

المراد بالإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان الستة، وهو الركن الخامس من أركـان الإيمان بالله تعالى، فلا يصح إيمان أحد حتى يؤمن به، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة.

فمن الكتاب قول الله تعـالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾[1].

يقول الرسعني: "﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ﴾ ليجمعنكم في يوم القيامة، وهو يوم قيام الناس من قبورهم، فالقيامة والقيام، كالطلابة والطِلاب، ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾ أي: قولاً ووعداً"[2].

يقول ابن جرير في تفسيره لهذه الآية: "ليبعثنكم من بعد مـماتكم، وليحـشرنكم جميعاً إلى موقف الحساب الذي يجازى الناس فيه بأعمالهم ويقضى فيه بين أهـل طاعتـه ومعصيته، وأهل الإيمان والكفر"[3].

وقوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[4].

ومن لم يؤمن باليوم الآخر فهو كافر مخلد في نار جهنم، يقول الله تعـالى: ﴿وَمَن

---

(١) سورة النساء: الآية (٨٧).

(٢) رموز الكنوز (٥٣٥/١-٥٣٦).

(٣) تفسير ابن جرير (٥٩٢/٨).

(٤) سورة البقرة: الآية (١٧٧).

﴿يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [(١)] .

ومن السنة: قوله ﷺ في حديث جبريل المشهور عن الإيمان: «الإيمان أن تـؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأن تؤمن بالقدر خيره وشره »[(٢)].

وقد قال الرسـعني عنـد تفـسيره لقولـه تعـالى: ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [(٣)]:

"وأمرت أن أكون من المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر"[(٤)].

والإيمان باليوم الآخر يتضمن الإيمان بكل ما أخبر الله به في كتابه العزيـز، ومـا صح في السنة مما أخبر عنه النبي ﷺ، فكل ما يحصل للإنسان بعد الموت مـن عـذاب القبر ونعيمه، والبعث، والحشر، كله من أمور الآخرة، وكذلك ما يحصل يوم القيامة من جزاء وحساب، وثواب وعقاب وشفاعة، وجنة ونار، ويدخل ضمن اليوم الآخـر مـا يكون في هذه الدنيا من علامات وأشراط الساعة التي تسبق اليوم الآخر، وتكون مؤذنة بقرب قيام الساعة [(٥)] .

قال تعـالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا﴾ [(٦)] .

عند هذه الآية يبين الرسعني بأن اليهود لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخـر إيمانـاً كاملاً فيقول عند تفسيره لهذه الآية مستشهداً بقول ابن عباس رضي الله عنهما عند قوله تعـالى:

---

(١) سورة النساء: الآية (١٣٦).

(٢) تقدم تخريجه صـ ٢٤٩.

(٣) سورة يونس: الآية (١٠٤).

(٤) رموز الكنوز (٢/١١٣/ب).

(٥) انظر: العقيدة الواسطية، لابن تيمية، ص٢٠.

(٦) سورة النساء: الآية (٣٨).

﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾[١] نزلت في اليهود[٢].

(فإن قيل : كيف قال ابن عباس: نزلت في اليهود، وهم أهل كتاب يصدقون بالله وبالبعث، قلت: المعنى: لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر إيماناً كـاملاً، فـإنهم كفـروا بالقرآن، وبما جاءت به الرسل من عند الله، وكذبوا بالبعث على الوجه الذي أخبرت به رسل الله وجاءت به كتبه، وقالوا: لا تبعث الأجساد، ولا ينعم أهـل الجنـة بالأكـل، والشرب، والنكاح، فكأنهم لم يؤمنوا"[٣].

ويقول الرسعني عند قوله تعالى: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾[٤]: "أرضيتم بالحياة الدنيا المنغصة بالفناء، من الآخرة المخصصة بالبقاء، فما متـاع الحيـاة الدنيا، وهو نعيمها الذي ملتم إليه بالنسبة إلى نعيم الآخرة إلا قليل، ثم استشهد بحديث المستورد بن شداد رضي الله عنه[٥] قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والله ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه هذه في اليم فلينظر بما ترجع»[٦] هذا حديث صحيح انفرد به مسلم بإخراجه في صحيحه"[٧].

وجميع المخلوقين سوف يبعثون يـوم القيامـة قـال تعـالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي

---

(١) سورة النساء: الآية (٣٨).

(٢) تفسير ابن جرير (٣٥٣/٨)، والبغوي (٤٢٧/١).

(٣) رموز الكنوز (٤٦٣/١-٤٦٤).

(٤) سورة التوبة: الآية (٣٨)

(٥) هو المستورد بن شداد بن عمرو القرشي الفهري، صحابي من أهل مكة، سكن الكوفة مدة، وشـهد فـتح مصر، له سبعة أحاديث منهما حديثان في صحيح مسلم، توفي بالاسكندرية سنة (٤٥هـ). انظر: الإصـابة (٧٩٣٠)، أسد الغابة (٣٥٣/٤)، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، أحمـد بـن عبـدالله الخزرجي صـ(٣١٩)، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ، الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٨٥٨).

(٧) رموز الكنوز (٧٣/٢/ب).

ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا [(١)] .

يقول الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إن كل من في السموات من الملائكة والإنس والجن وسائر المخلوقين إلا آتي الرحمن عبداً، أي: إلا يأتي الرحمن يوم القيامة عبداً ذليلاً خاضعاً خاشعاً راغباً راهباً"[(٢)].

ويقول عند قوله تعالى: وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ [(٣)] :

" وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ أي من سبب من أسباب الدنيا فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا أي فما هو إلا شيء تمتعون به أيام حياتكم الفانية وتتزينون به، وَمَا عِندَ ٱللَّهِ من الثواب المعد لأهل طاعته وطاعة رسله خير وأبقى من متاع الدنيا وزينتها، أفلا تعقلون أن الباقي خير من الفاني"[(٤)].

ويقول عند قوله تعالى: يَـٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى [(٥)] :

"أي قدمت لحياتي هذه وهي حياة الآخرة"[(٦)].

---

(١) سورة مريم: الآية (٩٣).

(٢) رموز الكنوز (٣/٥٦/أ).

(٣) سورة القصص: الآية (٦٠).

(٤) رموز الكنوز (٢/٢٣٩/أ).

(٥) سورة الفجر: الآية (٢٤).

(٦) رموز الكنوز (٤/٢٣٤/ب).

المبحث الثاني
أشراط الساعة

تعريف أشراط الساعة:

معنى الشرط في اللغة: الشرط بالتحريك: العلامة والأثر وبه سميت شرط السلطان، وهم نخبة أصحابه الذين جعلوا لأنفسهم علامات يعرفون بها، وجمعه شرط، وأشراط الشيء أوائله، وأشراط الساعة: علاماتها التي يعقبها قيام الساعة[1].

قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾[2].

أما معنى الساعة في اللغة: فهي قطعة من الزمان، وفي عرف أهل الميقات: جزء من أربعة وعشرين جزءاً من اليوم والليلة، والساعة جزءٌ من أجزاء الوقت والحين وإن قل[3].

وفي الاصطلاح الشرعي: هي الوقت الذي تقوم فيه القيامة، وسمي يوم القيامة بالساعة: إما لقربها، أو لأنها تأتي بغتة في ساعة، فلقلة الوقت الذي تقوم فيها سماها ساعة فيصعق الخلق كلهم جميعاً بصيحةٍ واحدة[4].

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث (٤٦٠/٢)، لسان العرب (٣٣٠/٧)، فتح الباري (٨٥/١٣)، جامع البيان (٣١٦/١١-٣١٧).

(٢) سورة محمد: الآية (١٨).

(٣) المعجم الوسيط، لفريق من الباحثين برئاسة الأستاذ محمد علي علوبة، إشراف الأستاذ عبدالسلام هارون (٤٦٣/١)، الطبعة الثالثة ١٣٨٠هـ، نشر مجمع اللغة العربية – القاهرة – مصر ، وانظر: التوقيف على مهمات التعاريف، عبدالرؤوف محمد المناوي صـ(٣٩٤)، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، دار الفكر المعاصر، دار الفكر – بيروت – دمشق.

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث (٤٢٢/٢).

وقد عرف الرسعني الساعة فقال: "سميت ساعة؛ لوقوعها بغتة، أو لسرعة حسابها، أو لأنها مع طولها عند الله كساعة"(١).

وعليه: فأشراط الساعة: هي العلامات والآيات التي تسبق قيام الساعة، وتدل على قربها(٢).

ومعرفة أشراط الساعة من جملة الإيمان بالغيب، وقد أثنى الله على المؤمنين بالغيب في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾(٤).

يقول الرسعني: "﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾ أي: هو المستأثر بعلمها ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ﴾، أي لا يوضحها ويظهرها في وقتها إلا هو ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ محسنهم ومسيئهم ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ فجأة"(٥).

وورث الصحابة رضي الله عنهم عن النبي ﷺ علم أشراط الساعة، وأخصهم فيه حذيفة(٦) رضي الله عنه إذ كان راوية لأحاديث الفتن حافظاً لها.

يقول رضي الله عنه: "لقد خطبنا النبي ﷺ خطبة ما ترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره، علمه من علمه وجهله من جهله، إن كنت لأرى الشيء قد نسيت فأعرفه كما

---

(١) رموز الكنوز (٤٨/٢/أ-ب).

(٢) انظر: لسان العرب (٣٢٩/٧)، تاج العروس (١٦٦/٥).

(٣) سورة البقرة: الآية (٣).

(٤) سورة الأعراف: الآية (١٨٧).

(٥) رموز الكنوز (٤٨/٢/ب).

(٦) هو حذيفة بن حسيل بن جابر بن ربيعة العبسي، صحابي جليل، صاحب سر رسول الله ﷺ، وأعلم الصحابة بأحاديث الفتن، مات في المدائن في فارس سنة (٣٦هـ).
انظر: الطبقات الكبرى (٣١٧/٧)، الإصابة (٤٤/٢).

يعرف الرجلُ الرجلَ إذا غاب عنه فرآه فعرفه"[١].

ولهول أمر الساعة والهلع منه كان الاهتمام بشا ا أكبر من غيرها، ولهذا أكثـر النبي ﷺ من بيان أشراطها وأمارا ا وأخبر عما بين يديها من الفتن البعيدة والقريبـة، ونبه أمته ليتأهبوا لتلك العقبة الشديدة[٢].

قال تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾[٣].

يقول الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند هذه الآية: "فإن قيل ما وجه وصفه بالقرب وقد مضى لهذا الوعيد أكثر من ستمائة عام وثلاثين عاماً إلى يومنا هذا، ولم يقع، قلت: عنه أجوبة: احدها: أنه قريب بالنسبة إلى ما بقي من الزمان ... الثاني: أنه وصف بالقرب لأنـه آتٍ وكل آتٍ قريب وإن طالت مدته، الثالث: أنه قريب عند الله، وإن كان بعيداً بالنسبة إلى غيره، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ۝٧﴾[٤] ... وهم في غفلة من حسا م وما يراد م معرضون عن التفكر والتأهب له"[٥].

قال تعالى: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾[٦].

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسيره لهذه الآية: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِ﴾ المعنى بل أتـوا بأعجب من ذلك وهو تكذيبهم بالساعة مع وضوح آيا ا وظهور بينا ا ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن

---

(١) رواه البخاري في كتاب القدر، باب: (وكانَ أمر اللهِ قَدراً مقْدوراً) (٢٤٣٤/٦) برقم (٦٢٣٠).

(٢) انظر: السنن الواردة في الفتن، لعثمان بن سعيد المقرئ الـداني (١٧٧/١-١٧٨)، تحقيـق: د. ضـياء الله المباركفوري، الطبعة الأولى، عام ١٤١٦هـ، دار العاصمة بالرياض، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، للسفاريني (٦٥/٢-٦٦)، الطبعة الثالثة، عام ١٤١١هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.

(٣) سورة الأنبياء: الآية (١).

(٤) سورة المعارج: الآية (٦-٧).

(٥) رموز الكنوز (٨٣/٣/أ-ب).

(٦) سورة الفرقان: الآية (١١)

كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا "(١).

والله هو المستأثر بعلم الساعة لم يطلع عليها ملكاً ولا نبياً (٢)، قال تعالى: أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ (٣).

قال الرسعني: " أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ أي قربت الساعة الموصوفة بالقرب في قولـه: ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ (٤)، وأمثالها من الآيـات، لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ أي: نفس كاشفة، وقيل: الهاء للمبالغة كعلاّمة ونسابه، والمعنى لا يكشف أحد من وقتها إلا الله، كما قال: لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ (٥) (٦).

ويسبق قيام الساعة أمارات وعلامات تدل على قرب وقتها، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة، يقـول تعـالى: فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ (٧).

والسنة مليئة بذكر أشراط الساعة وعلاما ا، ومنها ما روى حذيفة بـن أسـيد الغفاري(٨) رضي الله عنه قال: "اطلع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر، فقال: ما تذاكرون؟ قالوا: نذكر الساعة، قال: إ ا لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات، فـذكر الـدخان، والـدجال،

---

(١) رموز الكنوز (٣/١٨٢/أ).
(٢) المصدر السابق (٣/١٩٠/أ).
(٣) سورة النجم: الآية (٥٧).
(٤) سورة القمر: الآية (١).
(٥) سورة الأعراف: الآية (١٨٧).
(٦) رموز الكنوز (٤/٤٦/أ-ب).
(٧) سورة محمد: الآية (١٨).
(٨) هو حذيفة بن أسيد بن خالد الغفاري، أبو سريحة، صحابي جليل، شهد الحديبية، وبايع تحت الشجرة، وشهد فتح دمشق، روى بعض الأحاديث، توفي سنة (٤٢هـ).
انظر ترجمته في: الاستيعاب (٤/١٦٦٧-١٦٦٨)، الإصابة (١/٣٣٢)، ذيب التهذيب (٢/٢١٩).

والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم"[١].

وهذه الأشراط تتفاوت فهناك أشراط صغرى، وأشراط كبرى، وقد تناول الإمام الرسعني بعضاً من هذه الأشراط عند استشهاده بحديث بسنده عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾[٢].

وهو قول الرسول ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان، يكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين، كل يزعم أنه رسول الله، وحتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج -وهو القتل-، وحتى يكثر فيهم المال فيفيض، حتى يهم رب المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لا أرب لي فيه، وحتى يتطاول الناس بالبنيان، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه، وحتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وقد رفع الرجل أكلته إلى فيه فلا يطعمها » أخرجه مسلم[٣][٤].

وسنقتصر في هذا المبحث على أشراط الساعة الكبرى وهي:

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الآيات التي تكون قبل الساعة (٤/٢٢٢٥-٢٢٢٦).

(٢) سورة الأعراف: الآية (١٨٧).

(٣) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء (٤/٢٢٣٩)، برقم (١٥٧).

(٤) رموز الكنوز (٢/٤٨/ب).

١- الدجال:

الدجال رجل من بني آدم، له صفات كثيرة جاءت بها الأحاديث لتعريف الناس به، وتحذيرهم من شره، حتى إذا عرفه المؤمنون فلا يفتتنون به، بل يكونون على علم بصفاته التي تميزه عن غيره.

يقول الرسعني: "وسمى الدجال مسيحاً، إما لكونه ممسوح إحدى العينين، أو لقطعه الأرض بالسياحه[١]، فالأول: فعيل في تأويل مفعول، والثاني: في تأويل فاعل"[٢].

وقد استشهد الرسعني عند حديثه عن الدجال بحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الرسول ﷺ قال: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض»[٣][٤].

وقد تواترت الأحاديث بخروجه، وبينت عظيم فتنته للناس، فقد صح أنه قال ﷺ: «ما بعث نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر»[٥].

وقد بلغت الأحاديث الواردة فيه حد التواتر.

قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: "اعلم أن أحاديث الدجال ونزول عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ متواترة يجب الإيمان بها"[٦].

وقد استعاذ النبي ﷺ بالله منه، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ كان يدعو في الصلاة: «اللهم إني اعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح

---

(١) انظر: تفسير البغوي (١/٣٠١-٣٠٢)، زاد المسير (١/٣٨٩).

(٢) رموز الكنوز (١/١١٣).

(٣) أخرجه مسلم، في كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان (١/١٣٨)، حديث رقم (١٥٨).

(٤) رموز الكنوز (٢/٧/أ).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب ذكر الدجال (٤/٣٢٦)، وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه (٤/٢٢٤٨).

(٦) حاشية شرح العقيدة الطحاوية، بتحقيق الشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني ص ٥٠١، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.

الدجال...»[(١)].

ثم إن هلاكه على يدي المسيح عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبقتله تنتهي فتنة عظيمة، وينجي الله الذين آمنوا من شره وشر أتباعه.

٢- نزول عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وهذه العلامة دل عليها الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[(٢)].

قال الرسعني: "قوله ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾ قال الزجاج: المعنى: وما منهم أحد إلا ليؤمنن به[(٣)]، ومثله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[(٤)]، أي: بعيسى، ﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ فيؤمن أنه عبدالله ورسوله.

قال ابن عباس: يؤمن اليهودي قبل أن يموت، ولا تخرج نفس النصراني حتى يشهد أن عيسى عبدالله، قيل له: فإن خر من فوق بيت؟ قال: يتكلم به في الهواء[(٥)(٦)].

وأفرد البخاري باباً في صحيحه[(٧)] سماه نزول عيسى بن مريم ﷺ أورد فيه حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب صفة الصلاة، باب الدعاء قبل السلام (٢٨٦/١)، حديث رقم (٧٩٨)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة (٤١٢/١)، حديث رقم (٥٨٩).

(٢) سورة النساء: الآية (١٥٩).

(٣) معاني القرآن (١٢٩/٢).

(٤) سورة مريم: الآية (٧١).

(٥) تفسير ابن جرير (٣٨٣/٩-٣٨٤)، وانظر: الدر المنثور (٧٣٣/٢).

(٦) رموز الكنوز (٦٢٦/١).

(٧) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء (٤٩٠/٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ (١٣٥/١).

ي ل فيكم ابن مريم عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخ ير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها »، ثم يقول أبو هريرة : اقرؤوا إن شـئتم: وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا .

وأحاديث نزوله كثيرة، وهذا هو اعتقاد أهل السنة والجماعة[(١)].

٣- خروج يأجوج ومأجوج:

وهم أمة مفسدة فاسدة تروع الناس، وتنشر في الأرض الفزع والخراب، كمـا قال تعالى على لسان القوم الذين ذكر قصتهم مع ذي القـرنين: إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ [(٢)].

قال الرسعني عند تفسير هذه الآية: قال ابن عباس: يأجوج رجـل، ومـأجوج رجل، وهما ابنا يافث بن نوح، فيأجوج ومأجوج عشرة أجزاء، وولد آدم كلهم جـزء، وهم شبر وشبران وثلاثة أشبار"[(٣)].

ثم ذكر بإسناده حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن يـأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً، فيعودون إليه، فيرونه كأشد ما كان، حتى إذا بلغت مـد م، وأراد الله أن يبعثهم على الناس، حفروا، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً، فيعودون إليه، فيرونه كأشد ما كان، حتى إذا بلغـت مد م، وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا، حتى إذا كادوا يرون شعاع الـشمس،

---

(١) انظر للمزيد: فتح الباري (٦/٤٩٠) وما بعدها، نزول عيسى بن مريم آخر الزمان، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا الله، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

(٢) سورة الكهف: الآية (٩٤).

(٣) زاد المسير (٥/١٩٠).

قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله، ويستثني، فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشفون المياه، ويتحصن الناس منهم في حصونهم، ويرمون سهامهم إلى السماء، فترجع وعليها كهيئة الدم، فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء، فيبعث الله عليهم نغفاً [١] في أقفائهم فيقتلهم ا، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده إن دواب الأرض لتسمن، وتشكر[٢] من لحومهم ودمائهم »[٣] .

ثم ذكر عدداً من الأحاديث في ثبوت هذا الشرط[٤].

وقد قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ۝٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٩٧﴾ [٥] .

يقول الرسعني عند هذه الآية: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ﴾ إذا فتح سد يأجوج ومأجوج ... ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾ والمراد بالوعد الحق يوم القيامة، قال ابن مسعود: "الساعة من الناس بعد يأجوج ومأجوج، كالحامل المُتم لا يدري أهلها متى

---

(١) يقول الرسعني: النغف هو الدود. [رموز الكنوز (٣/٣٤/أ)].
وهو الدود الذي يكون في أنوف الإبل والغنم، واحدته: نغفة. انظر: لسان العرب (٩/٣٣٨).

(٢) يقول الرسعني: قوله (تشكر) بفتح الكاف، تقول شكِرت الدابة: بكسر الكاف، تشكر، فهي شكُور، والشكُور من الدواب: ما كفاها العلف القليل، والشكرة، الناقة تصيب حظاً من بقْل أو مرعى فتغزر، ويقال: شكر القوم، وهم يحلبون شكِره، كل ذلك يرجع إلى أصل واحد. [رموز الكنوز (٣/٣٤/أ)].
وتشكر: أي تسمن وتمْتلئ شحماً.
انظر: النهاية في غريب الأثر (٢/١٢٠٠)، لسان العرب (٤/٤٢٤) (مادة: شكر).

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢/٥١٠)، ورواه الترمذي في جامعه (٢/١٤٤)، وقال: هذا حديث حسن غريب، وإنما نعرفه من هذا الوجه مثل هذا ، ورواه ابن ماجه في سننه برقم (٤٠٨٠) قال في الزوائد عنه: إسناده صحيح، ورجاله ثقات.

(٤) انظر: رموز الكنوز (٣/٣٢/أ-٣٤/أ).

(٥) سورة الأنبياء: الآية (٩٦-٩٧).

تفجأهم بولدها ليلاً أو نهاراً"[١][٢].

وعقيدة أهل السنة الجماعة الإيمان بخروج هاتين القبيلتين قبل قيام الساعة، بعـد اندكاك السد الذي هم منحازون وراءه منذ بناه ذو القرنين، كما ورد ذكـر ذلـك في الكتاب والسنة[٣].

٤- الدخان:

ظهور الدخان في آخر الزمان من علامات الساعة الكبرى. قال تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١١﴾[٤].

وقد تحدث الرسعني عند تفسيره لهذه الآية عن الاختلاف الحاصل في هذا الشرط وفي وقت وقوعه، فيقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قولـه تعـالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾ اختلف فيه وفي وقته على قولين:

أحدهما: أنه الجوع الذي أصاب كفار قريش بدعوة النبي ﷺ على ما أخبرنا بـه الشيخان ثم ذكر الإسناد... قال: حدثنا عبدالله -يعني: ابن مسعود- قال: "إنما كان هذا لأن قريشاً لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحـط وجهد حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينـها كهيئـة الدخان من الجهد، فأنزل الله تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١١﴾. قال: فأتي رسول الله ﷺ فقيل له: يـا رسـول الله! استسق الله لمضر فإنها هلكت، قال لمضر: إنك لجريء، فاستـسقى فـسقوا، فنزلـت:

---

(١) زاد المسير (٣٨٩/٥).

(٢) رموز الكنوز (١٠٧/٣/أ،ب).

(٣) انظر: التذكرة (٣٨٠/٢) وما بعدها، النهاية (٩٩/١) وما بعدها، فتح الباري (١٠٦/١٣).

(٤) سورة الدخان: الآية (١٠-١١).

﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ (١)، فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهيـة، فأنزل الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ (٢)، قال: يعـني يـوم بدر" (٣) . هذا حديث متفق على صحته.

وفي الصحيحين أيضاً عن ابن مسعود قال: "مضى خمس: الدخان، والـروم (٤)، والقمر، والبطشة (٥)، واللزام (٦)" (٧) .

وإلى هذا القول ذهب مجاهد وأبـو العاليـة (٨) والـضحاك وابـن الـسائب

---

(١) سورة الدخان: الآية (١٥).

(٢) سورة الدخان: الآية (١٦).

(٣) رواه البخاري في كتاب التفسير، سورة حم الدخان، باب ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٨٢٣/٤)، حديث رقم (٤٥٤٤)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الدخان (٢١٥٦/٤)، حديث رقم (٢٧٩٨).

(٤) الروم: هو ما جاء في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝﴾ [الروم: ١-٢]؛ أي أن فارس غلبت الروم.

انظر: تفسير الطبري (١٦٢/١٠)، و عمدة القاري، محمود بن أحمد العيني (١٦٣/١٩)، دار إحياء التراث، بيروت – لبنان.

(٥) البطشة: هو ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٦]؛ أي: القتل يوم بدر.

انظر: تفسير القرطبي (١١٦/١٦)، فتح الباري (٤٢٦/١)، عمدة القاري (١٦٣/١٩).

(٦) اللزام: هو ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا﴾ [الفرقان: ٧٧]؛ أي: يكون عذاباً لازماً يهلكهم نتيجة تكذيبهم، وهو ما وقع لكفار قريش في بدر من القتل والأسر.

انظر: تفسير ابن كثير (١٤٣/٦، ٣٠٥)، شرح النووي لمسلم (١٤٣/١٧).

(٧) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝﴾ (١٨٢٣/٤) حديث رقم (٤٥٤٣)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الدخان (٢١٥٧/٤)، حديث رقم (٢٧٩٨).

(٨) هو رفيع بن مهران البصري أبو العالية الرياحي التابعي، كان إماماً في القرآن والتفسير، والعلم والعمل، توفي سنة (٩٠هـ). انظر في ترجمته: تاريخ الإسلام (٦٩٠/١)، العبر (١٩/١)، معرفة القراء

==

ومقاتل [(١)].

الثاني: أنه دخان مرتقب يكون في آخر الساعة. وروى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «آية الدخان تجيئ فتأخذ بأنفاس الكفار، ويأخذ المؤمنين منها كهيئة الزكام»[(٢)].

وقال ابن أبي مليكة [(٣)]: غدوت على ابن عباس ذات يوم فقال: ما نمت الليلة حتى أصبحت، قلت: لِم؟ قال: طلع الكوكب ذو الذنب فخشيت أن يكون دخاناً قد طرق، فما نِمت حتى أصبحت" [(٤)].

وهذا القول يروى عن علي وابن عمر وأبي هريرة والحسن [(٥)] ..

قوله تعالى: يَغۡشَى ٱلنَّاسَ أي: يشملهم، وهو في محل الجر صفة لـ "دخان"

هَـٰذَا عَذَابٌ فيه إضمار منصوب على الحال [(٦)]، تقديره: قائلين هذا

==

الكبار على الطبقات والأعصار للذهبي (٦٠/١)، تحقيق بشار عواد، شعيب الأرناؤوط، الطبعة الأولى عام ١٤٠٤هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت، طبقات المفسرين للادنروي (٩/١).

(١) أخرجه مجاهد في تفسيره (٥٨٨/٢)، وانظر: تفسير مقاتل (٢٠٢/٣).

(٢) ذكره الطبري بنحوه عن عبدالله بن مسعود موقوفاً عليه من رواية أبي الضحى عن مسروق (٢٢٤/١١).

(٣) هو عبدالله بن عبيدالله بن أبي مليكة زهير بن عبدالله بن جدعان التيمي المكي، كان قاضياً ومؤذناً لابن الزبير، وروى عن العبادلة الأربعة، وكان ثقة كثير الحديث، توفي سنة (١١٧هـ). انظر في ترجمته: تهذيب الكمال (٢٥٦/١٥)، الكاشف (٥٧١/١)، التاريخ الكبير (١٣٧/٥).

(٤) أخرجه الحاكم (٥٠٦/٤)، والطبري (١١٣/٢٥)، وابن كثير (٢٣٥/٧).

(٥) أخرجه الطبري (١١٣/٢٥-١١٤)، وابن أبي حاتم (٣٢٨٨/١٠). وذكره السيوطي في الدر (٤٠٧/٧-٤٠٨)، وعزاه لعبدالرزاق بن حميد وابن أبي حاتم عن علي، ومن طريق آخر عن ابن عمر، وعزاه لابن جرير، ومن طريق آخر عن الحسن، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير، ومن طريق آخر عن أبي سعيد الخدري، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٦) انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي (١١٣/٦)، تحقيق: علي محمد معوض

==

عذاب ﴿أَلِيمٌ﴾ " [١] .

ورأي الجمهور في هذا الشرط: بأن الدخان دخانان، دخان وقع وهو ما ذكـره عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، والآخر لم يقع، ويكون في آخر الزمان كمـا وردت بـذلك السنة، قال ابن حجر: "تضافر هذه الأحاديث يدل أن لذلك أصلاً" [٢]، وقول الجمهور أظهر؛ لأن الجمهور لم يقتصروا على الاستدلال بالآية، بل أخذوا بما وردت به الأحاديث في السنة في أوصاف الدخان [٣] .

٥- الدابـة: هي دابة حقيقة تعقل وتنطق تخرج على الناس ضحى قبـل قيـام الساعة تكلمهم، فيكون تكليمها [٤] آية لهم دالة على أ م مستحقون للوعيد بتكذيبهم آيات الله، فإذا خرجت هذه الدابة العظيمة، فإ ا تسم المؤمن والكافر، فأما المؤمن، فإ ا تجلو وجهه حتى يشرق، ويكون ذلك علامة على إيمانه، وأما الكافر، فإ ا تخطمه علـى أنفه، علامة على كفره، فيجب الإيمان ا، واعتقاد خروجها آخر الزمان [٥]، وقـد ورد

==

ورفاقه، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

(١) رموز الكنوز (١٦٣/٧-١٦٤).

(٢) فتح الباري (٥٧٣/٨).

(٣) انظر: لوامع الأنوار البهية (١٣١/٢).

(٤) اختلفت أقوال المفسرين في معنى التكليم، فقيل: إن المراد تكلمهم كلاماً؛ أي: تخاطبهم مخاطبة، ويدل علـى هذا قراءة أبي بن كعب رضي الله عنه (تنبئهم)، وقيل: تجرحهم، ويؤيد ذلك قراءة (تَكْلمهم) بفتح التاء وسـكون الكاف من الكَلْم، وهو الجرح، وهذه القراءة مروية عن ابن عباس رضي الله عنه ، أي: تسمهم وسماً.

انظر: تفسير القرطبي (٢٣٧/١)، تفسير ابن كثير (٢٢٠/٦).

(٥) انظر: الفتن، نعيم بن حماد المروزي (٦٦١/٢) وما بعدها ، تحقيق: سمير أمين الزهيري، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، مكتبة التوحيد – القاهرة ، الإيمان، محمد بن إسحاق ابن منده (٩٣٠/٢) وما بعدها، تحقيق: د. علي بن ناصر الفقيهي، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ، مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان ، التذكرة (٣٨٦/٢) وما بعدها.

خبرها في **كتاب** الله **تعالى حيث قال سبحانه:** ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ (١) **.**

يقول الرسعني عند هذه الآية: " ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ﴾ **قال ابن عباس: حق العذاب عليهم**(٢)**، وذلك عند مقاربة الساعة ومجيء أشراطها،** ﴿أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ﴾ **، ... وفي صحيح مسلم من أفراده من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي** ﷺ **أنه قال: «أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى، قال عبدالله بن عمرو: أيتهما خرجت قبل فالأخرى منها قريب"**(٣)(٤)**.**

ثم **ذكر عدداً من الأحاديث والآثار** في **هذا الشرط، وعقد فصلاً** في **صفتها وموضع خروجها**(٥) **.**

٦- طلوع الشمس من مغربها:

طلوع الشمس من مغربها من علامات الساعة الكبرى، وهو ثابت بالكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرًاۗ﴾ (٦) **.**

---

(١) سورة النمل: الآية (٨٢).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/٣٨٥).

(٣) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض، ونزول عيسى (٤/٢٢٦٠).

(٤) رموز الكنوز (٣/٢٢٤/ب).

(٥) انظر: المصدر السابق (٣/٢٢٤/ب).

(٦) سورة الأنعام: الآية (١٥٨).

يقول الرسعني عند هذه الآية: "قال عامة المفسرين يعني طلوع الشمس من مغربها، ثم استشهد بحديث بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون[(١)]، وذلك حين لا ينفع نفساً، ثم قرأ الآية"[(٢)].

ثم استشهد بعدد من الأحاديث بسنده في هذه العلامة[(٣)].

﴿لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ﴾ صفة لقوله نفساً، وقوله ﴿أَوۡ كَسَبَتۡ﴾ عطف على آمنت، وإنما لم ينفعها الإيمان؛ لأنها اضطرت إليه، عند رؤية الآية الخارقة، وسقط معنى التكليف والإيمان الاختياري ﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ﴾ ما توعدكم الله به في هذه الآية وغيرها ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ ذلكم لكم"[(٤)].

قال القرطبي: "قال العلماء: وإنما لا ينفع نفساً إيمانها عند طلوع الشمس من مغربها لأنه خلص إلى قلوبهم من الفزع ما تخمد معه كل شهوة من شهوات النفس، وتفتر كل قوة من قوى البدن، فيصير الناس كلهم لإيقانهم بدنو القيامة في حال من حضره الموت؛ في انقطاع الدواعي إلى أنواع المعاصي عنهم، وبطلانها من أبدانهم، فمن تاب في مثل هذه الحال، لم تقبل توبته، كما لا تقبل توبة من حضره الموت"[(٥)].

وقال ابن كثير: "إذا أنشأ الكافر إيماناً يومئذٍ لا يقبل منه، فأما من كان مؤمناً قبل ذلك؛ فإن كان مصلحاً في عمله، فهو بخير عظيم، وإن كان مخلطاً فأحدث توبة، حينئذ لم

---

(١) أخرجه البخاري، في كتاب التفسير، باب: ﴿لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا﴾ من سورة الأعراف (٣/٢٢٩)، واخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان (١/١٣٧).

(٢) رموز الكنوز (٢/٦/ب).

(٣) المصدر السابق (٢/٦/ب-٧/أ).

(٤) المصدر السابق (٢/٧/أ).

(٥) التذكرة صـ (٧٠٦)، تفسير القرطبي (٧/١٤٦).

تقبل منه توبة"[١].

وعليه فإن الإمام الرسعني قد قرر عقيدة السلف بأن الإيمان بأشراط الساعة من الإيمان بالغيب الذي لا يتم إيمان المسلم إلا به.

---

(١) تفسير ابن كثير (٣٧١/٣).

المبحث الثالث

الموت والحياة البرزخية

الموت والحياة، متناقضان تناقض الظلام والنور، والحرارة والبرودة، ولذلك فـإن معاجم اللغة تعرف كل واحد منهما بأنه نقيض الآخر ففي تعريف الحياة تقول: "الحيـاة نقيض الموت، والحي من كل شيء: نقيض الموت، والجمع أحياء"[١].

وفي تعريف الموت بأنه: "المَوت والمَوتان ضد الحياة"[٢].

والموت هو: خلق من خلق الله، وهو ضد الحياة، والموات ما لا روح فيه، وهـو أيضاً: "الأرض التي لا مالك لها من الآدميين[٣].

وأصل الموت في لغة العرب: السكون، وكل ما سكن فقد مات[٤].

فتراهم يقولون: "ماتت النار موتاً: إذا برد رمادها، فلم يبق من الجمـر شـيء، ومات الحر والبرد باخ، وماتت الريح: ركدت وسكنت، وماتت الخمر: سكن غليا ـا، والموت ما لا روح فيه"[٥].

وإذا كان السكون أصل الموت في لغتنا، فإن الحركة أصـل الحيـاة، والحيـاة الإنسانية تتحقق بنفخ الروح في جسد الجنين في رحم أمه، والموت : "انقطـاع تعلـق الروح بالبدن، ومفارقته وحيلولة بينهما، وتبدل حال، وانتقال من دار إلى دار"[٦].

---

(١) لسان العرب (٧٧٤/١).

(٢) المصدر السابق (٥٤٧/٣).

(٣) انظر: القاموس المحيط (١٥٨/١).

(٤) لسان العرب (٥٤٧/٣).

(٥) انظر: المصدر السابق (٥٤٧/٣).

(٦) التذكرة للقرطبي ص٤.

أسماء الموت:

الموت، والحتف، والمنون، وشعوب، والسام، والحمام، والردى، والحين، والثكل، والوفاة، والهلاك. وهي ألفاظ مؤتلفة مترادفة[(١)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والأرواح مخلوقة بلا شك، وهي لا تعدم ولا تفنى ولكن موتها بمفارقة الأبدان، وعند النفخة الثانية تعاد الأرواح إلى الأبدان"[(٢)].

ويقول تلميذه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "موت النفس؛ هو مفارقتها لأجسادها وخروجها، منها فإن أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت، وإن أريد أنها تعدم وتضمحل وتصير عدماً محضاً فهي لا تموت بهذا الاعتبار، بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب"[(٣)].

وقد أخبر سبحانه أن أهل الجنة ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾[(٤)]. وتلك الموتة هي مفارقة الروح للجسد.

والموت حتم لازم لا مناص منه لكل حي من المخلوقات، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[(٥)].

وقال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[(٦)].

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[(٧)] يقول الرسعني عند هذه الآية: "قوله

---

(١) الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة، محمد بن عبدالملك الجياني (٢٣٣/٢)، تحقيق: د. محمد حسن عواد، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، دار الجيل – بيروت.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧٩/٤).

(٣) الروح ص٤٦.

(٤) سورة الدخان: الآية (٥٦).

(٥) سورة القصص: الآية (٨٨).

(٦) سورة الرحمن: الآية (٢٧).

(٧) سورة آل عمران: الآية (١٨٥).

قال ابن عباس: لما نزل قوله: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾[(١)] **قالوا: يا رسول الله؛ إنما نزل في بني آدم فأين ذكر الموت في الجن والطير والأنعام، فأنزل:** ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[(٢)]**... الآية، أي كل نفس حية ذائقة الموت"**[(٣)]**.**

ويقول في موطن آخر ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ **أي واجدة مرارته وكربه، كما يجد الذائق طعم المذوق... (ثم إلينا ترجعون) بعد الموت فاستعدوا لذلك"**[(٤)]**.**

ولو نجا أحد من الموت لنجا منه خيرة الله من خلقه محمد ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[(٥)] **.**

قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾[(٦)] **.**

يقول الرسعني: "وقوله ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ **إشارة إلى أنه يتطرق إليه ما يتطرق إليهم من القتل والموت"**[(٧)]**.**

وقد واسى الله رسوله ﷺ بأن الموت سنته في خلقه ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن

---

(١) سورة السجدة: الآية (١١).
(٢) زاد المسير (٥١٧/١).
(٣) رموز الكنوز (٣٢٨/١).
(٤) المصدر السابق (٢٥٥/٣/أ).
(٥) سورة الزمر: الآية (٣٠).
(٦) سورة آل عمران: الآية (١٤٤).
(٧) رموز الكنوز (٢٦٢/١).

قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ [(١)] .

يقول الرسعني عند هذه الآيـة: " وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ وهـو البقاء الدائم أَفَإِيْن مِّتَّ يا محمد فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ يعني: مشركي مكـة وكـانوا يقولون: نتربص بمحمد ريب المنون، ويرتقبون به الشماتة فأذكرهم الله تعـالى أن مـا يرتقبون الشماتة به ويتربصون لنبيه وصف مشترك بينهم، وبينه، لا ينبغي لعاقل أن يفرح به فإنه بسبيل منه"[(٢)].

وقوله تعالى: ثُم إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ [(٣)] يقول الرسـعني: " ثُم إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ أي بعد تمام الخلق لَمَيِّتُونَ عند انقضاء آجالكم"[(٤)].

والموت له وقت يجيء فيه، فلا يستطيع أحد أن يتجاوز الأجل الذي ضـربه الله، وقد قدر الله آجال العباد، وجرى بذلك القلم في اللوح المحفوظ، وكتبته الملائكة الكرام والمرء في بطن أمه، فلا يتأخر المرء عما كتب له ولا يتقدم، وكل إنسان مات أو قتل أو غرق أو احترق أو غير ذلك من الأسباب، فإنه قد مات بأجله الذي قدره الله وأمضاه.

قال تعالى: وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ [(٥)] .

يقول الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسيره لهذه الآيـة: " وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ... كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ، أي كتب الله ذلك كتاباً إلى أجلـه في اللوح المحفوظ، لا يقدمه اقتحام المهالك ولا يؤخره الفرار من المعارك"[(٦)].

---

(١) سورة الأنبياء: الآية (٣٤).
(٢) رموز الكنوز (٣/٨٨/ب).
(٣) سورة المؤمنون: الآية (١٥).
(٤) رموز الكنوز (٣/١٣٣/أ).
(٥) سورة آل عمران: الآية (١٤٥).
(٦) رموز الكنوز (١/٢١٦).

قـــال تعـــالى: ﴿قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡ﴾[1].

يقول الرسعني: "وهنا إعلام من الله للبشر أنه لا وزر[2] من القدر"[3].

وقوله تعالى: ﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖ﴾[4].

وقوله تعـالى: ﴿فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ۝٨٣ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ۝٨٤ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ۝٨٥﴾[5].

يقول الرسعني: "أي فهلا إذا بلغت الروح الحلقوم، وترك ذكرها لدلالة الكـلام عليها كما قال:

أماوي ما يغني الثـراءُ عـن الفـتى ∴ إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر[6]

﴿وَأَنتُمۡ﴾ يا أهل الميت ﴿حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ﴾ تشاهدون أحب النـاس إلـيكم وأعزهم عليكم يسلب منكم ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ﴾ أي: إلى المحتضر منكم يا أهله بقدرنا

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٥٤).

(٢) الوزر: الملجأ، وأصل الوزر الجبل المنيع وكل معقِل وزر، وكل ما التجأت إليه وتحصنت به فهو وزر. انظر: لسان العرب (٢٨٢/٥). فالمراد إذن: لا مفر من القدر.

(٣) رموز الكنوز (٢٧٩/١).

(٤) سورة النساء: الآية (٧٨).

(٥) سورة الواقعة: الآيات (٨٣-٨٥).

(٦) البيت لحاتم الطائي، ديوانه ص٥٠، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، دار الكتاب العـربي – بـيروت – لبنـان. والحشرجة: الغرغرة عند الموت، وتردد النفس، وهو في: أمالي المرتضى، لعلي بن الطاهر أبي أحمد الحسـين (٦٣/٤)، الطبعة الأولى ١٣٢٥هـ، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي – قم – إيـران، والعمدة، لابن قدامة المقدسي (٢٦٣/٢)، تحقيق: ثناء خليل الهواري، إيمان محمد أنور زهراء، الطبعة الثانيـة ١٤١٢هـ، مؤسسة الرسالة – بيروت.

وعلمنا، أو بملك الموت وأعوانه ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ﴾"[١].

وقال الرسعني عند قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّ﴾[٢]: "أي جاءت غمرته وشدته التي تغشى الإنسان فتذهب بعقله بالحق الثابت من أمر الآخرة فأبانت لـه ما كان يجهله من ذلك، وقيل: جاءت بحقيقة الموت"[٣].

وقولـــــه: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةًۖ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾[٤].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡ﴾[٥].

ولا علم للعباد بالوقت الذي يحضر فيه الموت، ويـ ل م، فإن علـم ذلـك لله وحده، وهو واحد من مفاتح الغيب، الذي استأثر الله بعلمها، قـال تعـالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ٣٤﴾[٧].

يقول الرسعني: " ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُ﴾ قال بعض العلماء: كم

---

(١) رموز الكنوز (٤/٧٣/أ- ب).
(٢) سورة ق: الآية (١٩).
(٣) رموز الكنوز (٤/١٦/أ).
(٤) سورة الأعراف: الآية (٣٤).
(٥) سورة الجمعة : الآية (٨).
(٦) سورة الأنعام: الآية (٥٩).
(٧) سورة لقمان: الآية (٣٤).

من نفس أقامت بأرض وضربت أوتادها، وقالت: لا أبرح أو أقبر فيها، فترمي ا مرامي القدر حتى تموت في مكان لم يخطر ببالها ولا حدثتها ا ظنو ا"[١].

ويقول الرسعني عند قوله: ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ﴾[٢] :

"فإن قيل: فما باله أضاف الإماتة إلى الله عز وجل في قوله: ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ﴾ قلت: ليقرر عندهم أن المميت هو الله عز وجل، وأنه لا أثر للأسباب التي يضيفون ما يترتب عليها إليها إلا بتقدير الله عز وجل"[٣].

وأجمعت الأمة على أن الموت ليس له سن معلوم، ولا زمن معلوم، ولا مرض معلوم، وذلك ليكون المرء على أهبة من ذلك، مستعداً له.

فالنوم شبيه الموت، ولذلك يسمى بالوفاة الصغرى، فالنوم وفاة، والقيام من النوم بعث ونشور، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ﴾[٤].

وفي النوم تقبض أرواح العباد، ومن شاء الحق أن يمسك روحه في حال نومه أمسكها، ومن شاء بقاءها ردها إلى الأجل الذي حدده الحق، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِى لَمۡ تَمُتۡ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[٥].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فقد أخبر الحق أن كلاً من النفسين الممسكة والمرسلة توفيتا وفاة النوم، وأما التي توفيت وفاة الموت، فتلك قسم ثالث، وهي

(١) رموز الكنوز (٣/١٦٧/ب).

(٢) سورة الشعراء: الآية (٨١).

(٣) رموز الكنوز (٣/٢٠٢/ب).

(٤) سورة الأنعام: الآية (٦٠).

(٥) سورة الزمر: الآية (٤٢).

التي قدمها بقوله: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ ... فإن الله ذكر توفيتين: توفي الموت، وتوفي النوم، وذكر إمساك المتوفاة، وإرسال الأخرى. ومعلوم أنه يمسك كل ميته سواء ماتت في النوم أو قبل ذلك، ويرسل من لم تمت، وقوله: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ يتناول ما ماتت في اليقظة، وما ماتت في النوم، فلما ذكر التوفيتين ذكر أنه يمسكها في إحدى التوفيتين ويرسلها في الأخرى، وهذا ظاهر اللفظ بلا تكلف"[(١)].

وقد كان النبي ﷺ إذا آوى إلى فراشه قال: «باسمك اللهم أموت وأحيا» وإذا قام قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»[(٢)].

والله جل وعلا حي لا يموت، بل هو المحيي والمميت، ومن أسمائه: الحي، والحي في صفة الله عز وجل هو الذي لم يزل موجوداً، وبالحياة موصوفاً، فالحياة له صفة قائمة بذاته[(٣)].

قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾[(٤)].

فهو حي وله حياة يباين ا صفة من ليس بحي[(٥)].

ولا تقبل توبة العبد إذا حضر الموت قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[(٦)].

---

(١) مجموع الفتاوى (٤٥٢/٥).

(٢) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا نام، وباب وضع اليد تحت الخد اليمنى، وباب ما يقول إذا أصبح (٢٣٢٦/٥)، برقم (٥٩٥٣)، ورواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع (٢٠٨٣/٤)، برقم (٢٧١١).

(٣) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، لأحمد بن الحسين البيهقي ص١٨، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ، دار الآفاق الجديدة – بيروت.

(٤) سورة الفرقان: الآية (٥٨).

(٥) الاعتقاد ص٢٦.

(٦) سورة النساء: الآية (٤٠٩).

يقول الرسعني: "قوله: حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ **أي نزل به سلطانه، وعاين الملائكة،** قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ **فحينئذ لا تقبل توبته، لأنه يصير مضطراً، والقبول يتوقف على الإيمان الاختياري، والتوبة الاختيارية".**

وقد أخرج الإمام أحمد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **في مسنده، بإسناده عن النبي** ﷺ **أنه قال: «تقبل توبة العبد ما لم يغرغر بنفسه»**[(١)][(٢)]**.**

البرزخ:

الإنسان من حين موته إلى بعثه يوم القيامة يعيش في عالم يسمى عالم البرزخ.

والبرزخ: في **كلام العرب الحاجز بين الشيئين**[(٣)]**.**

قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾[(٤)] **أي حاجز.**

وقال تعالى: وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ [(٥)] **.**

قال مجاهد: هو ما بين الموت والبعث، وقيل للشعبي[(٦)]**: مات فلان، قال: ليس هو**

---

(١) المسند: (١٧/٩-١٨)، رقم (٦١٦٠)، وأخرجه أيضاً الترمذي في كتاب الدعوات، باب فضل التوبة (٥٤٧/٥)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر التوبة (١٤٢٠/٢)، والحاكم في المستدرك، كتاب التوبة (٢٥٧/٤)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه الشيخ أحمد شاكر في التعليق على المسند".

(٢) رموز الكنوز (٤٠٩/١-٤١٠).

(٣) انظر: لسان العرب (٨/٣).

(٤) سورة الفرقان: الآية (٥٣).

(٥) سورة المؤمنون: الآية (١٠٠).

(٦) عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار الشعبي، الإمام علامة العصر، حدث عن عدد من الصحابة، وكان رَحِمَهُ اللهُ **فقيهاً محدثاً حافظاً، توفي سنة ١٠٤هـ.**

انظر ترجمته في: التاريخ الكبير (٤٥٠/٦، ٤٥١)، الجرح والتعديل (٣٢٢/٦-٣٢٤)، وفيات الأعيان (٢٢٧/٢-٢٢٩)، سير أعلام النبلاء (٢٩٤/٤-٣١٩).

في دار الدنيا، ولا في الآخرة[1].

قال الرسعني: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ﴾ أي ومن أمامهم وبين أيديهم برزخ ... وهو هاهنا ما بين موت الميت وبعثه"[2].

قال ابن أبي العز: "الدور ثلاث: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وقد جعل الله لكل دار أحكاماً تخصها، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام الدنيا على الأبدان، والأرواح تبع لها، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح، والأبدان تبع لها، فإذا جاء يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم، صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعاً"[3].

عذاب القبر ونعيمه:

القبر وكما هو معلوم أول منازل الآخرة، والإيمان بفتنة القبر، وبعذابه ونعيمه، مما يدخل في الإيمان باليوم الآخر، فقد ورد عنه ﷺ أنه قال: «إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه»[4].

وقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة على إثبات نعيم القبر وعذابه، وأجمع على ذلك سلف الأمة.

قال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ٤٥ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾[5].

---

(١) التذكرة ص١٧٧.

(٢) رموز الكنوز (٣/١٤٥/أ).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (٢/٥٨٠).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (١/٦٣)، والترمذي في الباب الثالث من أبواب الزهد (٣/٣٧٩)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر القبر والبلى (٢/١٤٢٦)، وحسنه الألباني كما في صحيح سنن ابن ماجه (٢/٤٢١).

(٥) سورة غافر: الآية (٤٥-٤٦).

وهذه الآية أصرح آية في القرآن دلت على عذاب القبر مع عـذاب النـار في الآخرة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ذكر عذاب الدارين ذكراً صريحاً لا يحتمل غيره"(١).

وقـال تعـالى في حـق المنـافقين: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾(٢).

قال ابن عباس: العذاب الثاني عذاب القبر، وقال الحسن البصري(٣): عـذاب في الدنيا وعذاب في القبر، وكذا قال قتادة(٤) وغيرهم(٥).

وقد استشهد الرسعني عند تفسيره لهذه الآية بأقوال عدد من العلماء، منها قول مقاتل بن سليمان(٦) الذي يقول فيه: "سنعذ م عند الموت بضرب الملائكـة وجـوههم وأدبارهم وفي القبر بمنكر ونكير"(٧)(٨).

---

(١) الروح، لابن القيم الجوزية ص٧٥، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٣٩٥هـ.

(٢) سورة التوبة: الآية (١٠١).

(٣) تقدمت ترجمته ص ١١٢.

(٤) قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي، حافظ مفسر، ولغوي، ونسابة، كان أعمى أكمه، توفي في واسط سـنة ١١٧هـ.

انظر ترجمته في: شذرات الذهب (١٥٣/١-١٥٤)، طبقات الفقهاء ، إبراهيم بن علي الشيرازي (٩٤/١)، تحقيق: خليل الميس، دار القلم – بيروت – لبنان ، سير أعلام النبلاء (٢٦٩/٥-٢٨٣).

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٣٨٤/٢-٣٨٥).

(٦) مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي أبو الحسن، من أعلام المفسرين، اختلفت أقوال العلماء في بيـان حاله، توفي سنة (١٥٠هـ).

انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٢٠١/٧)، وفيات الأعيان (٢٥٥/٥)، الجرح والتعديل (٣٥٤/٨).

(٧) انظر: زاد المسير (٤٩٣/٣).

(٨) رموز الكنوز (٨٨/٢/ب).

وقول الله تعالى: ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا﴾[(١)].

يقول الرسعني: ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ﴾ يتسارون بينهم ﴿إِن لَّبِثۡتُمۡ﴾ قال ابن عباس: يعني في القبور[(٢)] ﴿إِلَّا عَشۡرٗا﴾ أي عشر ليال، ومرادهم بذلك التقليل لا التحديد، فإن قيل: كيف تقالوا ذلك وقد كانوا في قبورهم معذبين وأيام العذاب طوال؟ قلت: استقصروا مدة لبثهم في القبور، وإن كانوا معذبين فيها؛ لما لابسهم من أهوال ذلك اليوم وشدائده، حتى صار عذاب القبر بالنسبة إليه كلا عذاب"[(٣)].

وقول الله تعالى: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٤﴾[(٤)].

يقول الرسعني: " ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ المعنى سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم إذا نزل بكم سلطان الموت وما بعده من القبر، وأهوال القيامة والمجازاة"[(٥)].

وفي السنة النبوية أثبت النبي ﷺ عذاب القبر، وأمر ﷺ بالتعوذ منه حين مر على قبور رجالٍ ماتوا في الشرك فقال: «إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه، ثم أقبل علينا بوجهه، فقال: «تعوذوا بالله من عذاب النار» فقالوا: نعوذ بالله من عذاب النار، فقال: «تعوذوا بالله من عذاب القبر» قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، فقال:«تعوذوا بالله من عذاب القبر» قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، قال: «تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن» قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منا وما بطن، قال: «تعوذوا بالله من فتنة

---

(١) سورة طه: الآية (١٠٣).

(٢) انظر: زاد المسير (٣٢١/٥).

(٣) رموز الكنوز (٧٨/٣/أ).

(٤) سورة التكاثر: الآية (١-٤).

(٥) رموز الكنوز (٢٥٧/٤/أ).

الدجال » قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال[١].

ومر ﷺ بقبرين فأخبر أنهما يعذبان[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر، قالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر، فقال: «نعم عذاب القبر » قالت عائشة رضي الله عنها فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر"[٣].

ومن جملة العذاب والنعيم عرض مكان الإنسان عليه من الجنة أو النار، يقول النبي ﷺ: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى إليه يوم القيامة »[٤].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى وذهب عنه أصحابه، حتى أنه ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا، أتاه ملكان فأقعداه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ؟ قال: فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله، قال : فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة قال نبي الله ﷺ: فيراهما جميعاً، وأما الكافر أو المنافق فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين"[٥].

---

(١) رواه مسلم في كتاب الجنة، وصفة نعيمها، وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه (٢١٩٩/٤)، برقم (٢٨٦٧).

(٢) رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب عذاب القبر من الغيبة والبول (٤٦٤/١) برقم (١٣١٢).

(٣) رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب عذاب القبر (٤٢١/١-٤٢٢).

(٤) رواه مسلم في كتاب الجنة، وصفة نعيمها، وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذابه والتعوذ منه (٢١٩٩/٤)، برقم (٢٨٦٦).

(٥) رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب الميت يسمع خفق النعال (٤٤٨/١)، حديث رقم (١٢٧٣).

وقد قرر سلف الأمة وقوع عذاب القبر ونعيمه على البدن والروح، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه ولبدنه"[١].

يقول الإمام الرسعني عند قوله تعالى: وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ [٢]: "أي جزاء أعمالكم يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فإن قيل: هذا يدل على أن الجزاء بالثواب والعقاب لا يكون إلا يوم القيامة، فكيف نصنع بالأحاديث المروية الصحيحة الصريحة في عذاب القبر ونعيمه؟

قلت: المراد بالآية أن تكميل الجزاء يكون يوم القيامة، ألا تراه يقول: تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ، وما يكون في القبر من خير وشر فبعض الجزاء لا كله[٣].

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/٢٨٤).

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٨٥).

(٣) رموز الكنوز (١/٣٢٨-٣٢٩).

المبحث الرابع
البعث والنشور

البعث لغة:

أصل البعث، إثارة الشيء وتوجيهه، يقال: بعثته فانبعث، ويختلف البعث بحسب ما علّق به، فبعثت البعير: أثرته وسيرته.

والبعث ضربان:

الأول: بشري كبعث البعير، وبعث الإنسان في حاجة.

والثاني: إلهي، وذلك ضربان أيضاً:

أحدهما: إيجاد الأعيان[١] والأجناس[٢] والأنواع[٣]، وذلك يختص به البارئ تعالى ولم يقدر عليه أحد[٤].

والثاني: إحياء الموتى، وقد خص بذلك بعض أوليائه كعيسى عليه الصلاة والسلام ومنه قوله تعالى: ﴿فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ﴾[٥]، يعني: الحشر، وقوله عز وجل: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا﴾[٦] أي قيضه.

---

(١) الأعيان: العين هو الاسم الدال على معنى يقوم بنفسه كزيد، انظر: التعريفات ص٣٠، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، جميل صليبا، (١١٤/٢)، دار الكتاب اللبناني – بيروت – لبنان.

(٢) الأجناس: جمع جنس، وهو اسم دال على كثيرين مختلفين بالأنواع. انظر: التعريفات ص٧٨.

(٣) الأنواع: جمع نوع، وهو اسم دال على أشياء كثيرة مختلفة بالأشخاص. انظر: التعريفات ص٢٤٧.

(٤) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (٥٢، ٥٣)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، مطبعة البابي الحلبي – مصر، طبعة عام ١٣٨١هـ.

(٥) سورة الروم: الآية (٥٦).

(٦) سورة المائدة: الآية (٣١).

وقولــه تعــالى: ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا [١] **وذلك إثارة بلا توجيه إلى مكان.**

وهذه المعاني ثابتة في اللغة لكلمة البعث[٢].

البعث في الشرع:

إعادة الخلق الفاني، كما كان عليه في الدنيا حياً، بعد النفخة الثانية في الصور[٣].

النشور لغة:

يقال: نشر الميت ينشر نشوراً إذا عاش بعد المــوت، وأنــشره الله: أي أحيــاه، ينشرهم الله إنشاراً، ومنه يوم النشور [٤] . قال تعالى: وإِلَيْهِ النُّشُورُ [٥]**، وقوله تعالى:** ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ [٦]**.**

وأنشر الله الريح: أحياها بعد موت وأرسلها [٧] ، قــال تعــالى: وَالنَّـاشِرَاتِ نَشْرًا [٨] **.**

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما**: «فهلا إلى الشام أرض المَنشر » [٩] ، أي: موضــع النشور، وهي الأرض المقدسة من الشام يحشر الله الموتى إليها يوم القيامة، وهــي أرض المَحشر [١٠] .**

---

(١) سورة الكهف: الآية (١٢).

(٢) أساس البلاغة ص٢٥.

(٣) انظر: البرزخ وأهوال يوم القيامة ص٦٧٨.

(٤) انظر: مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر الرازي (٦٨٨/١)، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنــان ناشــرون - بيروت - ١٤١٥هـ ، النهاية في غريب الأثر (١٢٨/٥)، العين (٢٥٢/٦).

(٥) سورة الملك: الآية (١٥).

(٦) سورة عبس: الآية (٢٢).

(٧) لسان العرب (٢٠٦/٥).

(٨) سورة المرسلات: الآية (٣).

(٩) أخرجه الترمذي في جامعه (٧١٩/٥) رقم (٣٩١٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث عبيدالله.

(١٠) انظر: لسان العرب (٢٠٦/٥).

النشور في الشرع:

بعث الموتى من قبورهم وإحيائهم، بعد نفخة القيام لرب العالمين (١) **.**

وقد دل الكتاب والسنة وإجماع المسلمين على أن البعث والنشور حق لا شـك فيه، وأن الله سبحانه وتعالى يبعث من في القبور للجزاء والحساب.

فمن الكتاب: **قوله تعالى:** ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ **(٢).**

فمن أنكره فهو كافر، كما أخبر بذلك عز وجل حيـث يقـول: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٣) **.**

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِـرَةَ﴾ (٤) **، قال الطبري عند هذه الآيـة: "هي الحياة بعد الموت وهو النشور"** (٥) **..**

أما الـسنة: **فالأحاديث كثيرة التي تدل على البعث والنشور وحشر الأجـساد، فقد صح أنه قال ﷺ: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك**

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٣٦٤/٩)، تفسير ابن كثير (٥٠١/٣).

(٢) سورة الحج: الآية (٦-٧).

(٣) سورة التغابن: الآية (٧).

(٤) سورة العنكبوت: الآية (٢٠).

(٥) تفسير الطبري (١٣٠/١٠).

حتى يبعثك الله يوم القيامة »[١].

وقال: «يبعث كل عبد على ما مات عليه »[٢].

ويقول النبي ﷺ إذا استيقظ من نومه: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور » [٣] .

أما الإجماع: فقد أجمع المسلمون قاطبة على أن البعث والنشور حق، قال ابن حزم: "واتفقوا على أن البعث حق"[٤].

ويقول الرسعني عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [٥] :

"قوله ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ﴾ أي: يعد أوليائه أنه لا بعث ولا نشور، ويمنيهم الباطل والغرور، ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ باطلاً وتمويهاً، فيخرج لهم ما يضرهم في صورة ما يسرهم، ويغرهم بالعاجل عن الآجل، فبيناهم يترددون في أودية الأماني، اعترضتهم المنية دون بلوغ الأمنية فتمنوا أن يطلقوا ساعة من أسرها، ولو بالدنيا بأسرها.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي (٤٢٣/١)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر، والتعوذ منه (٢١٩٩/٤).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت(٢٢٠٦/٤).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا أصبح (٢٣٣٠/٥) برقم (٥٩٦٥)، ومسلم في كتاب العلم، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع (٢٠٨٣/٤) برقم (٢٧١١).

(٤) مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والمعتقدات لابن حزم ص١٩٦، دار الكتب العلمية – بيروت.

(٥) سورة النساء: الآية (١٢٠).

الآن حـــين تعلقتــه حبالنــا ∴ يرجو الخلاص ولات حين منــاص[١]

وقال تعالى: وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا [٢] **.**

قال الرسعني: " وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ **قال ابن عبـاس: نزلت في اليهود**[٣]**.**

فإن قيل: كيف قال ابن عباس: نزلت في اليهود، وهم أهل كتاب يصدقون بالله وبالبعث.

قلت: المعنى: لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر إيماناً كاملاً، فإنهم كفروا بالقرآن، وبما جاءت به الرسل من عند الله، وكذبوا بالبعث على الوجه الذي أخبرت به رسل الله، وجاءت به كتبه، وقالوا: لا تبعث الأجساد، ولا ينعم أهل الجنة بالأكـل، والـشرب، والنكاح، فكأنهم لم يؤمنوا[٤]**.**

ويقول في موطن آخر عند تفسيره لقولــه جــل وعــلا: وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ [٥] **: "** وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ **أي: إن تعجب من تكذيبهم وعبـادتهم الأوثان بعد ما رأوا وعلموا من عجائب قدرة الله،** فَعَجَبٞ **إنكارهم البعـث، ... فقولهم عجب حقيق بأن تعجب منه؛ لأن من قدر على إيجاد الأشياء العجيبة واختراعها فكيف يعجز عن إعادتها بعد إيجادها"**[٦]**.**

---

(١) رموز الكنوز (٥٩٦/١).

(٢) سورة النساء: الآية (٣٨).

(٣) انظر: تفسير ابن جرير (٣٥٣/٨)، والبغوي (٤٢٧/١).

(٤) رموز الكنوز (٤٦٣/١-٤٦٤).

(٥) سورة الرعد: الآية (٥).

(٦) رموز الكنوز (١٦٣/٢/ب).

وقال تعـالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾(١)

يقول الإمام الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ **لتجزى كل نفس** في **يوم الساعة بسعيها** في **الدنيا وما عملته من خير وشر** ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا﴾ **أي لا يصرفنك عن الإيمان** ا **والاستعداد** لها ﴿مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ **معرضـاً عـن بـراهين التوحيد ودلائل البعث** ﴿فَتَرۡدَىٰ﴾ **فتهلك، والمقصود من ذلك تثبيت موسـى عليـه السلام على الإيمان بالبعث ليزداد حرصاً على الاستعداد، واجتهاداً** في **دعاء العبـاد إلى الله تعالى، ولتحسم أطماع المكذبين عن صده عما هو بصدده"(٢).**

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عند قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡ﴾(٣):

" ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ﴾ **أي إن كنتم** في **شك من صحته وكونه، فانظروا ببصائركم** في **دلائل قدرتي ومبتدأ خلقكم لتستدلوا بالابتـداء الـسابق على الإيجاد اللاحق ...** ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡ﴾ **أي: لنظهر لكم** ذا **التدريج والتنقل من حـال إلى حال كمال قدرتنا وبليغ حكمتنا، وأن من قدر على خلقكم من تراب** ثم **من نطفة** ثم **من علقة، مع ما بين التراب والماء والدم من المباينة،** ثم **جعل العلقة مـضغة، والمـضغة**

---

(١) سورة طه: الآية (١٥-١٧).

(٢) رموز الكنوز (٦٢/٣/ب).

(٣) سورة الحج: الآية (٥).

عظاماً، قادراً على إنشائكم بعد فنائكم"[١].

ويقول في موضع آخر: "فإن قيل: فما باله أضاف الإماتة إلى الله عـز وجـل في قوله: ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ﴾[٢] قلت: ليتقرر عندهم أن المميت هو الله عز وجل وأنه لا أثر للأسباب التي يضيفيون ما يترتب عليها إليها، إلا بتقدير الله تعالى، فإن القوم كانوا ضلالاً عباد أوثان لا يهتدون إلى واجب القول في ذلك وأمثاله، ولـذلك عقبـه بقوله: ﴿ثُمَّ يُحۡيِينِ﴾ يرشدهم إلى أنه يبعثهم بعد موتهم ليجـازيهم علـى أفعـالهم وأقوالهم"[٣].

ويربط بين آيات الله سبحانه وتعالى الدالة على عظمته وقدرتـه علـى البعـث فيقول: "وفي الأرض علامات ودلالات على الصانع وقدرته وعظمته وحكمته من إجراء أنهارها وإخراج ثمارها وإرساء جبالها، وانقسامها إلى حزن وسهل وبر وبحر إلى غير ذلك من الآيات الدالة على قدرة خالقها للموقنين بالله تعالى، وفي أنفسكم أيضاً آيات إذ كنتم نطفاً ثم علقاً ثم مضغاً، إلى أن نفخت فيكم الأرواح، وصرتم بشراً ناطقاً سميعـاً بـصيراً فاهماً، ذوي ألسنة مختلفة وطبائع غير مؤتلفة، وصور متباينة، وألـوان متغـايرة، أفـلا تبصرون آيات الأرض، وآيات أنفسكم فتستدلوا بالصنعة على الصانع وبهذه العجائب على قدرة مكونها على بعثكم بعد إماتتكم"[٤].

ويرد الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ على منكري البعث فيقول عند قولـه تعـالى: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾[٥]:

---

(١) رموز الكنوز (٣/١٠٩/ب، ١١٠/أ).

(٢) سورة الشعراء: الآية (٨١).

(٣) رموز الكنوز (٣/٢٠٢/أ-ب).

(٤) المصدر السابق (٤/٢٥/أ).

(٥) سورة الطارق: الآية (٥).

"أي فلينظر منكر البعث ببصيرته نظر تفكر واستدلال من أي شيء خلقه"[١].

ويقول في موطن آخر عند قوله تعالى: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ [٢]:

"أمر الله سبحانه وتعالى الإنسان بالنظر إلى طعامه الذي هو سبب حياته، ومادة بقائه، ليستدل بعجيب تدبير الله في إيجاده وإنباته على صحة البعث وكونه" [٣].

ويقول الرسعني عند تفسيره لقوله تعالى: ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ [٤]:

"بعثه بعد الموت، يقال: أنشر الله الميت؛ إذا أحياه، ونشر هو: حيا بنفسه. قال الأعشى:

حتى يقول الناس مما رأوا ⁂ يا عجباً للميتِ الناشر [٥] [٦].

ويقول الرسعني عند تفسيره لقوله تعالى: بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا [٧]: "أي لا يخافون، وقيل: لا يتوقعون بعثاً بعد الموت"[٨].

ويقول الرسعني عند قوله تعالى: هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ [٩]:

" وَإِلَيْهِ النُّشُورُ وإليه تبعثون من قبوركم فيسألكم عن شكر نعمه ورزقه إياكم" [١٠].

فالواجب الإيمان بالبعث والنشور إذ هو من الإيمان باليوم الآخر، وقد اتفق المسلمون على أنه حق لا شك فيه.

---

(١) رموز الكنوز (٤/٢٢٤/أ).
(٢) سورة عبس: الآية (٢٤).
(٣) رموز الكنوز (٤/٢٠٤/أ).
(٤) سورة عبس: الآية (٢٢).
(٥) البيت للأعشى. انظر: ديوانه ص٩٢، شرح وتعليق: د. محمد محمد حسين، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان ١٩٧٤م ، الأغاني، أبي الفرج الأصفهاني (٣٠٣/١٦)، تحقيق: سمير جابر، الطبعة الثانية، دار الفكر – بيروت ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أحمد بن علي القلقشندي (٤٤٤/١)، تحقيق: د. يوسف علي طويل، الطبعة الأولى ١٩٨٧م، دار الفكر – دمشق ، الطبري (٥٦/٣٠)، البحر المحيط (٣٢٠/٨).
(٦) رموز الكنوز (٤/٢٠٤/أ).
(٧) سورة الفرقان: الآية (٤٠).
(٨) رموز الكنوز (٣/١٨٧/أ)
(٩) سورة الملك: الآية (١٥).
(١٠) رموز الكنوز (٤/١٣٧/ب).

الفصل السادس

جهود الرسعني في تقرير الإيمان بالقضاء والقدر

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المراد بالإيمان بالقضاء والقدر.

المبحث الثاني: تقرير الرسعني مذهب السلف في القضاء والقدر.

المبحث الثالث: مسائل تتعلق بالقضاء والقدر.

المبحث الأول

المراد بالإيمان بالقضاء والقدر

القضاء لغة: يطلق ويراد به حكم الشيء وإحكامه، والبت فيه والفراغ منه، وأصله: القطع والفصل(١).

وفي الاصطلاح: هو الإقرار لله بالملك والقدرة والسلطان، وأنه هو المستولي على الأمور، سابق العلم بكل كائن، ونافذ المشيئة فيما يريد، كل ما هو في الخلق بقضاء الله وتدبيره، ليس معه شريك، ولا دونه مدبر، ولا له مضاد (٢).

يقول الرسعني عند تفسيره لقوله تعالى: " وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ (٣) أمر أمراً حتماً جزماً مقطوعاً به"(٤).

والقدر في اللغة: مصدر قدِر يقْدِر قَدراً، وقد تسكن داله(٥).

قال ابن فارس: القاف والدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه و ايته؛ فالقدر مبلغ كل شيء، يقال: قَدره كذا أي مبلغه، وكذلك القدر، وقدرت الشيء أقدِره وأقْدر من التقدير(٦).

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص (٤٠٦-٤٠٧)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، مطبعة البابي الحلبي - مصر، طبعة عام ١٣٨١هـ ، مجمل اللغة، أبو الحسين أحمد ابن فارس (٧٥٧/٣)، تحقيق: هادي حسن حمودي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، منشورات معهد المخطوطات العربية – الكويت ، معجم مقاييس اللغة (٩٩/٥-١٠٠)، لسان العرب (١٨٦/١٠).

(٢) انظر: الإبانة (٢٣٥/١-٢٣٦)، معالم السنن ، حمد بن محمد الخطابي (٦٩/٧)، بعناية عبدالسلام محمد، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، الاعتقاد للبيهقي، ص (٥٣-٥٤)، فتح الباري (٤٧٧/١١)، لوامع الأنوار (٣٤٥/١).

(٣) سورة الإسراء: الآية (٢٣).

(٤) رموز الكنوز (٢٢١/٢/أ).

(٥) النهاية في غريب الحديث (٢٢/٤).

(٦) معجم مقاييس اللغة (٦٢/٥).

والقدر: محركة: القضاء والحكم، وهو ما يقدره الله عز وجل من القضاء، ويحكم به من الأمور، والتقدير: التروية والتفكير في تسوية أمر، والقدر كالقدر، جمعها أقدار(١).

يقول الإمام الرسعني: "قَدر الله الشيءَ يقْدِر وقَدره -بالتشديد- يقَدره، بمعنى: قَضاه(٢).

وفي الشرع: تقدير الله للكائنات حسب ما سبق به علمه، واقتضته حكمته(٣).

ولقد انقسم العلماء في التفرقة بين القضاء والقدر إلى قولين الراجح منهما بأنه لا فرق بين القضاء والقدر، بل هما متلازمان، لا ينفك أحدهما عن الآخر، فكل واحد منهما في معنى الآخر، فإذا أطلق التعريف على أحدهما شمل الآخر (٤).

والإيمان بقضاء الله وقدره، هو الركن السادس من أركان الإيمان، وهو أحد أصول الدين، التي لا يقبل من عبد عمل حتى يؤمن ا، فمن أنكر قدر الله، فقد خرج من دين الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (٥)، وقال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ (٦)، وقال تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ (٧).

---

(١) انظر: القاموس المحيط ص(٥٩١)، لسان العرب (٧٤/٥).
(٢) رموز الكنوز (٣/١٠٠/ب).
(٣) رسائل في العقيدة (ص ٣٧).
(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث (٧٨/٤)، فتح الباري (١٤٩/١١، ٤٧٧)، المفردات للراغب الأصفهاني ص٤٠٦.
(٥) سورة القمر: الآية (٤٩).
(٦) سورة التوبة: الآية (٥١).
(٧) سورة النساء: الآية (٧٨).

وقد أورد الإمام الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث جبريل عليه السلام فقال: "وفي الصحيح من حديث عمر بن الخطاب قال: بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر سفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه، وقال يا محمد: أخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت، قال: ثم انطلق فلبث ملياً ثم قال لي: يا عمر تدري من السائل، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل آتاكم يعلمكم دينكم، وهو مختصر من حديث طويل"[(١)][(٢)].

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تعريفه للتوكل: "فالتوكل على الله تفويض الأمر إليه، والاعتماد عليه ثقة بحسن تدبيره، وتفويضاً إلى قضائه، وتقديره"[(٣)].

والله سبحانه وتعالى خالق كل شيء وربه، ومليكه، وكل شيء يجري في هذا الكون بقضائه وقدره، لا يخرج شيء عن ذلك من خير وشر، وهداية وضلاله، وسعادة وشقاوة، وأنه الفعال لما يريد، لا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، كما قال رسول الله ﷺ: «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس[(٤)] أو الكيس والعجز»[(٥)].

وإنه سبحانه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن، ولا يكون شيء إلا بمشيئته، وقدرته، ولا يشاء شيئاً إلا وهو قادر عليه، وأنه سبحانه يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وأنه قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم، قدر آجالهم، وأرزاقهم، وأعمالهم، وكتب ذلك، وكتب ما يصيرون إليه من سعادة وشقاوة.

---

(١) تقدم تخريجه ص ٢٤٩.

(٢) رموز الكنوز (٤/٥٥/أ).

(٣) المصدر السابق (١/٢١٧).

(٤) الكيس: ضد العجز، وهو الفطنة والنشاط. انظر: المصباح المنير ص٥٤٥، مختار الصحاح ص٢٤٤.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب كل شيء بقدر (٤/٢٠٤٥)، برقم (٢٦٥٥).

فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء، وقدرته على كل شيء، ومشيئته لكل ما كان، وعلمه بالأشياء قبل أن تكون، وتقديره لها، وكتابته إياها قبل أن تكون(١).

وأنه يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، وأن العباد لهم مشيئة وقدرة، يفعلون بمشيئتهم وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه، مع أنهم لا يشاؤون إلا ما شاءه الله تعالى(٢) كما قال: ﴿كَلَّا إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ۝ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝ وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾(٣).

يقول الرسعني: "وأطيعوا الله في حكمه وقضائه؛ ورسوله في إنفاذ ما أمر به وإمضائه إن كنتم مؤمنين كاملي الإيمان، ثم وصف المؤمنين الكاملي الإيمان فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾(٤) أي: ذكرت عظمته وقدرته وعز سلطانه وشدة عقابه وبطشه بالعصاة من خلقه فزعت قلوبهم"(٥).

ويجوز للمؤمن أن يتحدث عما يلحقه من المشقة والألم دون السخط من قضاء الله وقدره. يقول الرسعني عند قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا﴾(٦): "وهذا دليل على جواز ذكر الإنسان ما يلحقه من المشقة والآلام إذا لم يتضمن معنى السخط والتكره بقضاء الله وقدره"(٧).

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/٤٤٩-٤٥٠).
(٢) المصدر السابق (٨/٤٥٩).
(٣) سورة المدثر: الآية (٥٤-٥٦).
(٤) سورة الأنفال: الآية (٢).
(٥) رموز الكنوز (٢/٥٢/أ).
(٦) سورة الكهف: الآية (٦٢).
(٧) رموز الكنوز (٣/٢١/ب).

وقد أورد الرسعني عند تفسير قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴾(١) أقوال عدد من العلماء، منها:

قول مجاهد الذي يقول فيه: "المطمئنة؛ الراضية بقضاء الله، التي علمت أن ما أصابها لم يكن ليخطئها، وما أخطأها لم يكن ليصيبها" (٢)(٣).

ويقول الرسعني عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾(٤):

" ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ النبي وأصحابه، وأبو سفيان وأصحابه(٥) ﴿فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ بقضائه وقدره، ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾(٦).

ويقول الرسعني عند قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾(٧):

"المعنى: قالوا لإخوانهم في النفاق، أو في النسب، على معنى: قال بعضهم لبعض ﴿لَوۡ أَطَاعُونَا﴾، فيما أشرنا به عليهم، يعنون الذين ثبتوا مع النبي ﷺ حتى استشهدوا ﴿مَا قُتِلُواْ﴾، وقيل: المعنى قالوا لأجل إخوانهم المقتولين: لو أطاعونا ما قتلوا، ﴿وَقَعَدُواْ﴾ يعني ابن أبي وأصحابه قعدوا عن الجهاد، وعن نصر الرسول

(١) سورة الفجر: الآية (٢٧).
(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/٤٨٧).
(٣) رموز الكنوز (٤/٢٣٤/ب).
(٤) سورة آل عمران: الآية (١٦٦).
(٥) أي جمع المؤمنين وجمع المشركين يوم أحد.
(٦) رموز الكنوز (١/٢٩٩).
(٧) سورة آل عمران: الآية (١٦٨).

والمؤمنين، ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد مظهراً فساد هذا الاعتقـاد: ﴿فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ﴾ أي: ادفعوا.

﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ إن الحذر يدفع القدر[١].

وفي هذه الآية يبين الرسعني فساد اعتقاد حال الذين جمعوا بين التخلـف عـن الجهاد، وبين الاعتراض والتكذيب بقضاء الله وقدره، وأن الحذر لا يغني عن القدر، وأن المقتول يقتل بأجله، وما أخبر الله به وعلمه كائن لا محالة.

ويبين الرسعني بأن المؤمن الصادق يؤمن بقضاء الله وقدره في كافة أموره حتى لو رزق أنثى مثلاً وهو يرغب أن يرزقه الله ذكراً، وأن ما قضاه الله تعالى فهو خير للعبد.

فيقول: "فأما المؤمن فهو حقيق أن يرضى بما قسم الله تعالى له، وقضاء الله للمرء خير من قضاء المرء لنفسه، وما قضى لك يا ابن آدم فيما تكره خير من ما قضى لك من ما تحب، فاتق الله وارض بقضائه، فإنه رب جارية خير لأهلها من غلام، ورب غـلامٍ لا يأتي أهله بخير"[٢].

والمقصود أن الإيمان بالقدر مرتبط بامتثال الشرع، وامتثال الشرع مرتبط بالإيمان بالقدر، وانفكاك أحدهما من الآخر محال، فإن الإقرار بالقدر مع الاحتجاج بـه علـى الشرع ومحاربته به مخاصمة لله تعالى في أمره وشرعه ووعده ووعيده وثوابـه وعقابـه، وطعن في حكمته وعدله، وانتقاد عليه في إرسال الرسل وإنزال الكتب"[٣].

---

(١) رموز الكنوز (١/٣٠١-٣٠٢).
(٢) المصدر السابق (٢/٢٠٣/أ).
(٣) معارج القبول (٢/٢٤٧).

المبحث الثاني

تقرير الرسعني مذهب السلف في القضاء والقدر

سار الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب على خطى السلف، مثبتاً أن كل شيء في هذا الكون يجري بقضاء الله وقدره، ولا شيء يخرج عن ذلك، فهو الفعال لما يريد، لا يكون شيء إلا بإرادته وأمره، ولا يخرج شيء عن مشيئته وتصرفه وتقديره، خالق الخلق وأفعالهم، وقدر آجالهم وأرزاقهم، وحدد من يكون سعيداً ومن يكون شقياً، يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته، قال تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[1] وأن كل كائن إلى يوم القيامة قد خط في اللوح المحفوظ.

وقد قرر الإمام الرسعني هذا الاعتقاد الذي أجمع عليه أهل السنة والجماعة.

كما أنه تناول مراتب الإيمان بالقدر، وذلك في ثنايا تفسيره (رموز الكنوز) وهي:

١- المرتبة الأولى: العلم.

وهو علم الله سبحانه وتعالى بالأشياء قبل كونها، وهو الإيمان بأن الله تعالى قد علم بعلمه الأزلي الأبدي ما كان وما يكون من صغير وكبير وظاهر وباطن، مما يكون من أفعاله، أو أفعال مخلوقاته.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى

(١) سورة الأنبياء: الآية (٢٣).

كِتَـٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ (١).

وقال تعالى: وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ (٢).

يقول الرسعني عند هذه الآية: "... وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ ... والمعنى: وما يغيب عن ربك ... وهو إعلام العباد باطلاع الله على خفايا أعمالهم وأسرارهم، وتنبيههم على تعلق الجزاء بالقليل والكثير، والنقير والفتيل والقطمير من أقوالهم وأفعالهم، قدم ذِكْر الأرض؛ لأن الإشارة إلى العِلْم بما فيها أقرب وأدخل في المقصود الذي هو إعلام المكلفين وتنبيههم على مجازاتهم، وأوغل في إثبات صفة العلم لله تعالى ... ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ اللوح المحفوظ"(٣).

وفي قصة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ مع قومه يبين الرسعني مرتبة العلم السابق فيقول عند تفسيره لقوله تعالى: وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ (٤).

وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أي لا تسألني الصفح عنهم ولا إمهالهم، إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ محكوم عليهم بذلك في سابق علمي وقضائي"(٥).

وقد استشهد بقول الزجاج عند تفسيره لقوله تعالى: وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ

---

(١) سورة الحج: الآية (٧٠).
(٢) سورة يونس: الآية (٦١).
(٣) رموز الكنوز (٢/١٠٧/أ ، ب).
(٤) سورة هود: الآية (٣٧).
(٥) رموز الكنوز (٢/١٢٠/أ).

لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (١) :

"... وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا قال الزجاج: المعنى قد علم الله ما كان وما يكون وما هو كائن، حافظاً لذلك جلّ ذكره، لا ينسى منه شيئاً(٢) رب السموات والأرض وما بينهما"(٣).

قال تعالى: وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا (٤) .

يقول الرسعني: وَمَا يَكُونُ لَنَآ أي ما ينبغي ولا يصلح لنا أن نعود فيها، إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا أي إلا أن يريد ربنا إهلاكنا، ويكون ذلك في سابق علمه"(٥).

ويقول المولى في كتابه الكريم: ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ (٦) .

يقول الرسعني عند هذه الآية: ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ أي: يوسعه لمن يشاء، وَيَقۡدِرُ أي: يضيق على من يشاء على ما تقتضيه حكمته وعلمه في خلقه، جلت عظمته"(٧).

قال تعالى: وَكَانَ أَمۡرًا مَّقۡضِيًّا (٨) .

يقول الرسعني: "أي: وكان وجوده على هذا الوصف(٩)، أمراً محكوماً به مفروغاً

---

(١) سورة مريم: الآية (٦٤).
(٢) معاني القرآن (٣/٣٣٧).
(٣) رموز الكنوز (٣/٥٠/ب).
(٤) سورة الأعراف: الآية (٨٩).
(٥) رموز الكنوز (٢/٢٨/أ).
(٦) سورة الرعد: الآية (٢٦).
(٧) رموز الكنوز (٢/١٧٠/أ).
(٨) سورة مريم: الآية (٢١).
(٩) هو وجود عيسى عليه السلام من غير أب.

منه في سابق علمي"[١].

ويقول عند قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[٢].

أي هو معكم بالعلم والقدرة أينما كنتم من أرض وسماء وبر وماء"[٣].

والنصوص في هذا الباب كثيرة، يطول استقصاؤها، وقد اقتصرت على بعضها لا سيما الذي تناولها الرسعني بالبيان والتفسير لمرتبة علم الله سبحانه وتعالى بما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، فكل شيء بعلمه الذي هو صفته ومقتضى اسمه العليم الخبير، عالم الغيب والشهادة، علام الغيوب.

٢- المرتبة الثانية: كتابة المقادير:

وهي الإيمان بأن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة، فما من شيء كان أو يكون إلا وهو مكتوب مقدر قبل أن يكون.

قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[٤].

وقال النبي ﷺ: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء"[٥].

وروى البخاري في صحيحه من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ

---

(١) رموز الكنوز (٣/٤١/أ).

(٢) سورة الحديد: الآية (٤).

(٣) رموز الكنوز (٤/٧٥/أ).

(٤) سورة الأنعام: الآية (٥٩).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام (٤/٢٠٤٤) برقم (٢٦٥٣).

قال: «كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض وكتب في الذكْر كل شيء"(١).

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾(٢).

يقول الإمام الرسعني عند هذه الآية: "﴿كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾، أي كتب الله ذلك كتاباً إلى أجله في اللوح المحفوظ، لا يقدمه اقتحام المهالك ولا يؤخره الفرار من المعارك"(٣).

والرسعني يبين بأن من الإيمان بكتابة المقادير، الإيمان بالتقدير الأزلي قبل خلق السموات والأرض عندما خلق الله تعالى القلم، فيقول عند قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾(٤):

"﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني من انقطاع المطر ونقصان الثمر وغير ذلك، ﴿وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾، من الأمراض، وموت الأولاد وغير ذلك، ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ وهو اللوح المحفوظ، ومحله: الحال، تقديره: إلا مكتوباً، أو مثبتاً في كتاب، ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ أي: من قبل أن نخلق الأنفس أو المصيبة، ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي: تقدير ذلك وإثباته في كتاب من قبل كونه على الله يسير، ثم بين الحكمة في ذلك، فقال:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء، وهو رب العرش العظيم (٢٦٩٩/٦)، رقم (٦٩٨٢).
(٢) سورة آل عمران: الآية (١٤٥).
(٣) رموز الكنوز (٢٦٦/١).
(٤) سورة الحديد: الآية (٢٢).

لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ أي: تحزنوا على مافاتكم من الدنيا مالم يقدر لكم [(١)].

ويشير في موضع آخر بأن جميع أعمال خلقه قد كتبت في اللوح المحفوظ فيقول : "كتب لهم في اللوح المحفوظ من الخير والشر والأرزاق والأعمال وغير ذلك"[(٢)].

قال تعالى: أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ [(٣)] .

وقـــال تعـــالى: وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ [(٤)] .

يقول الرسعني عند هذه الآية: " وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ لا بما يقترح عليه، لِكُلِّ أَجَلٖ قدره الله وقضاه، كتاب مثبت عند الله تعالى، فـلا تكون آية ولا غيرها إلا بأجل قد قـضاه الله في كتـاب ... وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ أي: أصل كتاب الله وهو اللوح المحفوظ؛ لأن كل كائن مكتوب فيه"[(٥)].

وقال تعالى: وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابٗا شَدِيدٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا [(٦)] .

قال الرسعني: " وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ أي وما مـن قريـة إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا مستأصلوها بالفناء أَوۡ مُعَذِّبُوهَا بالقتل وأنواع الـبلاء، كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ

---

(١) رموز الكنوز (٧٩/٤/ب – ٨٠/ب).
(٢) المصدر السابق (١٣/٢/ب).
(٣) سورة الأعراف: الآية (٣٧).
(٤) سورة الرعد: الآية (٣٨).
(٥) رموز الكنوز (١٧٢/٢/أ ، ب).
(٦) سورة الإسراء: الآية (٥٨).

وهو اللوح المحفوظ ﴿مَسْطُورًا﴾ **مكتوباً"**[١].

ومن خلال ما تقدم فإن الرسعني يقرر أن كل شيء قدره الله وقضاه، مكتوب في اللوح المحفوظ.

٣- المرتبة الثالثة: المشيئة:

أي الإيمان بمشيئة الله تعالى، وأنها عامة في كل شيء، فما وجد موجود، ولا عدم معدوم من كبير وصغير وظاهر وباطن في السموات والأرض إلا بمشيئة الله عز وجل سواء كان ذلك من فعله تعالى، أم من فعل مخلوقاته.

ولم يخلق شيئاً إلا بمشيئته لأنه تعالى لا مكره له لكمال ملكه وتمام سلطانه.

قال الله تعالى مبيناً أن فعله بمشيئته: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾[٢] **وقال:** ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾[٣] .

ويقرر الرسعني مذهب أهل السنة والجماعة في المرتبة الثالثة من مراتب الإيمان بالقدر وهي الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، فما شاء الله تعالى كونه فهو كائن بقدرته لا محالة، وما لم يشأ الله تعالى لم يكن لعدم مشيئة الله تعالى إياه ليس لعدم قدرته عليه.

فيقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عند تفسيره لقوله تعالى:** ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾[٤] :

" ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ﴾ **أي: ما ينبغي ولا يصلح لنا أن نعود فيها** ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾

---

(١) رموز الكنوز (٢/٢٢٧/ب).

(٢) سورة إبراهيم: الآية (٢٧).

(٣) سورة الرعد: الآية (٢٦).

(٤) سورة الأعراف: الآية (٨٩).

رَبُّنَا أي: إلا أن يريد ربنا إهلاكنا، ويكون ذلك في سابق علمه، قال الزجاج: اختلف الناس في تأويل هذه الآية، وأولى التأويلات باللفظ أن يكون: ما يكون لنا أن نعود فيها إلا بمشيئة الله؛ لأنه ما يكون غير ما يشاء الله، وهذا مذهب أهل السنة، قال الله تعالى: وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ (١) والمشيئة في اللغة بينة لا تحتاج إلى تأويل (٢)، والمعنى: ما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يكون الله تعالى قد سبق في علمه ومشيئته أن نعود فيها، وتصديق ذلك قوله: وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًا (٣) ثم قال: عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا (٤) وفي موضع آخر: وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ (٥) وقال قوم: وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا، أي: فالله لا يشاء الكفر، قالوا: وهذا مثل قولك: لا أكلمك حتى يبيض الفأر ويشيب الغراب، والفأر لا يبيض، والغراب لا يشيب، قالوا: فكذلك تأويل الآية، قال الزجاج: وهذا خطأ؛ لمخالفته أقل من ألف موضع في القرآن لا يحتمل تأويلين؛ أنه لا يكون شيء ولا يحدث شيء إلا بمشيئة الله تعالى وعن علمه، وسنة الرسل تشهد بذلك، ولكن الله تعالى غيب عن الخلق علمه فيهم، ومشيئته من أعمالهم، فأمرهم ونهاهم؛ لأن الحجة، إنما تثبت من جهة الأمر والنهي، وكل ذلك جارٍ على ما سبق من العلم وجرت به المشيئة، هذا كله مختصر من كلام الزجاج(٦)، وهو اعتقادنا، وبه ندين الله تعالى"(٧).

ويقول: "وقد اتفقت الأمة على أن الله تعالى لو شاء أن لا يعبدوا غيره مشيئة

---

(١) سورة الإنسان: الآية (٣٠)

(٢) معاني الزجاج (٢/٣٥٥-٣٥٦).

(٣) سورة الأعراف: الآية (٨٩).

(٤) سورة الأعراف: الآية (٨٩).

(٥) سورة هود: الآية (٨٨).

(٦) معاني الزجاج (٢/٣٥٦).

(٧) رموز الكنوز (٢/٢٨/أ-ب).

اضطرار إلى ذلك؛ لم يقْدر أحد على غير ذلك، ولكن الله تعالى جل اسمه تعبـد العبـاد، ووفق من أحب توفيقه، وأضل من أحب إضلاله"(١).

وقوله تعالى عن قصة موسى مع شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٢) يقول الرسعني عند هذه الآية: "ترغيب له في مصاحبته وإعلام له أنه من شأنه المساهلة والمسامحة إلى غير ذلك مما يوصف به أهل الصلاح، وقوله: إِن شَآءَ ٱللَّهُ حسن أدب مع الله، وإتكال على توفيقه واستمداد لمعونته"(٣).

ويبين الرسعني بأن الإيمان والعمل الصالح منوط بمشيئة الخالق وتوفيقه فيقول عند قوله تعالى: وَلَوْ شِئْنَا لَأٓتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا (٤):

"إشعار بأن الإيمان والعمل الصالح منوط بمشيئة الله تعالى وتقديره"(٥).

والعبد له مشيئة وفعل، ولكنها مرتبطة بمشيئة الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ (٦).

يقول الرسعني عند هذه الآية: "الخطاب العام لجميع الخلق، والمعنى: وما يـشاؤن اتخاذ السبيل وغيره إلا أن يشاء الله أ م لا يشاؤن شيئاً إلا بمشيئة الله تعالى (٧).

ويقول في موضع آخر: "ذهب جماعة من نقلة التفسير إلى أن قولـه: لِمَن شَآءَ

---

(١) رموز الكنوز (٢/٢٠٠/أ).
(٢) سورة القصص: الآية (٢٧).
(٣) رموز الكنوز (٣/٢٣٢/أ).
(٤) سورة السجدة: الآية (١٣).
(٥) رموز الكنوز (٣/١٦٨/أ).
(٦) سورة الإنسان: الآية (٣٠)
(٧) رموز الكنوز (٤/١٨٩/أ، ب).

مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ [١]، **وقوله** في **عبس:** فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ [٢] **وقوله** في **الإنسان وفي المزمل:** فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلاً [٣]، **منسوخ بقوله:** وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ [٤]، **وهذا ليس بصحيح لأنه لا تنافي بين ما ادعوه ناسخاً ومنسوخاً، وإنما هو إعلام أن مشيئتهم منوطة بمشيئته سبحانه وتعالى"[٥].**

وقد رد الرسعني من خلال ذلك على الجبرية الذين يسلبون العبد المشيئة، وعلى القدرية الذين يقولون: قد يشاء العبد ما لا يشاؤه الله، ويقولون: إن الله يشاء ما لا يشاؤون.

٤- المرتبة الرابعة: الخلق:

وهي الإيمان بخلق الله تعالى، وأنه خالق كل شيء من صغير وكبير وظاهر وباطن، وأنّ خلقه شامل لأعيان هذه المخلوقات وصفاتها وما يصدر عنها من أقوال وأفعال وآثار.

قال تعالى: ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ [٦].

وقال تعالى أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ [٧].

يقول الرسعني عند هذه الآية: " أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ **فله تسخيره وتدبيره،**

---

(١) سورة التكوير: الآية (٢٨).
(٢) سورة عبس: الآية (١٢).
(٣) سورة الإنسان: الآية (٢٩)، والمزمل: الآية (١٩).
(٤) سورة التكوير: الآية (٢٩).
(٥) رموز الكنوز (٤/٢٠٩/أ-ب).
(٦) سورة الزمر: الآية (٦٢).
(٧) سورة الأعراف: الآية (٥٤).

وَٱلۡأَمۡرُ فله قضاؤه وتقديره"[١].

وقال المولى في كتابه العزيز: إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٍ [٢].

يقول الإمام الرسعني: "ومعنى الآية: كل شيء خلقناه بقدر مقدور مكتـوب في اللوح المحفوظ، وفي صحيح مسلم من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس»[٣].

وقال ابن عباس: كل شيء بقدر حتى وضعك يدك على خدك[٤]"[٥].

ويقول النبي ﷺ: «إن الله خالق كل صانع وصنعته»[٦]. وقـد انعقـد إجمـاع السلف على أن الله هو خالق أفعال العباد[٧].

ومما قال الطحاوي رحمه الله مقرراً مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المـسألة، وراداً على المعتزلة الذين يزعمون أن العبد يخلق فعل نفسه: "الحق سبحانه وتعالى منفرد بخلق المخلوقات، لا خالق لها سواه ... والقدرية نفاة القدر جعلوا العباد خالقين مـع الله تعالى، ولهذا كانوا مجوس هذه الآمة، بل أردأ من المجوس، من حيث إن المجـوس أثبتـت خالقين، وهم أثبتوا خالقين ... وهدى الله المؤمنين أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحـق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم"[٨].

---

(١) رموز الكنوز (٢/١٩/أ).

(٢) سورة القمر: الآية (٤٩).

(٣) تقدم تخريجه ص ٣٨٠.

(٤) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (١/٣١٨ ح ٩٩٨)، وذكره الـسيوطي في الـدر (٧/٦٨٤) وعـزاه للبخاري في تاريخه.

(٥) رموز الكنوز (٤/٥٥/ب).

(٦) رواه البخاري في خلق أفعال العباد (ص٤٦)، تحقيق: د. عبـدالرحمن عمـيرة، دار المعـارف – الريـاض، وصححه الحاكم، وقال: على شرط مسلم ولم يخرجاه. المستدرك (١/٨٥)، كما صححه الحافظ في الفـتح (١٣/٤٩٨)، والمناوي في فيض القدير (٢/٢٣٨)، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ، المكتبة التجارية الكـبرى - مصر.

(٧) انظر: منهاج السنة النبوية (٢/٢٩٨).

(٨) شرح العقيدة الطحاوية (٢/٦٤٠).

والله سبحانه وتعالى لم يقدر شيئاً ويخلقه إلا لحكمة، قال تعـالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ (١) .

يقول الرسعني: "الذي أحسن خلق كل شيء" "(٢) .

فالمخلوق باعتبار الحكمة التي خلق لأجلها خير وحكمة وإن كان فيه شر من جهة أخرى فذلك أمر عارض جزئي ليس شراً محضاً(٣).

---

(١) سورة السجدة: الآية (٧).

(٢) رموز الكنوز (٣/١٦٨/ب).

(٣) مجموع الفتاوى (٨/٥١١).

المبحث الثالث

مسائل تتعلق بالقضاء والقدر

١- المسألة الأولى: الاحتجاج بالقدر:

إن الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره، يقتضي أن يعتقد الإنسان أن كل شيء يحصل في هذا الكون، فهو بقضاء الله، فلا يخرج شيء عن علم الله -سبحانه وتعالى- وأن كل ذلك مكتوب عند الله -عز وجل- فلا يضل ربنا ولا ينسى.

ومع كون كل شيء بقضاء الله وقدره، فإن هذا لا يمنح العبد حجة على ما ترك من الواجبات، أو فعل من المعاصي، فمن ترك طاعة، أو فعل معصية، محتجاً بأن الله قد قدر هذا الشيء عليه، فهذا الاحتجاج باطل؛ لا يقول به من له عقل ودين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والاحتجاج بالقدر حجة باطلة داحضة، باتفاق كل ذي عقل ودين من جميع العالمين"[(١)].

وقال: "فالاحتجاج بالقدر حال أهل الجاهلية، الذين لا علم عندهم بما يفعلون ويتركون، إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلاّ يخرصون، وهم إنما يحتجون به في ترك حق ربهم ومخالفة أمره، لا في ترك ما يرونه حقاً لهم، ولا في مخالفة أمرهم"[(٢)].

والاحتجاج بالقدر على ترك الطاعات، أو فعل المعاصي باطل ولا يجوز من وجوه عديدة منها:

١- أن الله سبحانه وتعالى ذم المشركين، عندما أرادوا الاحتجاج بالقدر على شركهم، قال تعالى: سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا

---

(١) منهاج السنة (٥٥/٣).

(٢) المصدر السابق (٥٨/٣).

حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٍ [(١)].

ويبين الرسعني بطلان الاحتجاج بالقدر على ترك طاعة، أو فعل معصية من وجه ذم الله تعالى المشركين في هذه الآية وما ذهبوا إليه بأنه لو شاء الله لحال بينهم وبين الشرك، وهي مجادلة فاسدة، والله رد عليهم وأكذبهم فيما نسبوه إليه من الرضى بما هم عليه، فيقول: "هذا إخبار من الله تعالى لنبيه بما سيقوله المشركون، فلما قالوه، قال: وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ [(٢)]، والمعنى: سيقول المشركون من عباد الأصنام وغيرهم: وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ يريدون: البحائر والسوائب... والمعنى: لو شاء الله لحال بيننا وبين ذلك، ولكنه رضي منا ما نحن عليه من عبادة الأصنام وتحريم الحرث والأنعام، وهذه مجادلة فاسدة؛ لأن لخصمهم أن يقابل ما اعتلوا به من الشبه بمثله، ولا يلزم من ذلك كونه على الحق عندكم، ثم إن الله أكذبهم فيما نسبوه إليه من الرضى بما هم عليه فقال: كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ [(٣)]، قال ابن عباس: قالوا لرسلهم مثل ما قال هؤلاء لك، ولو أن الله أكذبهم في نسبتهم المشيئة إليه، لقال: كَذَٰلِكَ كَذَبَ بالتخفيف[(٤)]، قُلۡ لهم يا محمد على وجه التهكم بهم هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ جاءكم به رسول، أو نزل عليكم به كتاب فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ فيما أنتم عليه من الدين إلا الباطل إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ أي: تكذبون، قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ

(١) سورة الأنعام: الآية (١٤٨).
(٢) سورة النحل: الآية (٣٥).
(٣) سورة الأنعام: الآية (١٤٨).
(٤) الطبري (٨/٧٩)، زاد المسير (٣/١٤٥).

ٱلۡبَٰلِغَةُ حيث أنزل الكتب وبعث الرسل، وأوضح الدلائل، لأنكم أيهـا المحتجـون لصحة شركهم وباطلهم والمعتقدون رضى الله بما هم عليه، حيث لم يقهرهم على تركه، بل أرخى لهم أعنة تماديهم في ميادين غـيهم، فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ [(١)]، قـال جويرية بن أسماء[(٢)]: سمعت علي بن زيد[(٣)] تلا هذه الآيـة قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ فنادى بأعلى صوته: انقطع والله هاهنا كلام القدرية[(٤)]"[(٥)].

٢- لو كان القدر حجة للمخالفين لم تنتف بإرسال الرسل؛ لأن المخالفـة بعـد إرسالهم واقعة بقدر الله تعالى، قال تعالى: " رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا [(٦)].

ويشير الرسعني إلى توقف وجوب الإيمان على بعثة الرسل فيقـول: "وفي قولـه لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ دليل على توقف وجـوب الإيمـان والطاعة على بعثة الرسل كما قـال تعـالى: وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا [(٧)]

---

(١) سورة الأنعام: الآية (١٤٩).

(٢) هو جويرية بن أسماء بن عبيد الضبعي البصري، المحدث الثقة، توفي سنة (١٧٣هـ). انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد (٢٨١/٧)، تهذيب التهذيب (١٢٤/٢-١٢٥)، العبر (٢٦٤/١).

(٣) هو علي بن زيد بن جدعان، أبو الحسن القرشي، التيمي البصري، الإمام العالم الكبير، توفي سنة (١٣١هـ). انظر ترجمته في: ميزان الاعتدال (١٢٧/٣، ١٢٩)، تهذيب التهذيب (٣٢٢/٧).

(٤) القدر، للإمام الحافظ أبي بكر الفريابي، ص (٢٠٢-٢٠٣)، تحقيق: عبدالله المنصور، الطبعـة الأولى، عـام ١٤١٨هـ، أضواء السلف - الرياض ، ويقول المحقق: إسناده حسن، وأخرجـه الآجـري (ص ٢٣٥)، وذكره السيوطي في الدر (٣٨٠/٣).

(٥) رموز الكنوز (٤/٢/ب).

(٦) سورة النساء: الآية (١٦٥).

(٧) سورة الإسراء: الآية (١٥).

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ في سلطانه ﴿حَكِيمًا﴾ في بعثة رسله إلى خلقه[١].

يقول ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ولا نجعل قضاء الله وقدره حجة لنا في ترك أوامره، واجتناب نواهيه، بل يجب أن نؤمن ونعلم أن لله علينا الحجة، بإنزال الكتب، وبعثة الرسل، قال الله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾ ونعلم أن الله سبحانه ما أمر ونهى إلا المستطيع للفعل والترك"[٢].

٣- أن المحتج بالقدر على كفره ومعصيته، متقول على الله بغير علم؛ إذْ كيف يصح للكافر أو للعاصي أن يحتج بأن الله كتب عليه الكفر أو المعصية قبل صدور ذلك منه، وقدر الله قبل وقوعه غيب لا يعلمه إلا الله، مع العلم بأنه مخاطب قبل إقدامه على المعصية بطاعة ربه، والتزام أمره.

والأدلة على بطلان الاحتجاج بالقدر على ترك الطاعات، أو فعل المعاصي كثيرة[٣]، وفيما تقدم كفاية -إن شاء الله-.

والاحتجاج بالقدر على المعاصي نوعان:

١- الاحتجاج بالقدر على المعصية في حال ارتكابها، أو قبل ارتكابها، هو احتجاج باطل، وهو احتجاج إبليس فيما ذكره الله تعالى عنه: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾[٤]، وهذا النوع هو المراد فيما تقدم.

---

(١) رموز الكنوز (٦٣٣/١).

(٢) لمعة الاعتقاد ص٢٦.

(٣) انظر لما سبق وما يخص تلك الأدلة والبراهين على بطلان الاحتجاج بالقدر على ترك الطاعات، أو فعل المعاصي: منهاج السنة (٥٤/٣) وما بعدها، رسالة الاحتجاج بالقدر لشيخ الإسلام ابن تيمية، ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ، رسائل في العقيدة، محمد بن صالح بن عثيمين، ص (٣٨-٣٩)، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ، دار طيبة – الرياض.

(٤) سورة الأعراف: الآية (١٦).

٢- الاحتجاج بالقدر على المعصية بعد التوبة منها، فهو احتجاج صحيح، ولا يدفع المحتج به أمراً ولا نهياً، ولا يبطل به شرعاً، بل يخبر بالحق مع البراءة من الحول والقوة، وهذا الاحتجاج احتج به آدم على موسى عليهما السلام كما ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «احتج آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، فقال له آدم: أنت موسى، اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟! فقال النبي ﷺ: «فحج آدم موسى، فحج آدم موسى»[1][2]، وذلك أن موسى عليه السلام لم يكن عتبه لآدم عليه السلام لأجل الذنب، فإن آدم كان قد تاب من الذنب، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، ولكن كان ملام موسى لآدم عليهما السلام لأجل المصيبة التي لحقتهم بسبب أكله، ولهذا قال له: لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة؟

والمؤمن مأمور أن يرجع إلى القدر عند المصائب، فيصبر على المصائب، فالإيمان بالقدر والرضا بما قدره الله من المصائب والتسليم لذلك هو من حقيقة الإيمان [3] .

فالاحتجاج بالقدر على المعصية باطل باتفاق أهل الملل، وبالفطرة السوية، والعقول السليمة، ولا يحتج بالقدر على المعصية إلا من كان متبعاً لهواه[4]، وأنه لو كان لأحد حجة فيه لكان أولاهم بالحجة إبليس وفرعون وسائر المشركين[5].

---

(١) رواه البخاري في كتاب القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله (٢٤٣٩/٦)، برقم (٢٦٤٠)، ومسلم في كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام (٢٠٤٢/٤)، برقم (٢٦٥٢).

(٢) انظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم الجوزية ص١٨، تحقيق: محمد بدر الدين النعساني الحلبي، دار الفكر – بيروت.

(٣) انظر: منهاج السنة (٢٦/٣، ٢٧).

(٤) انظر: المصدر السابق (٢٣/٣).

(٥) انظر: رفع الشبهة والغرر عمن يحتج بالمعاصي على القدر، مرعي الكرمي ص(٣١)، بتحقيق: أسعد المغربي، الطبعة الأولى عام ١٤٢٠هـ، دار حراء – مكة.

٢- المسألة الثانية: سبق التقدير لا يعني ترك العمل:

سبق التقدير من الله سبحانه وتعالى بما هو كائن إلى يوم القيامة، بحسب ما اقتضته حكمته جل وعلا.

والتقدير السابق ليس معناه أن الإنسان يركن إلى ترك العمل، وقد استشهد الرسعني بحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه **في هذا الباب عند تفسيره لقوله تعالى:** ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [1] **.**

فقال: "وأخرج مالك في الموطأ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه **سئل عن قوله:** ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ **فقال: سئل عنها رسول الله** ﷺ **فقال: إن الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون، فقال رجل: يا رسول الله، ففيم العمل؟ فقال رسول الله** ﷺ**: إذا خلق الله العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة، حتى يموت على عمل أهل الجنة فيدخله به الجنة، وإذا خلق الله العبد للنار، استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار » هذا حديث صحيح أخرجه أبو داود في سننه والحاكم في صحيحه[2][3].**

يقول الرسعني عند تفسير قول الله تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ

---

(١) سورة الأعراف: الآية (١٧٢).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٢/٨٩٨-٨٩٩)، وأبو داود في سننه (٤٧٠٣)، والترمذي (٣٠٧٥)، وقال: هذا حديث حسن، وصححه ابن حبان (٣/٦١٣)، والحاكم في صحيحه (٢/٣٢٤-٣٢٥ و٥٤٤).

(٣) رموز الكنوز (٢/٤٣/أ).

ٱلضَّلَٰلَةُ ⁽١⁾: " فَرِيقًا هَدَىٰ أرشـد إلى دينه، وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ بالإرادة السابقة والكلمة الأزلية"[٢].

ومع هذا القضاء السابق من الله تعالى، فإن الله جلّ وعلا هدى الإنسان النجدين، طريق الخير وطريق الشر، وجعل له قدرة واختياراً داخلة في عموم مشيئته تعالى.

يقول سبحانه: وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ [٣].

ويقول: لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ [٤].

يقول الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تعالى: وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ [٥]:

" وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ سبيل الخير والشر[٦].

وعليه فإن الرسعني يقرر وجوب العمل، وعدم الركون إلى القدر السابق، وهو ما دلت عليه النصوص السابقة، ولما سئل النبي ﷺ عن الاتكال وترك العمل قال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له »[٧].

والأحاديث والآثار في هذا الباب كثيرة جداً، وأهل السنة مجتمعون على الإيمان بها واعتقادها وترك المجادلة فيها[٨].

---

(١) سورة الأعراف: الآية (٣٠).

(٢) رموز الكنوز (١٢/٢/ب).

(٣) سورة التكوير: الآية (٢٩).

(٤) سورة التكوير: الآية (٢٨).

(٥) سورة البلد: الآية (١٠).

(٦) رموز الكنوز (٢٣٧/٤/أ).

(٧) رواه مسلم برقم (٢٦٤٨).

(٨) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٣٢٠/١).

٣- المسألة الثالثة: إثبات الأسباب:

لا خلاف أن إثبات الأسباب والعمل بها من صميم عقيدة أهل السنة والجماعة، كما أن فعل الأسباب لا ينافي التوكل على الله تعالى.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فمن ظن أنه بمجرد توكله مع تركه ما أمر الله به من الأسباب يحصل مطلوبه، وأن المطالب لا تتوقف على الأسباب، التي جعلها الله أسباباً لها فهو غالط، فالله سبحانه وإن كان قد ضمن للعبد رزقه وهو لابد أن يرزقه ما عمر، فهذا لا يمنع أن يكون ذلك الرزق المضمون له أسباب تحصل من فعل العبد وغيره"[(١)].

ويقول تلميذه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيناً فساد رأي من نفى الأسباب وظن أن هذا هو التوكل: "من نفاها فتوكله مدخول، وهذا عكس ما يظهر في بدوات[(٢)] الرأي أن إثبات الأسباب يقدح في التوكل، وأن نفيها تمام التوكل، فاعلم أن نفاة الأسباب لا يستقيم لهم توكل البتة، لأن التوكل من أقوى الأسباب في حصول المتوكل فيه، فهو كالدعاء الذي جعله الله سبباً في حصول المدعو به"[(٣)].

وأيضاً يبين ابن القيم أن توكل الموحد لا يوجب طرح الأسباب بل يوجب عدم الركون إليها، فقال: "الموحد المتوكل لا يلتفت إلى الأسباب، بمعنى أنه لا يطمئن إليها، ولا يرجوها، ولا يخافها، فلا يركن إليها ولا يلتفت إليها بمعنى أنه لا يسقطها ولا يهملها ويلغيها بل يكون قائماً بها، ملتفتاً إليها، ناظراً إلى مسببها سبحانه ومجريها، فلا يصح

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧٧/٨، ٥٢٩)، وانظر: الاستقامة، لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٥٤/١)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – المدينة المنورة.

(٢) بدوات الرأي: ما يظهر من الآراء التي تعرض للمرء، فيكون ذا بدوات، فيرجح بعضها، ويترك بعضها. انظر: لسان العرب (٦٦/١٤).

(٣) مدارج السالكين (١١٨/٢).

التوكل شرعاً وعقلاً إلا عليه سبحانه وحده"[١].

ويقول الرسعني عن قصة إخوة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ **مع أبيهم يعقوب** عَلَيْهِ السَّلَامُ **-عندما أرادوا الذهاب إلى مصر- عند قوله تعالى:** ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾[٢] **"وفي قوله:** ﴿وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ **اعتراف بأن الحذر لا يدفع القدر، وأنه لا فاعل على الحقيقة إلا الله، وإن أضيفت الأشياء إلى أسبابها بطريق المجاز،** ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ **لا على السبب المذكور، وفيه إشعار بأن تعاطي الأسباب المأذون فيها لا يقدح في صحة التوكل،** ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾ **من أبواب متفرقة ما كان ذلك الدخول أو ما كان أمر يعقوب ورأيه يغني عنهم من الله شيء قضاه عليهم، وهذا موافق لقول يعقوب: وما أغني عنكم من الله شيء** ﴿إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا﴾**، استثناء منقطع، على معنى ولكن حاجة في نفس يعقوب قضاها، وهي دخولهم متفرقين شفقة عليهم وحذراً من العين، ثم مدحه الله تعالى وأثنى عليه بالعلم، حيث فوض الأمر إليه واعتمد عليه، فقال:** ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٖ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ ... وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣].

علم يعقوب من جواز مراعاة الأسباب، وإيجاب التفويض إلى المسبب"[٤].

ويقول في موضع آخر: "تعاطي الأسباب لا بأس به بشرط اعتماد القلب على الله

---

(١) مدارج السالكين (٣/٥٠٠).

(٢) سورة يوسف: الآية (٦٧).

(٣) سورة يوسف: الآية (٦٨).

(٤) رموز الكنوز (٢/٥٤/أ).

تعالى"(١).

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (٢).

يقول الرسعني: "﴿لِّتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ وهو طلب الرزق، فإن النهار مظنة الاقتدار على الانتشار والتعاطي لأسباب الاكتساب"(٣).

والحقيقة أن القدر لا ينافي الأسباب القدرية، التي جعلها الله تعالى أسباباً، فإن الأسباب من قدر الله تعالى، وربط المسببات بأسبابها هو مقتضى الحكمة التي هي من أجل صفات الله عز وجل، والتي أثبتها الله لنفسه في مواضع كثيرة من كتابه.

وإذا كان القدر لا ينافي الأسباب فهو لا ينافي أن يكون للعبد إرادة وقدرة يكون بها فعله، فهو مريد قادر فاعل، لكنه غير مستقل بإرادته وقدرته وفعله، كما لا تستقل الأسباب بالتأثير في مسبباتها.

والناس في الأسباب طرفان ووسط فالطرف الأول: نفاة أنكروا تأثير الأسباب وجعلوها مجرد علامات يحصل الشيء عندها لا بها (٤)، والطرف الثاني: غلاة أثبتوا تأثير الأسباب، لكنهم غلوا في ذلك وجعلوها مؤثرة بذاتها، وهؤلاء وقعوا في الشرك (٥)، وأما الوسط: فهم الذين هدوا إلى الحق وتوسطوا بين الفريقين فأخذوا بما مع كل واحد منهما من الحق، فأثبتوا للأسباب تأثيراً في مسبباتها، لكن لا بذاتها بل بما أودعه الله تعالى فيها من القوى الموجبة، وهؤلاء هم الطائفة الوسط الذين وفقوا للصواب وجمعوا بين المنقول

---

(١) رموز الكنوز (٢/١٤٩/أ).

(٢) سورة الإسراء: الآية (١٢).

(٣) رموز الكنوز (٢/٢١٩/ب).

(٤) كالجهمية، والجبرية.

(٥) كالطبائعية.

والمعقول والمحسوس[1]، وهم أهل السنة والجماعة.

و بهذا يتبين بأن الإمام الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قرر عقيدة أهل السنة والجماعة في إثبات الأسباب.**

---

(١) انظر: تقريب التدمرية، لابن عثيمين (٩٧-٩٨)، الطبعة الأولى، عام ١٤١٣هـ، مكتبة السنة – القاهرة، مصر.

الفصل السابع

جهود الرسعني في تقرير مسائل الإيمان وفي الصحابة وفي الإمامة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حقيقة الإيمان وزيادته ونقصانه.

المبحث الثاني: فضل الصحابة.

المبحث الثالث: الخروج على الأئمة.

المبحث الأول
حقيقة الإيمان وزيادته ونقصانه

تعريف الإيمان:

الإيمان في اللغة: "أمن؛ الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة، التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب؛ والآخر التصديق. والمعنيان متدانيان..."[١].

فهو مصدر آمن إيماناً، فهو مؤمن، واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه التصديق[٢].

ومنه قوله تعالى عن إخوة يوسف: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾[٣]. أي: بمصدق، وهو أيضاً: إعطاء الأمان"[٤].

يقول الرسعني: "المؤمن: المصدق بما يجب التصديق به"[٥].

قال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾[٦].

استشهد الرسعني عند تفسير هذه الآية بقول الزجاج الذي يقول فيه: "الإسلام إظهار الخضوع والقبول لما أتى به النبي ﷺ، وبذلك يحقن الدم، فإن كان مع ذلك

---

(١) معجم مقاييس اللغة (١٣٣/١-١٣٥).
(٢) تهذيب اللغة (٥١٠/١٥).
(٣) سورة يوسف: الآية (١٧).
(٤) انظر: لسان العرب (٢٣/١٣)، القاموس المحيط (١٩٧/٤).
(٥) رموز الكنوز (١٨٢/٣/ب).
(٦) سورة الحجرات: الآية (١٤).

الإظهار اعتقاد أو تصديق بالقلب فذلك الإيمان"(١)، ثم قال: "والذي هذه صفته هو مؤمن مسلم فأما من أظهر قبول الشريعة فهو في الظاهر مسلم وفي الباطن غير مصدق فقد أخرجه الله من الإيمان بقوله: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ أي لم تصدقوا، إنما أسلمتم تعوذاً من القتل"(٢).

وللعلماء قول آخر في هذه الآية، وقد أشار للقولين شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: "فهذا الإسلام الذي نفى الله عن أهله دخول الإيمان في قلوبهم، هل هو إسلام يثابون عليه؟ أم هو من جنس إسلام المنافقين؟ فيه قولان مشهوران للسلف والخلف: أحدهما: أنه إسلام يثابون عليه، ويخرجهم من الكفرو النفاق ... والقول الثاني: أن هذا الإسلام: هو الاستسلام خوف السبي والقتل، مثل إسلام المنافقين، قال: وهؤلاء كفار، فإن الإيمان لم يدخل في قلوبهم، ومن لم يدخل الإيمان في قلبه فهو كافر" (٣).

قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (٤).

يقول الرسعني: " ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ... إن كنتم مصدقين بما وعدكم الله من الاستعلاء على الأعداء فلا تهنوا ولا تحزنوا"(٥).

أما الإيمان في الاصطلاح: فهو قول باللسان، وعمل بالأركان، وعقد بالجنان(٦)، يزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان(٧).

---

(١) معاني القرآن (٣٨/٥).

(٢) رموز الكنوز (١٢/٤/ب-١٣/أ).

(٣) الإيمان، لشيخ الإسلام ابن تيمية ص١٨٨، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ، المكتب الإسلامي.

(٤) سورة آل عمران: الآية (١٣٩).

(٥) رموز الكنوز (٢٥٠/١).

(٦) الجنان: القلب. انظر: مختار الصحاح ص٤٨.

(٧) لمعة الاعتقاد ص٢٧، وانظر: شرح العقيدة الطحاوية (٤٥٩/٢)، لوامع الأنوار (٤٠٣/١) وما بعدها، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٨٣٠/٤)، التمهيد (٢٣٨/٩)، اجتماع الجيوش الإسلامية ص٩٦.

وعرفه بعضهم بقوله: "الإيمان جميع الطاعات الباطنة والظاهرة، فالباطنة أعمال القلب، وهو تصديق القلب، والظاهرة هي أفعال البدن الواجبات والمندوبات"[١].

يقول الرسعني: "الإيمان: هو التصديق به والعمل عليه"[٢].

واستشهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موضع آخر بقول الحسن البصري الذي يقول فيه: ليس الإيمان بالتمني، ولا التحلي، ولكنه ما وقر في الصدر وصدقه العمل"[٣] [٤] .

ومذهب أهل السنة والجماعة أن الإيمان قول وعمل، قول اللسان، وعمل القلب والجوارح، وأنهما متلازمان لا ينفكان[٥].

يقول الإمام أحمد: "إن الإيمان قول وعمل ونية، وتمسك بالسنة"[٦].

ويقول الإمام مالك: "الإيمان قول وعمل"[٧].

وقد حكى غير واحد إجماع أهل السنة على ذلك؛ فقد ذكر الإمام الشافعي الإجماع على هذا القول[٨]، وقال ابن عبدالبر[٩]: "أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية،

---

(١) مسائل الإيمان، محمد بن الحسين بن محمد أبو يعلى، ص١٥٢، تحقيق: سعود بن عبدالعزيز الخلف، دار العاصمة – الرياض ١٤١٠هـ.

(٢) رموز الكنوز (١٨٣/٣/أ).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (١٦٣/٦، ١٨٩/٧)، والبيهقي في الشعب (٨٠/١)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦٩٥/٢) وعزاه لابن أبي شيبة..

(٤) رموز الكنوز (٥٩٨/١).

(٥) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٨٣٢/٤-٨٤٩).

(٦) رسالة السنة ص٦٧، وانظر: مسائل الإيمان، للقاضي أبي يعلى ص١٥٢ وما بعدها.

(٧) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة، للالكائي (٨٤٨/٤-٨٤٩).

(٨) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٩٥٦/٥) رقم (١٥٩٣).

(٩) تقدمت ترجمته ص ١٨٠.

والطاعات كلها عندهم إيمان"[(١)].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "النقول المتواترة عن السلف بأن الإيمان قول وعمل"[(٢)].

وقد خالف في هذا الباب بعض الطوائف، فمنهم من قال أن الإيمان مجرد معرفة القلب، وهو قول الجهمية [(٣)]، ومنهم من قال: أنه قول اللسان، وهو قول الكرامية [(٤)]، ومنهم من قال: أنه التصديق، وهو قول الإشاعرة[(٥)(٦)].

يقول الإمام الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأطيعوا الله في حكمه وقضائه، ورسوله في إنفاذ ما أمر وإمضائه إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ كاملي الإيمان، ثم وصف المؤمنين الكاملي الإيمان

---

(١) التمهيد (٢٣٨/٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٦٦/٧).

(٣) انظر: الإيمان، لأبي عبيد القاسم بن سلام ص٥٠، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض ، الإيمان، محمد بن يحيى العدني ص٩٦، تحقيق: حمد بن حمدي الجابري الحربي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، الدار السلفية – الكويت ، مقالات الإسلاميين ص١٣٢، مجموع الفتاوى (٥٠٨/٧).

(٤) انظر: مقالات الإسلاميين ص١٤١، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، لإمام الحرمين أبو المعالي الجويني ص٣٣٣، تحقيق: د. محمد يوسف موسى، وعلي عبدالمنعم عبدالحميد، الناشر: مكتبة الخانجي - مصر ١٣٦٩هـ ، التدمرية ص١٩٢-١٩٣.

(٥) الأشاعرة: هم المنتسبون إلى أبي الحسن الأشعري في مذهبه الثاني بعد رجوعه عن الاعتزال، وعامتهم يثبتون سبع صفات فقط، وينفون عن الله علو الذات، ويقولون بالكسب الذي هو في حاصله نفي للأفعال الاختيارية للعبد، وكذلك قولهم بنفي الأسباب. انظر: الملل والنحل (٩٤/١-١٠٣)، مذاهب الإسلاميين لعبدالرحمن بدوي (٤٨٧/١-٧٤٨)، الطبعة الثانية ١٩٧٩هـ، دار العلم للملايين – بيروت ، العقائد والأديان، لعبدالقادر صالح (٣٧-٤٤)، دار المعرفة، بيروت - لبنان.

(٦) انظر: الإرشاد، للجويني ص٣٣٣-٣٣٤، المواقف في علم الكلام، عبدالرحمن بن أحمد الإيجي ص٣٨٤، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة، الطبعة الأولى ١٩٩٧م، دار الجيل – بيروت.

فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾[١] [٢].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾[٣].

يقول الرسعني عند هذه الآية: " ﴿وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ **إيماناً كاملاً، فإنهم كفروا بالقرآن، وبما جاءت به الرسل من عند الله، وكذبوا بالبعث على الوجه الذي أخبرت به رسل الله، وجاءت به كتبه، وقالوا: لا تبعث الأجساد، ولا ينعم أهل الجنة بالأكل، والشرب، والنكاح، فكأنهم لم يؤمنوا"[٤].**

قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗا﴾[٥].

يقول الرسعني عند هذه الآية: " ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗا﴾ **أي حققوا إيمانهم وصدقوه بالعمل بمقتضاه وفعل ما يحبه الله تعالى ويرضاه"[٦].**

قال تعالى: ﴿فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾[٧].

يقول الرسعني عند تفسير هذه الآية: "وفي هذه الآية بيان واضح ودليل قاطع على أن الأعمال الصالحة لا تجدي نفعاً إلا بانضمام الإيمان إليها، وأن الإيمان باللسان ليس بإيمان حتى يواطئه القلب[٨].

---

(١) سورة الأنفال: الآية (٢).
(٢) رموز الكنوز (٢/٥٢/أ).
(٣) سورة النساء: الآية (٣٨).
(٤) رموز الكنوز (١/٤٦٤).
(٥) سورة الأنفال: الآية (٤).
(٦) رموز الكنوز (٢/٧١/ب).
(٧) سورة محمد: الآية (٩).
(٨) رموز الكنوز (٣/١٧٦/ب).

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُم﴾[(١)] .

يقول الرسعني عند تفسيرها: " ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُم﴾ إلى أن الجزاء على ما أضمره الجنان، لا على ما أظهره اللسان"[(٢)].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قول اللسان بدون اعتقاد القلب هو قول المنافقين، وهذا لا يسمى قولاً إلا بالتقييد، كقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡ﴾[(٣)] ، وكذلك عمل الجوارح بدون أعمال القلوب هي من أعمال المنافقين التي لا يتقبلها الله"[(٤)].

وقد قرر الرسعني مذهب السلف الصالح بأن حقيقة الإيمان قول وعمل فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾[(٥)] المراد به زيادة العمل، كما جاء في الحديث: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن طريق »[(٦)] ... ثم وصفهم ونعتهم بمواطأة الجوارح للقلوب في العبادة والطاعة، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗا﴾[(٧)] ، أي: إيماناً حقاً، وقيل: هو مصدر مؤكد للجملة التي هي: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗا﴾، كقولك هو عبدالله حقاً، أي حق ذلك حقاً ...

---

(١) سورة النساء: الآية (٢٥).

(٢) رموز الكنوز (٤٣٣/١).

(٣) سورة الفتح: الآية (١١).

(٤) مجموع الفتاوى (٥٠٦/٧).

(٥) سورة الأنفال: الآية (٢).

(٦) أخرجه البخاري بنحوه في كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان (٢٠/١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها (٦٣/١).

(٧) سورة الأنفال: الآية (٣-٤).

وقال مقاتل: أولئك هم المؤمنون لا شك في إيما م كشك المنافقين[(١)][(٢)].

وقوله تعالى: أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا [(٣)] **.**

يقول الرسعني: فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ **بطل ثوا ا لفوات شرط القبـول وهـو الإيمان"[(٤)].**

وفي موضع آخر يقول الرسعني عند تفـسيره لقولـه تعـالى: وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ [(٥)] **:**

" وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ **من للجنس، وشرط الإيمـان لتوقف قبول العمل عليه"[(٦)].**

و ذا يتبين بأن الإمام الرسعني ذهب إلى ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة، مقرراً بأن الإيمان، قول وعمل وتصديق.

زيادة الإيمان ونقصانه:

ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن الإيمان يزيد وينقص، وزيادته تكون بالطاعـة، ونقصانه يكون بالمعصية، وقد أجمع السلف على هذا المعتقد[(٧)].

---

(١) زاد المسير (٣٢١/٣).
(٢) رموز الكنوز (٥٢/٢/ب ، ٥٣/أ).
(٣) سورة الكهف: الآية (١٠٥).
(٤) رموز الكنوز (٣٥/٣/أ).
(٥) سورة طه: الآية (١١٢).
(٦) رموز الكنوز (٧٩/٣/أ).
(٧) انظر: السنة، عبدالله بن أحمد بن حنبل الشيباني (٣٠٧/١) وما بعدها، تحقيق: د. محمد سعيد سالم القحطاني، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، دار ابن القيم – الدمام ، الشريعة، للآجري ص١١٦-١١٨، شـرح أصـول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي (٩٤٨/٥-٩٦٤).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ولهذا كان أهل السنة والحديث على أنه يتفاضل وجمهورهم يقولون: يزيد وينقص، ... ، وقد ثبت لفظ الزيادة والنقصان فيه عن الصحابة، ولم يعرف فيه مخالف من الصحابة"[(١)].

وأفرد البخاري في صحيحه، في أول كتاب الإيمان: باب قول النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس »، وهو قول وفعل، يزيد وينقص، ثم سرد عدداً من الآيات، والأحاديث، وأقوال السلف المؤيدة لذلك[(٢)].

كما حكى البغوي[(٣)] اتفاق الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء السنة، على زيادة الإيمان ونقصانه[(٤)].

وكان ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول في دعائه: اللهم زدنا إيماناً ويقيناً وفقهاً[(٥)].

وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول لأصحابه: هلموا نزدد إيماناً، فيذكرون الله عز وجل[(٦)].

وقد قرر الإمام الرسعني ما عليه أهل السنة والجماعة، من أن الإيمان يزيد وينقص، فهو يقول عند قول المولى سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[(٧)].

---

(١) الإيمان ص (٢١٠-٢١١).

(٢) انظر: صحيح البخاري (١٩/١).

(٣) أبو محمد الحسين بن مسعود بن الفراء البغوي الشافعي، الشيخ الإمام العلامة القدوة الحافظ المفسر، كان زاهداً قانعاً باليسير، له القدم الراسخة في التفسير والفقه، توفي سنة ٥١٦هـ. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان (٤٠٢/١)، تذكرة الحفاظ (١٢٥٧/٤-١٢٥٩)، النجوم الزاهرة (٢٢٣/٥-٢٢٤).

(٤) انظر: شرح السنة، للبغوي (٣٨/١-٣٩)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وزهير الشاويش، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ، المكتب الإسلامية – بيروت.

(٥) أخرجه الطبراني في "الكبير" (٨٥٤٩)، وقال الهيثمي في "المجمع" (١٨٥/١٠): إسناده جيد.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في "الإيمان" (١٠٨)، والمصنف (٢٦/١١) من طريق ذر بن عبدالرحمن المرهبي، قال: كان عمر ربما يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه فيقول: قم بنا نزداد إيماناً.

(٧) سورة آل عمران: الآية (١٧٣).

" ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا﴾ أي زادهم قول الناس إيماناً، وتصديقاً، وثباتاً على دينهم وطاعة نبيهم، وهذه الآية من جملة الهوادم لمذهب المانعين من القول بزيادة الإيمان ونقصانه، ولأنه لا يخلو إما أن يكون الإيمان يزيد عن التصديق فقط، أو عن التصديق مع انضمام الطاعة إليه، وأياً ما كان فهو يقبل الزيادة والنقصان، ولا إشكال في الثاني، أما الأول، فكل عاقل يجد في نفسه زيادة التصديق بتناصر الحُجج، وتعاضد البراهين، لا سيما القلوب الصافية من الكدر، إذا تليت عليها آيات الكتاب العزيز، فإنه يتجدد لها إيمان وإيقان، لو وزنَ بالجبال الشوامخ لربا عليها، وإلى هذا القسم أشار النبي ﷺ بقوله في حديث الشفاعة، قال: «فيقال: انطلق فأخرج من النار من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان" ... إلى أن قال: «مثقال ذرة أو خردلة من إيمان » ... إلى أن قال: «أدنى، أدنى، أدنى، مثقال خردلة من إيمان »[1] ... وكان عمر رضي الله عنه يأخذ بيد الرجل فيقول: "قم بنا نزداد إيماناً"[2](3).

ويقول في موضع آخر عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا﴾[4]:

"إن بسماع القرآن تتظاهر الأدلة عند المؤمنين فتزداد نفوسهم إيقاناً وإيماناً وطمأنينة"[5].

ويقول رحمه الله أيضاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب: كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (٤٠٥/٤-٤٠٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٨٢/١-١٨٤).

(٢) تقدم تخريجه ص ٤١٥.

(٣) رموز الكنوز (٣١٢/١، ٣١٤).

(٤) سورة الأنفال: الآية (٢).

(٥) رموز الكنوز (٥٢/٢/ب).

يَسۡتَبۡشِرُونَ (١).

" وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ فَمِنۡهُم أي: فمن المنافقين مَّن يَقُولُ أي: يقول: بعضهم لبعض إنكاراً واستهزاءً و كماً بـالمؤمنين، أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ، قال الله تعالى: فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يعني صدقوا تصديقاً لا مرية فيـه ولا فريـة تعتريه، فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنًا تصديقاً ويقيناً، والمعنى فزاد م عملاً إذ ازدادوا به إيمانـاً، وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ بـ ولها، وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ شـرك وشـك، فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ أي كفـراً منـضماً إلى كفـرهم، وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ (٢).

أما الذين خالفوا السلف في هذا الباب، وقالوا بعدم زيادة الإيمان أو نقصانه فقد كان لهم بعض الشبه والحجج العقلية، التي استدلوا ا -ليس هذا موضـع بـسطها-، ولكن يكفي أن نقول: إن الأدلة قد تضافرت من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمـة على زيادة الإيمان ونقصانه، ويكفينا رداً على هذا القول تلك الأدلة التي استدل ا أهل السنة، والتي تقرر أن الإيمان يزيد وينقص، ففيها رد صريح وواضح على شـبه هـؤلاء المبتدعة(٣).

ومن المسائل المتعلقة بالإيمان، مسألة الاستثناء في الإيمان، وقد قرر الرسعني جواز الاستثناء في الإيمان على اليقين لا على معنى الشك فيقول: "والذي عليه جمهور السلف شرعية الاستثناء في الإيمان، فيقول: أنا مؤمن إن شاء الله، لا على معنى الشك في إيمانـه

---

(١) سورة التوبة: الآية (١٢٤).

(٢) رموز الكنوز (٢/٩٧/أ).

(٣) انظر: في الرد على القائلين بعدم زيادة الإيمان ونقصانه: الإيمان لأبي عبيد ص٢٤-٢٦، الإبانة لابـن بطـة (٢/٨٣٢) وما بعدها، الإيمان لابن تيمية ص (٢١٠-٢٢٤).

واعتقاده من حيث علمه بنفسه، فإنه فيه على يقين وبصيرة، بل على معنى الخوف من سوء العاقبة وخفاء علم الله فيه عليه، فإن أمر السعادة والشقاوة ينبني على ما يعلم الله من عبده، لا على ما يعلمه العبد من نفسه، والاستثناء يكون في المستقبل، وفيما خفي عليه أمره لا فيما مضى وظهر، فإنه لا يسوغ في اللغة، لمن يتيقين أنه أكل وشرب، أكلت إن شاء الله، وأشرب إن شاء الله، ويصح أن يقول: آكل إن شاء الله، وأشرب إن شاء الله، ولو قال: أنا مؤمن من غير استثناء، يريد أنه مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، فجائز، ولو أراد أنه مؤمن عند الله لم يجز"[1].

وقد بسط شارح الطحاوية أقوال الناس في مسألة الاستثناء في الإيمان، وأن منهم من يوجبه، ومنهم من يحرمه، ومنهم من يجيزه باعتبار، ويمنعه باعتبار، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الفريق الثالث الذي وصفهم بأنهم أسعد بالدليل من الفريقين وخير الأمور أوسطها: "فإن أراد المستثنى الشك في أصل إيمانه منع من الاستثناء، وهذا مما لا خلاف فيه، وإن أراد أنه مؤمن من المؤمنين الذين وصفهم الله في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾[2] وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[3].

فالاستثناء حينئذ جائز، وكذلك من استثنى وأراد عدم علمه بالعاقبة، وكذلك من

---

(١) رموز الكنوز (٢/٥٣/أ).
(٢) سورة الأنفال: الآية (٢-٤).
(٣) سورة الحجرات: الآية (١٥).

استثنى تعليقاً للأمر بمشيئة الله، لا شكاً في إيمانه"[١].

و ـذا فإن الرسعني وافق السلف في شرعية الاستثناء في الإيمان على معنى اليقين لا على معنى الشك، وأن يكون في المستقبل، وفيما خفي عليه أمره لا فيما مضى وظهر.

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢/٤٩٤-٤٩٨).

المبحث الثاني
فضل الصحابة

الصحابة الكرام، أولئك الصفوة من البشر، الذين اختارهم الله ليكونوا سياجاً حول رسول الله ﷺ، وليكونوا أنصاراً لدين الله وقت أن وقف العتاة والمعاندون ضد هذا الدين الحنيف، وليكونوا المقربين والمستشارين للنبي ﷺ وقت أن كان الكثير من الناس يقفون ضده صلوات الله عليه، وليكونوا حملة السيوف للدفاع عن رسول الله ﷺ وقت أن كان الكثير حملة للسيوف ضد رسول الله ﷺ، أولئك الصفوة من الخلق، الذين باعوا كل شيء في سبيل نيل رضا الله ورضا رسوله ﷺ، معاهدين على نصرة الدين، فصدقوا ما عاهدوا الله عليه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾(١).

أولئك القوم الذين عاشت أجسادهم في الدنيا، بينما كانت قلوبهم وأرواحهم تعيش مع نسمات الخلد في جنات الفردوس، وقد باتوا لله سجداً وقياماً، يتلون كتاب الله، يراوحون بين جباههم وأقدامهم، هم خير القرون وأفضلها.

وأهل السنة والجماعة يثبتون فضل الصحابة رضي الله عنهم، الذي نطق به القرآن الكريم المنزل من لدن حكيم حميد على نبيه محمد ﷺ، كما يثبتون جميع ما صح في فضلهم عن رسول الله ﷺ سواء كان هذا الفضل على وجه العموم، أو على وجه الخصوص، الكل يثبتونه ويعتقدونه اعتقاداً جازماً ويسلمون به لأولئك الأطهار، الذين اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، وصاغهم أعظم صياغة ليكونوا وزراء لنبيه عليه الصلاة والسلام، وليحملوا رسالته من بعده، ويبلغوها إلى جميع الناس في هذه المعمورة.

ولقد أثنى الله عليهم في كتابه الكريم في آيات كثيرة ومواضع شتى منها:

---

(١) سورة الفتح: الآية (١٠).

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾ [(١)].

وقوله تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [(٢)].

قال الزجاج عند هذه الآية: "وأصل الخطاب لأصحاب النبي ﷺ وهو يعم سائر أمته"[(٣)].

وقد استشهد الرسعني عند تفسيره لهذه الآية بقول الزجاج آنف الذكر، واستدل بحديث: «إنكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها، وأكرمها على الله عز وجل » [(٤)].

ثم قال رحمه الله: "والمعنى: كنتم في اللوح المحفوظ، أو في علم الله، ... أو كنتم في الأمم قبلكم مذكورين بأنكم خير أمة موصوفين به ... ومعنى الكلام: كنتم خير الناس للناس، وأنفع لهم" [(٥)].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٧٤﴾ [(٦)].

يبين الرسعني عند تفسيره لهذه الآية بأن الصحابة رضي الله عنهم مؤمنون حق الإيمان

---

(١) سورة البقرة: الآية (١٤٣).

(٢) سورة آل عمران: الآية (١١٠).

(٣) معاني القرآن (٤٦٧/١).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/٥)، والترمذي في كتاب التفسير (٢٢٦/٥)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب صفة أمة محمد (١٤٣٣/٢)، والحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة (٨٤/٤)، كلهم عن ز بن حكيم عن أبيه عن جده، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، قال ابن كثير: وهو حديث مشهور (٣٩١/١)، وقد حسنه الترمذي.

(٥) رموز الكنوز (٢٠٠/١-٢٠١).

(٦) سورة الأنفال: الآية (٧٤).

فيقول: " ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ أي: حققوا إيمانهم وصدقوه بالعمل بمقتضاه وفعل ما يحبه الله تعالى ويرضاه ... وهذه الآية ثناء عليهم" (١) .

وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ١٠٠﴾ (٢) .

وهذه الآية الكريمة اشتملت على أبلغ الثناء من الله رب العالمين على السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، حيث أخبر تعالى أنه رضي الله عنهم ورضوا عنه، بما أكرمهم الله به من جنات النعيم، وقد عصم الله أهل السنة والجماعة مما وقع فيه الرافضة، فلم يقولوا في المهاجرين والأنصار وأعلام الدين، ولا في أهل بدر وأحد وأهل بيعة الرضوان إلا أحسن المقال.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ (٣) :"فيها ثناء على الصحابة رضي الله عنهم، حيث قال: وهذا الصنف الذي يقول الصدق ويصدق به خلاف الصنف الذي يفتري الكذب أو يكذب به، والصحابة ... هم أفضل من جاء بالصدق وصدق به بعد الأنبياء(٤).

ومما يدل أيضاً على فضل الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ قول الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ

---

(١) رموز الكنوز (٢/٧١/ب).
(٢) سورة التوبة: الآية (١٠٠).
(٣) سورة الزمر: الآية (٣٣).
(٤) منهاج السنة (١/١٥٦).

ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ (١).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيناً معنى الآية: "ولا ريب أن هذا مدح لهم بما ذكر من الصفات وهو الشدة على الكفار، والرحمة بينهم، والركوع والسجود يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، والسيماء في وجوههم من أثر السجود، وأنهم يبتدئون من ضعف إلى كمال القوة، والاعتدال كالزرع، والوعد لهم بالمغفرة والأجر العظيم ليس على مجرد هذه الصفات بل على الإيمان والعمل الصالح، فذكر ما به يستحقون الوعد، وإن كانوا كلهم بهذه الصفة، ولولا ذكر ذلك لكان يظن أنهم بمجرد ما ذكر يستحقون المغفرة والأجر العظيم"(٢).

ويقول ابن الجوزي: "وهذا الوصف لجميع الصحابة عند الجمهور"(٣).

وروى الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «يأتي على الناس زمان يغزو فئام(٤) من الناس فيقال لهم: فيكم من صحب رسول الله ﷺ فيقولون نعم: فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم هل فيكم من رأى من صحب رسول الله ﷺ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم: هل فيكم من رأى من صحب من صحب رسول الله ﷺ فيقولون: نعم، فيفتح لهم»(٥).

---

(١) سورة الفتح: الآية (٢٩).

(٢) منهاج السنة (١/١٥٨).

(٣) زاد المسير (٧/٤٤٦).

(٤) الفئام: الجماعة الكثيرة. انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/٤٠٦).

(٥) صحيح البخاري (٢/٢٨٧)، صحيح مسلم (٤/١٩٦٢)، واللفظ لمسلم.

قال الإمام النووي: وفي هذا الحديث معجزات لرسول الله ﷺ وفضل الصحابة والتابعين وتابعيهم[(١)].

وروى الشيخان أيضاً من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ أي الناس خير؟ قال: «قرني، ثم الذين يلو م، ثم الذين يلو م، ثم يجيئ قوم تبدر[(٢)] شهادة أحدهم يمينه، وتبدر يمينه شهادته »[(٣)].

فهذا الحديث فيه دلالة واضحة وقاطعة على أن الصحابة رضي الله عنهم هم خير القرون المفضلة وأكرمها على الله تعالى.

قال الإمام النووي: "اتفق العلماء على أن خـير القـرون قرنـه ﷺ والمـراد أصحابه"[(٤)].

ويقول الرسعني عند تفسيره لقـ ـوله تعـالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾[(٥)] مستشهداً بقول قتادة: "هم أصحاب محمد ﷺ"[(٦)].

يقول يرحمه الله: "قال كثير من المفسرين هذا إخبار من الله وثناء علـى الخلفـاء الراشدين من المهاجرين، ومدح لهم بما سيظهر منهم من السيرة العادلة وإثبات لـصحة أمرهم وخلافتهم لأن الله لم يعط التمكين ونفاد الأمر مع السيرة العادلة غيرهم"[(٧)(٨)].

وقد روى الإمام أحمد في المسند بإسناده إلى عبدالله بن مسعود أنه قـال: "إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد، فاصـطفاه لنفـسه، فابتعثـه

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٨٣/١٦)، وانظر: عمدة القاري للعيني (١٨٠/١٤)، دار إحياء التراث، بيروت - لبنان.
(٢) تبدر:تسبق. انظر: لسان العرب (٤٨/٤).
(٣) صحيح البخاري (٢٨٨/٢)، وصحيح مسلم (١٩٦٣/٤)، واللفظ لمسلم.
(٤) شرح النووي (٨٤/١٦).
(٥) سورة الحج: الآية (٤١).
(٦) انظر: زاد المسير (٤٣٧/٥).
(٧) انظر: المصدر السابق (٤٣٧/٥).
(٨) رموز الكنوز (١٢٤/٣/أ).

برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيء"(١).

وروى عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم"(٢).

يقول الرسعني عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾(٣):

"ولو ردوه إلى أرباب العلم، وكبراء الصحابة، لاستنبطوه بآرائهم السليمة، وأفهامهم المستقيمة، فعلموا منهم صحة ذلك الأمر من بطلانه، وهل المصلحة في إذاعته، أو في كتمانه(٤).

ويشير النسفي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ﴾ بأنهم الصحابة، فيقول: "أولي الأمر منهم يعني كبراء الصحابة البصراء بالأنوار" (٥).

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله مبيناً فضل الصحابة عموماً على غيرهم ممن جاء

(١) المسند (٣٧٩/١)، رقم (٣٦٠٠)، شرح السنة للبغوي (٢١٤/١-٢١٥)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وزهير الشاويش، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ، المكتب الإسلامي - بيروت ، وإسناده حسن.

(٢) أخرجه بنحوه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (٩٤٧/٢)، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، وإسناده ضعيف والأثر لا بأس به، وأخرجه بلفظ مقارب أبو نعيم في الحلية (٣٠٥/١) من قول ابن عمر.

(٣) سورة النساء: الآية (٨٣).

(٤) رموز الكنوز (٥٣١/١).

(٥) تفسير النسفي (٢٣٦/١).

بعدهم وذاكراً الصفات التي أهلتهم لذلك عند كلامه عن أنواع الرأي المحمود: "النوع الأول: رأي أفقه الأمة، وأبر الأمة قلوباً، وأعمقهم وأقلهم تكلفاً وأصحهم قصوداً وأكملهم فطرة، وأتمهم إدراكاً، وأصفاهم أذهاناً الذي شاهدوا التنزيل وعرفوا التأويل، وفهموا مقاصد الرسول، فنسبة آرائهم وعلومهم وقصودهم إلى ما جاء به الرسول ﷺ كنسبتهم إلى صحبته، والفرق بينهم وبين من بعدهم في ذلك كالفرق بينهم وبينهم في الفضل فنسبة رأي من بعدهم إلى رأيهم كنسبة قدرهم إلى قدرهم، والمقصود أن أحداً ممن بعدهم لا يساويهم في رأيهم وكيف يساويهم؟ وقد كان أحدهم يرى الرأي فينزل القرآن بموافقته ... وحقيق لمن كانت آراؤهم بهذه المنزلة أن يكون رأيهم لنا خيراً من رأينا لأنفسنا، وكيف لا وهو الرأي الصادر من قلوب ممتلئة نوراً وإيماناً وحكمة وعلماً ومعرفة، وفهماً عن الله ورسوله، ونصيحة للأمة، وقلوبهم على قلب نبيهم، ولا وساطة بينهم وبينه، وهم ينقلون العلم والإيمان من مشكاة النبوة غضاً طرياً لم يشبه إشكال، ولم يشبه خلاف، ولم تدنسه معارضة، فقياس رأي غيرهم بآرائهم من أفسد القياس"[1].

على هذا فإنه يجب على كل مسلم أن ينقاد لما دل على إثبات فضلهم رضي الله عنهم، ويسلم لهم بذلك ويعتقد اعتقاداً جازماً أنهم خير القرون وأفضل الأمة بعد النبيين[2]، ومن لم يسلم لهم بذلك أو يشك فيه فليتدارك نفسه ويتب إلى الله؛ لأن مقتضى ذلك تكذيب خبر الله، وخبر رسوله ﷺ، ومن كذب الله ورسوله لا حظ له في الإسلام.

وقد قرر الرسعني بأن حب الصحابة رضوان الله عليهم دين وإيمان، وبغضهم نفاق وكفر، وذلك لسابقتهم في الإسلام، ولمقامهم مع النبي ﷺ، ويوجبون نشر محاسنهم والكف عن مساوئهم ، فمن سبهم أو أبغضهم، أو أحداً منهم فليس على هدي السنة.

(١) إعلام الموقعين (٧٩/١-٨٢).

(٢) انظر: كتاب "ابن حزم الأندلسي" ورسالته في المفاضلة بين الصحابة ص١٧١، التدمرية ص٦٤، لوامع الأنوار البهية (٣٧٧/٢).

وفي هذا يقول الإمام الرسعني عند قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾: قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾ قال عطاء: هم الذين يذكرون المهاجرين والأنصار بالترحم والدعاء، ويذكرون محاسنهم[1].

فيسألون الله أن يجمع بينهم، فأحسنوا.

وطائفة جعلت مكان الصلاة عليهم والدعاء لهم: اللعنة والتنفير عنهم فتراهم مجاهرين في سب السابقين الأولين من المهاجرين[2].

والواجب في حق الصحابة المنافحة عنهم عند كل من يحاول الإساءة لهم، أو يعمد إلى التقليل من قدرهم ومكانتهم، وقد أكد الرسعني ذلك فعلياً مع أحد زعماء الرافضة في عصره، عند قوله عن حواري رسول الله ﷺ الزبير بن العوام [3]: بأنه من أهل النار، فيقول رحمه الله:

"ولقد سمعت عظيماً من عظمائهم، وطاغية من طغاتهم يذكر الزبير بن العوام حواري رسول الله ﷺ وابن عمته، وأول من سلّ سيفاً في سبيل الله، ويقول: هو من أهل النار، فقلت للطاغي الباغي: رسول الله قد شهد له بالجنة، فشهادة رسول الله ﷺ أقوم من شهادتك وأعدل، ولو استطعت لزدت في الرد والنكير عليه، ولكني خفت حيفه وسيفه، ثم أني مضت كمداً، وأنشدت مستشهداً:

لو كنت أقدر أن أقول لقلتُ ... ما شفيت من قلبي غليلاً

لكن لساني صارم ... فلئت مضاربه فلولاً [4]

اللهم فإليك المشتكى، وأنت المستغاث، وبك المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بك.

---

(١) الوسيط (٥٢١/٢)، زاد المسير (٤٩١/٣).

(٢) رموز الكنوز (٨٨/٢/أ).

(٣) تقدمت ترجمته ص ١٦٢.

(٤) القائل: منصور بن باذان. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، لأبي القاسم الأصفهاني (٤٦٧/١)، تحقيق: عمر الطباع، عام ١٤٢٠هـ، دار القلم - بيروت.

وهذه الآية تنعي على الطائفة الخسيسة الخبيثة الذين رفضوا دين الإسلام، وتدينوا بسب أصحاب الرسول ﷺ سوء حالهم، وتخرجهم عن أن يكونوا ممن رضي الله عنهم وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، وقد ثبت بالدلائل القطعية والبراهين العقلية والسمعية أن من تنسك بسب السابقين الأولين من المهاجرين وبغضهم، وتمسك بالبراءة منهم ورفضهم، لم يتبعهم بإحسان(١).

وفي موطن آخر يناقش الإمام الرسعني مخالفات الزمخشري في مسألة الصحابة، وسأورد ذلك النقاش عند الحديث عن موقف الرسعني من المعتزلة، ولكن سأذكر الآن بعض النصوص الذي استدل بها الرسعني في تحريم بغض الصحابة أو سبهم أو الإساءة إليهم.

قال ﷺ: «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً من بعدي، فمن أحبهم فقد أحبني، ومن بغضهم فقد بغضني، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه » قال الترمذي هذا حديث حسن(٢)، وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً، ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه(٣)»(٤) (٥).

وقد قال الإمام الطحاوي في عقيدته المشهورة: "ونحب أصحاب رسول الله، ولا نفرط في حب أحدٍ منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير

---

(١) رموز الكنوز (٢/٨٨/أ-ب).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٨٦٢)، وأحمد في مسنده (٨٧/٤)، (٥٤/٥ و ٥٧)، وفي فضائل الصحابة (١) و(٢) و(٣) و(٤) وابن أبي عاصم (٩٩٢)، وفي سنده عبدالله بن عبدالرحمن، وقيل: عبدالرحمن بن زياد، وقيل: عبدالرحمن بن عبدالله، لم يوثقه غير ابن حبان، وقال ابن معين: لا أعرفه، قال الذهبي: لا يعرف، ومع ذلك فقد حسنه الترمذي، وصححه ابن حبان (٢٢٨٤).

(٣) النصيف: شطر الشيء. انظر: معجم مقاييس اللغة (٩٩١ ، ٩٩٢).

(٤) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: "لو كنت متخذاً خليلاً" (١٣٤٣/٣)، برقم (٣٤٧٠)، ورواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة (١٩٦٧/٤)، رقم (٢٥٤٠).

(٥) رموز الكنوز (٢/١٣٣/أ).

يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان"[(١)].

وقد حذر أهل السنة والجماعة من الخوض فيما شجر بين الصحابة من الفتن مؤكدين على أن الواجب في حق الصحابة ذكر محاسنهم والكف عن زللهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : "من مذاهب أهل السنة الإمساك عما شجر بين الصحابة، فإنه قد ثبتت فضائلهم ووجبت موالاتهم ومحبتهم، وما وقع: منه ما يكون لهم فيه عذر يخفى على الإنسان، ومنه ما تاب صاحبه منه، ومنه ما يكن مغفوراً، فالخوض فيما شجر يوقع في نفوس كثير من الناس بغضاً وذماً، ويكون هو في ذلك مخطئاً بل عاصياً فيضر نفسه، ومن خاض معه في ذلك كما جرى لأكثر من تكلم في ذلك"[(٢)].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٦٨٩/٢).

(٢) منهاج السنة النبوية (٤٤٨/٤-٤٤٩)، وانظر: السنة، أحمد بن محمد الخلال (٤٨١/٢)، تحقيق: د. عطية الزهراني، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، دار الراية – الرياض ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٧٧/١)، لمعة الاعتقاد ص١٧٥، اجتماع الجيوش الإسلامية ص١٠٤-١٠٥.

المبحث الثالث

الخروج على الأئمة

قد علم بالضرورة من دين الإسلام الأمر بلزوم الجماعة، حيـث لا جماعـة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة [(١)]، وأن الخروج عن طاعة ولي الأمر، والافتيات عليه من أعظم أسباب الفساد في البلاد والعباد، والعدول عن سبيل الهدى والرشاد.

قـال تعـالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [(٢)].

وقد أوضح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله معنى هاتين الآيتين وفيما أنزلت فيـه فقال: "نزلت الآية الأولى في ولاة الأمور، عليهم أن يؤدوا الأمانـات إلى أهلـها، وإذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل، ونزلت الآية الثانية في الرعية من الجيوش وغيرهم،

---

(١) جاء نحو ذلك عن عمر رضي الله عنه حيث يقول: "يا معشر العريب الأرض الأرض إنه لا إسلام إلا بجماعة ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بطاعة، فمن سوده قومه على الفقه كان حياة له ولهم، ومن سوده قومه، على غير فقه كان هلاكاً له ولهم".
أخرجه الدارمي في سننه (٩١/١) رقم (٢٥١)، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، وخالد السبع العلمي، الطبعة الأولى عام ١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي - بيروت. يقول حسين سليم أسد: في إسناده علتان: الأولى جهالة صفوان بن رستم، والثانية الانقطاع، وعبدالرحمن بن ميسرة لم يدرك تميم الداري.
وأخرجه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (١٢٧/١) رقم (٣٢٦).

(٢) سورة النساء: الآيتان (٥٨، ٥٩).

عليهم أن يطيعوا ولاة الأمر الفاعلين لذلك في قَسمِهم، وحكمهم، ومغازيهم، وغير ذلك، إلا أن يأمروا بمعصية الله، فإذا أمروا بمعصية الله، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وإن تنازعوا في شيء ردوه إلى كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، وإن لم يفعل ولاة الأمور ذلك أطيعوا فيما يأمرون به من طاعة الله، لأن ذلك من طاعة الله، وطاعة رسوله ﷺ، وأديت حقوقهم إليهم، كما أمر الله ورسوله، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ (١)، وإذا كانت الآية قد أوجبت أداء الأمانات إلى أهلها، والحكم بالعدل، فهذان جماع السياسة العادلة، والولاية الصالحة"(٢).

ويقول الإمام الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيناً معنى طاعة الله، وطاعة رسوله ﷺ، والمراد بولاة الأمر عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (٣): "طاعة الله: العمل بكتابه، وطاعة الرسول: امتثال أمره والعمل بسنته، وأولوا الأمر: الولاة كالخلفاء والملوك، والقضاة".

ثم استشهد بعدة نصوص من السنة في وجوب طاعة ولاة الأمر، وتحريم الخروج عليهم، فقال:

"وفي أفراد مسلم من حديث عوف بن مالك الأشجعي (٤): قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا من ولي عليه والٍ، فرآه يأتي شيئاً من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يداً من طاعة» (٥).

وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «من أطاع الأمير فقد أطاعني، ومن أطاعني فقد

---

(١) سورة المائدة: الآية (٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/٢٤٥-٢٤٦).

(٣) سورة النساء: الآية (٥٩).

(٤) تقدمت ترجمته ص ١٣٧.

(٥) سبق تخريجه ص ١٣٧.

أطاع الله »[١]. [٢].

وفي الصحيحين عن عبادة بن الصامت[٣] رضي الله عنه قال: دعانا رسول الله ﷺ، فبايعنا، وكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة، في مكرهنا ومنشطنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، قال: «إلا أن تروا كفراً بواحاً، عندكم فيه من الله برهان »[٤].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرح هذا الحديث: "ومقتضاه أنه لا يجوز الخروج عليهم مادام فعلهم يحتمل التأويل".أ.هـ[٥].

وقال النووي في شرحه: "معنى الحديث لا تنازعوا ولاة الأمور في ولايتهم، ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكراً محققاً تعلمونه من قواعد الإسلام، فإذا رأيتم ذلك، فأنكروا عليهم، وقولوا بالحق حيثما كنتم، وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته، وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق".أ.هـ[٦].

فلا يجوز الخروج على الأئمة حتى وإن كانوا ظالمين جائرين، وإنما المأمور به الصبر والطاعة.

يقول النبي ﷺ: «من رأى من أميره شيئاً يكرهه، فليصبر عليه؛ فإنه من فارق

---

(١) سبق تخريجه ص ١٣٧.
(٢) رموز الكنوز (٤٩٨/١-٤٩٩).
(٣) هو عبادة بن الصامت بن قيس بن أصيرم الأنصاري، الخزرجي، أبو الوليد، أحد النقباء بالعقبة شهد المشاهد كلها إلا بدر، مات بالرملة من أرض الشام سنة (٣٤هـ). انظر: الإصابة (٦٢٤/٣)، الطبقات الكبرى (٥٤٦/٣).
(٤) رواه البخاري في مواضع من صحيحه (١٩٢/١٣)، ومسلم في كتاب الإمارة من صحيحه (١٤٧٠/٣) واللفظ له.
(٥) فتح الباري (١٠/١٣).
(٦) شرح صحيح مسلم (٢٢٩/١٢).

الجماعة شبراً فمات، فميتة جاهلية » [(١)].

قال الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا، وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة" [(٢)].

وقال الإمام البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ [(٣)]: "ولا يحل قتال السلطان والخروج عليه وإن جار" [(٤)].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "كان من العلم والعدل المأمور به الصبر على ظلم الأئمة وجورهم، كما هو من أصول أهل السنة والجماعة، وكما أمر به النبي ﷺ في الأحاديث المشهورة عنه" [(٥)].

وقال أيضاً: "وأما أهل العلم والدين والفضل فلا يرخصون لأحدٍ فيما نهى الله عنه من معصية ولاة الأمور وغشهم، والخروج عليهم بوجه من الوجوه" [(٦)].

ويقول الإمام الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: "سترون بعدي أموراً تنكروها" (٢٥٨٨/٦) حديث رقم (٦٦٤٦)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة (١٤٧٧/٣) حديث رقم (١٨٤٩).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٥٤٠/٢).

(٣) هو الحسن بن علي بن خلف البربهاري، أبو محمد، شيخ الحنابلة في وقته، كان عالماً زاهداً فقيهاً واعظاً، شديداً على أهل البدع والمعاصي، كبير القدر، معظماً، توفي سنة ٣٢٩هـ. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٩٠/١٥-٩١)، البداية والنهاية (٢٠١/١١)، شذرات الذهب (٣١٩/٢-٣٢٣).

(٤) السنة ص٧٨.

(٥) مجموع الفتاوى (١٧٩/٢٨).

(٦) المصدر السابق (١٢/٣٥).

﴿ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾ [1].

"فصل: وفي هاتين الآيتين دليل واضح على أن الباغي لا يخرج عن الإيمان ، وقد سئل علي رضي الله عنه وهو القدوة في قتال أهل البغي عن الخوارج، أمشركون هم؟ فقال: من الشرك فروا، فقيل: أمنافقون؟ فقال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، قيل: فما حالهم؟ فقال: إخواننا بغوا علينا" [2]. [3].

ثم عقد رحمه الله فصولاً في أحكام البغاة [4]، وسأقتصر على إيراد الفصل الأول منها المتعلق ببيان أقسام البغاة وبعض أحكامهم:

فقد قال رحمه الله: الخارجون على الإمام ثلاثة أقسام:

قسم لا تأويل لهم فهؤلاء قطاع طريق ... وكذلك إن كان لهم تأويل لكنهم عدد يسير لا منعة لهم؛ لأن علياً رضي الله عنه لم يجر ابن ملجم [5] مجرى البغاة [6] .

---

(١) سورة الحجرات: الآيتان (٩-١٠).

(٢) أخرجه عبدالرزاق في: باب ما جاء في الحرورية، من كتاب اللقطة، المصنف (١٥٠/١٠)، وابن أبي شيبة في: باب ما ذكر في الخوارج، من كتاب الجمل، المصنف (٣٣٢/١٥)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٥٤٣/٢)، والبيهقي في: باب الدليل على أن الفئة الباغية منهما لا تخرج بالبغي عن تسمية الإسلام، من كتاب قتال أهل البغي، السنن الكبرى (١٧٤/٨)، وأورده نقلاً عن المروزي: شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٢٤٢/٥-٢٤٣)، وصرح بأن علياً قال هذا القول.

(٣) رموز الكنوز (٦/٤/أ).

(٤) البغاة: هم أهل الجور والظلم، والخروج عن طاعة الإمام، والعدول عن الحق، وما عليه أئمة المسلمين، وأصل البغي مجاوزة الحد. لسان العرب (٧٥/١٤)، النهاية (٣٧٦/١).

(٥) هو عبدالرحمن بن ملجم بن عمرو بن يزيد المرادي، أدرك الجاهلية، وهاجر في خلافة عمر، وقرأ على معاذ بن جبل، ثم صار من كبار الخوارج، وهو أشقى هذه الأمة بالنص الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم بقتل علي بن أبي طالب، قتل في الكوفة سنة (٤٠هـ).

انظر في ترجمته: الإصابة (١٠٩/٥)، لسان الميزان (٤٣٩/٣).

(٦) انظر: المغني (٣/٩).

القسم الثاني: الخوارج الذين يكفّرون أهل الحق، وأصحاب رسول الله ﷺ ويستحلون دماء المسلمين، فذهب عامة الفقهاء إلى أن حكمهم حكم البغاة(١)؛ لأن علياً رضي الله عنه قال: "إخواننا بغوا علينا"، وقال: "لا تبدؤوهم بالقتال (٢)". وكذلك عمر بن عبدالعزيز (٣) من غير نكير فكان إجماعاً(٤).

وذهبت طائفة من علماء الحديث إلى أنهم كفار، حكمهم حكم المرتدين؛ لما روى أبو سعيد أن النبي ﷺ قال فيهم: «يمرقون (٥) من الدين كما يمرق السهم من الرمية، (٦) فأين ما لقيتهم فاقتلهم، فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة » (٧). وفي لفظ: «لا يجاوز إيمانهم حناجرهم؛ لئن إدركتهم لأقتلنهم قتل عاد » (٨).

فعلى هذا يجوز قتلهم ابتداءاً وقتل أسراهم، واتباع مدبرهم، ومن قُدر عليه منهم استتيب كالمرتد، فإن تاب وإلاّ قتل (٩).

---

(١) انظر: الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل، عبدالله بن قدامة المقدسي (٥٤/٤)، دار النشر: المكتب الإسلامي – بيروت.

(٢) انظر: حاشية ابن عابدين على الدر المختار (٢٦٢/٤-٢٦٣)، دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت – ١٤٢١هـ ، المبسوط ، محمد بن أبي سهل السرخسي (١٢٨/١٠)، تحقيق: خليل محيي الدين الميس، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان ، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لابن نجيم الحنفي (١٤٠/٥)، دار المعرفة – بيروت ، شرح فتح القدير، محمد بن عبدالواحد السيواسي (٤٠٨/٤-٤٠٩)، دار الفكر – بيروت – لبنان.

(٣) عمر بن عبدالعزيز بن مروان الأموي، أبو حفص، طلب العلم منذ صغره، وحفظ القرآن، وتولى الخلافة بعد إمرته على المدينة، وكان صالحاً زاهداً، توفي سنة (١٠١هـ)، انظر: تاريخ الخلفاء ص٢٤٤، شذرات الذهب (١١٩/١-١٢١).

(٤) ليس هناك إجماع على هذا القول. انظر: المغني (٤٦/١٠).

(٥) يمرقون: أي يجوزونه، ويخرقونه، ويتعدونه كما تخرق السهم الشيء المرمي به ويخرج منه. انظر: النهاية (٣٢٠/٤).

(٦) الرمية: الصيد الذي ترميه فتقْصده وينفذُ فيه سهمك، وقيل: كل دابة مرمية. انظر: النهاية (٦٤٨/٢).

(٧) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب إثم من راءى بقراءة القرآن أو تأكل به أو فخر به (١٩٢٧/٤)، برقم (٤٧٧٠).

(٨) قطعة من حديث أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (٧٤١/٢) برقم (١٠٦٤).

(٩) انظر: مجموع الفتاوى (٥١٨/٢٨).

القسم الثالث: قوم من أهل الحق خرجوا على الإمام بتأويل سائغ وراموا خلعه، ولهم منعة وشوكة، فهؤلاء بغاة، وواجب على الناس معونة إمامهم في قتالهم للآية التي نحن في عهدة تفسيرها، ولأن الصحابة قاتلوا مانعي الزكاة، وقاتل علي رضي الله عنه أهل البصرة [(١)] يوم الجمل وأهل الشام يوم صفين [(٢)]، ولا يقاتلهم الإمام حتى يسألهم ما ينقمون منه، فإن اعتلوا بمظلمةٍ أزالها، أو شبهة كشفها؛ لأن علياً رضي الله عنه راسل عائشة أم المؤمنين، وطلحة[(٣)]، والزبير [(٤)] يوم الجمل ما الذي أقدمكم؟ فاعتلوا بطلب دم القتيل ظلماً أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وأنهم خرجوا آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر، آخذين على أيدي الظلَمة الفَجرة الذين قتلوا عثمان وانحازوا إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فأجابهم إلى ذلك طالباً منهم موافقتهم ومعاضدتهم، حتى يأخذوا على أيديهم ويقتلوهم، فانتظم أمر الفريقين على ذلك، فلما أحس القتلة بما انتظم الأمر عليه، انتهزوا الفرصة وغفلة الجيشين فرشقوهم بالنبل، فقال طلحة والزبير: ما هذا؟ فقيل: علي يقاتلكم فعبوا أصحابهم للقتال، فقال علي: ما هذا؟ فقيل: طلحة والزبير قد بدأوا لقتالك، فنشبت الحرب بينهم يومئذٍ.

وروى عبدالله بن شداد [(٥)] أن علياً رضي الله عنه لما اعتزلته الحرورية [(٦)]، بعث عبدالله

---

(١) البصرة: مدينة مشهورة تقع في جنوب العراق، بناها عقبة بن غزوان في عهد عمر رضي الله عنه، وهي الآن ميناء العراق الرئيسي. معجم البلدان (١/٤٣٠-٤٤٠)، الموسوعة العربية الميسرة (١/٣٧٤).

(٢) صفين: هي المعركة التي وقعت بين علي رضي الله عنه ومن معه من أهل العراق في طرف، وبين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ومن معه من أهل الشام، وقد وقعت في سنة ٣٧هـ. انظر: البداية والنهاية (٧/٢٦٤) وما بعدها.

(٣) هو طلحة بن عبيدالله بن عثمان، القرشي التيمي، أبو محمد، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد الستة أصحاب الشورى، قُتل يوم الجمل سنة (٣٦هـ). انظر ترجمته في: الإصابة (٣/٢٢٩)، الطبقات الكبرى (٣/٢١٤)، التاريخ الكبير (٤/٣٤٤).

(٤) تقدمت ترجمته ص ١٦٢.

(٥) عبدالله بن شداد بن الهاد الليثي، أبو الوليد، من كبار التابعين وثقاتهم، توفي سنة (٨٣هـ). انظر في ترجمته: الطبقات الكبرى (٦/١٢٦)، التاريخ الكبير (٥/١١٥)، الإصابة (٥/١٣).

(٦) الحرورية: نسبة إلى حروراء، قرية بظاهر الكوفة، وقيل: موضع على ميلين منها، اجتمع فيها الخوارج الذين
==

بن عباس إليهم فقاضاهم إلى كتاب الله وجرت بيهم مناظرة معروفة عند أهـل العلـم فرجع منهم أربعة آلاف" [١][٢].

وإذا كان إنكار المنكر على الإمام الظالم الفاجر يستلزم ما هو أنكر وأضر منـه فإنه لا يسوغ إنكاره، وإنما يجب مناصحته على الوجه الشرعي بالرفق، واتباع ما كـان عليه السلف الصالح من عدم التشنيع عليهم في ا السن، ومجامع النـاس، فـإذا أخـذ بالنصيحة، فبها وإذا لم يأخذ ا سقط وجوب الإنكار.

وفي هذا يقول الرسعني عند تفسيره لقوله تعالى: وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ [٣]:

"قوله تعالى: وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ أي: جماعـة مـن صـالحيهم لم يتلبـسوا بخطيئتهم، قالوا للذين شمروا عن ساق الجد والاجتهاد في الإنكار على المعتدين، علمـاً منهم بأ م لا يرعوون ولا ينتفعون بالموعظة، لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ مستأصل شأفتهم بالحق أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً أي: موعظتنا معذرة، أي: إبداء عذر إلى الله؛ لئلا ننسب إلى التفريط بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... فإن قيل: الآية دلت على إنجاء الذين ينهون عن السوء فقط، وهذه الفرقة لم تنههم عن السوء؟

==

خالفوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه فنسبوا إليها، وكان أول مجتمعهم وتحكيمهم فيها.
انظر: الفرق بين الفرق ص٨٠، مقالات الإسلاميين ص١٢٨، مراصد الاطلاع (٣٩٤/١)، معجم البلدان (٢٤٥/٢)، النهاية لابن الأثير (٣٦٦/١).

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٠٨/١٣)، (٤٧٩/٧)، المغني (٥/٩)، الفرق بين الفرق، ص(٨٢-٨٤).

(٢) رموز الكنوز (٦/٤/أ-٧/أ).

(٣) سورة الأعراف: الآيتان (١٦٤-١٦٥).

قلت: قد وهم عن السوء أماناً، ولم يسكتوا حتى يئسوا وعلموا أن الـوعظ لا ينجع فيهم ولا ينفع، فسقط عنهم وجوبه، إذ لا فائدة فيه، ألا ترى أنك لو رأيت رجلاً مصِراً على معصية قد خامرت عقله وأشربتها نفسه وصارت ديدناً له لا يراهـا عـاراً وشناراً، بل ربما عد تلبسه ا شرفاً وفخاراً؛ لكونه يبسط ويقبض، ويرفع ويخفض، ويولي ويعزل، ويركب وي ل، على ما هي عادة الطغاة من الولاة الظلمة الفجـرة المتلبـسين بسخط الله المغمورين بغضبه، فأمرته بالمعروف و يته عن المنكر مراراً فلم يعـرج علـى عظتك، وأعارك أذناً صماً، وعيناً عمياً، فإن عامة العقلاء يعدونك بمعاودته بعد اليأس من صلاحه عابثاً، واضعاً للمواعظ في غير مواضعها، معرضاً نفسك لما لا يحل من العـذاب والهوان والأذى [1].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إن النبي ﷺ شرع لأمته إيجاباً إنكار المنكر، ليحـصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار منكر يستلزم ما هو أنكر منه، وأبغض إلى الله ورسوله، فإنه لا يسوغ إنكاره، وإن كان الله يبغضه، ويمقت أهله، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم، فإنه أساس كل شـر وفتنـة إلى آخـر الدهر"[2].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وقل من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولد على فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير" [3].

ومما تقدم يتبين بأن الإمام الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقرر وجوب طاعة ولي الأمر في غـير معصية الله، وتحريم الخروج على الأئمة موافقاً اعتقاد السلف.

---

(١) رموز الكنوز (٢/٤٢/أ).

(٢) إعلام الموقعين (٣/٤).

(٣) منهاج السنة (٤/٥٢٧-٥٢٨).

الباب الثالث

موقف الرسعني من الفرق

وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: موقف الرسعني من المعتزلة.

الفصل الثاني: موقف الرسعني من الخوارج.

الفصل الثالث: موقف الرسعني من القدرية.

الفصل الرابع: موقف الرسعني من الرافضة.

الفصل الخامس: موقف الرسعني من الملل والفرق الأخرى.

الفصل الأول

موقف الرسعني من المعتزلة

الفصل الأول

موقف الرسعني من المعتزلة

المعتزلة؛ فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني الهجري.

وهم أصحاب واصل بن عطاء [(١)]، وسميت المعتزلة بهذا الاسم لاعتزال واصل، وعمرو بن عبيد [(٢)] مجلس الحسن البصري، بعد أن نازعه واصل في مسألة مرتكب الكبيرة، حين سئل عنها الحسن البصري فانبرى لها واصل، وقال: أنا أقول بأنه لا مؤمن ولا كافر إنما هو في المنزلة بين المنزلتين، فاختلف في ذلك مع الحسن، فاعتزل مجلس الحسن وانضم إليه عمرو بن عبيد وانحاز إليهما طائفة من الناس، وعقدوا حلقة في ناحية المسجد، فسموا معتزلة [(٣)].

وكانوا يجلسون معتزلين، فيقول قتادة وغيره: أولئك المعتزلة [(٤)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "كان الناس في قديم الزمان قد اختلفوا في الفاسق الملي، وهو أول اختلاف حدث في الملة، هل هو كافر أو مؤمن؟ فقالت الخوارج: إنه كافر، وقالت الجماعة: إنه مؤمن، وقالت طائفة: نقول هو فاسق، لا مؤمن ولا كافر، ننزله منزلة بين المنزلتين، وخلدوه في النار، واعتزلوا حلقة الحسن البصري وأصحابه

---

(١) هو واصل بن عطاء، أبو حذيفة المخزومي مولاهم البصري، الغزال، مؤسس فرقة المعتزلة وإليه تنسب فرقة الواصلية من المعتزلة، وله من التصانيف: "كتاب أصناف المرجئة"، و"التوبة"، و"معاني القرآن"، توفي سنة (١٣١هـ).

انظر ترجمته في: طبقات المعتزلة (٤٢-٤٨)، ميزان الاعتدال (١١٨/٧)، لسان الميزان (٢١٤/٦)، وفيات الأعيان (٦٠/٥-٦٤).

(٢) هو عمرو بن عبيد البصري، أبو عثمان، اعتزل مجلس الحسن هو وأصحاب له فسموا معتزلة، كان يرى القدر ويدعو إليه، وهو من كبار المعتزلة ومن أوائلهم، توفي سنة (١٤٤هـ).

انظر ترجمته في: طبقات المعتزلة (٢٨-٣٥)، وفيات الأعيان (٦٠/٥-٦٤)، ميزان الاعتدال (٣٢٩/٤).

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين (٢٣٥/١)، الفرق بين الفرق ص١٥، التبصير في الدين ص٦٨.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (٧٩٢/٢)، مجموع الفتاوى (٣٢٨/٨).

-رحمه الله تعالى- فسموا معتزلة" [(١)].

والمعتزلة تبني مذهبها على أصول خمسة يسموها: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، وإنفاذ الوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

يقول شارح الطحاوية: "وقيل إن واصل بن عطاء هو الذي وضع أصول مذهب المعتزلة، وتابعه عمرو بن عبيد تلميذ الحسن البصري، فلما كان زمن هارون الرشيد [(٢)]، صنف لهم أبو الهذيل [(٣)] كتابين، وبين مذهبهم، وبنى مذهبهم على الأصول الخمسة، التي سموها: العدل، والتوحيد، وإنفاذ الوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولبسوا فيها الحق بالباطل، إذ شأن البدع هذا، اشتمالها على حق وباطل" [(٤)].

ويبين شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ معاني تلك الأصول عند المعتزلة فيقول: "معنى "التوحيد" عندهم يتضمن نفي الصفات، ... ومعنى "العدل" عندهم يتضمن التكذيب بالقدر، وهو خلق أفعال العباد وإرادة الكائنات والقدرة على الشيء، ومنهم من ينكر تقدم العلم والكتاب ... وأما "المنزلة بين المنزلتين" فهي عندهم أن الفاسق لا يسمى مؤمناً بوجه من الوجوه، كما لا يسمى كافراً، فنزلوه بين منزلتين، و"إنفاذ الوعيد" عندهم معناه أن فساق الملة مخلدون في النار، لا يخرجون منها بشفاعة ولا غير ذلك كما تقوله الخوارج، و"الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" يتضمن عندهم جواز

---

(١) مجموع الفتاوى (١٨٢/٣-١٨٣).

(٢) هو هارون بن المهدي محمد بن المنصور، أبو جعفر الرشيد، الخليفة العباسي، ولد سنة (١٤٨هـ)، وتوفي سنة (١٩٣هـ).

انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٢٨٦/٩)، تاريخ الطبري (٢٣٠/٨)، تاريخ بغداد (٥/١٤).

(٣) أبو الهذيل محمد بن الهذيل بن عبدالله بن مكحول العبدي، المعروف بالعلاف، المتكلم، شيخ البصريين في الاعتزال، ومن أكبر علمائهم، وصاحب المقالات في مذهبهم، توفي سنة ٢٣٥هـ.

انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٥٤٢/١٠، ٥٤٣)، لسان الميزان (٤١٣/٥، ٤١٤)، شذرات الذهب (٨٥/٢).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (٧٩٢/٢).

الخروج على الأئمة، وقتالهم بالسيف" [١].

ومن عقائد هؤلاء المعتزلة أيضاً القول بخلق القرآن، إلا أنهم قالوا: إن الله كلم موسى حقيقة، وتكلم حقيقة، وحقيقة ذلك عندهم: أنه خلق كلاماً في غيره، إما في الشجرة، وإما في الهواء، وإما في غير ذلك، من غير أن يقوم بذات الله عندهم كلام ولا علم ولا شيء من الصفات [٢].

وكان للإمام الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ مناقشات متعددة مع أحد أئمة المعتزلة وهو الزمخشري [٣]، ومن خلال تتبع تلك المناقشات يتبين موقف الرسعني من المعتزلة.

ولذا قال عنه ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وله في تفسيره [٤] مناقشات مع الزمخشري ... وكان متمسكاً بالسنة والآثار، ويصدع بالسنة عند المخالفين" [٥].

ومن تلك المناقشات قول الرسعني عند قوله تعالى: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [٦]: "قال أبو هريرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مولود يولد إلا نخسه [٧] الشيطان حين يولد فيستهل [٨] صارخاً من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه»، ثم قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [٩]، ولقد عجبت من جرأة المعطلين على هذه الشريعة، وتسميتهم المتمسكين بها أهل حشو، فتراهم يبادرون إلى تكذيب الأخبار النبوية، المنقولة على ألسنة

(١) مجموع الفتاوى (١٣/٣٨٦-٣٨٧).

(٢) انظر: المصدر السابق (١٢/٥٠٣).

(٣) تقدمت ترجمته ص ٩٠.

(٤) يقصد به كتابه رموز الكنوز.

(٥) الذيل على طبقات الحنابلة (٤/٨١).

(٦) سورة آل عمران: الآية (٣٦).

(٧) النخس: الدفع والحركة. انظر: النهاية (٥/٧٣)، تاج العروس ص٤١٥٥.

(٨) الاستهلال: رفع الصوت، يقال: استهل الصبي: أي رفع صوته بالبكاء. انظر: القاموس (٤/٧١).

(٩) سورة آل عمران: الآية (٣٦).

العلماء الثقات الأثبات، بناء على خيالات فاسدة، يتوهمو ا، لكن شؤم البدعة سلبهم وصف التوفيق، فحال بينهم وبين التصديق والتحقيق، وعميت عليهم مسالك الهدى، فتورطوا في مهالك الردى، هذا صاحب الكشاف الزمخشري يقول في تفسيره: "وما روي من الحديث: «ما من مولود ...»، ثم ساق الحديث إلى آخره، ثم قال: إن صح، فمعناه: أن كل مولود يطمع الشيطان في إغوائه، إلا مريم وابنها، واستهلاله صارخاً تخييل لطمعه فيه. وأما حقيقة المس والنخس كما يتوهم أهل الحشو فكلا، لو سلّط إبليس على الناس ينخسهم لامتلأت الدنيا صراخاً وعياطاً" (١). قلت: ولست أعجب من قوله عن حديث اتفق أئمة الإسلام على تصحيحه وتدوينه، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده، والبخاري ومسلم في صحيحيهما (٢): إن صح، لأن الرجل كان جاهلاً ذا العلم الجليل ولكن من صفاقة وجهه في رد الحديث على تقدير التصحيح، والتمحل لتعطيل اللفظ الصريح، مع أنه لا منافاة في ذلك بين النقل والعقل، لأن العقل لا يحيل ذلك لذاته، ولا يلزم منه محال على تقدير إثباته، وأما قوله: "لو سلط إبليس على الناس بنخسهم لامتلأت الدنيا صراخاً وعياطاً"، فكلام يشمت به أعداءه، لا، بل يحز م عليه، فما أحقه بإنشاد قول الشاعر:

من أذن الله في فضيحته ⁂ أغرى يديه بكشف عورته (٣)

لأن نبينا ﷺ لم يخبر بتسليط الشيطان على الإنسان بالنخس إلا حالة الولادة، فكيف يتوجه منه هذا الإلحاد؟ ومن أين يلزم أن تمتلئ الدنيا صراخاً وعياطاً؟ ولعله إذا استقرى البلد العظيم، وتصفح من ولد فيه في يوم لا يبلغ عدداً، يوجب أضعاف أضعافه بعض ما توهمه، من امتلاء الدنيا صراخاً، فسبحان من حفظ هذا الدين بحملة عدول، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، اللهم فاحفظنا من

---

(١) انظر: الكشاف (١/١٨٦-١٨٧).

(٢) مسند الإمام أحمد (٢/٢٣٣) رقم (٧١٨٢)، وصحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة آل عمران (٤/١٦٥٥) رقم (٤٢٧٤)، وصحيح مسلم، كتاب "الفضائل"، باب: فضائل عيسى عليه السلام (٤/١٨٣٨) رقم (٢٣٦٦).

(٣) لم أعثر على قائله.

ضلالات الأهواء، وعافنا من خيالات الآراء" (١).

وفي موضع آخر يناقش الرسعني الزمخشري في إنكاره شفاعة النبي محمد ﷺ لأهل الكبائر فيقول: "ولقد عجبت من كشف صاحب الكشاف قناع الحياء ورفضه الأحاديث الصحيحة الصريحة لخيالات الآراء وتحريفه كلام الله عن مواضعه، حتى إنه قال في قوله تعالى: ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ (٢): "يعني الأماني الباطلة فعد منها: الخروج من النار بعد دخولها بالشفاعة"(٣)، فرد أحاديث الشفاعة، وقد رواها أئمة الإسلام وحفاظ الحديث والأحكام، وسمعها من النبي ﷺ جماعة من سادات الصحابة، ورويت عنهم، وسمعت منهم، كأبي بكر، وعمر، وابنه، وعبدالله بن مسعود، وعبدالله بن عباس، وعبادة بن الصامت (٤)، وجابر بن عبدالله، وأبي سعيد الخدري وغيرهم. وخرجها الأئمة في مسانيدهم كالإمام أحمد، والشيخين صاحبي الصحيحين(٥)، ففيهما من حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ - فساق حديث الشفاعة إلى أن قال -: «ثم أعود الرابعة، فأقول:

---

(١) رموز الكنوز (١/٩٧-٩٨).

(٢) سورة النساء: الآية (١١٩).

(٣) انظر: الكشاف (١/٢٩٩).

(٤) تقدمت ترجمته ص ٤٣٢.

(٥) أحاديث الشفاعة صحيحة وصريحة في إثبات الشفاعة يوم القيامة، وقد بلغت حد التواتر، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أحاديث الشفاعة كثيرة متواترة، منها في الصحيحين أحاديث متعددة، وفي السنن والمساند مما يكثر عدده" [مجموع الفتاوى (١/٣١٤)].

ومن تلك الأحاديث حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق (٤/١٧٨٢) حديث رقم (٢٢٧٨)، وحديث جابر بن عبدالله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في صحيح البخاري، كتاب التيمم (١/١٢٨) حديث رقم (٣٢٨)، وفي صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة (١/٣٧١) حديث رقم (٥٢١)، وحديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار (١/١٧٢) حديث رقم (١٨٥)، وحديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب (٥/٢٣٩٦) حديث رقم (٦١٧٥)، وفي صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (١/١٩٩) حديث رقم (٢٢).

يارب ما بقي إلا من حبسه القرآن » - إلى أن قال: «ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن ذَرة » (١).

وفي صحيح البخاري من حديث عمران بن حصين (٢) أن النبي ﷺ قال: «يخرج قوم من النار بشفاعة محمد، فيسمون الجهنميين » (٣).

فمن أجهل جهلاً، وأسخف عقلاً، وأضل سبيلاً ممن يقابل القرآن بالتعطيل، والأحاديث النبوية بالتبطيل، وهو يدعي الاستسلام لدين الإسلام، ولكن هذه جناية الكلام عليهم، وشؤوم البدعة لديهم.

اللهم اجعل نور إيماننا مؤنساً لنا في ظُلَم الألحاد، وأنلنا شفاعة نبينا إذا حرمتها أهل الإلحاد" (٤).

وفي موضع آخر يرد الرسعني على الزمخشري المنكر خروج أهل الكبائر من النار بالشفاعة، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ (٥):

"قال الزمخشري: هو استثناء من الخلود في عذاب النار، ومن الخلود في نعيم

---

(١) هذا قطعة من حديث الشفاعة الطويل، أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ (١٤٩/٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٨٠/١).

(٢) تقدمت ترجمته ص ١١٧.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة (١٤٥/٨).

(٤) رموز الكنوز (٥٩٣/١-٥٩٤).

(٥) سورة هود: الآية (١٠٥-١٠٨).

الجنة، وذلك أن أهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبأنواع من العذاب سوى عذاب النار، وبما هو أغلظ منها، وهو سخط الله عليهم وإهانته لهـم، وكذلك أهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو أكبر منها، وأجلّ موقعاً منهم، وهو رضوان الله تعالى كما قال: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[1]، ولهم ما يتفضل الله به عليهم سـوى ثواب الجنة، فهو المراد بالاستثناء ... إلى أن قال: فتأمله فإن القرآن يصدق بعضه بعضاً، ولا يخدعنك قول الجبرية[2]: إن المراد بالاستثناء خروج أهل الكبائر من النار بالشفاعة، فإن الاستثناء الثاني ينادي على تكذيبهم، ويسجل بافترائهم، وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله؛ لما روي لهم بعض الثوابت.

عن عبدالله بن عمرو بن العاص: "ليأتين على جهنم يوم تصطفق فيه أبوا ا ليس فيها أحد، وذلك بعدما يلبثون فيها أحقاباً"[3].

ثم قال[4]: "ما كان لابن عمرو في سيفه ومقاتلته علي بن أبي طالب ما يـشغله عن تسيير هذا الحديث"[5].

قلت: لولا خوف اغترار من لا بصيرة له بالعلم، لأعرضت عن حكاية مثل هذا، ونزهت كتابي منه، لكني أشير إلى فساده ، وفاءً بما أخذه الله تعالى على العلمـاء مـن البيان، وإرشاداً للناس، وكشفاً لغمة الالتباس، فأقول: أما ما ذكره على الاستثناء: فهو كلام محتمل، إلا أنه لا يثبت على محك التحقيق؛ لأن الدار هي الدار المعدة لتعـذيب الكفرة والفجرة في الآخرة، والجنة هي الدار المعدة لنعيم المؤمنين في الآخرة، فجميع مـا يعذب به أهل النار على اختلاف أنواعه منسوب إليها، وجميع ما ينعم به أهل الجنة على اختلاف أصنافه مضاف إليها، وأما قوله: "لا يخدعنك قول ا بره: أن المراد بالاسـتثناء

---

(١) سورة التوبة: الآية (٧٢).

(٢) يعني أهل السنة والجماعة.

(٣) سيرد تخريجه قريباً.

(٤) أي: الزمخشري.

(٥) انظر: الكشاف (٢/٤٠٥-٤٠٦).

خروج أهل الكبائر من النار بالشفاعة": فهو قول حبر الأمة وابن عم رسول الله ﷺ عبدالله بن العباس وجمهور المفسرين من التابعين فمن بعدهم، وعليه إجماع أئمة الإسلام ولم يخالف في إثبات منصب الشفاعة يوم القيامة لسيد الرسل محمد ﷺ إلا هذه الطائفة الزائغة المنبوذة بالاعتزال، ولو شرعت في إيراد ما جاء في ذلك من الدلائل لطال الفصل ... وأما قوله: "بأن الاستثناء الثاني ينادي بتكذيبهم" فهذيان محض، وقد أشرنا إلى معناه وتفسيره آنفاً، وأما قوله: "نبذوا كتاب الله"، فدعوى هو مقابل بمثلها، وهذا الوصف بهم أليق وبطائفتهم أعبق، وأما الأثر الذي ذكره ونسبه إلى عبدالله بن عمرو؛ فغير ثابت عند أهل العلم بالحديث [(١)]، ولا احتج علماء السنة به على إخراج المذنبين من أهل التوحيد من النار، ونسبته ذلك إلينا فرية بلا مرية، وإنما احتجوا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ الصريحة الواردة على ألسنة الثقات الأثبات، وإجماع الأمة قبل انخزال طواغيتهم في الاعتزال عن مجلس الحسن البصري، وأما ما زعمه عن صاحب رسول الله ﷺ ومن له القدم الراسخ في العلم والدين، عبدالله بن عمرو، فنفثه مصدور تدل على خبث طويته، وسوء عقيدته، في أصحاب رسول الله ﷺ الذين اصطفاهم الله تعالى من عباده لصحبة نبيه ﷺ ... وأما قوله: "ما كان لابن عمرو في سيفه ومقاتلته علي بن أبي طالب ما يشغله عن تسيير هذا الحديث، فكذب وافتراء، وبهت صراح، لا والله ما سلّ سيفاً في وجه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ولا قاتله"[(٢)].

وينقل الرسعني عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[(٣)]، ما قاله الزمخشري في كشافه: "﴿أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ بسبب أعمالكم لا بالتفضل كما تقول المبطلة"[(٤)]. فيرد عليه الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ

(١) انظر: فتح القدير (٧٥٩/٢)، تهذيب التهذيب (٤٩/١٢).

(٢) رموز الكنوز (١٣٢/٢/ب-١٣٣/أ).

(٣) سورة الأعراف: الآية (٤٣).

(٤) الكشاف (١٠١/٢).

فيقول: "قلت هذا كلام خبيث تقشعر منه الجلود، فإن النعم بأسرها وأن نيطت بأسبا ا الظاهرة تفضل من الله، قال الله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [(١)]" [(٢)].

ويناقش الرسعني الزمخشري في موطن آخر عند حديثه عن أخذ الميثاق على الذرية، وذلك عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [(٣)].

فيقول: "فإن قيل: فما تقول في قول الزمخشري بأن هذا تخييل وتمثيل، وأن معنى ذلك: أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته، وشهدت ا عقولهم وبصائرهم التي ركبها الله فيهم، فكأنه أشهدهم على أنفسهم [(٤)]، قلت: هو قول يصادم صريح القرآن وصحيح السنة، وآثار السلف وإجماع الأمة، وأخاف أن يزاحم الكفر؛ لأنه تكذيب وتعطيل في المعنى، فليت شعري، أي ضرورة تحمل على مثل هذا، وليس في المصير إلى مدلول اللفظ ما يخالف القضايا العقلية والدلائل النقلية، اللهم فاعصمنا من مخالفة كتابك ولا تعرضنا لغضبك وعقابك" [(٥)].

ويصرح الرسعني بما ينتحله الزمخشري من الاعتزال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [(٦)]: فيقول: "وقال الزمخشري: ﴿نَسْلُكُهُۥ﴾ يعني: الذكر ﴿فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ على معنى: يلقيه في قلوبهم مكذباً مستهزءاً به غير مقبول، كما لو أنزلت بلئيم حاجة فلم يجبك إليها فقلت: كذلك أنزلها باللئام، أي:

---

(١) سورة النحل: الآية (٥٣).

(٢) رموز الكنوز (٢/١٥/ب).

(٣) سورة الأعراف: الآية (١٧٢)

(٤) الكشاف (١/٤٣٥)، تقدم الحديث بخصوص أن بعض السلف قد قال ذا القول. انظر: ص١٨٢.

(٥) رموز الكنوز (٢/٤٣/ب).

(٦) سورة الحجر: الآية (١٢).

مثل هذا الإنزال أنزلها م مردودة غير مقضية [(١)]، والحامل له على هذا التمحل الشديد والتأويل البعيد، ومفارقة من قبله من المفسرين؛ ما يستلزم التفسير المشهور [(٢)] من إبطال ما ينتحله من الاعتزال" [(٣)].

ويبين الرسعني بطلان مذهب المعتزلة في قولهم أن مرتكب الكبيرة في منزلة بـين المنزلتين، وقد عقد فصلاً حول ذلك فقال: "فإن مات من غير توبة، فمذهب أهل الحـق أنه تحت مشيئة الله تعالى إن شاء غفر له، وأرضى خصمه، وإن شاء عذبه على فعلـه ثم يدخله الجنة بإيمانه فضلاً منه ورحمة.

وتحجرت المعتزلة واسعاً، فقالت: لا يغفر الله لمن لم يتـب مـن الكبـائر. قـال الزمخشري: "ما أبين الدليل في هذه الآية[(٤)] على خلود من لم يتب من أهـل الكبـائر، والعجب من قوم يقرأون هذه الآية، ويطمعون في العفو من غير توبة، أَفَـلَا يَتَـدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " [(٥)].

قلت: ولو تلا هذه الآية [(٦)]. على طائفته، لكانت تلاو ا عليهم ذا الاعتبار أليق وبحالهم أشبه، وليته اعتبر بما جرى لطاغيتهم وقائدهم في الضلالة عمرو بن عبيد [(٧)] مع

---

(١) الكشاف (٢/٥٣٦-٥٣٧).

(٢) التفسير المشهور لقوله تعالى: كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ أي: كما سلكنا الضلال والكفر والتكذيب والاستهزاء في قلوب من تقدم من شيع الأولين نسلكه في قلوب مشركي قومك حتى لا يؤمنوا بك كما لم يؤمن من قبلهم برسلهم. انظر: تفسير الطبري (٧/٤٩٤)، القرطبي (١٠/١٠).

(٣) رموز الكنوز (٢/١٨٧/ب).

(٤) يعني: قوله تعالى: وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا .[سورة النساء: الآية (٩٣)].

(٥) الكشاف (١/٢٩٠).

(٦) أي: قوله تعالى: أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا [سورة محمد: الآية (٢٤)].

(٧) تقدمت ترجمته ص ٤٤١.

قريش بن أنس [١]. حين قال: يؤتى بي يوم القيامة فأقام بين يدي الله تعالى فيقال: قلت: إن القاتل يخلد في النار، فأقول: أنت قلت: ثم تلا: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [٢] حتى فرغ من الآية.

قال قريش: فقلت له: -وما في البيت أصغر مني- أرأيت إن قال لك: فإني قلت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [٣]، من أين علمت أني لا أشاء أن أغفر لهذا؟ قال: فما استطاع أن يرد علي شيئاً" [٤]. [٥].

وما عليه أهل السنة والجماعة أن فساق أهل الملة ليسوا مخلدين في النار، كما قالت الخوارج والمعتزلة، وليسوا كاملين في الدين والإيمان، كما هو مذهب المرجئة، بل لهم حسنات وسيئات، ويستحقون بها الثواب والعقاب.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ حول ذلك: "ومذهب أهل السنة والجماعة أن فساق أهل الملة ليسوا مخلدين في النار، كما قالت الخوارج والمعتزلة ، وليسوا كاملين في الدين والإيمان والطاعة: بل لهم حسنات وسيئات، ويستحقون بهذا العقاب والثواب" [٦].

ويقول أيضاً: "ينبغي أن يعرف أن القول الذي لم يوافق الخوارج والمعتزلة عليه أحد من أهل السنة هو القول بتخليد أهل الكبائر في النار، فإن هذا القول من البدع المشهورة، وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وسائر أئمة المسلمين على أنه لا

---

(١) هو قريش بن أنس الأنصاري، ويقال الأموي، أبو أنس البصري، توفي سنة (٢٠٨هـ). انظر: التقريب ص٥٥٤٣.

(٢) سورة النساء: الآية (٩٣).

(٣) سورة النساء: الآية (٤٨).

(٤) أخرجه البيهقي في البعث والنشور ص٧٧، والخطيب في تاريخ بغداد (١٨٢/١٢-١٨٣).

(٥) رموز الكنوز (٥٥٢/١-٥٥٣).

(٦) مجموع الفتاوى (٦٧٩/٧).

يخلد في النار أحد ممن في قلبه ذرة من إيمان" [١].

وقد بنى المعتزلة حكمهم على مرتكب الكبيرة على أن الإيمان لا يتبعض، فـإذا ذهب بعضه ذهب كله، فمن عمل كبيرة لم يبق معه من الإيمان شيء، وهذا الأصل هـو منشأ ضلال من ضل من أهل البدع في الإيمان -وهو باطل-.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأما قول القائل: إن الإيمـان إذا ذهـب بعضه ذهب كله، فهذا ممنوع، وهذا هو الأصل الذي تفرعت عنه البدع في الإيمان فإ م ظنوا أنه متى ذهب بعضه ذهب كله لم يبق منه شيء، ثم قالت الخوارج والمعتزلـة: هـو مجموع ما أمر الله به ورسوله، وهو الإيمان المطلق كما قاله أهل الحديث: قالوا فإذا ذهب شيء منه لم يبق مع صاحبه من الإيمان شيء فيخلد في النار" [٢].

ويبين الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ بطلان أصلهم الذي يسمونه إنفاذ الوعد والوعيد، فيقول: "ثم إنه أكثر ما يقدر أن الله توعد القاتل، وأصحاب الكبائر بالنار، والخلود فيها، غير أن الدلائل النقلية، والبراهين العقلية توجب العلم بأن العفو بعد الوعيد والتهديد الـشديد من نفائس المكارم، وغرائس الأكارم.

قال كعب بن زهير [٣]:

نبئـت أن رسـول الله أوعـدني ⁂ والعفو عند رسول الله مأمول [٤]

---

(١) الإيمان ص ٢٦٢، وانظر حول هذه المسألة: شرح العقيدة الطحاوية (٥٢٤/٢)، لمعة الاعتقـاد (١٣٤/١)، اقتضاء الصراط ص٤٤٤، مدارج السالكين (٢٨٢/١).

(٢) الإيمان ص٢٦٣.

(٣) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني، صحابي معروف، شاعر مشهور، قدم على رسول الله ﷺ بعد انصرافه من الطائف، وأنشد بين يديه قصيدته المشهور "بانت سعاد" فكساه النبي ﷺ بـردة لـه، فاشتراها معاوية من ولده، انظر ترجمته في: الإصابة (٤٤٣/٥-٤٤٦)، أسـد الغابـة (٥٢٨/٣-٥٣٠)، الاستيعاب (٣٧٣/٣-٣٧٥).

(٤) ديوان كعب بن زهير ص٦٥، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، دار صادر – بيروت.

وهذا البيت من قصيدته التي مطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ⁂ متيم إثرها لم يفد مكبول

والكلمة الأولى في البيت "أنبئت" بدلاً من "نبئت".

وقال الأصمعي [(١)]: جاء عمرو بن عبيد [(٢)] إلى أبي عمرو بن العلاء [(٣)] فقـال: يا أبا عمرو؛ يخلف الله ما وعد؟ قال: لا، قال: أرأيت من أوعده على عمل عقاباً أيخلف الله وعيده فيه؟

فقال أبو عمرو: من العجمة أتيت يا أبا عثمان، إن الوعد غير الوعيد، إن العرب لا تعد عاراً، ولا خلفاً، أن تعد شراً، ثم لا تفعله، ترى ذلك كرماً وفضلاً، وإنما الخلـف أن تعد خيراً، ثم لا تفعله، قال: فأوجدني هذا في كلام العرب، قال: نعم، أما سمعت قول الأول:

وإني وإن أوعدته أو وعدته ⁂ لمخلف إيعادي ومنجز موعدي"[(٤)(٥)]

ومعتقد أهل السنة والجماعة في وعده سبحانه وتعالى هو أنه تعالى إذا وعد عباده بشيء كان وقوعه واجباً بحكم وعده، فإنه الصادق في خبره الذي لا يخلف الميعاد[(٦)].

أما معتقدهم في وعيده سبحانه، فأهل السنة يرون جواز إخـلاف الوعيـد؛ لأن إخلافه له تعالى لا يذم عليه، بل يمدح عليه، وليس ذلك خلْفاً في خبره، فإن الوعيد مقيد بعدم العفو.

---

(١) هو عبدالملك بن قريب بن عبدالملك بن علي أبو سعيد الباهلي الأصمعي البصري، أحد الأعـلام، صـاحب اللغة، والنحو، والغريب والأخبار والملح، توفي سنة (٢١٦هـ)، وقيل غير ذلك.

انظر في ترجمته: لسان الميزان (٢٩٢/٧)، الكاشف (٦٦٨/١)، تاريخ بغداد (٤١٠/١٠).

(٢) تقدم ترجمته ص ٤٤١.

(٣) تقدمت ترجمته ص ٢٣٩.

(٤) البيت لعامر بن الطفيل كما في ديوانه ص٥٨، تحقيق: د. هدى جنهويتشي، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، دار البشير – مؤسسة الرسالة – بيروت

(٥) رموز الكنوز (٥٥٣/١-٥٥٤)، وانظر: مدارج السالكين (٣٩٩/١-٤٠٠).

(٦) انظر: منهاج السنة (٤٤٨/١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ موضحاً معتقد أهل السنة في ذلك: "لكن يقولون: إنه يجوز أن يعفو عن المذنب من المؤمنين، وأن يخرج أهل الكبائر من النار فلا يخلد فيها أحداً من أهل التوحيد، ويخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان" (١).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيناً معتقد أهل السنة في وعده ووعيده تعالى، وموضحاً الفرق بينهما: "إخلاف الوعيد لا يذم، بل يمدح والله تعالى يجوز عليه إخلاف الوعيد، ولا يجوز عليه خلف الوعد، والفرق بينهما إن الوعيد حقه، فإخلافه عفو وهبه، وإسقاط ذلك موجب كرمه وجوده وإحسانه، والوعد حق عليه، أوجبه على نفسه، والله لا يخلف الميعاد، قال: قالوا: ولهذا مدح به كعب بن زهير رسول الله ﷺ" (٢).

ومن عقائد المعتزلة، القول بعدم رؤية الله تعالى يوم القيامة، وسموا ذلك مع نفي الصفات، والقول بخلق القرآن توحيداً (٣).

ويناقش الرسعني منكري رؤية الله في الآخرة، فيقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ (٤): "...والمعنى مكني من الرؤية بتجليك لي، وفي هذا دليلٌ واضح على أن رؤية الله تعالى غير مستحيلة؛ لأنها لو كانت مستحيلة لما سألها موسى، ولأنكر الله عليه سؤالها، وما ظنك بقوم بلغ من ضلالهم ورفضهم صريح الكتاب وصحيح الأحاديث، وتكذيبهم بما تتقاصر عقولهم السخيفة عن إدراكه حتى نسبوا موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في سؤاله الرؤية لله إلى أحد أمرين: إما جهله بالله وما يجوز عليه وما لا يجوز، وأعظم بها فرية منهم، وإما إقدامه واجتراؤه على السؤال مع علمه بعدم الجواز على ظنهم الفاسد، فيالها من جرأة على كليم الله وصفيه، وزعم بعض غلاتهم أنه

---

(١) منهاج السنة (١/٤٦٦-٤٦٧).

(٢) مدارج السالكين (١/٣٩٩).

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين (١/٢٣٧)، الفرق بين الفرق ص٧٩، الملل والنحل (١/٣٨).

(٤) سورة الأعراف: الآية (١٤٣).

إنما سأل الرؤية لتبكيت السبعين الذين قالوا: ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [(١)]، حتى يشاهد، ولما عساه يحدثُ به فيعتبروا، أو يسمعوا كلام الله لموسى بالنهي أو بالنفي فينزجروا، فما أحقهم وأولاهم بإنشاد ما قيل:

وجواب مثلك أن [يقابل][(٢)] ⁂ بالسكوت عن الجواب [(٣)]

فإنهم جعلوا موسى مرشداً لأولئك بإضلال نفسه، ومصلحاً لهم بإفساد دينه، اللهم فاجعل إيماننا بما أوجبته مشفوعاً بتحقيق الرجاء، وارزقنا النظر إلى وجهك الكريم إذا حجبته عن أهل الاعتزال والإرجاء" [(٤)].

ويشير الرسعني إلى إنكار المعتزلة لكثير من أحوال اليوم الآخر، فيقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ [(٥)]: "ومعنى: فرقوا دينهم آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه كالمعتزلة والرافضة؛ فإنهم آمنوا بكثير مما جاءهم به النبي ﷺ وكفروا بكثير منه فإنهم لا يؤمنون بكثير من أحوال الآخرة، كعذاب القبر، وإخراج المؤمنين من النار بالشفاعة، والنظر إلى وجه الله تعالى في الجنة" [(٦)].

وقد احتج الرسعني على إثبات رؤية المؤمنين ربهم في الجنة بعدة نصوص شرعية، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [(٧)]:

" ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال ابن عباس: يريد إلى الله ناظرة [(٨)]، وقال في رواية أخرى: تنظر إلى الله لا تحجب عنه [(٩)]، قال مقاتل: تنظر إلى ربها معاينة" [(١٠)].

---

(١) سورة النساء: الآية (١٥٣).
(٢) في الأصل: يعامل، والتصويب من معجم الأدباء.
(٣) البيت لسعد بن حسن بن شداد، أبو عثمان المعروف بالناجم. انظر: معجم الأدباء، ياقوت بن عبدالله الحموي (١٣٤٩/٣)، تحقيق: د. إحسان عباس، الطبعة الأولى عام ١٩٩٣م، دار الغرب الإسلامي – بيروت - لبنان.
(٤) رموز الكنوز (٣٥/٢/أ).
(٥) سورة الأنعام: الآية (١٥٩).
(٦) رموز الكنوز (٧/٢/أ).
(٧) سورة القيامة: الآية (٢٢-٢٣).
(٨) ذكره الواحدي في الوسيط (٣٩٣/٤).
(٩) ذكره الواحدي في الوسيط (٣٩٣/٤-٣٩٤).
(١٠) تفسير مقاتل (٤٢٣/٣).

وقد ذكرت طرفاً من ذلك في سورة يونس [١] وأقمت حجة الله على منكـري نظر المؤمنين إلى ربهم في الجنة" [٢].

واستشهد الرسعني في موضع آخر بقول الزجاج عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [٣] وذلك لإثبات رؤية الله في الآخرة فقال: "قـال الزجاج: في هذه الآية دليل على أن الله تعالى يرى في القيامة، ولولا ذلك ما كان في هذه الآية فائدة، ولا خست منزلة الكفار بأنهم يحجبون عن الله عز وجل، ثم قـال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقال الله في المؤمنين: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [٤]، فأعلم الله تعالى أن المؤمنين ينظرون إلى الله تعالى، وأعلم أن الكافرين محجوبون عن الله"[٥].

ثم استشهد بأقوال العلماء في هذا الباب، ومنها قول الإمام الـشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قول الله تبارك وتعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ فيه دلالـة علـى أن أولياء الله يرون الله تبارك وتعالى [٦].

وقوله أيضاً فيما رواه تلميذه الربيع بن سليمان [٧] الذي يقول فيه: "كنت ذات يوم عند الشافعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وجاءه كتاب من الصعيد يسألونه عن قول الله تعـالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾، فكتب فيه: لما حجب قوماً بالسخط، دل على أن قوماً يرونه بالرضا، فقلت له: أو تدين بهذا سيدي؟ فقال: والله! لو لم يوقن محمـد بـن

---

(١) عند قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ الآية رقم (٢٦)، انظر:رموز الكنوز (١٣٥/٢/أ-ب).

(٢) رموز الكنوز (١٨١/٤/أ).

(٣) سورة المطففين: الآية (١٥).

(٤) سورة القيامة: الآية (٢٢-٢٣).

(٥) معاني الزجاج (٢٩٩/٥).

(٦) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد برقم (٨٠٩).

(٧) تقدمت ترجمته ص ١٦٠.

إدريس أنه يرى ربه في المعاد لما عبده في الدنيا [(١)].

وقول الإمام مالك لما سئل عن هذه الآية: "حجب أعداءه فلم يـروه، وتجلـى لأوليائه حتى رأوه" [(٢)].

ثم قال الرسعني بعد استشهاده بأقوال العلماء في هذا الباب: "وقد ذكرنا في أثناء كتابنا هذا من دلائل الكتاب والسنة، وآثار أخبار الأئمة على إثبات رؤية الله تعـالى في الآخرة، ما لا يسع المسلم تركه، فنسأل الله أن يعيذنا من الزيغ والعناد، وأن يمتعنا بالنظر إليه إذا حجب عنه أهل الإلحاد" [(٣)].

ومن خلال ما استعرضت في هذا الفصل يتبين موافقة الإمـام الرسـعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأئمة السلف في موقفهم من المعتزلة وأصولهم الخمسة الذي ستروا تحتها عقائد فاسدة.

---

(١) تفسير القرطبي (٢٢٨/١٩)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد برقم (٨٨٣).

(٢) تفسير القرطبي (٢٢٨/١٩).

(٣) انظر: رموز الكنوز (٢١٣/٤/ب، ٢١٤/أ).

الفصل الثاني

موقف الرسعني من الخوارج

الفصل الثاني
موقف الرسعني من الخوارج

الخوارج كمصطلح عام: هم كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان، والأئمة في كل زمان [(١)].

وأما مصطلح الخوارج كعلم على فرقة بعينها فهم: "الفرقة التي خرجت في سنة سبع وثلاثين هجرية من معسكر علي رضي الله عنه عقب معركة صفين [(٢)]، وبعد قبول التحكيم وقالوا: لا حكم إلا حكم الله [(٣)]، فاعتبروا التحكيم خطيئة تؤدي إلى الكفر، ولخروجهم هذا سموا خوارج [(٤)].

"والخوارج فرقة من الفرق الإسلامية لهم الكثير من الآراء الشاذة الخاصة بهم التي فيها التطرف، والانعزال عن الأمة الإسلامية، فهم يرون في سيرة الخليفتين عثمان رضي الله عنه في السنوات الأخيرة من خلافته، وعلي بعد حادثة التحكيم ومن بعدهما من أمراء المسلمين ما لا يراه غيرهم من المسلمين، فيزعمون أنهم مخالفون للدين ويجيزون الخروج عليهم والتألب ضدهم" [(٥)].

ويطلق عليهم أيضاً الشراة [(٦)]، والحَرورية.

---

(١) انظر: الملل والنحل (١/١١٤).

(٢) تقدم التعريف بها ص ٤٣٦.

(٣) يقال: أن أول من قال: لا حكم إلا لله هو عروة بن أذينه، قال ذلك عندما قرأ الأشعث بن قيس كتاب التحكيم فاعترضه عروة بن أذينه وقال: أتحكمون في دين الله الرجال؟
انظر: البداية والنهاية (٧/٢٨٩).

(٤) انظر: البداية والنهاية (٧/٢٨٩) ، مقالات الإسلاميين ص٤-٥.

(٥) الخوارج - دراسة ونقد لمذهبهم، لناصر السعوي ص٢٢.

(٦) الشراة: لزمهم هذا اللقب لأنهم زعموا أنهم شروا دنياهم بالآخرة أي باعوها. انظر: النهاية لابن الأثير (٢/٤٦٩).

يقول الرسعني عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[(١)] مبيناً ما تضمنته من المعاني: "وإن أريد به الحرورية، فالمعنى: أكفرتم: غطيتم الحق، وفارقتم الجماعة، وسللتم سيف البغي على المؤمنين" [(٢)].

وبعد ظهور الخوارج في عهد علي رضي الله عنه، واستمرار ظهورهم على الأئمة بعده، افترقوا فرقاً كثيرة وكبار فرقهم: المحكمة [(٣)]، والأزارقة [(٤)]، والنجدات [(٥)]، والبيهسية[(٦)]، والعجاردة [(٧)]،

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٠٦).

(٢) رموز الكنوز (١٩٧/١).

(٣) المحكمة: هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حين جرى أمر التحكيم وقالوا له: إن كنت تعلم أنك الإمام حقاً فلم أمرتنا بالمحاربة، ثم انفصلوا عنه بهذا السبب وكفروه هو ومعاوية رضي الله عنهما، واجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة ورأسهم عبدالله بن الكواء، وعقاب بن الأعور، وعبدالله بن وهب الراسبي، وهو أول من بويع منهم بالإمامة.
انظر: الفرق بين الفرق (ص٧٤-٨٢)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص٤٩-٥٠).

(٤) الأزارقة: أتباع نافع بن الأزرق، وهم أكثر فرق الخوارج عدداً، وأشدهم شوكة، ويقولون إن مخالفيهم من هذه الأمة مشركون، فاستباحوا قتل نساءهم وأطفالهم، كما قالوا إن كل كبيرة كفر، ومرتكبها مخلد في النار. انظر: مقالات الإسلاميين (١٦٨/١-١٧٤)، الملل والنحل (١١٨/١-١٢٢).

(٥) النجدات: هم أتباع نجدة بن عامر، زعم أن النار يدخلها من خالفه في دينه، ومن ضلالاته أنه أسقط حد الخمر، وقال من أصر على صغيرة فهو مشرك، ومن زنى وسرق غير مصر فهو مسلم إذا كان من موافقيه.
انظر: الفرق بين الفرق (ص٨٧-٩٠)، الملل والنحل (١٢٢/١-١٢٥)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص٥٠-٥١).

(٦) البيهسية: أتباع أبي بيهس هيصم بن جابر، يقولون إن من وقع في ذنب لم نشهد عليه بالكفر حتى يرفع إلى الوالي ويحد، وقال بعضهم: إذا كفر الإمام كفرت الرعية، ويقولون: إن من لا يعرف الله تعالى وأسماءه وتفاصيل الشريعة فهو كافر. انظر: مقالات الإسلاميين (١٩١/١-١٩٢)، الملل والنحل (١٢٥/١-١٢٧)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص٥١).

(٧) العجاردة: أتباع عبدالكريم بن عجرد، وقيل: عبدالله بن عجرد، كان من أتباع عطية بن أسود الحنفي، يجيزون نكاح بنات البنين وبنات البنات، وبنات بنات الإخوة، وبنات بنين الإخوة، ويزعمون أن سورة يوسف ليست من القرآن، وقد انقسموا إلى خمس عشرة فرقة. انظر: مقالات الإسلاميين (١٧٧/١-١٨٢)، الفرق بين الفرق (ص٩٣-٩٤)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص٥١-٥٢).

والثعالبة [١] ، والإباضية [٢]، والصفْرية [٣]، والباقون فروعهم [٤].

ويقول الصفرية بإمامة أبي بلال مرداس الخارجي [٥].

وقد ذكر الرسعني رحمه الله في تفسيره البيت الذي رثى به عمران بن حطـان [٦] مرداساً فقال: "وقال عمران بن حطان الخارجي، يرثي أبا بلال مرداساً الخارجي أمـير الصفريه، قتل في أيام يزيد بن معاوية:

أنكرت بعدك ما قد كنت أعرفـه ⁂ ما الناس بعدك يا مـرداس بالنـاس[٧][٨]

---

(١) الثعالبة: أتباع ثعلبة بن مشكان، يقولون: ليس لأطفال الكافرين ولا لأطفال المسلمين ولاية ولا عـداوة ولا براءة حتى يبلغوا فيدعون إلى الإسلام فيقروا به أو ينكروه، ومن قولهم في الأطفال: أنهم يشتركون في عذاب آبائهم، وقد انقسموا إلى خمس فرق، وقد كان ثعلبة مع عبدالكريم بن عجرد يداً واحدة إلى أن اختلفـا في حكم الأطفال فافترقا. انظر: مقالات الإسلاميين (١/١٨٠-١٨٢)، الفرق بين الفرق (ص١٠٠-١٠٣)، الملل والنحل (١/١٣١-١٣٤).

(٢) الإباضية: فرقة تنسب إلى عبدالله بن إباض، يقولون إن مخالفيهم من هذه الأمة كفاراً، حـلال مناكحتـهم وموارثتهم، جائزة شهادتهم، ويقولون: إن مرتكب الكبيرة كافر كفر نعمه، وهو في الآخرة مخلد في النـار، وقد افترقوا إلى عدة فرق. انظر: مقالات الإسلاميين (١/١٨٣-١٩٠)، الفرق بـين الفـرق ص١٠٣-١٠٤، الملل والنحل (١/١٣٤-١٣٦).

(٣) الصفريه: فرقة تنسب إلى زياد بن الأصفر، وقولهم في الجملة قول الأزارقة، إلاّ أنهم لا يرون قتـل أطفـال مخالفيهم ونسائهم، كما أنهم لم يحكموا بقتل أطفال المشركين وتخليدهم في النار، ويقولون: التقية جـائزة في القول دون العمل. انظر: الفرق بين الفرق ص٩٠-٩٣، الملل والنحل (١/١٣٧)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٥٧.

(٤) انظر: الفرق بين الفرق ص٧٢، الملل والنحل (١/١١٥).

(٥) هو مرداس بن جدير بن عامر الحنظلي التميمي، أبو بلال، يقال له: مرداس بن أديه، شهد صفين مع علـي، وأنكر التحكيم، من رؤوس الخوارج، قتل سنة (٦١هـ)، وحمل رأسه إلى عبدالله بن زياد. انظر ترجمتـه في: جمهرة الأنساب، لعلي بن أحمد بن حزم ص٢١٢، تحقيق: عبدالـسلام هـارون، دار المعـارف، مـصر – ١٣٨٢هـ، الأعلام (٧/٢٠٢).

(٦) هو عمران بن حطان السدوسي البصري، أحد رؤوس الخوارج وشاعرهم البليغ، ولما قتل مـرداس اتخـذت الصفريه عمران إماماً، وكان ناسكاً شديداً في مذهب الصفريه، وبلغ من خبثه في بغض علي رضي الله عنه أنه رثى عبدالرحمن بن ملجم قاتل علي رضي الله عنه ، توفي سنة (٨٤هـ). انظر في ترجمته: شذرات الـذهب (١/٩٥)، العبر (١/١٧).

(٧) الفرق بين الفرق ص٩٥.

(٨) رموز الكنوز (٢/١٨٤/ب).

واجتمع الخوارج على القول بالتبرؤ من عثمان وعلي رضي الله عنهما وإكفارهما، وإكفار أصحاب الجمل [(١)]، والحكمين [(٢)]، ومن رضي بالتحكيم، كما أجمعوا عدا النجدات منهم على تكفير مرتكب الكبيرة [(٣)]، كما أوجبوا الخروج على السلطان الجائر [(٤)].

ويبين الرسعني ما وقع من الخلاف وافتراق الكلمة بين الصحابة -رضوان الله عليهم- وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥﴾ [(٥)]:

" ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ﴾ أي: احذروا ما ينشأ عن الخلاف وافتراق الكلمة من القتال وغيره. قال الزبير رضي الله عنه: لقد قرأناها زماناً وما ندري أنا من أهلها، فإذا نحن المعنيون بها [(٦)]، وقال الحسن: نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير [(٧)]، قال السدي: أصابتهم الفتنة يوم الجمل [(٨)].

﴿لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ﴾ بل تشمل الصالح والطالح، وكأن المراد قتل الذين ظلموا وأفسدوا في الأرض بقتل الإمام العادل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، فعظمت البلوى، وعمت الفتنة، وأفضت الحال إلى قتل خيار المسلمين،

(١) هم: علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومن معه من جهة، وطلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام وعائشة رضي الله عنهم ومن معهم من جهة أخرى.

(٢) هما: أبو موسى الأشعري، وعمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين (١/١٦٧-١٦٨)، الفرق بين الفرق ص٧٣.

(٤) انظر: الفرق بين الفرق ص٧٩.

(٥) سورة الأنفال: الآية (٢٥).

(٦) أخرجه الطبري (٩/٢١٨)، وابن أبي حاتم (٥/١٦٨٢).

(٧) أخرجه الطبري (٩/٢١٨).

(٨) المصدر السابق (٩/٢١٨).

والملأ من أصحاب رسول الله ﷺ، كطلحة، والزبير، ومحمد بن طلحة[١] المعروف بالسجاد، وكان علي رضي الله عنه يقول في ذلك اليوم: إياكم وصاحب البرنس -يريد السجاد- ، فكان إذا حمل عليه أحد يقول: نشدتك بحم [٢]، فيرجع حتى حمل عليه بعضهم فناشده، فلم يرجع، وأنفذه بالرمح... فلما وقف علي رضي الله عنه عليه صريعاً بكى واسترجع، وقال: والله هذا فَرع [٣] قريش[٤] .

ثم قال رحمه الله:" فإن قيل: هل تجد في قوله ﴿لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً﴾ معنى اقتضاه التعيين بقوله ﴿مِنكُمۡ﴾ ؟ قلت: نعم. وهو التعريض بتعظيم ما عساه أن يصدر من السادة القادة، بدور الهدى وبحور الندى رضي الله عنهم، فإن م

---

(١) هو محمد بن طلحة بن عبيدالله القرشي التيمي أبو سليمان، المعروف بالسجاد لكثرة عبادته ومواظبته على الصلاة، له صحبة ورواية، لما ولد أتى به النبي ﷺ فمسح رأسه وسماه محمد، وكناه أبا القاسم، قتل يوم الجمل مع أبيه سنة (٣٦هـ). انظر في ترجمته: تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٣٦٦/١)، تحقيق: د. إكرام الله إمداد الحق، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي – بيروت ، الإصابة (١٨/٦).

(٢) أي: أن محمد بن طلحة السجاد رضي الله عنه كان يناشد كل من يحمل عليه يوم وقعة الجمل بفواتح سور القرآن التي أول آية فيها قوله تعالى: ﴿حمٓ﴾ . ويقول ابن كثير في البداية والنهاية عند حديثه عن وقعة الجمل: فكلما قتل واحد ممن يمسك الجمل يقوم غيره، حتى قتل منهم أربعون رجلاً، قالت عائشة: ما زال جملي معتدلاً حتى فقدت أصوات بني ضبة ثم أخذ الخطام سبعون رجلاً من قريش وكل واحد يقتل بعد صاحبه، فكان منهم محمد بن طلحة المعروف بالسجاد، فقال لعائشة: مريني بأمرك يا أمه، فقالت: آمرك أن تكون خير ابني آدم فامتنع أن ينصرف وثبت في مكانه، وجعل يقول: "حم لا ينصرون"، فتقدم إليه نفر فحملوا عليه، فقتلوه، وصار لكل واحد منهم بعد ذلك يدعي قتله، وقد طعنه بعضهم بحربة فأنفذه. وقد قال قاتله أبيات من الشعر منها:

وأشعث قوام بآيات ربه ∴ قليل الأذى فيما ترى العين مسلم
يناشدني حم والرمح شاجر ∴ فهلا تلا حم قبل التقدم

[البداية والنهاية (٢٤٤/٧)، وانظر: تفسير الطبري (٣٧/١١)، وتاريخه (٥١/٣)].

(٣) فرع: الفرع من كل شيء أعلاه، وهو ما يتفرع من أصله. انظر: المصباح المنير (٤٦٩/٢).

(٤) انظر: المستدرك (٤٢٣/٣ ح ٥٦٠٩)، والاستيعاب (١٣٧٢/٣).

لموضع اختصاصهم وظهور فضلهم وشرفهم يستعظم منهم ما يصدر عنهم.

كفوفة الطرف [١] تخفي من حقار ا ⁂ ومثلها في سواد العين منظور [٢] [٣]

وقد استشهد في موضع آخر بقول أبي العالية [٤] الذي يبين فيـه حـال الـذين خرجوا على عثمان بن عفان رضي الله عنه وذلك عند قولـه تعـالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [٥]. قال أبو العالية: "لما أظهر الله عز وجل رسوله ﷺ على قرى العرب وضعوا السلاح وآمنوا، ثم قبض الله تعالى نبيـه، فكانوا آمنين، كذلك في إمارة أبي بكر رضي الله عنه ، وعمر، وعثمان، حتى وقعوا فيما وقعـوا فيه، وكفروا النعمة -يعني بقتل عثمان- فأدخل الله تعالى عليهم الخوف، فغيروا فغير الله تعالى ما م"[٦].[٧].

ثم قال بعد ذلـك عنـد قولـه تعـالى: ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

---

(١) كفوفة الطرف: الأصل بأ ا كفوفة الظفر ومعناها: البياض الذي يكون في أظفار الأحـداث، أي: حـديثي الولادة، والجامع بين فوفة الظفر وبياض العين شفافية البياض؛ إلا أن الفوفة ملاحمة لظفر الوليد لا تتميز عنه، فلذلك وصفت بالخفاء. انظر: لسان العرب (٢٧٣/٩).

(٢) البيت لطاهر بن الحسين المخزومي البصري. انظر: قرى الضيف، ابن أبي الدنيا، عبدالله بن محمد بـن عبيـد (٢٩/٥)، تحقيق: عبدالله بن حمد المنصور، الطبعة الأولى ١٩٩٧م، أضواء السلف – الرياض .

وهو هكذا:

كفوفةِ الظفر تخفي من مهانتها ⁂ ومثلها في سواد العين مشهور

(٣) رموز الكنوز (٥٩/٢/أ).

(٤) تقدمت ترجمته ص ٣٤٩.

(٥) سورة النور: الآية (٥٥).

(٦) أخرجه الطبري (١٥٩/١٨-١٦٠)، وابن أبي حاتم (٢٦٢٩/٨)، وانظـر: أسـباب الـ ول للواحـدي ص٣٣٨، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ، دار الكتب العلمية - بيروت ، وذكره السيوطي في "الدر" (٢١٥/٦) وعزاه لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم.

(٧) رموز الكنوز (١٧٦/٣/أ).

ٱلۡفَٰسِقُونَ (١). قال أهل التفسير: أول من كفر بهذه النعمة: قَتلة عثمان رضي الله عنه فلما قتلوه غير الله تعالى ما بهم وأدخل عليهم الخوف حتى صاروا يقتتلون بعد أن كانوا إخواناً متحابين" (٢). (٣).

وقد أورد الإمام الرسعني رحمه الله بعض الأحاديث في ذم الخوارج ومنها:

ما رواه ابن أبي أوفى (٤) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الخوارج كلاب أهل النار» (٥). (٦).

وفي مسند الإمام أحمد من حديث سيار (٧) قال: جيء برؤوس من قِبل العراق فنصبت عند باب المسجد، وجاء أبو أمامة فدخل المسجد فركع ركعتين ثم خرج، فنظر إليهم، فقال: شر قتلى تحت ظل السماء ثلاثاً، وخير قتلى تحت ظل السماء من

---

(١) سورة النور: الآية (٥٥).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/٣٢٧).

(٣) رموز الكنوز (٣/١٧٦/ب).

(٤) هو عبدالله بن أبي أوفى، علقمة بن خالد الأسلمي، له ولأبيه صحبة، شهد الحديبية، وروى أحاديث شهيرة، نزل الكوفة، وكان آخر من مات بها من الصحابة سنة (٨٧هـ). انظر في ترجمته: الإصابة (٤/١٨)، تقريب التهذيب (١/٢٩٦)، الثقات لابن حبان (٣/٢٢٢)، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ، دار الفكر.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤/٣٥٥)، وابنه في السنة (٢/٦٣٥)، وابن ماجه في المقدمة (١/٦١)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/٤٣٨)، كلهم عن إسحاق عن الأعمش عن ابن أبي أوفى، قال صاحب ظلال الجنة في تخريج السنة: حديث صحيح، ورجال إسناده ثقات، رجال الشيخين، غير أن الأعمش لم يسمع من ابن أبي أوفى، وهو إلى ذلك مدلس. أ.هـ.
لكن الأعمش قد توبع، فقد أخرجه ابن أبي عاصم من طريق ابن أبي شيبة عن أبي الوليد عن حشرج بن نباته عن سعيد بن جمهان قال: دخلت على ابن أبي أوفى، فذكره، وإسناده حسن، وللحديث شاهد عن أبي امامة ذكره الرسعني بعد هذا الحديث.

(٦) رموز الكنوز (١/١٩٨).

(٧) هو سيار الأموي، الدمشقي، مولى معاوية، ويقال: مولى خالد بن يزيد بن معاوية، قدم البصرة، صدوق، قيل: اسم أبيه عبدالله، أخرج له الترمذي. انظر: تهذيب الكمال (٣/٣٥١-٣٥٢)، التقريب ص٢٧٢٠، تهذيب التهذيب (٤/٢٥٧).

قتلوه، وقال: كلاب النار ثلاثاً، ثم إنه بكى ثم انصرف عنهم، فقال له قائل: يا أبا أمامة؛ أرأيت هذا الحديث حيث قلت: «كلاب أهل النار » شيء سمعته من رسول الله ﷺ أو شيء تقوله برأيك؟ قال: سبحان الله: إني إذاً لجريء، لقد سمعته من رسول الله ﷺ مرة، ومرتين حتى ذكر سبعاً. فقال الرجل: لأي شيء بكيت، قال: رحمة لهم. وفي رواية أخرى عنه، ثم قرأ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ (١)... إلى آخر الآية (٢). (٣).

ويشير الرسعني في تفسيره بأن ذا الخويصرة (٤) هو أصل الخوارج، حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ (٥) هو ذو الخويصرة التميمي، ويقال: ابن ذي الخويصرة، ويقال: أبو الخواصر، وهو أصل الخوارج، قال للنبي ﷺ وهو يقسم قسماً: "اعدل فإنك لم تعدل، فقال: «ويلك! ومن يعدل إذا لم أعدل؟» (٦) فنزلت هذه الآية" (٧).

وقد جاء ذم الخوارج في الأحاديث الصحيحة (٨) عن النبي ﷺ من عشرة أوجه

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٠٦).

(٢) مسند الإمام أحمد (٢٥٠/٥-٢٥٣)، والترمذي (٢٢٦/٥) في تفسير سورة آل عمران، وابن ماجه في المقدمة (٦٢/١)، وإسناده حسن وله شاهد من حديث ابن أبي أوفى سابق الذكر.

(٣) رموز الكنوز (١٩٩/١).

(٤) هو حرقوص بن زهير السعدي، الملقب بذي الخويصرة، من بني تميم، شهد صفين مع علي، وبعد الحكمين صار من أشد الخوارج على علي، قتل بالنهروان سنة (٣٧هـ).
انظر في ترجمته: أسد الغابة (٤٤٨/١)، الإصابة (٣٦٤/١).

(٥) سورة التوبة: الآية (٥٨).

(٦) أخرجه البخاري في استتابة المرتدين والمعاندين، باب من ترك قتال الخوارج للتأليف، ولئلا ينفر الناس عنه (٢٥٤٠/٦-٢٥٤١) حديث رقم (٦٥٣٤)، وأخرجه مسلم في الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (٧٤٤/٢-٧٤٥) حديث رقم (١٠٦٤).

(٧) رموز الكنوز (٧٧/٢/أ).

(٨) أخرجها مسلم في صحيحه، وخرج البخاري طائفة منها. انظر: صحيح مسلم (٧٤٠/٢-٧٥٠)، صحيح البخاري (٢٥٣٩/٦-٢٥٤٠)، حديث رقم (٦٥٣٤).

كما روى الخلال [١] عن الإمام أحمد رحمه الله أنه قال: "الخوارج قوم سوء، لا أعلم في الأرض قوماً أشر منهم" [٢].

وقال أيضاً: "صح الحديث فيهم عن النبي ﷺ ومن عشرة وجوه" [٣].

أما أبرز ضلالات الخوارج فقد لخصها العلماء [٤] في ثلاثة أمور هي:

١- الخروج على أئمة الجور بالسيف.

٢- تكفير مرتكب الكبيرة.

٣- تكفير الحكمين ومن قبل التحكيم.

ومن عقائد الخوارج أنهم نفوا رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة [٥]، والقول بخلق القرآن [٦]، والتوحيد عندهم كقول المعتزلة وذلك بإثبات الأسماء لله عز وجل، والصفات يؤولونها ويعتقدون أن ظاهرها غير مراد[٧]، وإنكار عذاب القبر بالكلية، إلى غيرها من الأمور التي خالفوا فيها أهل السنة والجماعة[٨].

وقد أجمع العلماء على وجوب قتال الخوارج متى خرجوا على الإمام، وخالفوا رأي الجماعة، وشقوا عصا الطاعة بعد إنذارهم، نقل ذلك الإجماع النووي [٩]، وشيخ

---

(١) تقدمت ترجمته ص٢٤٦.

(٢) السنة للخلال (١٤٥/١)، تحقيق: د. عطية الزهراني، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، دار الراية - الرياض.

(٣) المصدر السابق (١٤٥/١).

(٤) انظر: مقالات الإسلاميين ٨٦ وما بعدها، الملل والنحل (١٢٥/١)، الفرق بين الفرق ص55 وما بعدها، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين [الخوارج والشيعة]، د. أحمد محمد جلي (ص٤٧-٥٢)، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

(٥) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢٠٧/١).

(٦) انظر: مقالات الإسلاميين (٢٠٤/١).

(٧) انظر: المصدر السابق (٢٠٣/١، ٢٣٥، ٢٤٤)، الفرق بين الفرق ص٩٦، ١٠٢.

(٨) انظر: مقالات الإسلاميين (١٧٣/١)، مجموع الفتاوى (٤٩١/٢٨).

(٩) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٧٠/٧).

الإسلام ابن تيمية [١] رَحِمَهُمَا اللَّهُ.

والأمة متفقة على تبديع الخوارج وتضليلهم، إلا أن تكفيرهم فيه نزاع، والصحيح هو القول بعدم تكفيرهم لإجماع الصحابة رضي الله عنهم على عدم تكفيرهم؛ ولأنه لم يكن في الصحابة رضي الله عنهم من كفّرهم لا علي ولا غيره من الصحابة، بل حكموا فيهم بحكم المسلمين الظالمين المعتدين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والخوارج المارقون الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أحد الخلفاء الراشدين، واتفق على قتالهم أئمة الدين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ولم يكفرهم علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وغيرهما من الصحابة، بل جعلوهم مسلمين مع قتالهم، ولم يقاتلهم علي حتى سفكوا الدم الحرام وأغاروا على أموال المسلمين، فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم لا لأنهم كفار، ولهذا لم يسبِ حريمهم ولم يغنم أموالهم" [٢].

وقال: "لا يجعل أحد بمجرد ذنب يذنبه، ولا ببدعة ابتدعها -ولو دعا الناس إليها- كافراً في الباطن، إلا إذا كان منافقاً، فأما من كان في قلبه الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به، وقد غلط في بعض ما تأوله من البدع، فهذا ليس بكافر أصلاً، والخوارج كانوا من أظهر الناس بدعة وقتالاً للأمة وتكفيراً لها، ولم يكن في الصحابة من يكفرهم، لا علي بن أبي طالب، ولا غيره، بل حكموا فيهم بحكمهم في المسلمين الظالمين المعتدين" [٣].

والقول بعدم تكفيرهم لا يعني التساهل في بدعهم هذه وأمثالها، بل إن الذي نعتقده أنها بدع منكرة فاسدة، وبها عدلت الخوارج عن الطريق المستقيم، وضلوا عن الحق، وأفسدوا في الأرض؛ ولذا حكم عليهم كثير من العلماء بأنهم فساق وعصاة وأصحاب كبائر.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣/٢٨٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/٢٨٢).

(٣) الإيمان ص٢٠٥.

وهذا الرأي في الخوارج رجحه واختاره بعض العلماء المحققين، منهم القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: "والصواب ترك إكفارهم، والإعراض عن الحتم عليهم بالخسران، وإجراء حكم الإسلام عليهم في قصاصهم ووراثاتهم ومناكحاتهم ودياتهم، والصلاة عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين، وسائر معاملاتهم، ولكنهم يغلظ عليهم بوجيع الأدب، وشديد الزجر والهجر، حتى يرجعوا عن بدعتهم، وهذه كانت سيرة الصدر الأول فيهم فقد كان نشأ على زمن الصحابة، وبعدهم في التابعين من قال بهذه الأقوال من القدر ورأي الخوارج، والاعتزال، فما أزاحوا لهم قبراً، ولا قطعوا لأحد منهم ميراثاً، لكنهم هجروهم، وأدبوهم بالضرب والنفي والقتل، على قدر أحوالهم؛ لأنهم فساق ضلال عصاة أصحاب كبائر، عند المحققين وأهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم، خلافاً عن رأي غير ذلك" (١).

كما نصر هذا القول الإمام الشاطبي (٢) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال: "وقد اختلفت الأمة في تكفير هؤلاء الفرق، أصحاب البدع العظمى، ولكن الذي يقوى في النظر، وبحسب الأثر عدم القطع بتكفيرهم، والدليل عليه عمل السلف الصالح فيهم، ألا ترى إلى صنع علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الخوارج؟ وكونه عاملهم في قتالهم معاملة أهل الإسلام على مقتضى قول الله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا﴾ (٣)، فإنه لما اجتمعت الحرورية، وفارقت الجماعة، لم يهيجهم علي ولا قاتلهم، ولو كانوا بخروجهم مرتدين، لم يتركهم؛ لقوله -عليه الصلاة والسلام-: «من بدل دينه فاقتلوه» (٤)؛ ولأن أبابكر

---

(١) الشفا (٢/٢٩٤-٢٩٥).

(٢) هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، المالكي، المشهور بالشاطبي، الفقيه الأصولي اللغوي المفسر، توفي سنة (٧٩٠هـ). انظر ترجمته في: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، إسماعيل باشا (٢/١٢٧)، دار الفكر ١٤٠٢هـ ، معجم المؤلفين (١/١١٨، ١١٩).

(٣) سورة الحجرات: الآية (٩).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم (٦/٢٥٣٧)، حديث رقم (٦٥٢٤).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خرج لقتال أهل الردة ولم يتركهم فدل ذلك على اختلاف ما بين المسألتين" [(١)].

وقد وافق الإمام الرسعني رَحِمَهُ اللَّهُ أهل السنة والجماعة في عدم تكفير مرتكب الكبيرة بخلاف قول الخوارج الذين يكفرون مرتكب الكبيرة ويحكمون عليه بأحكام الكفار في الدنيا والآخرة.

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [(٢)]:

"وفي هذه الآية دليل قاطع على أن من مات على الإيمان من أهل الكبائر لا يخلد في النار .. وفي الصحيحين من حديث أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة » قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق » قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: « وإن زنى وإن سرق » قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: « وإن زنى وإن سرق » قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: « وإن زنى وإن سرق » ثم قال في الرابعة: « على رغم أنف أبي ذر »، فكان أبو ذر يحدث بهذا بعد ويقول: «وإن رغم أنف أبي ذر »[(٣)]" [(٤)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ عن مذهب السلف في مرتكب المعاصي: "مذهب أهل السنة والجماعة: أن فُساق أهل الملة ليسوا مخلدين في النار كما قالت الخوارج والمعتزلة، وليسوا كاملين في الدين، والإيمان، والطاعة، بل لهم حسنات وسيئات يستحقون بهذا العقاب وبهذا الثواب" [(٥)].

ويشير الرسعني في موضع آخر إلى اتفاق جمهور العلماء في عدم تكفير مرتكب

---

(١) الاعتصام، إبراهيم بن موسى الشاطبي (٤٠٥/٢)، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان.

(٢) سورة النساء: الآية (٤٨).

(٣) تقدم تخريجه ص ١٦٦.

(٤) رموز الكنوز (٤٨٧/١).

(٥) مجموع الفتاوى (٦٧٩/٧).

الكبيرة فيقول: "ذهب أعلام الأئمة وجمهور الأمة إلى أن المؤمن إذا قتل مؤمناً عمداً، لا يكفر بقتله، وإنه يستتاب كما يستتاب من سائر الذنوب، وناهيك بقبول التوبة من أكبر الكبائر، وهو الشرك، دليلاً على قبول التوبة من ذنب يتقاصر عنه في الجناية" (١).

ويقول أيضاً: "فإن الله تبارك وتعالى يغفر يوم القيامة لأهل الإخلاص ذنوبهم لا يتعاظم عليه ذنب أن يغفره، ولا يغفر شركاً" (٢).

وفي حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة» (٣).

وسائر الأحاديث الواردة في معناه، كحديث عبادة بن الصامت (٤)، حجة على الخوارج القائلة بتكفير مرتكبي الكبائر وتخليدهم في النار.

ومن خلال ما تقدم يتبين موافقة الإمام الرسعني للسلف -رحمهم الله- في موقفهم من الخوارج.

---

(١) رموز الكنوز (١/٥٥٠).

(٢) المصدر السابق (٣/١٤٦/أ).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (١/٥٥)، حديث رقم (٢٦).

(٤) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبدالله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء» أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (١/٥٧) حديث رقم (٢٨).

الفصل الثالث

موقف الرسعني من القدرية

الفصل الثالث

موقف الرسعني من القدرية

القدرية: اسم يطلق على قوم ينسبون إلى التكذيب بما قَدر الله من الأشياء، مع نفيهم لأقدار الله لأنهم يثبتون القدر لأنفسهم (١).

وقد ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني، وكانت بدايات كلامهم في القدر بعد سنة ٦٣هـ، في زمن الفتنة التي كانت بين ابن الزبير رضي الله عنه وبين بني أمية في أواخر عصر عبدالله بن عمر، وعبدالله بن عباس، وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم.

وقد تعددت الأقوال في أول من أحدث القول بالقدر، وأشهر هذه الأقوال وأرجحها أنه معبد الجهني (٢)، كما أخرج الإمام مسلم في صحيحه، فقد روى عن يحيى بن يعمر (٣)، قال: "كان أول من قال بالقدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد ابن عبدالرحمن الحميري (٤) حاجين أو معتمرين فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبدالله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي، أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الأمر إليّ، فقلت: أبا عبدالرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن

(١) انظر: لسان العرب (٧٥/٥)، مقالات الإسلاميين (٢٩٨/١)، الملل والنحل (٤٣/١).

(٢) معبد الجهني، يقال: إنه ابن عبدالله بن عكيم، أو عبدالله بن عويم، مبتدع ضال مضل، وهو أول من تكلم في القدر، وقد نهى الحسن الناس عن مجالسته، قتل سنة ٨٠هـ. انظر ترجمته في: ميزان الاعتدال (١٤١/٤)، تهذيب التهذيب (٢٢٥/١٠، ٢٢٦)، تقريب التهذيب (٢٦٢/٢).

(٣) هو يحيى بن يعمر، أبو سليمان العدواني البصري، قال ابن حبان: كان يحيى من فصحاء أهل زمانه وأكثرهم علماً باللغة مع الورع الشديد، توفي قبل المائة، وقيل بعدها. انظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء (٤٤١/١)، الكاشف (٣٧٩/٢).

(٤) هو حميد بن عبدالرحمن الحميري البصري، الثقة، الفقيه، روى عن جمع من الصحابة، منهم ابن عباس وابن عمر، وغيرهما، توفي سنة (١٠٠هـ). انظر في ترجمته: الثقات (٨٣/٢)، الكاشف (٣٥٣/١).

ويتقفرون العلم -وذكر من شأ م- يزعمون أن لا قدر، وإنما الأمر أنف [١]، قال: فإذا لقيت أولئك فأعلمهم أني منهم بريء وأ م مني براء، والذي يحلف به ابن عمر لـو أن أحدهم أنفق مثل أحد ذهباً ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر خيره وشره..." [٢].

وكانت مقالتهم تتلخص في: إنكار علم الله السابق، وتقديره لأفعال العباد سلفاً، وعدم كتابته لها في اللوح المحفوظ، وأن الأمر أنف أي مستأنف، ليس بتقدير سابق مـن الله تعالى، فهذا هو أصل مقالة أوائل القدرية.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيناً أصل مقالة أوائل القدرية: "القدريـة ينكرون علمه المتقدم، وكتابته السابقة، ويزعمون أنه أمر و ي، وهو لا يعلم من يطيعـه ممن يعصيه، بل الأمر أنف أي مستأنف. وهذا القول أول ما حدث في الإسـلام بعـد انقراض عصر الخلفاء الراشدين، وبعد إمارة معاوية بن أبي سفيان في زمن الفتنـة الـتي كانت بين ابن الزبير وبين بني أمية في أواخر عصر عبدالله بن عمر، وعبدالله بن عبـاس وغيرهما من الصحابة" [٣].

وقال أبو القاسم اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فلم تزل الكلمة مجتمعة والجماعة متـوافرة على عهد الصحابة الأول ومن بعدهم من السلف الصالحين حتى نبغت نابغة بصوت غير معروف وكلام غير مألوف في أول إمارة المروانية تنازع في القدر وتتكلم فيه" [٤].

وقد تكلم العلماء عن الـ اع في مسألة القدر، وما أحدثته القدرية من بدعة القول بخلق العبد فعله.

يقول شارح الطحاوية رَحِمَهُ ٱللَّهُ موضحاً مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب ومذهب القدرية والمعتزلة : "الـ اع بين الناس في مسألة القدر مشهور، والذي عليه أهل

---

(١) أنف: أي مستأنف استئنافاً من غير أن يكون سبق به سابق قضاء وتقدير. النهاية (١/٨٠).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمـان بإثبـات قـدر الله (٣٦/١) رقم (٨).

(٣) مجموع الفتاوى (٨/٤٥٠).

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/١٥-١٦).

السنة والجماعة: أن كل شيء بقضاء الله وقدره، وأن الله تعالى خالق أفعال العباد، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ (٢)، وأن الله تعالى يريد الكفر من الكافر ويشاؤه، ولا يرضاه ولا يحبه، فيشاؤه كوناً، ولا يرضاه ديناً، وخالف في ذلك القدرية والمعتزلة، وزعموا أن الله شاء الإيمان من الكافر، ولكن الكافر شاء الكفر، فروا إلى هذا، لئلا يقولوا: شاء الكفر من الكافر، وعذبه عليه! ولكن صاروا كالمستجير من الرمضاء بالنار! فإنهم هربوا من شيء، فوقعوا فيما هو شر منه، فإنه يلزمهم أن مشيئة الكافر غلبت مشيئة الله تعالى، فإن الله قد شاء الإيمان منه -على قولهم- والكافر شاء الكفر، فوقعت مشيئة الكافر دون مشيئة الله تعالى! وهذا من أقبح الاعتقاد، وهو قول لا دليل عليه، بل هو مخالف للدليل" (٣).

ويقول الرسعني عند قوله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤):

"﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾: رد وجوهكم عن المشركين بالهزيمة، وفي قوله: ﴿صَرَفَكُمْ﴾ إبطال لمذهب القدرية، حيث أضاف الصرف إلى نفسه وجعله من فعله" (٥).

واستشهد الرسعني بقول الواحدي في هذه المسألة وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ﴾

---

(١) سورة القمر: الآية (٤٩).

(٢) سورة الفرقان: الآية (٢).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (٣٢١/١).

(٤) سورة آل عمران: الآية (١٥٢).

(٥) رموز الكنوز (٢٧٣/١).

وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ [(١)]: " وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ قال الواحدي: هذا صريح في تكذيب القدرية، حيث أضاف الضلالة والهداية وجعلهما إلى نفسه لمن يشاء من خلقه بالمشيئة الأزلية" [(٢)]. [(٣)].

ويقول الرسعني في موضع آخر مؤكداً على أن كل شيء بعلم الله وتقديره، وذلك عند قوله تعالى: قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ [(٤)]:

"قبض الأرزاق وبسطها، ورفع الأسعار وحطها، فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا . أي: يفهمون حديثاً، فيعلموا أن الله الحكيم في تدبيره، هو القابض الباسط بعلمه وتقديره [(٥)].

وقد ذكر الرسعني موقف الإمام طاووس [(٦)] مع أحد القدرية عند تفسيره لقوله تعالى: قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ [(٧)]: قال أبو معاوية الضرير [(٨)] حدثنا رجل ولم يسمه، قال: كنت عند طاووس في المسجد الحرام، فجاء رجل ممن يرمى بالقدر من كبار الفقهاء فجلس إليه، فقال له طاووس: تقوم أو تقام، فقام الرجل، فقلت لطاووس: تقول هذا الرجل فقيه؟! فقال: إبليس أفقه منه، يقول إبليس:

---

(١) سورة النحل: الآية (٩٣).
(٢) الوسيط (٨٠/٣).
(٣) رموز الكنوز (٢٠٩/٢/أ).
(٤) سورة النساء: الآية (٧٨).
(٥) رموز الكنوز (٥٢٤/١).
(٦) هو طاووس بن كيسان الفارسي اليمني، أبو عبدالرحمن، الفقيه القدوة الحافظ، عالم اليمن، كان من سادات التابعين، ثقة، عابد، توفي سنة (١٠٦هـ). انظر ترجمته في: الجرح والتعديل (٥٠٠/٤-٥٠١)، تهذيب التهذيب (٩/٥-١٠)، حلية الأولياء (٣/٤-٢٣).
(٧) سورة الأعراف: الآية (١٦).
(٨) هو محمد بن خازم التميمي السعدي، أبو معاوية الضرير، الحافظ، أحد الأئمة في معرفة الأثر، كان كوفياً، لازم الأعمش عشرين سنة، وروى له الجماعة، توفي سنة (١٩٥هـ). انظر في ترجمته: الوافي في الوفيات (٣١٥/١)، تهذيب التهذيب (١٢٠/٩).

رب بما أغويتني[١]، ويقول هذا: أنا أغوي نفسي" [٢]. [٣].

وقول إبليس يتضمن الجبر والاحتجاج على الله بالقدر حيث إنه لم يعترف بالذنب كما اعترف به آدم، والطائفة التي تنتمي إلى هذا المذهب تسمى (الإبليسية) [٤].

والجبرية من أصناف القدرية، وهم يسلبون العبد اختياره وقدرته، ويجعلونه مجبوراً على حركاته ويجعلونها من جنس حركات الجمادات، ويجعلون أفعاله الاختيارية والاضطرارية من نمط واحد، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عنهم: "وقالت المجبرة بل قدرته ثابتة بلا حكمه، ولا يجوز أن يفعل لحكمه؛ لأن ذلك إنما يكون لمن يحتاج إلى الفعل وهو منزه عن الحاجة، ولا عدل ولا ظلم بل كل ما أمكن فعله فهو عدل، وليس في الأفعال ما هو حسن ينبغي الأمر به وقبيح ينبغي النهي عنه، ولا معروف ومنكر، بل يجوز أن يأمر بكل شيء، وينهى عن كل شيء" [٥].

ويرد الرسعني على معتقد الجبرية الفاسد، مبيناً بأن الله تعالى قد أثبت للعبد مشيئة وفعلاً، ولكن هذه المشيئة متعلقة بمشيئة الله تعالى، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾ [٦]، فيقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ذهب جماعة من نقلة التفسير إلى أن قوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾، وقوله في عبس: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢﴾ [٧]، وقوله في

---

(١) انظر: قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة الحجر: الآية (٣٩)].

(٢) ذكره القرطبي (١٧٥/٧)، والنسفي في تفسيره (٥/٢).

(٣) رموز الكنوز (٢/١٠/ب).

(٤) انظر: التدمرية ص١٣٠، طريق الهجرتين ص١٥٦.

(٥) مجموع الفتاوى (٢١٤/١٣).

(٦) سورة التكوير: الآيتان (٢٨-٢٩).

(٧) سورة عبس: الآية (١٢).

الإنسان وفي المزمل: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ (١) منسوخ بقوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وهذا ليس بصحيح؛ لأنه لا تنافي بين ما ادعوه ناسخاً ومنسوخاً، وإنما هو إعلام أن مشيئتهم منوطة بمشيئته سبحانه وتعالى، والأمر كذلك"(٢).

وسنختم هذا الفصل بكلام نفيس للإمام الرسعني يدل على موافقته لأهل السنة والجماعة في موقفهم من القدرية وذمهم والتحذير منهم ومن بدعهم، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ (٣):

" ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ أي: في ضلال عن الحق في الدنيا، ونار تسعر عليهم في الآخرة، أخرج مسلم في صحيحه والترمذي من حديث أبي هريرة قال: "جاء مشركوا قريش إلى رسول الله ﷺ يخاصمون في القدر، فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ۝٤٧ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ (٤)". (٥).

وهذه الآية المعتضدة بالأحاديث الصحيحة [المبينة] (٦) لسبب النزول الدافع لكل تأويل يعتصم به الخصم من جملة الدلائل الدامغة للقدرية، والبراهين المبطلة لمذهبهم الخبيث.

قال وهب بن منبه (٧): "قرأت اثنين وسبعين كتاباً من كتب الله عز وجل،

---

(١) سورة الإنسان: الآية (٢٩)، والمزمل: الآية (١٩).

(٢) رموز الكنوز (٢٠٩/٤/أ-ب).

(٣) سورة القمر: الآية (٤٧).

(٤) سورة القمر: الآية (٤٧-٤٩).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب القدر، باب كل شيء بقدر (٢٠٤٦/٤) حديث رقم (٢٦٥٦)، والترمذي (٤٥٩/٤)، حديث رقم (٢١٥٧).

(٦) في الأصل: المبين، ولعل الصواب ما أثبت.

(٧) هو وهب بن منبه بن كامل بن سيبح بن ذي كبار الأنباري الصنعاني، الأخباري القصصي التابعي الثقة، ولي ==

فوجدت فيها كلها: أن من جعل لنفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر" [(١)].

ويكفي في إثبات كفرهم وضلالهم، ما أخبرنا به شيخنا الإمام أبو عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي رضي الله عنه - ثم ذكر سند الحديث إلى ابن عمر رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم » [(٢)].

وممن روى عن النبي ﷺ أن القدرية مجوس هذه الأمة: أبو هريرة، وأبو سعيد، وأبو أمامة، وجابر بن عبدالله، وأنس، وسهل بن سعد [(٣)] [(٤)].

==

قضاء صنعاء، وكان ذا عبادة، وزهد، توفي سنة (١١٠هـ)،. انظر ترجمته في: التاريخ الكبير (١٦٤/٨)، الجرح والتعديل (٢٤/٩)، تهذيب الأسماء واللغات (١٤٩/٢).

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢٤/٤)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٦٤٦/٤، ٦٨٣)، وابن سعد في طبقاته (٥٤٣/٥)، وذكره السيوطي في الدر (٤٣٦/٨)، وعزاه لابن سعد والبيهقي في الأسماء والصفات.
والصحيح أن للعبد مشيئة، ولكنها تابعة لمشيئة الله تعالى في كل شيء، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [سورة الإنسان: الآية (٣٠)]، وقوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾ [سورة التكوير: الآية (٢٨)].

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٩١) في السنة: باب القدر، والحاكم (٨٥/١) من طريق أبي حازم سلمة بن دينار، عن ابن عمر، وهو منقطع، لأن أبا حازم لم يسمع من ابن عمر، ورواه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٦٣٩/٤) رقم (١١٥٠)، والآجري في الشريعة ص١٩٠، من طريق زكريا بن منظور، عن أبي حازم، عن نافع، عن ابن عمر ... وزكريا بن منظور ضعيف، وقال الدارقطني في سؤالات البرقاني : متروك ص٣١، وفي الباب عن سهل بن سعد، عند اللالكائي (٦٤٠/٤) رقم (١١٥٢)، وفي سنده يحيى بن سابق المدني، قال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الثقات، قال الشيخ الألباني: حسن. انظر: الجامع الصغير ص٧٩٠ رقم (٧٨٩٢).

(٣) هو سهل بن سعد بن مالك، الأنصاري، الخزرجي أبو العباس، من مشاهير الصحابة، يقال كان اسمه حزناً فغيره النبي ﷺ إلى سهلاً، مات النبي ﷺ وهو ابن خمسة عشر سنة، وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة سنة (٩١هـ)، وقيل قبل ذلك. انظر في ترجمته: الإصابة (٢٠٠/٣)، التاريخ الكبير (٩٧/٤).

(٤) حديث أبي هريرة رواه الآجري في الشريعة ص٢٠٤، وحديث أبي أمامة أخرجه أبو داود في سننه، باب في القدر (٦٣٤/٢) رقم (٤٦٩٢)، وحديث جابر بن عبدالله أخرجه ابن ماجه في سننه (٣٥/١) رقم (٩٢)، وحديث سهل بن سعد رواه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٦٤٠/٤) رقم (١١٥٢).

قال أبو سليمان الخطابي: "إنما جعلهم مجوساً؛ لمضاهاة مذهبهم مذاهب المجوس في قولهم بالأصلين: النور والظلمة، يزعمون أن الخير من فعل النور، والشر من فعل الظلمة، فصاروا ثنوية [(١)]، وكذلك القدريةُ يضيفون الخير إلى الله والشر إلى غيره"[(٢)]، والله أعلم.

وروى ابن عباس أن النبي ﷺ قال: "اتقوا هذه القدرية، فإنها شعبة من النصرانية"[(٣)].

وروى عبدالله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «ما هلكت أمة قط، إلا كان بدؤها الشرك بالله، وما كان بدؤها الشرك إلا التكذيب بالقدر »[(٤)] .

وروى ابن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال: «من كذب بالقدر أو خاصم فيه فقد كفر بما جئت به، وجحد ما أنزل علي »[(٥)] .

وهذه الأحاديث تركت أسانيدها اختصاراً.

قرأت على الإمام أبي محمد عبدالله بن أحمد المقدسي -ثم ذكر إسناد الحديث- عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: بالله وحده لا شريك له، وأني رسول الله، وبالبعث بعد الموت والقدر » [(٦)] هذا

---

(١) تقدم التعريف بها ص١٩٣.

(٢) معالم السنن بهامش مختصر سنن أبي داود (٥٦/٧-٥٧)، وانظر في هذا الموضوع أيضاً: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، أبو المعالي الجويني ص٢٥٥-٢٥٦، تحقيق: د. محمد يوسف موسى، وعلي عبدالمنعم عبدالحميد، الناشر: مكتبة الخانجي بمصر ١٣٦٩هـ ، وشرح النووي على مسلم (١٥٤/١)، فقد نقل كلام الأئمة في هذا الأمر.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٦٢/١١ ح ١١٦٨٠)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٦٣١/٤ ح١١٢٨).

(٤) أخرجه الطبراني في الصغير (٢١٩/٢ ح ١٠٥٩)، والبخاري في التاريخ الكبير (٣٠٠/٨ ح ٣٠٨١)، قال الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة: "ضعيف" (١٣٠/٢).

(٥) أخرجه العقيلي في الضعفاء (١٧٠/٢ ح ٦٨٦)، تحقيق: عبدالمعطي قلعجي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت ، والطبراني في الأوسط (١٦٩/٨ ح ٨٢٩٨) كلاهما بلفظ: "من كذب بالقدر فقد كذب بما أنزل على محمد ﷺ"، قال الألباني: "ضعيف جداً"، ينظر: الجامع الصغير (١٢٥٩/١).

(٦) أخرجه الترمذي (٤٥٢/٤) حديث رقم (٢١٤٥) وقال حديث أبي داود عن شعبة عندي أصح من حديث ==

حديث صحيح.

وقرأت على شيخنا أبي محمد عبدالله بن أحمد -ثم ذكر إسناد الحديث- عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ينادي منادٍ يوم القيامة: أين خصماء الله؟ قال: فتقوم القدرية مسودة وجوههم، مزرقّة أعينهم، مائلاً شقّهم يسيل لُعابهم، يقذرهم كل من رآهم، فيقولون: والله ربنا ما عبدنا شمساً ولا قمراً ولا وثناً ولا اتخذنا من دونك إلهاً. ثم قرأ ابن عباس: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ (١)، هم والله القدريون، هم والله القدريون، هم والله القدريون" (٢).

قال بعض العلماء: إنما سموا خصماء الله؛ لأنهم يقولون: يكتب الله علينا المعاصي، ثم يعذّبنا (٣).

وهؤلاء هم القدرية الإبليسية، الذين صدقوا بأن الله صدر عنه الأمران لكن عندهم هذا متناقض؛ حيث خاصموا الله في جمعه بين القضاء والقدر والأمر والنهي، وهم خصماء الله كما جاء في الحديث الآنف الذكر (٤).

وأخرج الإمام أحمد في مسنده بإسناده عن وهب بن خالد (٥) عن ابن الديلمي (٦)

==

النضر وهكذا روى غير واحد عن منصور عن ربعي عن علي، وابن ماجه (٣٢/١)، حديث رقم (٨١)، قال الألباني: "حديث صحيح"

(١) سورة المجادلة: الآية (١٨).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (١٦٢/٧) حديث رقم (٧١٦٢)، قال الهيثمي (٢٠٦/٧): فيه محمد بن الفضل بن عطية، والدارقطني في العلل (٧٠/٢) حديث رقم (١١٥)، وقال: هو حديث مضطرب الإسناد غير ثابت، والثعلبي في تفسيره (٢٦٣/٩)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦٨٦/٧) وعزاه لابن مردويه.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٢١٥/٤).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٢٦٠/٨).

(٥) هو وهب بن خالد الحميري، أبو خالد الحمصي، من كبار أتباع التابعين، ثقة. انظر في ترجمته: تهذيب التهذيب (١٤٣/١١)، التاريخ الكبير (١٦٥/٨)، الجرح والتعديل (٢٤/٩).

(٦) هو عبدالله بن فيروز الديلمي، أبو بشر ويقال أبو بسر، ثقة، من كبار التابعين، كان يسكن بيت المقدس. انظر في ترجمته: تاريخ دمشق، علي بن حسن المعروف بابن عساكر، مخطوط (٤٠٢/٣١) ونشرته مصوراً عن المخطوط مكتبة الدار بالمدينة المنورة، تهذيب التهذيب (٣١٣/٥).

قال: "لقيت أبي بن كعب (١)، فقلت: يا أبا المنذر أنه قد وقع في قلبي شيء من هذا القدر، فحدثني بشيء أفعله يذهب من قلبي. قال: "لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً من أعمالهم (٢)، ولو أنفقت جبل أحد أو مثل جبل أحد ذهباً في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير ذلك لدخلت النار، قال: فأتيت حذيفة فقال لي مثل ذلك، وأتيت ابن مسعود فقال لي مثل ذلك، وأتيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي ﷺ مثل ذلك (٣).

وفي الصحيح من حديث عمر بن الخطاب قال: "بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر سفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال يا محمد: أخبرني عن الإيمان. قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت. قال: ثم انطلق، فلبثت ملياً ثم قال لي: يا عمر، تدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل آتاكم يعلمكم دينكم"(٤). وهو مختصر من حديث طويل (٥).

---

(١) هو أبي بن كعب بن قيس، الأنصاري الخزرجي أبو المنذر، سيد القراء، شهد بدراً والمشاهد كلها، مات سنة (٣٠هـ) وقيل غير ذلك.
انظر في ترجمته: الإصابة (٢٧/١)، الطبقات الكبرى (٤٩٨/٣)، تهذيب التهذيب (١٦٤/١).

(٢) أول هذا الحديث مما يحتج به الجبرية نفاة الحكمة، حيث يجعلون ما يكون منه سبحانه بمحض المشيئة المجردة عن السبب والحكمة، وهي حجة باطلة، فإن الله لو عذب أهل سمواته وأرضه فبسبب ظلمهم، وكانوا إذ ذاك مستحقين للعذاب؛ لأن أعمالهم لا تفي بنجاتهم، فطاعات العبد كلها لا تكون مقابلة لنعمة من نعم الله عليه، فلا ينجو أحد إلا بمغفرة الله ورحمته.
انظر: طريق الهجرتين ص١٩٠، شرح العقيدة الطحاوية (٦٦١/٢-٦٦٢)، شرح الأصول الخمسة ص٣٤٨-٣٤٩.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب في القدر (٦٣٧/٢) رقم (٤٦٩٩)، وابن ماجه في باب القدر (٢٩/١) رقم (٧٧)، والإمام أحمد (١٨٢/٥) حديث رقم (٢١٦٢٩)، وابن حبان في صحيحه (٥٠٥/٢) رقم (٧٢٧)، والطبراني في الكبير (١٦٠/٥) رقم (٤٩٤٠)، (قال الألباني: "صحيح". انظر: الجامع الصغير (٩٣٨/١).

(٤) تقدم تخريجه ص ٢٤٩.

(٥) رموز الكنوز (٥٣/٤ب-٥٥/ب).

وكان الرسعني على منهج السلف في الاعتماد على الكتاب والسنة والإجماع في الرد على القدرية ومناقشتهم، حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"وقد ذكرت في أثناء كتابي [(١)] هذا أنواعاً من الأدلة الدالة على بطلان مذهبهم، ولولا خشية الإطالة لذكرت في إقامة حجج الله عليهم من الكتاب والسنة وإجماع الأمة ما يملأ أوراقاً كثيرة، لكن في هذا القدر كفاية لمن أراد الله هدايته.

قال أبو الأسود الدؤلي [(٢)]: "ما أدركت أحداً من أصحاب النبي ﷺ إلا وهو يثبت القدر" [(٣)].

وفي موطن آخر نقل الرسعني قول الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي يبين فيه حال القدري وعدم انتفاعه بما قدم من عمل وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ [(٤)]، فيقول: "قوله عز وجل: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ على إرادة القول أي: يقال لهم ذوقوا مس سقر.

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والله لو أن قدرياً صام حتى يصير كالحبل، ثم صلّى حتى يصير كالوتر [(٥)]، ثم أخذ ظُلماً وزوراً حتى ذُبح بين الركن والمقام، لكبه الله على وجهه في سقر، ثم قيل له ذُق مس سقر" [(٦)]. [(٧)].أ.هـ.

ومن خلال ما تقدم يتبين اقتفاء الرسعني للسلف الصالح في موقفهم من القدرية، ومعتقداتهم الباطلة.

---

(١) يقصد به كتابه (رموز الكنوز).

(٢) هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن عمرو، أبو الأسود الدؤلي، كان شاعراً، ثقة في حديثه، قاضي البصرة، ابتكر النحو، توفي سنة (٦٩هـ). انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى (٩٩/٧)، الكاشف (٤٠٨/٢).

(٣) أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٥٨٥/٤ ح١٠٣٧، ٦٦٢/٤ ح١٢٠٢)، وابن منده في الإيمان (١٤٣/١ ح١١).

(٤) سورة القمر: الآية (٤٨).

(٥) الوتر: وتر القوس، وهو كناية عن توتر عصبه واشتداده وتصلبه حتى صار مثل الوتر.

انظر: لسان العرب (٢٧٣/٥)، مختار الصحاح ص٧٤٠.

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٢١٤/٤-٢١٥).

(٧) رموز الكنوز (٥٥/٤/ب).

الفصل الرابع

موقف الرسعني من الرافضة

الفصل الرابع

موقف الرسعني من الرافضة

سمي الرافضة بذلك؛ لأن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب [(١)] خرج على هشام بن عبدالملك [(٢)]، فطعن عسكره في أبي بكر رضي الله عنه، فمنعهم من ذلك فرفضوه، ولم يبق معه إلا مائتا فارس، فقال لهم زيد: رفضتموني؟ قالوا: نعم، فسموا رافضة.

وقيل إنهم سموا بذلك؛ لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وقيل: لأنهم طالبوا زيد بن علي بالتبرئ ممن خالف علياً في إمامته فامتنع من ذلك فرفضوه، فسموا رافضة، وقيل غير ذلك[(٣)].

قال عبدالله بن أحمد: سألت أبي عن الرافضة؟ فقال: "الذين يشتمون أو يسبون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما" [(٤)].

وقد رجح شيخ الإسلام ابن تيمية أنهم سموا بذلك لرفضهم زيد بن علي بعد ما

---

(١) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أبو الحسن المدني وهو الذي تنسب إليه الزيدية، كان ذا علم وصلاح، خرج على هشام بن عبدالملك، وبايعه خلق كثير، وحارب والي العراق، ولكنه قتل شهيداً، ثم صلب أربع سنين، وكان قتله سنة ١٢١هـ. انظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء (٣٨٩/٥-٣٩١)، تهذيب التهذيب (٤٢٠/٣)، شذرات الذهب (١٥٨/١-١٥٩).

(٢) هشام بن عبدالملك بن مروان القرشي، أبو الوليد، الخليفة الأموي، امتدت خلافته عشرين سنة إلا شهراً، كان ذا رأي وحزم، عاقلاً محباً لجمع المال، توفي سنة ١٢٥هـ. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٣٥١/٥-٣٥٣)، البداية والنهاية (٣٥١/٩-٣٥٤)، شذرات الذهب (١٦٣/١-١٦٥).

(٣) انظر: فرق الشيعة، حسن بن موسى النوبختي ص٦٢-٦٣ الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ، دار الأضواء – بيروت، الملل والنحل (١٥٥/١)، مجموع الفتاوى (٤٣٥/٤)، سير أعلام النبلاء (٣٩٠/٥).

(٤) السنة لعبدالله بن أحمد (٥٤٨/٢)، تحقيق: د. محمد سعيد سالم القحطاني، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، دار ابن القيم - الدمام ، كما أورده الخلال في السنة ص٤٩٢، وشيخ الإسلام ابن تيمية في الصارم المسلول ص٥٦٧، تحقيق: محمد عبدالله عمر الحلواني، ومحمد كبير أحمد شودري، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، دار ابن حزم – بيروت.

ترحم على الشيخين، فهو يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: "ومن زمن خروج زيد افترقت الشيعة إلى رافضة وزيدية [(١)]، فإنه لما سئل عن أبي بكر وعمر، فترحم عليهما، رفضه قوم فقال لهم: رفضتموني، فسموا رافضة، لرفضهم إياه، وسمي من لم يرفضه من الشيعة زيدياً" [(٢)].

والرافضة فرق كثيرة، والبعض منهم قد يصل في أقواله إلى حد الكفر؛ وهؤلاء هم الغلاة، كمن زعم أن علياً هو الله تعالى، وقد قال بهذا: عبدالله بن سبأ اليهودي [(٣)]، وأتباعه، فأحرق علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ منهم جماعة، وكمن زعم منهم أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ مرسل من الله تعالى إلى علي فغلط وأدى الرسالة إلى محمد ﷺ، وغير هذا من أقوال بعضهم الكفرية [(٤)].

وقد تصدى العلماء لهؤلاء الروافض، وبينوا خطر مذهبهم، وبطلان أقوالهم،

---

(١) الزيدية: إحدى فرق الرافضة، وقد افترقوا فيما بينهم إلى ثلاث فرق رئيسة، وهي: الجاروديه والسليمانية والبترية، وقيل أكثر من ذلك، ويجمعهم القول بإمامة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب في أيام خروجه زمن هشام بن عبدالملك، كما أجمعوا على خلود أصحاب الكبائر من الموحدين في النار، وعلى الخروج على أئمة الجور، وعلى عدم الصلاة خلف الفاجر، وعلى تفضيل علي على سائر الصحابة.

انظر: مقالات الإسلاميين (١/٤٠-١٥٠)، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، محمد بن أحمد الملطي ص٣٢-٣٥، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، الطبعة الثانية ١٩٧٧م، المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة ، الفرق بين الفرق ص٢٢، الملل والنحل (١/١٥٤-١٦٢)، التبصير في الدين ص٢٧-٣٠، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين [الخوارج والشيعة] ص١٨٧-١٩٠.

(٢) مختصر منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/١٧)، اختصره: عبدالله الغنيمان، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ، دار الأرقم.

(٣) هو عبدالله بن سبأ، رأس الطائفة السبئية، من غلاة الزنادقة، ضال مضل، أصله من اليمن، وقد كان يهودياً ثم أظهر الإسلام، وكان يقول بألوهية علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وجهر ببدعته، ويقال: إن علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحرقه بالنار سنة ٤٠هـ.

انظر ترجمته في: ميزان الاعتدال (٢/٤٢٦)، لسان الميزان (٣/٢٨٩، ٢٩٠).

(٤) انظر: مقالات الإسلاميين ص٥-١٦، الملل والنحل (١/١٧٣-١٩١)، تلبيس إبليس ص١١٨-١٢٤، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٧٠-٧٦.

وفساد عقائدهم، وبعضهم ألف في ذلك مؤلفات مستقلة [(١)].

وأقوال العلماء في ذم الرافضة كثيرة، فقد قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ومن الحجة الواضحة الثابتة البينة المعروفة ذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ كلهم أجمعين، والكف عن ذكر مساوئهم، والخلاف الذي شجر بينهم فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ، أو أحداً منهم، فهو مبتدع رافضي خبيث مخالف، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً"[(٢)].

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لم أر أحداً أشهد بالزور من الرافضة" [(٣)].

وقال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ -وقد سئل عن الرافضة: "لا تكلمهم، ولا ترو عنهم، فإنهم يكذبون" [(٤)].

وذم الرافضة متفق عليه بين علماء المسلمين، فقد عدوهم أكذب الطوائف، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وقد اتفق أهل العلم بالنقل والرواية والإسناد على أن الرافضة أكذب الطوائف، والكذب فيهم قديم، ولهذا كان أئمة الإسلام يعلمون امتيازهم بكثرة الكذب" [(٥)].

والرافضة مجمعون على أن النبي ﷺ نص على استخلاف علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأن أكثر الصحابة ضلوا حيث لم يجعلوه إماماً بعد وفاة النبي ﷺ، وقد تبرؤوا

---

(١) من هذه المؤلفات: كتاب الإمامة والرد على الرافضة لأبي نعيم الأصبهاني، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية لشيخ الإسلام ابن تيمية، الرد على الرافضة لأبي حامد المقدسي، رسالة في الرد على الرافضة للشيخ محمد بن عبدالوهاب.

(٢) رسالة السنة ص٧٧-٧٨.

(٣) أخرجه ابن بطة في الإبانة (٥٤٥/٢)، واللالكائي في شرح أصول السنة (١٤٥٧/٨)، وأبو نعيم في الحلية (١١٤/٩).

(٤) نقله شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٥٩/١-٦٠)، وذكر أنه رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى ولم أجده. وانظر: السنة للخلال (٤٩٤/٣) رقم (٧٨٦).

(٥) منهاج السنة (٥٩/١)، وانظر أقوال العلماء فيهم في: السنة لابن أبي عاصم (٤٧٤/٢-٤٨٥)، السنة للخلال(٤٨٩/٣-٥٠٠)،شرح أصول السنة للالكائي(١٢٦/٧-١٢٧)،مقدمة لسان الميزان (٩/١-١١).

من الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ومن معظم الصحابة، وسبوهم وشتموهم [١].

ولقد كان الإمام الرسعني رحمه الله موافقاً للسلف الصالح في موقفهم من الرافضة ومن عقائدهم الفاسدة.

يقول ابن رجب عنه في الذيل على طبقات الحنابلة: "وكان متمسكاً بالسنة والآثار، ويصدع بالسنة عند المخالفين من الرافضة وغيرهم" [٢].

ومما يؤكد ذلك صنيعه مع أحد الرافضة بالموصل عند تحريفه لمواضع من القرآن الكريم، مما يدل على أنه يصدع بالحق لا يخشى في الله لومة لائم فقد قال رحمه الله: "ولقد احتدت شوكة الرافضة في زماننا بالموصل واشتدت شكيمتهم، وظنوا أن الوثب نهزهم[٣]، ولات حين ما يطلبون، وأنى وكلمة الله هي العليا، والله مظهر دينه، وناصر من نصره، وخاذل من خذله، وطمعوا اغتراراً منهم وجهلاً بما كتبه الله تعالى على نفسه من حفظ كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أن يحرفوا مواضع من القرآن، وينزلوها على وفق أهوائهم؛ فقرأ قارئ منهم في محفل من محافلهم آيات من سور شتى انتخبها طواغيتهم، ولفقوها تلفيقاً متناقضاً، ونظموها نظماً تشهد رصانة القرآن وفصاحته بتهافتها وافترائها، وأنا أستحيي من حكايتها، وأستغفر الله تعالى من جريان قلمي بكتابتها، فقرأ آيات كثيرة منها: (أنما وليكم الله ورسوله وعلي الذين يقيمون الصلاة)، وقرأ: (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كعلي آمن بالله)، وفساد هذا في العربية أكثر وأظهر من أن يذكر، وقرأ: (أن الله وملائكته يصلونَ علياً بالنبي)، وقرأ: (فأما علي فأعطى واتقى وصدق بالحسنى)، وزاد آية في كتاب الله، فقرأ

(١) انظر: مقالات الإسلاميين ص١٦-٦٤، الفرق بين الفرق ص٢٩-٧٢، تلبيس إبليس ص١١٨-١٢٤، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٥٩-٧٩.

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة (٨١/٤).

(٣) لعل الرسعني يريد بهذه العبارة بيان حال الرافضة في عصره واعتقادهم بأن الكبر والعلو والسطوة منهم سوف تجعل لهم قدر ومكانة مما قد يهابهم غيرهم.

في سورة الشعراء عند قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [(١)] (وأن علياً وشـيعته لهـم الفائزون)، إلى آيات كثيرة اقترؤوها ثم افتروها، فلما شاع ذلك وذاع وحدثني به رجل صالح من فضلاء القُراء ممن حضر وسمع، لزمتني حجة الله الذي اتخذها على الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه، وطوقت القول في ذلك طوق الحمامة، فرفعت حديثه إلى والي الأمر بالموصل، فنفى ذلك القارئ من البلاد، وأراح منه العباد [(٢)].

ويبين الرسعني بأن استحلال الزيادة والتحريف في كتاب الله كفر بإجماع أهـل العلم حتى ولو كانت في الثناء على الله تعالى فكيف بغير ذلك، كفعل الرافضة في الزيادة لكل ما يتعلق بعلي رضي الله عنه وآل بيته، فيقول: "ومن أعجب ما بلغني عن بعض عظمائهم، أنه قال: إنما أنكروا ذلك لكونه في فضائل علي [(٣)]، فقلت: لو أن شخصاً استحل الزيادة في كتاب الله، أو التحريف فيه، بتوحيد الله وتمجيده والثناء عليه، مضيفاً ذلك إلى القرآن معتقداً نزوله فيه، كان كافراً بإجماع أهل العلم [(٤)]، ولكن هذا دأ م وديد م عند إنكار أهل الحق عليهم فيما يختلقونه في المناقب والمثالب، ونحن بحمد الله تعالى بفـضائل أمـير المؤمنين علي وآله أدرى، وبمحبته وولايته أولى وأحرى" [(٥)].

وقد ضل الرافضة في باب الصحابة ضلالاً كبيراً، فعقيد م في الصحابة من أسوأ

---

(١) سورة الشعراء، الآية (١٩٦).

(٢) رموز الكنوز (١٨٧/٢/أ).

(٣) على اعتبار أن أهل السنة يبغضون علياً رضي الله عنه ويجحدون فضله، كما تزعم الرافضة.

(٤) الرافضة حرفوا القرآن تحريفاً لم يحرفه غيرهم، وأدخلوا في دين الله من الكذب ما لم يكذبه غيرهم، وردوا الصدق ما لم يرده غيرهم، فهم أئمة التأويل الذي هو تحريف الكلم عن مواضعه، وقد أولوا كثيراً من الآيات، واستدلوا ا على عصمة أئمتهم، علي وذريته من بعده، كما أ م يزعمون أن هناك سورة في القرآن تسمى "سورة الولاية"، وأ ا قد حذفت من القرآن، وهذه السورة تنص على خلافة علي وذريته.

انظر: منهاج السنة (٤٠٤/٣)، الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب ص١١-١٣، الشيعة وتحريف القرآن لمحمد مال الله ص١١٩-١٢٠.

(٥) رموز الكنوز (١٨٧/٢/أ-ب).

العقائد، ومنها اعتقادهم أن الصحابة إلا النزر اليسير منهم كاذبون، ومن هذا الباب أوجبوا سبهم ولعنهم، بل إنهم أوصلوهم إلى درجة الكفر، فكفروا أبا بكر وعمر وعثمان، وعامة المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، وتبرؤوا منهم جميعاً.

ويبين الرسعني رحمه الله حال الرافضة مع الصحابة رضوان الله عليهم فيقول: "وطائفة جعلت مكان الصلاة عليهم والدعاء لهم: اللعنة والتنفير عنهم، فتراهم مجاهرين في سب السابقين الأولين من المهاجرين، ولقد سمعت عظيماً من عظمائهم، وطاغية من طغاتهم، يذكر الزبير بن العوام، حواري رسول الله ﷺ، وابن عمته، وأول من سلّ سيفاً في سبيل الله، ويقول: هو من أهل النار، فقلت للطاغي الباغي: رسول الله قد شهد له بالجنة، فشهادة رسول الله ﷺ أقوم من شهادتك وأعدل، ولو استطعت لزدت في الرد والنكير عليه، ولكني خفت حيفه وسيفه، ثم إني مضيت كمداً مستشهداً:

لو كنت أقدر أن أقول لما شفيت من قلبي غليلاً ⁂ لكن لساني صارم مثلت مضاربه فلولا [1]

اللهم فإليك المشتكى، وأنت المستغاث، وبك المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بك[2].

ومن عقائد الرافضة سب الصحابة -رضوان الله عليهم- يقول الرسعني رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[3]:

"وهذه الآية تنعي على الطائفة الخسيسة الخبيثة، الذين رفضوا دين الإسلام، وتدينوا بسب أصحاب الرسول ﷺ، سوء حالهم، وتخرجهم عن أن يكونوا ممن رضي

---

(١) تقدم ذكره ص ٤٢٧.

(٢) رموز الكنوز (٢/٨٨/أ).

(٣) سورة التوبة: الآية (١٠٠).

الله عنهم، وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، وقد ثبت بالدلائل القطعية والبراهين العقلية والسمعية أن من تنسك بسب السابقين الأولين من المهاجرين وبغضهم، وتمسك بالبراءة منهم ورفضهم لم يتبعهم بإحسان" [١].

وفي موضع آخر يتحدث عما وقع بين الصحابة من حروب وتنازع، وأنه لا يؤثر على استحقاقهم المراتب العالية في الجنة، كما تزعم الرافضة، فيقول: "لئلا يظن ظانّ، أو يتوهم متوهم، أن ما جرى بين هذه السادة الذين هم أفاضل الصحابة من الحروب والتنازع موهن لمراتب فضلهم في الآخرة، وموجب لاستنزالهم عن أعلى منازل الجنة، كما ظن الغواة الغلاة من الرافضة، وإلى ذلك أشار ﷺ بقوله: «وما يدريك أن الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» [٢]. [٣].

وكما قصرت الرافضة في عامة الصحابة فقد غلت في بعض الصحابة، وهم أهل بيت رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه وذريته، ونفر قليل من الصحابة، حتى أن بعضهم ادعوا ألوهية علي رضي الله عنه [٤].

وأما أهل السنة والجماعة فقد أنزلوا الصحابة جميعاً -ومنهم آل البيت- منازلهم وعرفوا فضلهم وقدرهم.

فها هو الرسعني رحمه الله يبين ما عليه السلف الصالح في علي رضي الله عنه عند قوله

---

(١) رموز الكنوز (٢/٨٨/ب).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس (٣/١٠٩٥) حديث رقم (٢٨٤٥)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم وقصة حاطب بن أبي بلتعة (٤/١٩٤١) حديث رقم (٢٤٩٤).

(٣) رموز الكنوز (٢/١٥/ أ).

(٤) انظر: الأصول من الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني الرازي (٦/٣٣) وما بعدها، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ، دار الكتب الإسلامية - طهران، عقيدة الشيعة في الإمامة لمحمد باقر الأصفهاني ص٢٧٩-٢٨٠، الحكومة الإسلامية لآية الله الخميني ص٩١، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، دار عمار للنشر والتوزيع - عمان - الأردن ، الشيعة والحاكمون لمحمد جواد مغنية ص١٢، الطبعة الثالثة ١٩٦٦م، منشورات المكتبة الأهلية - بيروت.

تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ (١):

"إن لعلي رضي الله عنه في قلوب المؤمنين الذين اتبعوا الهدى، وجانبوا الهوى وداً راسخ الأوتاد، شامخ الأطواد، لا يخامره ما خامر قلوب الرافضة من الغل لأصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم ولا يشينه ما شانهم من الإفراط في حالي مدحهم وقدحهم" (٢).

ومن المعلوم أن الرافضة قد أنكرت خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكذلك خلافة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما، وزعموا أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أحق بالخلافة منهم.

وقد عقد الرسعني رحمه الله فصلاً حول ذلك، فقال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٣):

"وهذه الآية من جملة الدلائل الواضحة على صحة القول بخلافة الصديق، وعمر، وعثمان، وهي من الآيات الهوادم لمذهب الرافضة، ولكنهم من ﴿الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾" (٤) (٥).

وقد ذكر الرسعني أيضاً في تفسيره بعض عقائد الرافضة التي تتعلق باليوم الآخر ومنها قوله عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا﴾ (٦):

"ومعنى ﴿فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ﴾: آمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه؛ كالمعتزلة والرافضة، فإنهم آمنوا بكثير مما جاءهم به النبي ﷺ، وكفروا بكثير منه، فإنهم لا يؤمنون بكثير من أحوال الآخرة، كعذاب القبر، وإخراج المؤمنين من النار بالشفاعة، والنظر إلى وجه الله تعالى في الجنة" (٧).

---

(١) سورة مريم: الآية (٩٦).
(٢) رموز الكنوز (٣/٥٦/ب).
(٣) سورة النور: الآية (٥٥).
(٤) سورة يونس: الآية (٩٦-٩٧).
(٥) رموز الكنوز (٣/١٧٦/ب-١٧٧/أ).
(٦) سورة الأنعام: الآية (١٥٩).
(٧) رموز الكنوز (٢/٧/أ).

ونختم هذا الفصل بقول للإمام الرسعني يدل على موقفه الحازم من هذه الفرقة المخالفة للكتاب والسنة، فيقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فقبح الله الرافضة من طائفة، ما أخسها وأهونها على الله وعلى عباده المؤمنين ... وقد ذكرت في أثناء كتابي هذا [1] من فضائحهم، وقبائحهم ودلائل ضلالهم، وكفرهم ما أرجو به القربى إلى الله، والزلفى لديه يوم ألقاه" [2].

(١) يقصد به كتابه رموز الكنوز.

(٢) رموز الكنوز (٤/٩٩/ب).

الفصل الخامس

موقف الرسعني من الملل والفرق الأخرى

الفصل الخامس

موقف الرسعني من الملل والفرق الأخرى

افتراق الأمة ثابت بنص شرعي، وقد أشار الرسعني إلى ذلك في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا﴾[1]، واستدل بحديث عبدالله ابن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا إن رسول الله ﷺ قال: «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل، تفرق بنوا إسرائيل على اثنتين وسبعين ملة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة تزيد عليهم ملة، كلها في النار إلا ملة واحدة ». قالوا: من هذه الملة، قال: ما أنا عليه وأصحابي»[2].

ثم استشهد بقول يوسف بن أسباط[3]، الذي يقول فيه: "أصول البدع أربع: الروافض، والخوارج، والقدرية، والمرجئة ، ثم تتشعب كل فرقة ثماني عشرة طائفة، فتلك ثنتان وسبعون فرقة، والثالثة والسبعون الناجية التي قال رسول الله ﷺ: «إنها الناجية»[4] [5].

---

(١) سورة الأنعام: الآية (١٥٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦/٥)، حديث رقم (٢٦٤١)، وقال: هذا حديث مفسر غريب، لا نعرفه مثل هذا الا من هذا الوجه، وأخرجه الحاكم في كتاب العلم، باب تفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا واحدة (١٨٢/١)، وأبو نعيم في الحلية (٢٤٢/٩)، والآجري في الشريعة ص٢١.

(٣) هو يوسف بن أسباط بن واصل الشيباني الكوفي، أبو محمد، الزاهد الواعظ، صاحب سنة، كان لا يأكل إلا الحلال المحض، فإن لم يجده استف التراب، توفي سنة (١٩٥هـ). انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (٣٥٨/١١)، لسان الميزان (٣١٧/٦).

(٤) أخرجه الآجري في الشريعة ص٢١، وذكره الأحوذي في التحفة، وتعليقه على حديث افتراق الأمة (٣٣٤/٧)، وأصل الحديث في الترمذي، وقد سبق تخريجه في الحديث السابق، وانظر: طبقات الحنابلة (٣٢/٢).

(٥) انظر: رموز الكنوز (٢/٧/أ-ب).

ويوضح الرسعني أن الله سبحانه وتعالى لو شاء لجعل الناس كلهم مؤمنين، فقضى باختلافهم ما بين يهودي، ونصراني، ومجوسي، وغيرهم، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى:

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾(١):

" ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ لاضطرهم إلى الإيمان، ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ ما بين يهودي ونصراني، ومجوسي ووثني وسني، وبدعي. ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ أي: إلا أناساً رحمهم ربك، فهداهم إلى الحق ووفّقهم لسلوك سبيله، وجمع كلمتهم عليه؛ وهم المتمسكون بالعروة الوثقى، المتمسكون بشرائع المرسلين" (٢).

هذا وقد تكلم الرسعني عن بعض الملل والفرق الأخرى عند تفسيره لكتاب الله مع إسهابه عن أهل الكتاب (اليهود والنصارى) وذلك لكثرة الآيات التي تحدثت عنهم، وعليه سأتناول موقف الرسعني رحمه الله من هذه الملل والفرق كما يأتي:

١-أهل الكتاب (اليهود والنصارى):

ذكرت آنفاً أن الرسعني قد تحدث عن أهل الكتاب بشكل موسع في كتابه رموز الكنوز، وهذه الكثرة مرتبطة طردياً مع كثرة الآيات المنزلة في كتاب الله فيهم، مبينة حوادثهم مع رسل الله واختلافهم وتفرقهم، وتحريفهم للكتب المنزلة وكتمان الحق والصد عن سبيل الله.

وسأسوق فيما يأتي بعض المواضع الذي تحدث فيها الرسعني عن أهل الكتاب، فهو يقول رحمه الله مبيناً تجاوزهم الحد في الدين إلى درجة غلوهم في عيسى عليه السلام

---

(١) سورة هود: الآية (١١٨-١١٩).

(٢) رموز الكنوز (٢/١٣٦/أ).

وذلك عند تفسيره لقوله تعـالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾[(١)]: **"قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ **هذا** **ي لليهود والنصارى عن الإفراط وتجاوز الحد في الدين، فإن اليهود غلت في عيـسى حتى دفعته عن حقه ومرتبته، وغلت فيه النصارى حتى رفعته عن منزلته وادعتـه إلهـاً، فقالت اليعقوبية[(٢)]: هو الله، وقالت النسطورية [(٣)]: هو ابن الله، وقالت المرقُوسية [(٤)]: هو ثالث ثلاثة،** ﴿وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ **أي الصدق، فتنزهـوه عـن الـشريك والولد، ثم نزه عيسى عما رمته به اليهود، وادعته النصارى فقال:** ﴿إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُ﴾[(٥)]. [(٦)].

ويقول أيضاً في موطن آخر عند قوله تعالى: ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ﴾[(٧)]:

---

(١) سورة النساء: الآية (١٧١).

(٢) اليعقوبية: نسبة إلى يعقوب البراذعي، ونسبوا إليه لأنه كان من أنشط الدعاة إلى المذهب، لا أنـه مبتدعـه ومنشؤه، حيث إن بطريرك الإسكندرية سبق يعقوب إلى ذلك المذهب في منتصف القرن الخامس الميـلادي وقالوا بالأقانيم الثلاثة. انظر: الملل والنحل (٥٤١/١)، الفصل (١١١/١)، الجواب الـصحيح (٤٠٨/٣)، تلبيس إبليس ص٧٧.

(٣) النسطورية: نسبة إلى نسطور الذي كان بطريرك القسطنطينية عام ٤٣١م، ويقال له: نسطور الحكيم، وقـد تصرف في الأناجيل بحكم رأيه وأضاف إليها، وذكر شيخ الإسلام أن النسطورية خالفوا وانحرفوا عن مبادئ نسطور، انظر: الملل والنحل (٥٣٥/١)، الفصل (١١١/١)، الجواب الـصحيح (٣٢/٣)، محاضـرات في النصرانية لمحمد أبو زهرة ص١١٨، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، الرئاسة العامة لإدارات البحـوث العلميـة والإفتاء والدعوة والإرشاد ، المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، عبدالرزاق محمـد أسـود (٢٣٧/١)، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ، الدار العربية للموسوعات – لبنان.

(٤) المرقُوسية: أتباع مرقُس صاحب الإنجيل المعروف، انظر: الملل والنحـل (٢٢٤/١-٢٢٥)، محاضـرات في النصرانية ص١٩٠-١٩٤.

(٥) سورة النساء: الآية (١٧١).

(٦) رموز الكنوز (٦٣٥/١-٦٣٦).

(٧) سورة الأخلاص: الآية (٣).

"تكذيب لليهود والنصارى في قولهم: عزير ابن الله، والمسيح ابن الله، والمعنى: لم يلد لأنه لا يجانس حتى يكون له صاحبة من جنسه فيتوالدان، ويدل عليه قوله في موضع آخر: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ (١). ولم يولد؛ لأن كل مولود محدث وجسم، وهو تعالى منزه عن ذلك" (٢).

ويرد الرسعني على النصارى في عقيدة التثليث فيقول عند قوله تعالى في سورة آل عمران: " ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ (٣) رد على النصارى، وتكذيب لهم في اعتقادهم التثليث" (٤).

وأهل الكتاب من اليهود والنصارى كفار بصريح القرآن قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ (٥).

يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: "يقول تعالى: مخبراً أو حاكياً بكفر النصارى في ادعائهم في المسيح ابن مريم، وهو عبد من عباد الله، وخلق من خلقه أنه هو الله، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً" (٦).

ويقرر الرسعني كفرهم فيقول عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ

(١) سورة الأنعام: الآية (١٠١).
(٢) رموز الكنوز (٤/٢٦٨/ب).
(٣) سورة آل عمران: الآية (٦٢).
(٤) رموز الكنوز (١/١٣٤).
(٥) سورة المائدة: الآية (١٧).
(٦) تفسير ابن كثير (٢/٣٤)، (٢/٨١) بتصرف.

وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ (١).

"قال المفسرون: هم اليهود كفروا بعيسى والإنجيل، ومحمد والقرآن، وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ في الإيمان وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ فأخبر الله أن الإيمان بالبعض كفر بالكل لما فيه من التكذيب، فقال: أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا . وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ أي: بين الكفر والإيمان سَبِيلًا مذهباً يدعون إليه، ويحضون عليه، أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ثم أكده فقال: حَقًّا فشهد عليهم بالكفر في أول الآية وأكده ثانية بقوله: أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا سلباً لوصف الإيمان عنهم، ونفياً لما توهموه من الانتفاع بالإيمان بالبعض (٢).

ويشير الرسعني إلى اختلاف اليهود والنصارى فيقول عند قوله تعالى: وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ (٣): "... والمعنى: لا تختلفوا وتتفرقوا، كما تفرقت اليهود والنصارى" (٤).

وقد أكد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأن هذا الاختلاف والتفرق من أسباب الجهل المطبق عليهم فيقول: "والنصارى عليهم لعنة الله من جهلهم ليس لهم ضابط، ولا لكفرهم حد، بل أقوالهم، وضلالهم منتشر، فمنهم من يعتقده إلهاً، ومنهم من يعتقده شريكاً، ومنهم من

---

(١) سورة النساء: الآية (١٥٠ - ١٥١).
(٢) رموز الكنوز (٦٢٠/١ - ٦٢١).
(٣) سورة آل عمران: الآية (١٠٣).
(٤) رموز الكنوز (١٩٢/١).

يعتقده ولداً، وهم طوائف كثيرة لهم آراء مختلفة وأقوال غير مؤتلفة، ولقد أحسن بعض المتكلمين حيث قال: لو اجتمع عشرة من النصارى لافترقوا عند أحد عشر قولاً" [١].

وأهل الكتاب يزكون أنفسهم باعتبارهم خير من الأمم الأخرى وذلك لكونهم يعتقدون أنهم فضلوا على غيرهم بمزايا متعددة وقد نوه الرسعني إلى ذلك قائلاً:

"كانت اليهود والنصارى يثنون على أنفسهم ويقولون: نحن أبناء الله وأحباؤه، ولن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، ويمنون بأنهم أهل الكتاب وأوعية العلم، وأولاد الأنبياء، ووراث الحكمة إلى غير ذلك من الأماني الكاذبة، والخُدع، ويركبون رؤوسهم في الجهل، والاجتراء على أنبياء الله وأوليائه، فيكذبون فريقاً وتقتلون فريقاً، فرد الله عليهم وكذبهم فقال: " بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ [٢] فيجعله زاكياً، مرضياً، مطهراً من دنس الإثم والرذائل" [٣].

وأهل الكتاب صدوا الناس عن سبيل الله، ومنعوهم من الدخول في دين الإسلام بما كتموا من صفة محمد ﷺ، والشهادة برسالته في التوراة والإنجيل.

يقول الرسعني حول إنكارهم ذلك: "أهل الكتاب أنكروا ما في الكتابين من نعت الإسلام، ووصف النبي ﷺ" [٤].

ويقول أيضاً مبيناً كتمانهم لصفته والشهادة برسالته في التوراة والإنجيل عند قوله تعالى: يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ [٥]: " قوله تعالى: لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يعني القرآن، والآيات المشتملة على نعته، والشهادة برسالته في التوراة والإنجيل وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ أنها حق" [٦].

---

(١) تفسير ابن كثير (٥٩١/١).
(٢) سورة النساء: الآية (٤٩).
(٣) رموز الكنوز (٤٨٨/١).
(٤) المصدر السابق (١٧٢/٢/أ).
(٥) سورة آل عمران: الآية (٣٠).
(٦) رموز الكنوز (١٤٥/١).

ويقول في **موطن آخر عند قوله تعالى:** ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾[(١)]**:**

"﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ **أي: ما كنت قارئاً ولا كاتباً،** فإنك **لو كنت كذلك** ﴿إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ **أي: إذاً لشكّوا فيك؛ لأن صفتك** في **التوراة والإنجيل أنك أمي لا تكتب ولا تقرأ،** فإن قيل: **لو كان كاتباً** قارئاً **لكان** غير **المنعوت بالرسالة** في **التوراة والإنجيل قطعاً، فما معنى ارتيابهم وهو على هذا التقدير** غير **المنعوت** في **كتابهم؟ قلت: هذا على سبيل الفَرض والتقدير، أي: لو بعثت كاتباً** قارئاً، **وأنت على الحال التي أنت عليها من الشواهد الدالة على صدقك ورسالتك لارتابوا،** فإن قيل: **لو** لم **يكن أمياً** لما **كانوا مبطلين** في **الارتياب لكونه على** غير **النعت الذي نعت به** في **الكتاب، فكيف** سماهم مبطلين؟ قلت: **وصفهم** بما **هم متلبسون به، كأنه قيل: إذاً لارتاب هؤلاء** المبطلون في **كفرهم**" [(٢)].

ويوضح الرسعني الحكمة في بشارة **عيسى** عليه السلام **بإرسال** محمد ﷺ **فيقول:** "**فإن قيل: ما الحكمة** في **بشارة عيسى** بني **إسرائيل بإرسال** محمد ﷺ **من بعده؟ قلت: التنبيه على فخامة أمره** ﷺ **وتعظيم شأنه،** وتحقيق **رسالته، وتقرير نبوته** في **قلوب أهل الكتاب، وتوكيد حجته، مع ما** في **ذلك من** المعجزة **له ولعيسى صلى** الله **عليهما وسلم**"[(٣)].

ونختم بذكر ما أورده الرسعني من قصة نصراني **كان غالياً** في **دين النصرانية** ثم **من** الله **عليه بالهداية ودخل** في **الإسلام وحسن إسلامه.**

فيقول رحمه الله**: "وكم من كافر أفضى به حسن القصد** في **الطلب** إلى **دين الحق،**

---

(١) سورة العنكبوت: الآية (٤٨).

(٢) رموز الكنوز (٣/١٥٤/أ).

(٣) المصدر **السابق (٤/١١٤/ب).**

ولقد كنت أعرف رجلاً من أهل ماردين [(١)] غالياً في دين النصرانية، شديد الشكيمة في التمسك به، ثم رأيته بعد ذلك في دمشق حافظاً لكتاب الله وكثير من سنة رسـوله ﷺ، فسألته عن حاله، فقال: أني سكنت مـ لاً قريباً من جامع دمشق، فكنت أسمع المـؤذنين وقراء م القرآن بالأسحار، فنور الله الإيمان في قلبي، وكـره إليّ الكفـر ذات ليلـة، فأسلمت من حيث لا يشعر بي أحد سوى الله تعالى، فلما أصبحت قصدت موضعاً مـن المواضع التي يتطهر المسلمون فيها للصلاة، فتوضأت مثل ما رأيتهم يتوضؤون، ثم دخلت الجامع فصليت الصبح مع المسلمين، ثم خرجت إلى زيارة بيت المقدس، فقيض لي رجـل مغربي فقذف في قلبي شيء من البدعة وأنا حديث عهد بالإسلام لا علم لي بذلك، وكان يحذرني من أصحاب الإمام أحمد، ثم اختار الله لي ثانياً كما اختار لي أولاً، فألهمني زيـارة الحافظ أبي موسى عبدالله بن الحافظ عبدالغني المقدسي[(٢)] وكان إذ ذاك يصلي إماماً بمهد عيسى بالمسجد الأقصى شرفه الله، فلما رأيت هديه وسمته وسمعت قراءته للحـديث، ألقى الله حبه في قلبي فلزمته، وقرأت عليه طرفاً من حديث رسـول الله ﷺ، وفارقـت تلك البدعة، ودنت الله بمذهب الإمام أحمد وأصحاب الحديث ولله الحمد. فقلت له:

ألا قـــد تم هـــلال العـــلا ⁂ وصـــار في مطلعـــه بـــدراً

فسبحان من إذا أنعم أمعن [(٣)] وأنعم، بينا هذا يدين بالتثليث أصبح مـن أهـل القرآن والحديث" [(٤)].

وهكذا فمتى قصد الإنسان الحق بصدق بعيداً عن الهـوى هـداه الله تعـالى إلى الحق"[(٥)].

---

(١) تقدم التعريف ا ص ٢٧.

(٢) هو جمال الدين عبدالله بن الحافظ عبدالغني بن عبدالواحد المقدسي الحنبلي، أبو موسى الفقيه، الحافظ، الثقة، كان متواضعاً مهيباً، وقوراً وافر العقل، له القبول التام مع العبادة والورع ، توفي سنة (٦٢٩هـ).
انظر في ترجمته: تذكرة الحفاظ (١٤٠٩/٤)، الوافي في الوفيات (٢٤٢٤/١).

(٣) أمعن: بالغ، أي بالغ في الإنعام. انظر: لسان العرب (٤٠٩/١٣)، المصباح المنير (٥٧٦/٢).

(٤) رموز الكنوز (٦١/٢/أ).

(٥) المصدر السابق (٦٠/٢/أ).

٢-المجوس:

هم الذين أثبتوا أصلين للعالم، وهما النور والظلمة، وأن النور أزلي وهو مصدر الخير، والظلمة محدثة وهي مصدر الشر فأثبتوا إلهين، ثم لهم اختلاف في سبب حدوثهما، وهم عدة فرق، ومن عقائدهم: عبادة النار، السجود للشمس إذا طلعت، وكانوالا يدفنون موتاهم في الأرض تعظمياً لها، ولا يغتسلون بالماء تعظيماً له، إلا أن يستعملوا قبله بول البقر ونحوه، ولا يرون قتل الحيوانات ولا ذبحها، ومن عقائدهم أيضاً استحلال نكاح الأمهات والبنات والأخوات وسائر المحرمات [1].

وقد أشار الرسعني للمجوس في بعض المواطن من كتابه رموز الكنوز.

فمن ذلك إشارته إليهم عند حديثه عن القدرية ومخالفتهم لأهل السنة والجماعة، فقد ذكر حديث ابن عمر بسنده أن الرسول ﷺ قال: «القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم » [2] -ثم قال- وممن روى عن النبي ﷺ أن القدرية مجوس هذه الأمة: أبو هريرة، وأبو سعيد، وأبو أمامة، وجابر بن عبدالله، وأنس، وسهل بن سعد، ومن ثم استشهد بقول أبي سليمان الخطابي: "إنما جعلهم مجوساً لمضاهاة مذهبهم مذاهب المجوس في قولهم بالأصلين النور والظلمة، يزعمون أن الخير من فعل النور، والشر من فعل الظلمة، فصاروا ثنوية [3]، وكذلك القدرية يضيفون الخير إلى الله والشر إلى غيره، والله أعلم" [4]. [5].

ويبين الرسعني في موضع آخر أن المجوس يستحلون نكاح المحارم، فيقول عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن

(١) انظر: تلبيس إبليس ص٩٤-٩٦، التبصير في الدين ص١٥٠، الملل والنحل (٢٣٣/١-٢٤٤)، اعتقادات فرق المسلمين ص١٢٠، إغاثة اللهفان (٢٣٧/٢).

(٢) تقدم تخريجه ص ١٦٥.

(٣) تقدم التعريف بها ص ١٩٣.

(٤) تقدم ذكره ص ٤٨٠.

(٥) رموز الكنوز (٥٤/٤/أ).

تَمِيلُواْ مَيۡلاً عَظِيمًا [(١)]:

"فا وس يدعونكم إلى ما يستحلونه من نكاح ذوات المحـارم، ويجـادلونكم في ذلك" [(٢)].

وأيضاً عند تفسير الرسعني لقوله تعالى: قُتِلَ أَصۡحَـٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ [(٣)]: استشهد بعدد من الأقوال حول قصة أصحاب الأخدود، ومنها ما رواه علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث يقول: "حين اختلف المسلمون في ا وس، وما يجري عليهم من الأحكام: هم أهل كتاب، وكانت الخمر قد أحلت لهم، فتناولها ملك من ملوكهم فغلبته على عقله، فتناول أخته فوقع عليها، فلما ذَهب عنه السكر ندم، وقال لها: ويحك ما هذا الذي أتيت؟ وما المخرج منه؟ قالت: تجمع أهل مملكتك فتعلمهم أن الله قد أحلّ لهم ذلك، ففعل، فـأبو عليه، فخد لهم أخدوداً في الأرض، وأوقدوا فيه النيران وعرضهم عليها، فمن أبى قبـول ذلك قذفه فيها، ومن أجاب خلّى سبيله فأنزل الله فـيهم قُتِلَ أَصۡحَـٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ إلى قوله تعالى: وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ [(٤)] [(٥)] [(٦)].

---

(١) سورة النساء: الآية (٢٧).

(٢) رموز الكنوز (٤٣٧/١).

(٣) سورة البروج: الآية (٤).

(٤) سورة البروج: الآية (١٠).

(٥) أخرجه الطبري (١٣٢/٣٠)، وذكره الواحـدي في الوسـيط (٤٦٠/٤-٤٦١)، والـسيوطي في الـدر (٤٦٧/٨) وعزاه لعبد بن حميد.

(٦) رموز الكنوز (٢٢٢/٤/أ).

٣-الدهرية والطبائعية:

هناك طوائف شذت من الصائبة [١] والفلاسفة [٢]، وبعض العرب في الجاهليـة، والباطنية القرامطة [٣]؛ فقابلت أهل الأديان وقالت بقدم العالم وأنه لم يزل من غير خالق، وأن الطبيعة أوجدت نفسها بنفسها أو وجدت صدفة، وهم الذين قال الله تعالى عنـهم: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [٤]**، ويميل الدهرية إلى اعتماد أصل الحـس والعقـل في استدلالا م، بينما يميل الطبائعيون إلى القول بالمحسوس دون المعقول[٥].**

---

(١) الصائبة: صبأ في اللغة خرج من دين إلى دين، فالصائبة هم الخارجون من دين إلى دين، وقد اختلفت أقـوال العلماء فيهم إلى عشرة أقوال ذكرها ابن الجوزي في كتابه "تلبيس إبليس"، وذكر ابن القيم أ م أمة كبيرة، منهم الكافر والمؤمن، وهم قوم إبراهيم عليه السلام وأهل دعوته، كانوا بحران، وهم منقسمون إلى صـابئة حنفاء وصابئة مشركين، والمشركون منهم يعظمون الكواكب السبعة والبروج الإثنى عـشر ويـصورو ا في هياكلهم.

انظر: إغاثة اللهفان (٢/٢٤٩)، تلبيس إبليس ص٧٣، الملل والنحـل (٢/٦٦٩)، تفـسير ابـن كـثير (١/١٠٤)، المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب (١/١١٣).

(٢) تقدم التعريف ا ص١٩٣.

(٣) القرامطة: أتباع حمدان القرمطي، من سواد الكوفة، قال المقريزي: "حمدان الأشعث، المعروف بقرمط، مـن أجل قامته، وقصر رجليه، وتقارب خطاه، وقيل: نسبة إلى قرمط إحدى قرى واسط، صار إليه أحد دعـاة الباطنية، ودعاه إلى معتقدهم، فقبل الدعوة، ثم صار يدعو الناس إليها، وضل بسببه خلق كثير، وهم طائفـة من طوائف الإسماعيلية الباطنية، دخلوا مكة سنة ٣١٧هـ وقتلوا من كان في الطواف، واقتلعـوا الحجـر وحملوه إلى البحرين. انظر: الخطط (٢/٣٥٧)، تلبيس إبليس ص١٠٢، الفصل في الملل والأهواء والنحـل (٤/١٨٧)، الفرق بين الفرق ص٢٨٢، بيان مذهب الباطنية وبطلانه ص٢٢، منقول من كتـاب قواعـد عقائد آل محمد، محمد ابن الحسن الديلمي، صححه: شدو طمان، الطبعـة الثانيـة ١٤٠٢هـ ـ، المكتبـة الإمدادية بمكة.

(٤) سورة الجاثية: الآية (٢٤).

(٥) انظر: الملل والنحل (٢/٣)، الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/١٥)، الفرق بـين الفـرق (١/٢٧٨-٢٧٩).

ويبين الرسعني بطلان مذهب الدهرية في إضافة الحوادث إلى الدهر، فيقول عند قوله تعالى: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾[(١)]. "أي: ما يفنينا إلا مر الزمان واختلاف الجديدين، ولم يكن من اعتقادهم أن قبض أرواحهم بإذن الله تعالى على يد ملك الموت وأعوانه، ونسبتهم ذلك إلى الدهر على عادتهم في إضافة الحوادث التي تنزل بهم إليه، وإذا استقرأت أشعارهم وأخبارهم رأيناها مشحونة بذلك، وإليه أشار النبي ﷺ بقوله: «لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر»[(٢)]، أي: فإن الله هو الذي يفعل بكم ما تنسبونه إلى الدهر"[(٣)].

وقد استشهد الرسعني بعدة أقوال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾[(٤)]: ومنها قول الزجاج الذي يقول فيه: "أحسن ما قيل فيه: هو الذي خلقكم فمنكم كافر بأن الله خلقه"[(٥)].

ثم أكّد الرسعني بأن الذي ينكر بأن الله خالقه هم الدهرية والطبائعية فقال: "وهو مذهب أهل الدهر والطبائع، ومنكم مؤمن بأن الله خلقه"[(٦)].

وفي موضع آخر يقرر الرسعني بطلان مذهب الطبائعيين فيقول عند قوله تعالى في سورة الرعد: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَـٰوِرَٰتٌ وَجَنَّـٰتٌ مِّنْ أَعْنَـٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى

---

(١) سورة الجاثية: الآية (٢٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب: النهي عن سب الدهر (١٧٦٢/٤) حديث رقم (٢٢٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رموز الكنوز (٧٢/٣/أ).

(٤) سورة التغابن: الآية (٢).

(٥) معاني الزجاج (١٧٩/٥).

(٦) رموز الكنوز (١٢٤/٤/ب).

ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ [١]:

" وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِ ... والمعنى: يفضل بعضها على بعض في الطعم، هذا حلو، وهذا حامض، وهذا بينهما، وفي هذا دلالة على بطلان قول الطبائعيين؛ لأنه لو كان إنفعال هذه الأشياء بطبع الهواء والأرض والماء لوجب أن تتفق لإتفاق الموجب، فلما وقع الافتراق مع اتفاق الموجب، دل على مدبر قادر حكيم، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لعلاماتٍ ودلالات على قدرة الله ووحدانيته وحكمته لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ، قدم التفكّر في الآية التي قبل هذه[٢] على العقل ؛ لأن التفكر في الرتبة الأولى، ثم ختم هذه بالعقل؛ لأنه إذا تفكّر استثمر من تفكّره العقل وطمأنينة النفس وسكونها إلى ما دلت عليه الآيات" [٣].

٤-المرجئة:

الإرجاء في اللغة التأخير [٤]، أو إعطاء الرجاء، وهو ضد اليأس [٥]، واشتقاقاً من المعنى الأول أطلق اسم المرجئة على كل من أخر العمل عن النية والعقد، ومن المعنى الثاني أطلق اسم المرجئة على من قال: لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة [٦].

وتتلخص أصول المرجئة في ثلاثة أمور:

---

(١) سورة الرعد: الآية (٤).

(٢) هي قول الله تعالى: وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ [سورة الرعد: الآية ٣].

(٣) رموز الكنوز (١٦٣/٢/أ-ب).

(٤) لسان العرب (٣١١/١٤)، القاموس المحيط ص٥١.

(٥) المصدر السابق (٣٠٩/١٤).

(٦) انظر: مقالات الإسلاميين (١٣٢)، الفرق بين الفرق (١٨٧-١٩١)، الملل والنحل (٣٩/١).

١- إخراج العمل من مسمى الإيمان، فالإيمان عندهم التصديق أو التصديق والقول.

٢- أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

٣- أنه لا يجوز الاستثناء في الإيمان.

وكل أصل من هذه الأصول تفرع عما قبله (١).

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأصناف الكبرى للمرجئة على النحو التالي:

الصنف الأول: الذين يقولون: الإيمان مجرد ما في القلب، ثم من هؤلاء من يدخل فيه أعمال القلوب وهم أكثر فرق المرجئة، ومنهم من لا يدخلها في الإيمان كجهم ومن تبعه.

الصنف الثاني: من يقول: هو مجرد قول اللسان، وهذا لا يعرف لأحد قبل الكرامية.

الصنف الثالث: من يقول: هو تصديق القلب وقول اللسان، وهذا هو المشهور عن أهل الفقه والعبادة منهم (٢).

وكما تقدم فإن من يرى أنه لا يجوز الاستثناء في الإيمان فهو مرجئ.

يقول الرسعني حول ذلك مبيناً ما عليه السلف الصالح في شرعية الاستثناء في الإيمان، وما في هذه المسألة من تفصيل: "والذي عليه جمهور السلف شرعية الاستثناء في الإيمان، فيقول: أنا مؤمن إن شاء الله، لا على معنى الشك في إيمانه واعتقاده من حيث علمه بنفسه، فإنه فيه على يقين وبصيرة، بل على معنى الخوف من سوء العاقبة وخفاء علم الله فيه عليه، فإن أمر السعادة والشقاوة ينبني على ما يعلم الله من عبده، لا على ما يعلمه العبد من نفسه، والاستثناء يكون في المستقبل، وفيما خفي عليه أمره، لا فيما

(١) مجموع الفتاوى (١٩٥/٧).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٩٥/٧).

مضى وظهر، فإنه لا يسوغ في اللغة، لمن يتيقن أنه أكل وشرب [أن يقول:] أكلت إن شاء الله، وشربت إن شاء الله، ويصح أن يقول: آكلُ إن شاء الله، وأشرب إن شاء الله، ولو قال: أنا مؤمن من غير استثناء، يريد أنه مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله فجائز، ولو أراد أنه مؤمن عند الله لم يجز، قال سفيان الثوري: من كره أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله فهو عندنا مرجئ" [(١)]. [(٢)].

وفي موضع آخر يقرر الرسعني بأن الإيمان يزيد وينقص وأن ذلك حجة على المرجئة في أصلهم الذين يرون فيه عدم زيادة الإيمان ونقصانه فيقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [(٣)]:

" ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا﴾ أي: زادهم قول الناس إيماناً، وتصديقاً، وثباتاً على دينهم وطاعة نبيهم، وهذه الآية من جملة الهوادم لمذهب المانعين من القول بزيادة الإيمان ونقصانه[(٤)]... اللهم فاجعل إيماننا بما أوجبته مشفوعاً بتحقيق الرجاء، وارزقنا النظر إلى وجهك الكريم إذا حجبته عن أهل الاعتزال والإرجاء" [(٥)].

وفي موطن آخر ينقل الرسعني قول الزجاج والذي فيه رد على المرجئة الذين أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان، ويقولون إن الإيمان مجرد ما في القلب، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ [(٦)].

حيث يقول: "وهذه الآية التي من أجلها زعم أهل الإرجاء أنه لا يدخل النار إلا

---

(١) حلية الأولياء، للأصبهاني (٣٣/٧)، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ، دار الكتاب العربي - بيروت.

(٢) رموز الكنوز (٥٣/٢/أ).

(٣) سورة آل عمران، الآية (١٧٣).

(٤) رموز الكنوز (٣١٢/١).

(٥) المصدر السابق (٣٥/٢/أ).

(٦) سورة الليل: الآية (١٧).

كافر، وليس كما ظنوا، هذه نار مخصوصة موصوفةٌ بعينها، ولأهل النار منازل، فلو كان كل من لا يشرك بالله لا يعذب، لم يكن في قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (١) فائدة" (٢). (٣).

يقول الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ومن زعم أن الإيمان قول بلا عمل، فهو مرجئ، ومن زعم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، فقد قال بقول المرجئة، ومن لم ير الاستثناء في الإيمان، فهو مرجئ" (٤).

٥- الجهمية:

هم أتباع جهم بن صفوان (٥)، الذي زعم أن: العبد مجبور على فعله ولا قدرة له ولا اختيار، ومن ضلالاته: نفي الأسماء والصفات، والقول بفناء الجنة والنار، وأن الإيمان هو المعرفة بالله فقط، والكفر هو الجهل به فقط، والقول بخلق القرآن ونفي الرؤية(٦).

والجهمية تقول: بأن الجنة والنار غير مخلوقتان الآن، بل أنهما لم يخلقا إلا يوم القيامة ثم ستفنا بعد مدة (٧).

وقد رد الرسعني على الجهمية في قولهم بعدم خلق الجنة والنار عند تفسيره لقوله

---

(١) سورة النساء: الآية (٤٨).

(٢) معاني القرآن (٣٣٦/٥)..

(٣) رموز الكنوز (٢٤٣/٤/أ).

(٤) العقيدة، للإمام أحمد ص٧٤.

(٥) الجهم بن صفوان، أبو محرز الراسبي، مولاهم السمرقندي، أصله من الكوفة، كان صاحب ذكاء وجدال، أخذ الكلام عن الجعد بن درهم، كان أول ما ظهر في ترمذ، لم يكن له حظ من علم الحديث، وكان يلقب أصحاب الحديث بالحشوية، قتله مسلم بن أحوز سنة ١٢٨هـ. انظر ترجمته في: ميزان الاعتدال (٤٢٦/١)، الكامل (٢٩٣/٤)، البداية والنهاية (٢٦/١٠-٢٩)، لسان الميزان (١٤٣/٢).

(٦) انظر: مقالات الإسلاميين (٣٣٨/١)، الفرق بين الفرق ص١٥٨، التبصير في الدين ص١٠٧-١٠٨.

(٧) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٦١٤/٢) وما بعدها.

تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [(١)]، حيث يقول: "وفي قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ تهديد شديد للمؤمنين الذين يأكلون الربا، حيث خوفهم بالنار التي أعدها لمن كفر به ... وفي الآية رد على الجهمية في قولهم: إن النار لم تخلق بعد" [(٢)].

يقول الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان أبداً ولا تبيدان، فإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق" [(٣)].

ويقول ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان، فالجنة مأوى أوليائه، والنار عقاب لأعدائه" [(٤)].

وفي موضع آخر ينقل الرسعني قول الثعلبي والذي يبين فيه فساد قول الجهمية القائلين: بأن الله في كل مكان، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ [(٥)].

حيث يقول: "استدلت الجهمية والمعتزلة بهذه الآية على أن الله في كل مكان. وهذا لا يوجب ذلك، لأنه قال: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾ [(٦)]، ولم يرد بقوله: أنه في السماء معنى غير الذات؛ لأن القول: بأن زيداً في موضع كذا من غير أن يقيد بذكر فعل شيء من الأشياء، لا يكون إلا بالذات، وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [(٧)]، وقال: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [(٨)]، فأخبر أنه

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٣١).
(٢) رموز الكنوز (٢٣٥/١).
(٣) شرح العقيدة الطحاوية (٦١٤/٢)، وانظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن القيم الجوزية ص٧٦-٨١، دار الكتب العلمية – بيروت.
(٤) لمعة الاعتقاد (ص ٣٤-٣٥).
(٥) سورة النساء: الآية (١٠٨).
(٦) سورة الملك: الآية (١٦).
(٧) سورة فاطر: الآية (١٠).
(٨) سورة السجدة: الآية (٥).

يدبر الأشياء من السماء ولا يجوز أن يكون معهم بذاته، ثم يدبر الأمر من الـسماء إلى الأرض، وإليه يصعد الكلم الطيب" (١).

وهذه الآية تتضمن الحث على الحياء من الله تعالى، فإنه أحق أن يستحى منه" (٢).

يقول الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إذا أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب على الله حـين زعم أن الله في كل مكان، ولا يكون في مكان دون مكان، فقل: ألـيس الله كـان ولا شيء؟ فيقول: نعم، فقل له: حين خلق الشيء خلقه في نفسه أو خارجاً من نفسه فإنـه يصير إلى ثلاثة أقوال لابد له من واحد منها إن زعم أن الله خلق الخلق في نفـسه كفـر حين زعم أن الجن والإنس والشياطين في نفسه، وإن قال: خلقهم خارجاً من نفـسه ثم دخل فيهم كان هذا كفر أيضاً حين زعم أنه دخل في مكان وحش قذر رديء، وإن قال: خلقهم خارجاً من نفسه ثم لم يدخل فيهم رجع عن قوله أجمع، وهو قول أهل السنة" (٣).

ويرد الرسعني على منكري رؤية المؤمنين لر م يوم القيامة ومن ضمنهم الجهمية وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (٤)، حيـث ذكر أقوال المفسرين في قوله ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، ثم قال: "وقد ذكرت طرفاً من ذاـك في سورة يونس (٥)، وأقمت حجة الله على منكري نظر المؤمنين إلى ر م في الجنة" (٦).

---

(١) تفسير الثعلبي (٣٨٢/٣).

(٢) رموز الكنوز (٥٧٧/١).

(٣) الرد على الزنادقة والجهمية، للإمام أحمد ص٤١، تحقيق: محمد حسن راشد، الناشر: المطبعة السلفية - القاهرة.

(٤) سورة القيامة: الآيتان (٢٢-٢٣).

(٥) عند الآية رقم (٦).

(٦) رموز الكنوز (١٨١/٤/أ).

ويقول في موضع آخر أيضاً: "وقد ذكرنا في أثناء كتابنا هذا[١] من دلائل الكتاب والسنة وآثار أخبار الأئمة على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة، ما لا يسع المسلم تركه، فنسأل الله أن يعيذنا من الزيغ والعناد، وأن يمتعنا بالنظر إليه إذا حجب عنه أهل الإلحاد"[٢].

وقد قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ راداً على الجهمية في هذه المسألة: "قلنا لهم لم أنكرتم أن أهل الجنة ينظرون إلى ربهم؟ فقالوا: لا ينبغي لأحد أن ينظر إلى ربه؛ لأن المنظور إليه معلوم موصوف لا يرى إلا شيء يفعله، فقلنا: أليس الله يقول: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ ... والأحاديث في أيدي أهل العلم عن النبي ﷺ أن أهل الجنة يرون ربهم لا يختلف فيها أهل العلم ... وإنا لنرجو ان يكون الجهم وشيعته ممن لا ينظرون إلى ربهم ويحجبون عن الله ... والحمد الله الذي لم يجعلنا مثل جهم وشيعته، وجعلنا ممن اتبع ولم يجعلنا ممن ابتدع، والحمد لله وحده"[٣].

٦- الأشعرية:

هم المنتسبون إلى علي بن إسماعيل الأشعري المشهور بأبي الحسن الأشعري، نسبة إلى جده الصحابي الجليل أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، كان في أول حياته على مذهب المعتزلة في تقديم العقل على النقل، ثم انصرف عن مذهبهم وأعلن توبته، وناظرهم، وانتحل مذهب عبدالله بن سعيد بن كُلاب [٤]، ثم تاب في آخر حياته ورجع إلى مذهب أهل السنة

(١) يقصد كتابه رموز الكنوز.

(٢) رموز الكنوز (٤/٢١٤/أ).

(٣) الرد على الزنادقة والجهمية ص٣٣.

(٤) هو عبدالله بن سعيد بن كلاب القطان، أبو محمد، رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه، وقد عده الشهرستاني والأشعري وابن طاهر البغدادي من متكلمي أهل السنة، توفي سنة ٢٤٠هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (١١/١٧٤-١٧٦)، طبقات الشافعية (٢/٥١)، مقالات الإسلاميين (١/٢٤٩).

والجماعة [(١)].

ومن أبرز معتقدات الأشاعرة إثبات سبع صفات لله تعالى هـي الحيـاة والعلـم والسمع والبصر والقدر والإرادة والكلام، وتأويل غيرها من الصفات [(٢)].

وقد حذر الإمام الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ من تأويل الصفات كما وقع فيـه الأشـاعرة وذلك عند تقريره مذهب أهل السنة والجماعة في باب الصفات عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [(٣)]، فيقول: "مذهب أهل الحق في هذه الآية وأمثالها مـن آيات الصفات وأخبار الصفات: الإقرار والإمرار، من غير تشبيه ولا تمثيل، ولا تأويـل ولا تعطيل، وإلى هذا وأمثاله أشار النبي ﷺ، بقوله: "وسكت عن أشياء رحمة لكم فلا تبحثوا عنها"[(٤)]، وقيل: للإمام مالك بن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كيف استوى؟ فقـال: "الكيـف مجهول والاستواء معقول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة"[(٥)]... ويكفي الإنسان في ذلك قول الشافعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "آمنت بالله وما جاء من عند الله، على مراد الله، وآمنت برسول الله وما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله"[(٦)]"[(٧)].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ مناقشاً الأشاعرة ومبيناً أنه لا فرق بين ما نفته الأشعرية من صفات وما أثبتته؛ لأن القول في بعضها كالقول في الآخـر: "يقـال: القول في بعض الصفات كالقول في بعض، فإن كان المخاطب ممن يقول بـأن الله حـي بحياة، عليم بعلم، قدير بقدرة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، مريد بـإرادة، ويجعل ذلك كله حقيقة، وينازع في محبته ورضاه، وغضبه وكراهيته، فيجعل ذلك مجـازاً

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/٨٥-٩٠)، وفيات الأعيان (٣/٢٨٤-٢٨٦).
(٢) انظر: أصول الإيمان للبغدادي ص٧٦.
(٣) سورة الأعراف: الآية (٥٤).
(٤) سبق تخريجه ص (٢٢٢).
(٥) سبق تخريجه ص (١٤٠).
(٦) تقدم ذكره ص ٢٢٣.
(٧) رموز الكنوز (٢/١٨/أ-ب).

ويفسره إما بالإرادة، وإما ببعض المخلوقات، من النعم والعقوبات. فيقال له: لا فرق بين ما نفيته، وبين ما أثبته، بل القول في أحدهما كالقول في الآخر" (١).

ومن أبرز بدع الأشاعرة أيضاً قولهم بنفي الأسباب (٢)، ويبين الرسعني بأن إثبات الأسباب والعمل بها لا ينافي التوكل على الله تعالى فيقول: "تعاطي الأسباب لا بأس به بشرط اعتماد القلب على الله تعالى"(٣).

والأشاعرة تقول بأن القرآن معنى قائم بذات (٤)، وحول هذا المعتقد نقل الرسعني عن شيخه موفق الدين بن قدامة المقدسي (٥) قصة الإمام الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر السلامي (٦)، وما سمعه من الفقهاء بالنظامية (٧) من قولهم: "إن القرآن معنى قائم بالذات" فيقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "كنت أسمع الفقهاء بالنظامية يقولون: إن القرآن معنى قائم بالذات ... فحصل في قلبي شيء من ذلك، حتى صرت أقول بقولهم موافقة، وكنت إذا صليت أدعو الله عز وجل أن يوفقني لأحب المذاهب والاعتقادات إليه، وبقيت على ذلك مدة طويلة أقول: اللهم وفقني لأحب المذاهب إليك وأقربها عندك - ثم ذكر أحداث هذه القصة إلى أن قال-: "ورأيت بعد ذلك ما زادني يقيناً وعلمت أن ذلك

(١) مجموع الفتاوى (١٧/٣).

(٢) انظر: أصول الإيمان للبغدادي ص١١٢، الملل والنحل (٨٤/١).

(٣) رموز الكنوز (١٤٩/٢/أ).

(٤) انظر: الملل والنحل (٩٣/١)، المواقف للإيجي (١٦/١).

(٥) تقدمت ترجمته ص ٧٢ .

(٦) هو محمد بن ناصر بن محمد أبو الفضل السلامي، الحافظ الإمام، محدث العراق، برع في اللغة، وحصل الفقه والنحو، من أهل السنة، كان شافعياً ثم تحنبل، وهو مقدم أصحاب الحديث في بغداد في وقته، توفي سنة (٥٥٠هـ).

انظر في ترجمته: تاريخ الإسلام (٣٨٣١/١)، الوافي في الوفيات (٦٢٧/١).

(٧) المدرسة النظامية: أنشأها ببغداد نظام الملك قوام الدين الطوسي وزير السلطانين ألب أرسلان وولده ملكشاه السلجوقيين سنة ٤٥٧هـ، وفي سنة ٤٦٢هـ أوقف عليها أوقافاً جليلة، وكانت مفخرة للإسلام، درس فيها أعيان العلماء والأئمة من رجال المذهب الشافعي.

انظر: العبر (٣٠٩/٢)، البداية والنهاية (٩/١٣).

تثبيت من الله عز وجل لي وتعليم؛ لأعرف حق نعمة الله علي وأشكره، إذ أنقذني من اعتقاد البدعة إلى اعتقاد السنة، والله المسئول الخاتمة بالموت على الإسلام والسنة"(١).

وفي موضع آخر روى الرسعني قصة أحد غلاة الأشاعرة الذي هداه الله وعاد إلى مذهب أهل السنة والجماعة، والذي يتبين من خلال إيراد الرسعني لهذه القصة موقفه القوي في ذم الأشاعرة وما هم عليه من مخالفات عقدية، فيقول: "حدثنا الشيخ الصالح أبو حفص عمر بن أبي الرضى المعروف بابن زريق الشحام (٢)، قال: سمعت الشيخ أبا أحمد عبدالله بن المثنى، المعروف بابن الحداد (٣) وكان من خيار عباد الله علماً وعملاً وزهداً وورعاً، وكان في عنفوان شبابه من غلاة الأشاعرة، والدعاة إلى مذهبهم، مصنفاً فيه، يقول: رأيت النبي ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول الله كثرت البدع والأهواء فبمن نقتدي؟ فقال: عليك بأحمد، عليك بأحمد، فأصبح تائباً إلى الله مما كان عليه، معتقداً مذهب الإمام أحمد، داعياً إليه، واتخذ الفضيلة مسكناً، وانقطع إلى العبادة وعزفت نفسه عن الدنيا وأهلها، وصنف في السنة كُتباً، وكان ذا كرامات ظاهرة. وكتب إلى المستضيء بأمر الله (٤) كتاباً بالغاً يعظُه فيه ويخوفه، قال: فبلغنا أن المستضيء قرأ منه أسطراً ثم طواه، فقيل له في ذلك، فقال: رأيت كلام رجل صادق، فخفت أن أقف منه على ما أعجز عن العمل به، فتتأكد حجة الله علي، فتركته، وكان ملوك الموصل وأمراؤها وكبراؤها يغشونه ويترددون إليه، فكان عامة ما يكلم الناس به؛ الأمر بعقيدة الإمام أحمد، والنهي عن مذهب الأشعري وحاله مشهورة بذلك (٥).

ومن خلال ما تقدم يتبين موافقة الإمام الرسعني للسلف في موقفهم من الأشعرية.

---

(١) انظر هذه القصة بأكملها: رموز الكنوز (٢/٦٠/أ-ب)، وأخرجها ابن قدامة في التوابين (٢٣١-٢٣٥)، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، دار الكتب العلمية - بيروت.

(٢) لم أعثر له على ترجمة.

(٣) لم أعثر له على ترجمة.

(٤) هو الحسن بن يوسف بن محمد الهاشمي العباسي، أبو محمد، المستضيء بأمر الله الخليفة العباسي، كان ذا حلم وأناه ورأفة وبر وصدقات، مات سنة (٥٧٥هـ).
انظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء (١٤٦٣/١-١٤٦٤)، البداية والنهاية (١٢/٣٠٤).

(٥) رموز الكنوز (٢/٦٠/ب).

الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد :

ففي نهاية هذا البحث الموسوم بمنهج الإمام عبدالرازق الرسعني الحنبلي، وجهوده في تقرير عقيدة السلف، توصلت إلى أهم النتائج وخلاصة البحث وهي كالتالي:

١- عاش الإمام الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النصف الأول من القرن السابع الهجري تقريباً ، وقد كانت هذه الفترة مليئة بالأحداث، والتقلبات والاضطرابات السياسية، والتي كان لها الأثر الواضح على الأمة الإسلامية عامة، وعلى الدولة العباسية خاصة، والذي عاصر الرسعني أربعة من خلفائها، وكانت تعيش عصور ضعفها وتفككها بل وسقوطها ونهايتها على أيدي التتار، ولم يكن الرسعني بعيداً عن الأمور السياسية والاتصال بالخلفاء والأمراء، وكانت له المكانة والحرمة الوافرة عندهم.

وأما الحالة الاجتماعية، فقد تأثرت بالحالة السياسية تأثراً واضحاً؛ فتكونت الطبقات الاجتماعية وتأثرت النواحي الاقتصادية.

وقد شهد العصر الذي عاش فيه الرسعني نضوجاً علمياً مميزاً في تاريخ الأمة الإسلامية، وبرز فيه عدد من العلماء الأجلاء الذين أثروا الفكر الإسلامي بكثير من المؤلفات النافعة، كما لم يخل هذا العصر من ظهور كثير من الفرق، ووجود التعصب المذهبي الذي كان له أثره في الحالة العلمية.

وكان لتلك الأحداث السياسية، والاجتماعية، والعلمية، الأثر المباشر في تكوين شخصية الرسعني، ورسم أفكاره، وتوجهاته، وبروزه بين أقرانه.

٢- الصواب في اسم الرسعني بأنه: عبدالرازق بتقديم الألف على الزاي، وليس عبدالرزاق، وقد طلب العلم منذُ نعومة أظفاره بحفظ كتاب الله وسماع حديث رسوله الله ﷺ، وكان له عدد من الرحلات في طلب العلم وتحصيله وسماع الحديث من أفواه

الشيوخ ليعلي سنده، لاسيما وأنه -يرحمه الله- كان حافظاً محدثاً، وقد تتلمذ على عدد كبير من العلماء والمشايخ، وتلقى عنهم سائر العلوم وحدث عن أكثرهم، تولى مشيخة دار الحديث بالموصل، وتصدى للتدريس والإفادة، وقد كانت له مكانة عظيمة لدى العلماء المعاصرين له ومن أتى بعدهم، حيث ظهر ذلك في تبجيله وتعداد محاسنه، والثناء العطر عليه، وعلى سعة علمه وحرصه على اتباع السنة والأثر، والوقوف في وجه أهل الأهواء والزيغ المخالفين لأهل السنة والجماعة.

٣- المصدر الرئيس لاستقراء جهد الإمام الرسعني في تقرير مسائل العقيدة هو كتابه الشهير (رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز) وهو من أشهر كتبه وأهمها، والذي يدل على غزارة علمه، وسعة اطلاعه، وعظيم تمكنه من العلوم، وهو كتاب في غاية الدقة والإتقان والضبط، يروي فيه الأحاديث بإسناده.

٤- اعتمد الرسعني في تلقي العقيدة على مصادر السلف، وهي كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وإجماع الأمة وأقوال السلف، ولم يخرج عن موقف السلف من العقل؛ الذي يحصر الاستدلال بالعقل اعتضاداً لا اعتماداً، فهو يسلم للنصوص الشرعية ولا يقدم عليها العقل بأي حال، وأن العقل لا يعارض النقل، وإذا عارضه يقدم النقل، كما اتضح أنه عندما يقرر عقيدة من عقائد السلف، أو يرد على مخالف لأهل السنة، فإنه يستشهد أولاً بالآيات القرآنية، ثم يثني بما ورد في السنة من أحاديث تدل على ما يريد تقريره، مع إجادته صناعة النقد في الحديث، وبيان صحيحه من ضعيفه، ومن رواه من العلماء، وفي بعض المواطن يسلك مسلك المحدثين في سوق الأسانيد إلى كل متن، مقتدياً في ذلك بعلماء السلف الذين سبقوه في هذا الميدان.

٥- تميز منهج الإمام الرسعني في العرض والمناقشة باعتماده على نصوص الكتاب والسنة، وإعراضه عن المصطلحات الكلامية والفلسفية؛ وذلك لحرصه عند عرضه لمسائل العقيدة على استعمال التعبيرات السلفية، كما تميز عرضه بالبيان مع الإيجاز، والابتعاد عن التكلف فيما يتناوله من مسائل، فهو لا يستخدم الألفاظ الجدلية البدعية،

ولا الإلزامات العقلية مهتماً باستنباط المعاني الدقيقة، والحِكَم الخفية التي حوتها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

٦- أن منهج الرسعني في الرد على المخالفين موافق للسلف في الاعتماد على الكتاب والسنة والاستدلال بأقوالهم، وردودهم على المخالفين، مع ما تميز به من قوة في الرد على المبتدعة، والتحذير من شبههم، وبيان خطورة بدعهم، مع حرصه على عدم تجريح المخالفين، أو الخوض مع المبتدعة في تفاصيل بدعهم؛ بل يذكرها إجمالاً ثم يرد عليها وينقضها.

٧- قرر الرسعني منهج السلف في توحيد الربوبية مبتعداً عن الخوض في علم الكلام لإثبات الربوبية، وقد أورد عدداً من الأدلة لإثبات الربوبية، كما رد على منكري الربوبية بردود واضحة تكشف فساد مذهبهم ومخالفته للفطر والعقول السليمة.

٨- بين الرسعني بأن توحيد الألوهية نتيجة لازمة للإقرار بتوحيد الربوبية، وهو غاية دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهو حق الله على عباده، كما أبرز مكانة هذا التوحيد، وذكر عدداً من الأدلة التي تدل على أن الرب -عز وجل- هو المستحق وحده للعبادة وغيره لا يستحقها.

٩- قرر الرسعني مذهب السلف في أسماء الله وصفاته، وأنه يجب إثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ، ونفي ما نفاه الله عن نفسه، وما نفاه عنه رسوله ﷺ، من غير تكييف، ولا تعطيل، ولا تحريف، ولا تمثيل، كما بين المراد بحصر أسماء الله الحسنى، وشرح تلك الأسماء، وتكلم على عدد من صفات الباري -عز وجل- كصفة الكلام، والعلو، والاستواء على العرش، والرضا، والوجه، مثبتاً صفاته -سبحانه وتعالى- على حقيقتها التي لا تماثل صفات المخلوقين، وعلى وجه يليق بالله تعالى، ولا يعلم كيفيته إلا هو سبحانه.

١٠- قرر الرسعني مذهب أهل السنة والجماعة في الإيمان بالملائكة، وما يتضمنه هذا الإيمان، وتحدث عن صفات الملائكة ووظائفهم، كما قرر مذهب السلف في الإيمان

بالكتب، وأنه يشمل الإيمان بالكتب كلها، وما يتضمنه هذا الإيمان، وتكلم عن القرآن الكريم وبعض الأحكام المتعلقة به، وعن وجوه إعجازه مثبتاً بأن القرآن هو المعجزة الباقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وقرر بأنه لا يتحقق إيمان العبد حتى يؤمن بجميع الأنبياء، كما تكلم عن آيات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقرر عقيدة السلف في عصمة الأنبياء في التبليغ، وكذلك عصمتهم عن الكبائر والإصرار عليها، وأن الهفوات منهم محتملة ومغفورة، وبين أنهم في أمور الدنيا بشر يجوز عليهم ما يجوز على المخلوقين من الخطأ، والنسيان، وغيرهما، كما ذكر جملة من معجزات محمد ﷺ وخصائصه ودلائل صدقه وثبوت نبوته.

١١- بين الرسعني ما يتضمنه الإيمان باليوم الآخر، وعرف الساعة مؤكداً على أن الإيمان بها من جملة الإيمان بالغيب الذي لا يتم إيمان المسلم إلا به، كما ذكر بعضاً من أشراط الساعة، وقرر مذهب أهل السنة والجماعة في إثبات عذاب القبر ونعيمه على البدن والروح، وبسؤال الملكين، وأن الله -سبحانه وتعالى- يبعث من في القبور للجزاء والحساب، ورد على منكري البعث بردود نقلية وعقلية.

١٢- سار الرسعني على مذهب السلف في القضاء والقدر، مثبتاً أن كل شيء في هذا الكون يجري بقضاء الله وقدره، ولا شيء يخرج عن ذلك، وتناول مراتب الإيمان بالقدر، وبين بأن الاحتجاج بالقدر على ترك الطاعات، أو فعل المعاصي باطل ولا يجوز، وأن سبق التقدير لا يعني ترك العمل، وأن إثبات الأسباب والعمل بها من صميم عقيدة أهل السنة والجماعة، فمن سمى طرح الأسباب توكلاً على الله تعالى فقد خالف الحق ودعواه باطلة.

١٣- وضح الرسعني حقيقة الإيمان بأنه قول وعمل وتصديق، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وأن الاستثناء فيه يكون على معنى اليقين لا على معنى الشك، وأن يكون في المستقبل، وفيما خفي أمره لا فيما مضى وظهر، كما قرر الرسعني فضل الصحابة، وأن حبهم دين وإيمان، وبغضهم نفاق وكفر، وما يتطلب ذلك من نشر

محاسنهم والكف عن زللهم، وبين وجوب طاعة ولي الأمر في غير معصية الله، وتحريم الخروج على الأئمة، موافقاً اعتقاد السلف.

١٤- وافق الإمام الرسعني أئمة السلف في موقفهم من المعتزلة، وأصولهم الخمسة الذي ستروا تحتها عقائد فاسدة، كما أن له رَحِمَهُ ٱللَّهُ مناقشات متعددة مع الزمخشري أحد أئمة المعتزلة، تبين موقفه من هذه الفرقة.

١٥- وافق الرسعني السلف في موقفهم من الخوارج، وضلالاتهم الذي خالفوا فيها أهل السنة والجماعة، كما كان الرسعني على منهج السلف في الاعتماد على الكتاب والسنة والإجماع في الرد على القدرية، ومناقشتهم، وذمهم، والتحذير منهم، ومن بدعهم.

١٦- المصادر التي ترجمت للإمام الرسعني تبين بأنه كان ذو موقف حازم من الرافضة وعقائدهم الفاسدة.

١٧- قرر الرسعني منهج السلف الصالح في بيان حال الملل والفرق الأخرى، وفي مناقشتها، والرد عليها، ومن تلك الملل والفرق: أهل الكتاب (اليهود والنصارى) والمجوس، والدهرية، والطبائعية، والمرجئة، والجهمية، والأشعرية.

١٨- لم يخالف الرسعني السلف في مسائل العقيدة سوى أنه أطلق كلمة القديم على اسم الله الأول.

وفي الختام، فهذا جهد المُقلّ، أسأل الله أن ينفع به، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأتباعه إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

الفهارس العامة

وتشتمل على ما يلي:

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث.

٣- فهرس الآثار.

٤- فهرس الأعلام المترجم لهم.

٥- فهرس التعريف بالفرق والملل والمذاهب.

٦- فهرس التعريف بالأماكن والبلدان.

٧- فهرس المصطلحات والألفاظ الغريبة.

٨- فهرس الأبيات الشعرية.

٩- فهرس المصادر والمراجع.

١٠- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	رقم الصفحة
ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ	١٧٣	٤١٥، ٥٠٩
فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا	١٧٣	١١١، ١٣٦
﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾	١٧٩	١٣٥
﴿ وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾	١٧٩	١٣٥
وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ	١٨٢	٢٢١
جَآءُو بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ	١٨٤	٢٧٥
كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِ	١٨٥	٣٥٦
وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ	١٨٥	٣٦٨
إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ	١٩٠، ١٩١	١٢٢، ١٨٤
وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ	١٩١	١٨٥
سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ	٢٨١	٢٦٤
سورة النساء		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ﴾	١	٤
﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ ﴾	٥	١١٥
حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ	١٨	٢٦٦
وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُم	٢٥	٤١٣
وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ	٢٧	٥٠٤

الآية	رقمها	رقم الصفحة
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ	١٣٦	٢٧٢، ٢٧٤
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ	١٥٠،١٥١	٤٩٩
﴿ أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾	١٥٣	٤٥٥
وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ	١٥٩	١٣٨، ٣٤٥
وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا	١٦٣	٢٧٥
وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا	١٦٤	١٥٢، ١٥٩، ٢٣٩
رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ	١٦٥	٣٩٨
لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ	١٦٦	٢٨٦
يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ	١٧١	٤٩٧
﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﴾	١٧١	٤٩٧
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾	١٧٤	١١٠
وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ	٤٠٩	٣٦٢
سورة المائدة		
وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ	٢	٤٣١
لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ	١٧	٤٩٨
﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾	١٨	١٤٣
فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا	٣١	٣٦٩

الآية	رقمها	رقم الصفحة
إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ	٤٤	٢٧٤
وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ	٤٥	٢٧٦
وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ	٤٦	٢٧٥
وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ	٤٨	١١٠، ٢٧٦
سورة الأنعام		
وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَ	٥٩	٣٦٠، ٣٨٧
وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ	٦٠	٣٦١
حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ	٦١	٢٦٥
﴿ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ ﴾	١٠١	٤٩٨
سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا	١٤٨	٣٩٧
كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ	١٤٨	٣٩٧
فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ	١٤٩	٣٩٨
فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَا	١٥٧	٣٢١
يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ	١٥٨	٣٥٢
إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا	١٥٩	٤٥٥، ٤٩٢، ٤٩٥
سورة الأعراف		
﴿ اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾	٣	١١١
قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِى لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ	١٦	٣٩٩، ٤٧٦

الآية	رقمها	رقم الصفحة
فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ	٣٠	٤٠٢
﴿نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾	٣٢	١٢٨
وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ	٣٤	٣٦٠
أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ	٣٧	٣٨٩
وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا	٤٣	١٦٤، ٤٤٨
ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ	٥٤	١٢٨، ١٤٠، ٢٢٢، ٢٤٢، ٥١٤
أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ	٥٤	٣٩٣
ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ	٥٩	١٩٩
﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا الله﴾	٧٣	٣٠٦
وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا	٨٩	٣٨٦، ٣٩٠
وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًا	٨٩	٣٩١
عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا	٨٩	٣٩١
﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾	١٤٣	١١٢، ٤٥٤
وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ	١٤٣	٢٣٩
إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي	١٤٤	٢٦٠
ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ	١٥٧	٣٢٩
﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ﴾	١٦٤-١٦٥	٤٣٧

الآية	رقمها	رقم الصفحة
وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ	٢٠	٢٨٧
وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً	٢٥	٤٦٢
وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا	٣١	٢٨٨
إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا	٤١	٣٢٥
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ	٧٤	٤٢١
سورة التوبة		
وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ	٦	٢٨٣
وَنُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ	١١	١٨٦
: أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْأَخِرَةِ	٣٨	٣٣٧
قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا	٥١	٣٧٩
وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ	٥٨	٤٦٦
وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ	٧٢	٢٤٥، ٤٤٧
وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ	١٠٠	١٢٠، ١٣٧، ٤٢٢، ٤٩٠
﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾	١٠٠	١٢٦، ١٦٢
سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ	١٠١	٣٦٥
وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ	١٢٤	٤١٧
سورة يونس		
وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ	١٥	٢٨١

الآية	رقمها	رقم الصفحة
يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ	١٠٥-١٠٨	٤٤٦
وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً	١١٨-١١٩	٤٩٦
سورة يوسف		
﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾	٢	١٢٥
وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ	١٧	٤٠٨
﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾	٢٤	٣١٤
إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ	٣١	٢٥٧
وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ	٦٧	٤٠٤
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ	٦٨	٤٠٤
وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ	١٠٦	١٩٢
لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ	١١١	١١٣، ٢٨٧، ٣٠٩
سورة الرعد		
وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ	٣	٥٠٧
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ	٣	١٢٣، ١٨٥
وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ	٤	٥٠٧
وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ	٤	١٩٤

الآية	رقمها	رقم الصفحة
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ	٤	١٢٣، ١٨٥
وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ	٥	٣٧٣
﴿ وإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ ﴾	٦	٢٧٠
سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ	١٠-١١	٢٦٣
لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ	١٤	٢١٦
قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ	١٦	٢٠٥
أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ	١٦	٢٠٦
أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ	١٦	٢١١
ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ	٢٦	٣٨٦، ٣٩٠
وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا	٣٨	٣٠٨
وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ	٣٨	٣٨٩
سورة إبراهيم		
إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ	١١	٣٠٢
وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ	٢٧	٣٩٠
سورة الحجر		
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ	٦	٢٧٩
إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ	٩	٥، ٢٧٦، ٢٧٩
كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ	١٢	٤٤٩

الآية	رقمها	رقم الصفحة
قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ	١١	٢٦٦، ٣٥٧
وَلَوْ شِئْنَا لَأٓتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا	١٣	٣٩٢
سورة الأحزاب		
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾	٧-٨	٢٩٧
﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ﴾	٣٦	١١٥
مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ	٤٠	٣٢٣
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾	٧٠-٧١	٤
سورة سبأ		
وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ	١٠	٣٠٦
قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ	٢٢	٢٠٩
وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ	٢٨	٣٢٢
سورة فاطر		
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ	١	٢٥٣
﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾	١٠	٥١١
﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ﴾	٤١	٢٧٠
سورة ص		
تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ	٣٦٩	٣٠٥
سورة الزمر		
إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ	٣٠	٣٥٧

الآية	رقمها	رقم الصفحة
يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ	١١	٤١٣
مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ	٢٩	٤٢٣
سورة الحجرات		
وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟	٩	٤٣٤، ٤٦٩
قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟	١٤	١٧٠، ٤٠٨
إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ	١٥	٤١٨
سورة ق		
وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ	١٩	٣٦٠
﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴾	٤١-٤٢	٢٦٢
سورة الذاريات		
وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ	٢٠	١٨٦
وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ	٢١	١٨٩
هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ	٢٤-٢٨	٢٥٨
وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾	٥٦-٥٨	٢٠٣، ٢٩٣
سورة النجم		
وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ	٣-٤	٣٠٨
عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ	٦	٢٥٤
وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ	٧	٢٥٤
فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ	٩-١٠	٢٥٢

الآية	رقمها	رقم الصفحة
وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ	٤	٣٨٧
مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ	٢٢-٢٣	٣٨٨
لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ	٢٥	٣٠١
سورة ا ادلة		
وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ	١٨	٤٨١
سورة الحشر		
وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ	٧	٣١٩
سورة الصف		
وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ	٦	٣٢٧
سورة الجمعة		
إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ	٨	٣٦٠
سورة التغابن		
هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ	٢	٥٠٦
زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى	٧	٣٧١
سورة التحريم		
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾	٦	٣٥
سورة الملك		
﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ﴾	٥	١١٩
﴿ وجعلناها ﴾	٥	١١٩

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا ﴾	١٥	٣٧٦
﴿وإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾	١٥	٣٧٠
ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ	١٦	٢٤٠، ٢٤١، ٥١١
سورة المعارج		
إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ۝٧	٦-٧	٣٤١
سورة الجن		
﴿ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾	٢٦- ٢٧	١٣٦
فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا	٢٧	٢٦٤
سورة المزمل		
فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلاً	١٩	٣٩٣، ٤٧٨
عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ	٢٠	٢٢٩
سورة المدثر		
وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً	٣١	٢٥٥
كَلَّا إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ۝٥٤ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ	٥٤-٥٦	٣٨١
سورة القيامة		
وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ	٢٢-٢٣	٤٥٥، ٤٥٦، ٥١٢
سورة الإنسان		
فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلاً	٢٩	٣٩٣، ٤٧٨

الآية	رقمها	رقم الصفحة
وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ	٣٠	٣٩١، ٣٩٢
سورة المرسلات		
﴿ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾	٣	٣٧٠
فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٌ فَكِيدُونِ	٣٩	٣٠٥
سورة النازعات		
أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ	٢٦	١٩٣
سورة عبس		
فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ	١٢	٣٩٣، ٤٧٧
﴿ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴾	٢٢	٣٧٠، ٣٧٦
﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾	٢٤	٣٧٦
سورة التكوير		
إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ	١٩-٢٠	٢٥٥
مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ	٢١	٢٥٨
لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ	٢٨	٣٩٣، ٤٠٢
لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ	٢٨-٢٩	٤٧٧
وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ	٢٩	٣٩٣، ٤٠٢
سورة الانفطار		
وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ	١٠-١٢	٢٦٥

الآية	رقمها	رقم الصفحة
سورة المطففين		
كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ	**١٥**	**١٦٠، ٤٥٦**
سورة البروج		
قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ	**٤**	**٥٠٤**
وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ	**١٠**	**٥٠٤**
سورة الطارق		
فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ	**5**	**٣٧٥**
سورة الأعلى		
إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ	**١٨-١٩**	**٢٧٥**
سورة الفجر		
يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي	**٢٤**	**٣٣٨**
يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ	**٢٧**	**٣٨٢**
سورة البلد		
وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ	**١٠**	**٤٠٢**
سورة الليل		
﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴾	**١٧**	**٥٠٩**
سورة التين		
أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ	**٨**	**٢٣٥**
سورة التكاثر		
أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ	**١-٤**	**٣٦٦**

فهرس الأحاديث

فهرس الآثار

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس التعريف بالفرق والملل والمذاهب

فهرس التعريف بالأماكن والبلدان

فهرس المصطلحات والألفاظ الغريبة

فهرس الأبيات الشعرية

البيــت		رقم الصفحة
وشمائــل شــهد العــدو بفــضلها	والفضل ما شهدت به الأعــداء	٢٩٠
وكنــت أظــن في مــصر بحــاراً	إذا مــا جئتــها أجــد الــورودا	٧١
مجــدوا الله فهــو للمجــد أهــل	ربنا في الــسماء أمــسى كــبيراً	١٣٠
لَــو كُنــت أقْــدِر أنْ أقُــولا	لَــشفِيت مِــن قَلْبِــي غَلِــيلاً	٤٢٧، ٤٩٠
ألا قــد تم هــلال العــلا	وصــار في مطلعــه بــدراً	٥٠٢
وجــواب مثلــك أن يعامــل	بالــسكوت عــن الجــواب	٤٥٥
على زينــة الــدنيا والــذّة عيــشها	السلام فهذا منهما آخــر العهــد	٥٩
إذا قيل من رب المزالــف والقــرى	ورب الجياد الجــرد قيــل لخالــد	١٧٤
أما وي ما يغني الثــراءُ عــن الفــتى	إذا حشرجت يوماً وضاق ا الصدر	٣٥٩
حــتى يقــول النــاس ممــا رأوا	يــا عجبــاً للميــتِ الناشــر	٣٧٦
الرســعني النــاظم المفــسر	خِــصاله أثيلــةٌ ســتذكر	١٠٣
كفوفة الطرف تخفي مــن حقار ــا	ومثلها في ســواد العــين منظــور	٤٦٤
همــا اســتويا بفَــضلِهما جمِيعــاً	علــى ســرر الملــوكِ بغيــر زورِ	١٣٠، ٢٤٣
تعالوا نقم الحزن في مجمــع الأنــس	ونضع أثــواب المــصيبة بــالنقس	٢٣
أنكرت بعدك ما قد كنــت أعرفــه	ما الناس بعدك يا مرداس بالنــاس	٤٦١
الآن حــين تعلقتــه حبالنــا	يرجو الخلاص ولات حين مناص	٣٧٣
ألا مــا لوجــه المكرمــات ملقــع	وما لعيون الدين تــدمي وتــدمع	٧٣
حتى استوى بــشر علــى العــراق	مــن غــير ســيفٍ ودمٍ مهــراق	١٣٠، ٢٤٣
نبئــت أن رســول الله أوعــدني	والعفو عنــد رســول الله مــأمول	٤٥٢
وأشــعث قــوام بآيــات ربــه	قليل الأذى فيما ترى العين مــسلم	٤٦٣
أأيس مــن بــر وجــودك واصــل	إلى كــل مخلــوق وأنــت كــريم	٥٨

فهرس المصادر والمراجع

١- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، عبيدالله بن محمد بن بطة العكبري، تحقيق: د. عثمان بن عبدالله آدم الإثيوبي، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ، دار الراية - الرياض.

٢- ابن حزم الأندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة، سعيد الأفغاني، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ، دار الفكر - بيروت.

٣- الأتراك الخوارزميون في الشرق الأدنى الإسلامي، د. صبري سليم، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، مكتبة الثقافة الينية- مصر.

٤- الإتقان في علوم القرآن، عبدالرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، دار ابن كثير - دمشق.

٥- إثبات صفة العلو، موفق الدين ابن قدامة المقدسي، تحقيق: د. أحمد بن عطية الغامدي، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، مؤسسة علوم القرآن - بيروت.

٦- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، محمد بن أبي بكر الزرعي، الشهير بابن القيم الجوزية، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

٧- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، صالح بن فوزان الفوزان، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع - الرياض.

٨- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، إمام الحرمين أبو المعالي الجويني، تحقيق: د. محمد يوسف موسى، وعلي عبدالمنعم عبدالحميد، الناشر: مكتبة الخانجي - مصر ١٣٦٩هـ.

٩- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد بن ناصر الدين الألباني،

الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.

١٠- أساس البلاغة، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السور، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

١١- أسباب نزول القرآن، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٢- الاستقامة، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: . محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – المدينة المنورة.

١٣- الاستيعاب في أسماء الأصحاب، يوسف بن عبدالله بن عبدالبر، الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ، مطبعة السعادة - مصر.

١٤- أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن محمد المعروف بابن الأثير الجزري، الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ، مطبعة السعادة - مصر.

١٥- الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، ملا علي القاري، تحقيق: محمد الصباغ، طبعة عام ١٣٩١هـ، دار الأمانة - مؤسسة الرسالة.

١٦- الأسماء والصفات، أحمد بن الحسين البيهقي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

١٧- اشتقاق أسماء الله، عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق: د. عبدالحسين المبارك، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ، مؤسسة الرسالة.

١٨- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: علي بن محمد البجاوي، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، دار الجيل - بيروت.

١٩- الأصول من الكافي، محمد بن يعقوب الكليني الرازي، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ، الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران.

٢٠- الاعتصام، إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان.

٢١- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ، دار الآفاق الجديدة – بيروت.

٢٢- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، محمد بن عمر الرازي، تحقيق: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية - بيروت.

٢٣- أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، حافظ بن أحمد الحكمي، تحقيق: أحمد علي المدخلي، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ، مكتبة الرشد - الرياض.

٢٤- الأعلام الشرقية في المئة الرابعة عشرة الهجرية، زكي محمد مجاهد ، الطبعة الثانية ١٩٩٤م، دار الغرب- لبنان.

٢٥- إعلام الموقعين، محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد عبدالحميد، الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ، مطبعة السعادة - مصر.

٢٦- الأعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي - القاهرة.

٢٧- الإعلام بوفيات الأعلام، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: رياض عبدالحميد مراد، وعبدالجبار زكار، الطبعة الثانية، دار الفكر المعاصر، بيرت – لبنان.

٢٨- الأعلام، خير الدين الزركلي، الطبعة الثانية عشرة ١٩٩٧م، دار العلم للملايين.

٢٩- إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، محمد بن أبي بكر الزرعي، الشهير بابن القيم

الجوزية، تحقيق: محمد عفيفي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.

٣٠- الأغاني، أبي الفرج الأصفهاني، تحقيق: سمير جابر، الطبعة الثانية، دار الفكر - بيروت.

٣١- الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة، محمد بن عبدالملك الجياني، تحقيق: د. محمد حسن عواد، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، دار الجيل - بيروت.

٣٢- أمالي السيد المرتضى، علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين، الطبعة الأولى ١٣٢٥هـ، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي - قم - إيران.

٣٣- انباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: د. محمد عبدالمعيد خان، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

٣٤- الأنساب، عبدالكريم بن محمد السمعاني، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، دار الجنان.

٣٥- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، إسماعيل باشا، دار الفكر ١٤٠٢هـ.

٣٦- الإيمان، أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض.

٣٧- الإيمان، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، الطبعة الخامسة ١٤١٦هـ، المكتب الإسلامي.

٣٨- الإيمان، محمد بن إسحاق ابن منده، تحقيق: د. علي بن ناصر الفقيهي، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ، مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان.

٣٩- الإيمان، محمد بن يحيى العوني، تحقيق: حمد بن حمدي الجابري الحربي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، الدار السلفية - الكويت.

٤٠- البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين ابن نجيم الحنفي، دار المعرفة - بيروت.

٤١- البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد، وعلي محمد، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

٤٢- بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر الزرعي، الشهير بابن القيم الجوزية، تحقيق: هشام عبدالعزيز عطا، عادل عبدالحميد العدوي، أشرف أحمد، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة.

٤٣- البداية والنهاية، للحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٤٤- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة - بيروت.

٤٥- بديعة البيان عن موت الأعيان، محمد بن عبدالله القيسي المعروف بابن ناصر الدين، تحقيق: أكرم البوشي، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، دار ابن الأثير، الكويت - الجهراء.

٤٦- البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة - بيروت.

٤٧- بغية الطلب في تاريخ حلب، عمر بن أحمد ابن العديم، تحقيق: د. سهيل زكار، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، دار الفكر، بيروت - لبنان.

٤٨- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبدالرحمن جلال الدين السيوطي،

تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - بيروت.

٤٩- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ، مطبعة الحكومة - مكة المكرمة.

٥٠- بيان حقيقة التوحيد، صالح بن فوزان الفوزان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٥١- بيان مذهب الباطنية وبطلانه، منقول من كتاب قواعد عقائد آل محمد، محمد ابن الحسن الديلمي، صححه: شدو طمان، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ، المكتبة الإمدادية بمكة.

٥٢- تاج التراجم في طبقات الحنفية، زين الدين بن قطلوبغا، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، دار القلم - دمشق.

٥٣- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، منشورات دار الكتاب العربي، بيروت.

٥٤- تاريخ آداب اللغة العربية = آداب اللغة، جرجي زيدان، تعليق ومراجعة الدكتور: شوقي ضيف، دار الهلال - ١٩٥٧م.

٥٥- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، د. حسن إبراهيم حسن، الطبعة الأولى ١٩٦٧م، مكتبة النهضة المصرية.

٥٦- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، دار الغرب الإسلامي.

٥٧- التاريخ الإسلامي – الدولة العباسية، محمود شاكر، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ، المكتب الإسلامي.

٥٨- تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، دار

الكتب العلمية - بيروت.

٥٩- تاريخ الخلفاء، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، الطبعة الأولى ١٣٧١هـ، مطبعة السعادة - مصر.

٦٠- التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، د. عفاف سيد صبره، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، دار الكتاب الجامعي - القاهرة.

٦١- تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان، نقله إلى العربية: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، الطبعة السابعة ١٩٧٧م، دار العلم للملايين - بيروت.

٦٢- تاريخ العراق في عصور الخلافة العربية والإسلامية، فاروق عمر فوزي، الطبعة الأولى ١٩٨٨م، مكتبة النهضة - بغداد.

٦٣- تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، الفضل بن محمد بن مسعود التنوخي، تحقيق: عبدالفتاح الحلو، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠١هـ.

٦٤- تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، عبدالقادر بن شيخ العيدروسي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

٦٥- تاريخ بغداد، أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية - بيروت.

٦٦- تاريخ دمشق، علي بن حسن المعروف بابن عساكر الدمشقي، مخطوط، ونشرته مصوراً عن المخطوط مكتبة الدار بالمدينة المنورة.

٦٧- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرقة الهالكة، طاهر بن محمد الإسفراييني، تحقيق: كمال الحوت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، عالم الكتب - بيروت.

٦٨- التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر الزرعي، الشهير بابن القيم الجوزية، الناشر: دار الفكر.

٦٩- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر، دار الكتاب العربي - بيروت ١٣٩٩هـ.

٧٠- تجريد التوحيد، أحمد بن علي المقريزي، تحقيق: العمران، الطبعة الأولى، عالم الفوائد.

٧١- تحريم النظر في كتب أهل الكلام، موفق الدين ابن قدامة المقدسي، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد سعيد دمشقيه، الطبعة الأولى ١٩٩٠م، دار عالم الكتب - الرياض.

٧٢- التدمرية، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٧٣- تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٧٤- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة ١٤٠٠هـ.

٧٥- تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة، صالح بن عبدالعزيز آل عثيمين، تحقيق: بكر بن عبدالله أبو زيد، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، مؤسسة الرسالة.

٧٦- تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: د. إكرام الله إمداد الحق، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي - بيروت.

٧٧- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، دار الكتاب العربي - بيروت.

٧٨- تعظيم قدر الصلاة، محمد بن نصر المروزي، تحقيق: د. عبدالرحمن عبدالجبار الفريوائي، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، مكتبة الدار - المدينة المنورة.

٧٩- تفسير القرآن العظيم، للحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: محمد إبراهيم

البنا وآخرين، دار الشعب.

٨٠- التفسير الكبير، محمد بن عمر الرازي، طبعة دار الفكر.

٨١- تفسير الماوردي (النكت والعيون)، علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: السيد بن عبدالمقصود، دار الكتب العلمية ، بيروت.

٨٢- تفسير النسفي، عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي، تحقيق: مـروان الـشعار، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، دار النفائس، بيروت- لبنان.

٨٣- تفسير مجاهد، مجاهد بن جبر المخزومي أبو الحجاج، تحقيق: عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي، المنشورات العلمية - بيروت.

٨٤- تفسير مقاتل، مقاتل بن سليمان البلخي، تحقيق: أحمد فريـد، الطبعـة الأولى ١٤٢٤هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

٨٥- تقريب التدمرية، محمد بن صالح بن عثيمين، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، مكتبة السنة - القاهرة - مصر.

٨٦- تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمـد عوامـة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، دار الرشيد - سوريا.

٨٧- تقويم البلدان، إسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبي الفداء، دار صـادر - بيروت.

٨٨- تكملة إكمال الإكمال في الأنساب والأسماء والألقاب، محمد بن علي المحمودي المعروف بابن الصابوني، تحقيق: د. مصطفى جواد، الطبعة الأولى ١٣٧٧هـ، مطبعة المجمع العلمي العراقي.

٨٩- التكملة لوفيات النقلة، عبدالعظيم عبدالقوي المنذري، تحقيق: د. بشار عـواد معروف، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت.

٩٠- تلبيس إبليس، عبدالرحمن بن علي الجـوزي، نـشر: محمـود الإسـتانبولي، ١٣٩٦هـ.

٩١- التمهيد في أصول الفقه، محفوظ بن أحمد بن الحسن أبـو الخطـاب الحنبلـي، تحقيق: د. مفيد محمد أبو عمشة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، دار المـدني - جدة.

٩٢- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبدالله بن عبدالبر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبدالكبير البكري، الناشـر: وزارة عمـوم الأوقاف والشؤون الإسلامية في المغرب.

٩٣- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، محمد بن أحمد الملطي، تحقيـق: محمـد زاهد بن الحسن الكوثري، الطبعة الثانية ١٩٧٧م، المكتبة الأزهرية للتراث - القاهرة.

٩٤- تنزيه القرآن عن المطاعن، القاضي عبدالجبار المعتزلي، الشركة الشرقية للنـشر والتوزيع، دار النهضة الحديثة، بيروت - لبنان.

٩٥- تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محيي الدين النووي، إدارة الطباعة المنيرية.

٩٦- تهذيب السنن، محمد بن أبي بكر الزرعي، الشهير بابن قيم الجوزية، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

٩٧- التوابين، عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، دار الكتب العلمية - بيروت.

٩٨- التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، محمد بن إسحاق بـن خزيمـة، إدارة الطباعة المنيرية سنة ١٣٥٣هـ.

٩٩- التوسل أنواعه وأحكامه، للألباني، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي – بيروت..

١٠٠- التوقيف على مهمات التعاريف، عبدالرؤوف محمد المناوي المصري، تحقيـق:

د. محمد رضوان الداية، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، دار الفكر المعاصر، دار الفكر - بيروت - دمشق.

١٠١- تيسير العزيز الحميد، سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، الطبعة الأولى، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق.

١٠٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، مكتبة الرشد - الرياض.

١٠٣- الثقات، محمد بن حبان التميمي البستي، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ، دار الفكر.

١٠٤- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار الفكر - بيروت.

١٠٥- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، أبو عمر يوسف بن عبدالبر، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.

١٠٦- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، الطبعة الأولى ١٢٨٧هـ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.

١٠٧- الجرح والتعديل، عبدالرحمن بن محمد بن أبي حاتم، الطبعة الأولى ١٢٧١هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٠٨- جمهرة أنساب العرب، علي بن أحمد بن حزم، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار المعارف، مصر - ١٣٨٢هـ.

١٠٩- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: علي المدني، مؤسسة المدني - مصر.

١١٠- الجواهر المُضية في طبقات الحنفية، محي الدين أبي محمد القرشي، تحقيق: د. عبدالفتاح محمد الحلو، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ، مطبعة عيسى البابي

الحلبي وشركاه.

١١١- الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، محمد بن عبدالرحمن السخاوي، تحقيق: إبراهيم باجس عبدا يد، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، دار ابن حزم - بيروت - لبنان.

١١٢- الجوهر المحصل في مناقب الإمام أحمد بن حنبل، محمد بن محمد السعدي، تحقيق: د. عبدالله التركي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع.

١١٣- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، محمد بن أبي بكر الزرعي، الشهير بابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية - بيروت.

١١٤- حاشية ابن عابدين على الدر المختار، محمد علاء الدين ابن عابدين، دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت - ١٤٢١هـ.

١١٥- حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح، أحمد بن محمد الطحطاوي الحنفي، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق - مصر - ١٣١٨هـ.

١١٦- الحبائك في أخبار الملائك، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد السعيد زغلول، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

١١٧- الحجة في بيان المحجة، أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني، الملقب بقوام السنة، تحقيق: المدخلي، وأبو رحيم، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، دار الراية – الرياض.

١١٨- حركات ومذاهب في ميزان الاعتدال، فتحي يكن، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٣٩٧هـ.

١١٩- حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة، عبدالله بن أحمد المقدسي، تحقيق: عبدالله يوسف الجديع، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، مكتبة الرشد - الرياض.

١٢٠- الحكومة الإسلامية، آية الله الخميني، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، دار عمار للنشر والتوزيع - عمان - الأردن.

١٢١- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ، دار الكتاب العربي - بيروت.

١٢٢- الحموية، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ.

١٢٣- الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الأثني عشرية، محب الدين الخطيب، الطبعة العاشرة ١٤١٠هـ.

١٢٤- خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، أحمد بن عبدالله الخزرجي، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ، الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية.

١٢٥- الخلفاء في عصر السيطرة السلجوقية، محمود شاكر، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، المكتب الإسلامي - بيروت - لبنان.

١٢٦- خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة، دار المعارف - الرياض.

١٢٧- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، شهاب الدين أبي العباس بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: علي محمد معوض ورفاقه، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٢٨- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبدالرحمن جلال الدين السيوطي، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، دار الفكر.

١٢٩- الدر المنضد في أسماء كتب مذهب الإمام أحمد، عبدالله بن علـي بـن حميـد السبيعي، تحقيق: جاسم الدوسري، الطبعة الأولى ١٤١٠هــ، دار البـشائر الإسلامية - بيروت.

١٣٠- الدر المنضد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، عبدالرحمن بن محمد العليمي الحنبلي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، مكتبـة التوبة – المملكة العربية السعودية.

١٣١- درء اللوم والضيم في صوم يوم الغيم، عبدالرحمن بن علي الجـوزي، تحقيـق: جاسم بن سليمان الدوسري، دار البشائر الإسلامية.

١٣٢- درء تعارض العقل والنقل، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسـلامية عـام ١٩٨٠م.

١٣٣- دراسات في تاريخ الدولة العباسية، د. عصام الدين عبدالرؤوف الفقي، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، دار الفكر العربي - القاهرة.

١٣٤- دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين [الخوارج والشيعة]، د. أحمد محمد جلي، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

١٣٥- درة الأسلاك في دولة الأتراك، حسن بن عمر بن حبيب الحلبي، مخطوط رقـم (٥١٤٦ ف)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٣٦- الدرة فيما يجب اعتقاده، علي بن أحمد ابن حزم، تحقيق: د. أحمد بـن ناصـر الحمد، و د. سعيد بن عبدالرحمن القزقي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، مطبعـة المدني - القاهرة.

١٣٧- الدرر الكامنة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الطبعة الثانية ١٣٩٤هــ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن - الهند.

١٣٨- دروس في التاريخ الإسلامي - من البعثة الشريفة حتى مطلع القرن الرابع الهجري، محمد الخضري بك، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، مكتبة دار البيروتي - دمشق.

١٣٩- دعوة التوحيد، محمد خليل هراس، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، مكتبة ابن تيمية - القاهرة.

١٤٠- دليل مخطوطات السيوطي وأماكن وجودها، إعداد: محمد بن إبراهيم الشيباني، وأحمد بن سعيد الخازندار، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الصفاة - الكويت.

١٤١- دول الإسلام، محمد بن أحمد الذهبي، الطبعة الأولى ١٣٣٧هـ، مطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد.

١٤٢- الديباج على مسلم، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: أبي إسحاق الأثري، دار ابن عفان، الخبر - السعودية.

١٤٣- ديوان الأعشى، شرح وتعليق: د. محمد محمد حسين، دار النهضة العربية، بيروت - ١٩٧٤م.

١٤٤- ديوان أمية بن عبدالعزيز بن أبي الصلت الأندلسي، تحقيق: عبدالله محمد الهوني، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، دار الأوزاعي، بيروت - لبنان.

١٤٥- ديوان حاتم الطائي، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان.

١٤٦- ديوان عامر بن الطفيل، تحقيق: د. هدى جنهويتشي، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، دار البشير - مؤسسة الرسالة - بيروت.

١٤٧- ديوان كعب بن زهير، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، دار صادر - بيروت.

١٤٨- ذم التأويل، موفق الدين ابن قدامة المقدسي، تحقيق: د. بدر البدر، الطبعة

الأولى ١٤٠٦هـ، الدار السلفية - الكويت.

١٤٩- ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، محمد أحمد تقي الدين المكي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، دار الكتب العلمية – بيروت - لبنان.

١٥٠- ذيل تكملة الإكمال، منصور بن سليم الإسكندراني المعروف بابن العمادية، تحقيق: د. عبدالقيوم عبد رب النبي، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، مركز إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة.

١٥١- الذيل على الروضتين، لأبي شامة، الطبعة الأولى ١٩٤٧م، دار الجيل - بيروت.

١٥٢- الذيل على العبر في خبر من عبر، لأبي زرعة أحمد بن عبدالرحيم بن الحسين ابن العراقي، تحقيق: صالح مهدي عباس، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت.

١٥٣- الذيل على طبقات الحنابلة، أبو الفرج عبدالرحمن بن رجب، تحقيق: د. عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ، مكتبة العبيكان - الرياض.

١٥٤- ذيل مرآة الزمان، موسى بن محمد اليونيني، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ، الناشر: دار الكتاب الإسلامي - القاهرة.

١٥٥- الرد على البكري (تلخيص كتاب الاستغاثة)، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: محمد علي عجال، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة.

١٥٦- الرد على الجهمية، عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق: علي سامي النشار، وعمار الطالبي، مطبوع ضمن عقائد السلف، منشأة المعارف بالإسكندرية.

١٥٧- الرد على الجهمية، محمد بن إسحاق ابن منده، تحقيق: د. علي بن محمد الفقيهي، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.

١٥٨- الرد على الزنادقة والجهمية، للإمام أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: محمد حسن راشد، الناشر: المطبعة السلفية - القاهرة.

١٥٩- رسائل في العقيدة، محمد بن صالح بن عثيمين، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ، دار طيبة - الرياض.

١٦٠- رسالة الاحتجاج بالقدر، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ.

١٦١- الرسالة الأكملية، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ.

١٦٢- رسالة السنة النبوية وشبهات بعض الناس حولها، عبدالقادر بن حبيب الله السندي.

١٦٣- رصف المباني، أحمد المالقي، مجمع اللغة العربية، دمشق ١٣٩٥هـ.

١٦٤- رفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر، مرعي بن يوسف الكرمي، تحقيق: أسعد محمد المغربي، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، دار حراء - مكة المكرمة.

١٦٥- رفع النقاب عن تراجم الأصحاب، إبراهيم بن محمد بن سالم بن ضويان، تحقيق: عمر بن غرامه العمروي، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٦٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي أبوالفضل، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٦٧- الروح، محمد بن أبي بكر الزرعي، الشهير بابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٣٩٥هـ.

١٦٨- روضة الناظر وجنة المناظر، عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: د. عبدالعزيز بن عبدالرحمن السعيد، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٦٩- زاد المسير في علم التفسير، عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.

١٧٠- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر الزرعي، المشهور بابن القيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعبدالقادر الأرناؤوط، الطبعة الرابعة عشر ١٤٠٧هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان.

١٧١- الزهد، الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، دار الكتاب العربي.

١٧٢- السراج المنير، محمد بن أحمد الشربيني، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٧٣- السلسلة الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف - الرياض.

١٧٤- السلوك لمعرفة دول الملوك، أحمد بن علي المقريزي، صححه ووضع حواشيه: محمد مصطفى زيادة، الطبعة الثانية ١٣٧٦هـ.

١٧٥- السنة، أحمد بن محمد الخلال، تحقيق: د. عطية الزهراني، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، دار الراية - الرياض.

١٧٦- السنة، عبدالله بن أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: د. محمد سعيد سالم القحطاني، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، دار ابن القيم - الدمام.

١٧٧- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر - بيروت.

١٧٨- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر.

١٧٩- سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين أبو بكـر البيهقـي، تحقيـق: محمـد عبدالقادر عطا، مكتبة دار الباز.

١٨٠- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخـرون، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٨١- سنن الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي، تحقيق: فـواز أحمـد زمرلي، خالد السبع العلمي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي - بيروت.

١٨٢- السنن الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيـق: د. عبـدالغفار سـليمان البنداري، سيد كسروي حسن، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٨٣- سنن النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبدالرحمن النـسائي، عنايـة: عبـدالفتاح أبوغدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب.

١٨٤- السنن الواردة في الفتن، عثمان بن سعيد المقرئ الداني، تحقيق: د. ضـياء الله المباركفوري، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، دار العاصمة - الرياض.

١٨٥- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، رتبه واعتنى بـه: حسان عبدالمنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، بيت الأفكار الدولية - لبنان.

١٨٦- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العمـاد الحنبلـي، الطبعـة الأولى ١٤١٢هـ، دار ابن كثير، دمشق.

١٨٧- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، هبة الله بن الحـسن بـن منـصور اللالكائي، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة للنشر والتوزيع - الرياض.

١٨٨- شرح الأصول الخمسة، القاضي عبدالجبار بن أحمد المعتزلي، تحقيق: د. عبدالكريم عثمان، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ، مكتبة وهبة - مصر.

١٨٩- شرح السنة، الحسين بن مسعود الفراء البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وزهير الشاويش، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.

١٩٠- شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: محمد بن ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.

١٩١- شرح العقيدة الطحاوية، علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، وشعيب الأرناؤوط، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت.

١٩٢- شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، صالح بن فوزان الفوزان، الطبعة السادسة ١٤١٣هـ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض.

١٩٣- شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح بن عثيمين، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، دار الثريا للنشر - الرياض.

١٩٤- شرح النووي على صحيح مسلم، يحيى بن شرف النووي، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٩٥- شرح ثلاثة أصول، محمد بن صالح بن عثيمين، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، جمعية إحياء التراث الإسلامي - الكويت.

١٩٦- شرح فتح القدير، محمد بن عبدالواحد السيواسي، دار الفكر - بيروت - لبنان.

١٩٧- شرح مختصر الروضة، سليمان بن عبدالقوي الطوخي، تحقيق: د. عبدالله التركي، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ، توزيع وزارة الشؤون الإسلامية - المملكة العربية السعودية.

١٩٨- الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة، عبيدالله بن بطة العكبري، تحقيق: د. رضا معطي، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، مكتبة العلوم والحكم في المدينة المنورة، ودار العلوم والحكم في دمشق.

١٩٩- الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية ١٣٦٩هـ.

٢٠٠- شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

٢٠١- الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ، للقاضي عياض أبي الفضل بن موسى اليحصبي، دار الفكر - بيروت - لبنان - ١٤٠٩هـ.

٢٠٢- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر الزرعي الشهير بابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد بدر الدين النعساني الحلبي، دار الفكر - بيروت.

٢٠٣- الشيعة والحاكمون، محمد جواد مغنيه، الطبعة الثالثة ١٩٦٦م، منشورات المكتبة الأهلية - بيروت.

٢٠٤- الشيعة وتحريف القرآن، محمد مال الله، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ، مكتبة ابن تيمية.

٢٠٥- الصارم المسلول على شاتم الرسول، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد عبدالله عمر الحلواني، ومحمد كبير أحمد شودري، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، دار ابن حزم - بيروت.

٢٠٦- الصارم المنكي في الرد على ابن السبكي، محمد بن أحمد بن عبدالهادي الحنبلي، تحقيق: عقيل بن محمد اليماني، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، الناشر: مؤسسة الريان - بيروت - لبنان.

٢٠٧- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق: د. يوسف علي طويل، الطبعة الأولى ١٩٨٧م، دار الفكر - دمشق.

٢٠٨- صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد التيمي البستي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت.

٢٠٩- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ، دار ابن كثير - اليمامة - بيروت.

٢١٠- صحيح السيرة النبوية، محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، المكتبة الإسلامية - عمان - الأردن.

٢١١- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢١٢- صحيح وضعيف الجامع الصغير، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي.

٢١٣- الصراط المستقيم في إثبات الحرف القديم، عبدالله بن أحمد بن محمد القدسي، تحقيق: د. محمد الخميس، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، مكتبة الفرقان - الإمارات العربية المتحدة.

٢١٤- الصلاة وحكم تاركها، محمد بن أبي بكر الزرعي، المعروف بابن القيم الجوزية، تحقيق: بسام عبدالوهاب الجابي، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، دار ابن حزم - قبرص - بيروت.

٢١٥- صلة التكملة لوفيات النقلة، الحافظ أحمد بن محمد الحسيني، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ، دار ابن حزم، بيروت - لبنان.

٢١٦- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر الزرعي، الشهير ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. علي الدخيل الله، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، دار

العاصمة - الرياض.

٢١٧- الضعفاء (الكبير)، محمد بن عمرو العقيلي، تحقيق: عبدالمعطي قلعجي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت.

٢١٨- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد بن عبدالرحمن السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت.

٢١٩- الطالع السعيد الجامع في أسماء نجباء الصعيد، جعفر بن ثعلب بن جعفر، الأدفوي الشافعي، تحقيق: سعد محمد حسن، الطبعة الأولى ١٩٦٦م، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٢٢٠- طبقات الحفاظ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: د. علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية - مصر.

٢٢١- الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تقي الدين بن عبدالقادر التميمي، تحقيق: د. عبدالفتاح محمد الحلو، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع - الرياض.

٢٢٢- طبقات الشافعية الكبرى، عبدالوهاب بن علي السبكي، الطبعة الثانية، دار المعرفة - بيروت.

٢٢٣- طبقات الفقهاء ، إبراهيم بن علي الشيرازي، تحقيق: خليل الميس، دار القلم - بيروت - لبنان.

٢٢٤- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد البصري الزهري، دار صادر - بيروت - لبنان.

٢٢٥- طبقات المعتزلة، أحمد بن يحيى بن المرتضى، تحقيق وتعليق: علي سامي النشار، وعصام الدين محمد، دار المطبوعات ١٩٧٢م.

٢٢٦- طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنروي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة.

٢٢٧- طبقات المفسرين، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: د. علي محمد عمر، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة - مصر.

٢٢٨- طبقات المفسرين، محمد بن علي بن أحمد الداودي، تحقيق: علي محمد عمر، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة - مصر.

٢٢٩- طبقات علماء الحديث، محمد بن أحمد بن عبدالهادي، تحقيق: أكرم البوشي وإبراهيم الزيبق، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت.

٢٣٠- طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر الزرعي، الشهير بابن القيم الجوزية، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ، دار ابن القيم - الدمام.

٢٣١- ظهر الإسلام، أحمد أمين، الطبعة الخامسة ١٣٨٨هـ، دار الكتاب العربي - بيروت.

٢٣٢- العبر في خبر من غبر، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: محمد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٢٣٣- العدة في أصول الفقه، محمد بن الحسين الفراء أبو يعلى، تحقيق: د. أحمد بن علي مباركي، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ، مؤسسة الرسالة.

٢٣٤- عصمة الأنبياء، فخر الدين الرازي، الطبعة الأولى ١٩٩٠م، الدار العربية - بغداد.

٢٣٥- العظمة، عبدالله بن محمد أبو الشيخ الأصبهاني، تحقيق: رضاء الله بن محمد المباركفوري، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، دار العاصمة - الرياض.

٢٣٦- العقائد والأديان، عبدالقادر صالح، دار المعرفة - بيروت - لبنان.

٢٣٧- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، بدر الدين محمود العيني، تحقيق: د. محمد محمد أمين، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٣٨- عقود الجمان في شعراء هذا الزمان، المبارك بن أبي بكر بن حمدان ابن الشعار، مخطوط رقم (٨٤٨/ف) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٢٣٩- العقيدة الأصفهانية، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: إبراهيم سعيداي، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، مكتبة الرشد - الرياض.

٢٤٠- عقيدة السلف وأصحاب الحديث، ضمن مجموعة الرسائل المنيرية، دار إحياء التراث العربي.

٢٤١- عقيدة الشيعة في الإمامة، محمد باقر الأصفهاني.

٢٤٢- العقيدة الواسطية، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد أشرف عبدالمقصود.

٢٤٣- العقيدة، أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: عبدالعزيز عز الدين السيروان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، دار قتيبة - دمشق.

٢٤٤- العلل، علي بن عمر الدارقطني، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله السلفي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، دار طيبة - الرياض.

٢٤٥- علماء الحنابلة، بكر بن عبدالله أبو زيد، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية - الدمام.

٢٤٦- علماء نجد، عبدالله بن عبدالرحمن البسام، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ، دار العاصمة - الرياض.

٢٤٧- العلو للعلي الغفار، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: أبو محمود أشرف بن عبدالمقصود، الطبعة الأولى ١٩٩٥م، مكتبة أضواء السلف - الرياض.

٢٤٨- عمدة القاري، محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث، بيروت - لبنان.

٢٤٩- العمدة، موفق الدين محمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: ثناء خليل الهواري، إيمان

محمد أنور زهراء، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت.

٢٥٠- عمل اليوم والليلة، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: د. فاروق حمادة، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت.

٢٥١- عمل اليوم والليلة، أحمد بن محمد المعروف بابن السني الدينوري، تحقيق: بشير محمد عيون، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، دار البيان - دمشق.

٢٥٢- عيون التواريخ، محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق: د. فيصل السامر، ونبيلة عبدالمنعم داود، الطبعة الأولى ١٩٨٠م، دار الرشيد للنشر.

٢٥٣- غاية النهاية في طبقات القراء، محمد بن محمد الجزري، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٢٥٤- غريب الحديث، حمد بن محمد الخطابي البستي، تحقيق: عبدالكريم إبراهيم العزباوي، جامعة أم القرى - مكة المكرمة.

٢٥٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت.

٢٥٦- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٢٥٧- فتح رب البرية بتلخيص الحموية، محمد بن صالح بن عثيمين، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٢٥٨- الفتن، نعيم بن حماد المروزي، تحقيق: سمير أمين الزهيري، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، مكتبة التوحيد - القاهرة.

٢٥٩- الفخري في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية، محمد بن علي بن طباطبا ابن الطقطقي، دار صادر - بيروت.

٢٦٠- فرق الشيعة، حسن بن موسى النوبختي، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ، دار

الأضواء - بيروت.

٢٦١- الفرق بين الفرق، عبدالقاهر بن طاهر البغدادي، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار المعرفة - بيروت.

٢٦٢- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحراني، مطبعة معارف لاهور ١٣٩٧هـ.

٢٦٣- الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن حزم، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ، دار المعرفة - بيروت.

٢٦٤- الفهرست، محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم، الناشر: دار المعرفة - بيروت.

٢٦٥- فوات الوفيات، محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر - بيروت.

٢٦٦- فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف المناوي، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ، المكتبة التجارية الكبرى - مصر.

٢٦٧- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت.

٢٦٨- القدر، جعفر بن محمد الفريابي، تحقيق: عبدالله المنصور، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، أضواء السلف - الرياض.

٢٦٩- قرى الضيف، ابن أبي الدنيا عبدالله بن محمد بن عبيد، تحقيق: عبدالله بن حمد المنصور، الطبعة الأولى ١٩٩٧م، أضواء السلف - الرياض.

٢٧٠- قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن، لأبي بكر الكرمي، تحقيق: سامي عطا حسن، طبعة عام ١٤٠٠هـ، دار القرآن الكريم – الكويت.

٢٧١- القواعد الحسان لتفسير القرآن، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، مكتبة المعارف – الرياض.

٢٧٢- كاشف محاسن الغرة لطالب منافع الدرة، محمد بن أبي بكر بن علي الـشطي، تحقيق: جمال السيد رفاعي، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ، مكتبة الإيمان للطباعـة والنشر والتوزيع - مصر.

٢٧٣- الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل، عبدالله بن قدامـة المقدسـي، دار النشر: المكتب الإسلامي - بيروت.

٢٧٤- الكامل في التاريخ، علي بن محمد بن الأثير، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ، دار الكتاب العربي - بيروت.

٢٧٥- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيـدي، تحقيـق: د. مهـدي المخزومـي، و د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٢٧٦- الكشاف، محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة للطباعة والنشر، بـيروت - لبنان.

٢٧٧- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبدالله القـسطنطيني، المعروف بحاجي خليفة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٢٧٨- كشف الغمة في معرفة الأئمة، علي بـن عيـسى الأربلـي، الطبعـة الأولى ١٣٨١هـ، مكتبة بني هاشم.

٢٧٩- الكنى والأسماء، مسلم بن الحجاج النيسابوري، طبعة دار الفكر.

٢٨٠- لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، تقي الدين محمد بن محمد المكي، دار إحياء التراث العربي.

٢٨١- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٢٨٢- لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ،

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

٢٨٣- لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ، دار الهدى للنشر والتوزيع - الرياض.

٢٨٤- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية بشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، محمد بن أحمد السفاريني، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ، الناشر: مؤسسة الخافقين - دمشق.

٢٨٥- مؤيد الدين بن العلقمي وأسرار سقوط الدولة العباسية، محمد السعيدي، الطبعة الأولى ١٩٧٢م، مطبعة النعمان - النجف.

٢٨٦- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، الطبعة الثانية والثلاثون ١٤١٧هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت.

٢٨٧- مبادئ الفلسفة، أ.س. دابوبوت، ترجمة: أحمد أمين، دار الكتاب العربي - بيروت.

٢٨٨- المبسوط ، محمد بن أبي سهل السرخسي، تحقيق: خليل محيي الدين الميس، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.

٢٨٩- مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد (٣٠)، عام ١٤٠٦هـ.

٢٩٠- مجمع الآداب في معجم الألقاب، عبدالرزاق بن أحمد المعروف بابن الفوطي، تحقيق: محمد الكاظم، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي - طهران.

٢٩١- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر ابن حجر الهيتمي، دار الفكر - بيروت.

٢٩٢- مجمل اللغة، أبو الحسين أحمد ابن فارس، تحقيق: هادي حسن حمودي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، منشورات معهد المخطوطات العربية - الكويت.

٢٩٣- مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم ومساعده ابنه محمد، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ - الرياض.

٢٩٤- مجموعة التوحيد، مجموعة رسائل، لابن تيمية ومحمد بن عبدالوهاب وغيرهما، دار الفكر - بيروت.

٢٩٥- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، لأبي القاسم الأصفهاني، تحقيق: عمر الطباع، دار القلم، بيروت-- ١٤٢٠هـ.

٢٩٦- محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية – الدولة العباسية، محمد الخضري بك، الطبعة التاسعة ١٩٥٩م، المكتبة التجارية الكبرى - مصر.

٢٩٧- محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

٢٩٨- المحصول في علم الأصول، محمد بن عمر بن الحسين الرازي، تحقيق: طه جابر العلواني، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض.

٢٩٩- المحلى، علي بن أحمد ابن حزم الأندلسي، المكتب التجاري للطباعة والنشر - بيروت.

٣٠٠- محنة الإمام أحمد بن حنبل، عبدالغني المقدسي، تحقيق: د. عبدالله التركي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، دار هجر - مصر.

٣٠١- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - ١٤١٥هـ.

٣٠٢- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكـر الزرعـي الشهير بابن قيم الجوزية، دار الفكر.

٣٠٣- المختصر في أصول الدين، القاضي عبدالجبار أحمد المعتزلي، مطبـوع ضـمن رسائل العدل والتوحيد، اختيار سيف الدين الكاتب، منشورات دار مكتبـة الحياة، بيروت- لبنان.

٣٠٤- مختصر منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية، اختصره: عبـدالله الغنيمـان، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ، دار الأرقم.

٣٠٥- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر الزرعي، الشهير بابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمديـة - القاهرة.

٣٠٦- المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، عبدالرزاق محمد أسود، الطبعـة الأولى ١٤٠١هـ، الدار العربية للموسوعات - لبنان.

٣٠٧- المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، عبدالقادر بن أحمـد بـن مـصطفى المعروف بابن بدران، إدارة الطباعة المنيرية - مصر.

٣٠٨- مذاهب الإسلاميين، د. عبدالرحمن بدوي، الطبعة الثانية ١٩٧٩هـ، دار العلم للملايين - بيروت.

٣٠٩- المذاهب المعاصرة ومواقف الإسلام منها، د. عبدالرحمن عميرة، الطبعة الرابعة، دار الجيل - بيروت.

٣١٠- مذكرة في أصول الفقه، محمد الأمين الشنقيطي، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ، مكتبة ابن تيمية - القاهرة.

٣١١- مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والمعتقدات، علي بن أحمد بـن حـزم الظاهري، دار الكتب العلمية - بيروت.

٣١٢- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، عبدالمؤمن بن عبدالحق البغدادي،

تحقيق: علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ، دار إحياء الكتب العربية.

٣١٣- المرشد الأمين إلى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، طه عبدالرؤوف سعد، ومصطفى الهواري، مكتبة الكليات الأزهرية.

٣١٤- مسائل الإيمان، محمد بن الحسين بن محمد أبو يعلى، تحقيق: سعود بن عبدالعزيز الخلف، دار العاصمة - الرياض ١٤١٠هـ.

٣١٥- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

٣١٦- المستدرك على معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت.

٣١٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مؤسة قرطبة - القاهرة.

٣١٨- مشاهير علماء الأمصار، محمد بن حبان البستي، تحقيق: م. فيلا يشهمر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٣١٩- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد الفيومي، المكتبة العلمية - بيروت.

٣٢٠- مصنف ابن أبي شيبة، عبدالله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، مكتبة الرشد – الرياض.

٣٢١- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، حافظ بن أحمد الحكمي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، دار ابن القيم - الدمام.

٣٢٢- معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ، دار المعرفة - بيروت.

٣٢٣- معالم السنن، حمد بن محمد الخطابي، بعناية عبدالسلام محمد، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

٣٢٤- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق: عبدالجليل عبده شلبي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، عالم الكتب - بيروت.

٣٢٥- معجم الأدباء، لياقوت بن عبدالله الحموي، تحقيق: د. إحسان عباس، الطبعة الأولى عام ١٩٩٣م، دار الغرب الإسلامي – بيروت – لبنان.

٣٢٦- المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة.

٣٢٧- معجم البلدان، عبدالله بن ياقوت الحموي، تحقيق: فريد بن عبدالعزيز الجندي، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٣٢٨- معجم ألفاظ العقيدة، عامر عبدالله فالح، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، مكتبة العبيكان - الرياض.

٣٢٩- المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني - بيروت - لبنان.

٣٣٠- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدا يد الـسلفي، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ، مكتبة العلوم والحكم - الموصل.

٣٣١- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٣٣٢- المعجم الوسيط، لفريق من الباحثين برئاسة الأستاذ محمد علي علوبة، إشراف الأستاذ عبدالسلام هارون، الطبعة الثالثة ١٣٨٠هـ، نشر مجمع اللغة العربية - القاهرة - مصر.

٣٣٣- معجم شيوخ الدمياطي، عبدالمؤمن بن خلف الدمياطي، مخطوط رقم (٨٦٢١/خ)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٣٣٤- معجم طبقات الحفاظ والمفسرين، عبدالعزيز عز الدين السيروان، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، عالم الكتب - بيروت.

٣٣٥- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: د. محمد عوض، وفاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان.

٣٣٦- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعاصر، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: بشار عواد، شعيب الأرناؤوط، صالح مهدي عباس، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت.

٣٣٧- المعين في طبقات المحدثين، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: د. همام عبدالرحيم سعيد، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، دار الفرقان، عمان - الأردن.

٣٣٨- المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد، الشهير بالراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، مطبعة البابي الحلبي - مصر، طبعة عام ١٣٨١هـ.

٣٣٩- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة.

٣٤٠- المقتفي على كتاب الروضتين المعروف بتاريخ البرزالي، القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ، المكتبة العصرية - بيروت.

٣٤١- المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن محمد بن مفلح، تحقيق: د. عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع.

٣٤٢- المقفى الكبير، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تحقيق: محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان.

٣٤٣- الملل والنحل، محمد بن عبدالكريم بن أحمد الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة - بيروت.

٣٤٤- من ذيول العبر، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، الناشر: مطبعة حكومة الكويت.

٣٤٥- مناقب الإمام أحمد بن حنبل، جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الطبعة الأولى ١٩٧٩م، مكتبة الخانجي - مصر.

٣٤٦- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، عبدالرحمن بن علي بن الجوزي أبو الفرج، الطبعة الأولى ١٣٥٨هـ، دار صادر - بيروت.

٣٤٧- منهاج السنة النبوية، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٣٤٨- المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد، عبدالرحمن العليمي المقدسي الحنبلي، تحقيق: إبراهيم صالح، الطبعة الأولى ١٩٩٧م، دار صادر - بيروت - لبنان.

٣٤٩- منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، عثمان علي حسن، الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ، مكتبة الرشد - الرياض.

٣٥٠- منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى، خالد بن عبداللطيف نور، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة – السعودية.

٣٥١- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، لابن تغري بردي، تحقيق: د. محمد محمد

أمين، الطبعة الأولى ١٩٨٦م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٣٥٢- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، وضع حواشيه: خليل المنصور، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٣٥٣- المواقف في علم الكلام، عبدالرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة، الطبعة الأولى ١٩٩٧م، دار الجيل - بيروت.

٣٥٤- الموسوعة العربية الميسرة، الطبعة الثالثة ٢٠٠١م، دار الجيل، الجمعية المصرية.

٣٥٥- موسوعة المدن العربية، آمنة أبو حجر، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م، در أسامة للنشر والتوزيع، الأردن - عمان.

٣٥٦- الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، جمع وإعداد مجموعة من المؤلفين، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، سلسلة إصدارات الحكمة.

٣٥٧- الموطأ ، مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي - مصر.

٣٥٨- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة - بيروت.

٣٥٩- الناسخ والمنسوخ، أحمد بن محمد النحاس، تحقيق: د. محمد عبدالسلام محمد، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، مكتبة الفلاح - الكويت.

٣٦٠- النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، لابن دحية، تحقيق: مديحة الشرقاوي، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد.

٣٦١- النبوات، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، الناشر: المطبعة السلفية بالقاهرة عام ١٣٨٦هـ.

٣٦٢- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي الأتابكي، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

٣٦٣- نزول عيسى بن مريم آخر الزمان، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

٣٦٤- نقض تأسيس الجهمية، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، تصحيح وتكميل وتعليق: محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، مؤسسة قرطبة.

٣٦٥- النهاية في غريب الحديث والأثر ، المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ.

٣٦٦- هدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٣٦٧- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل الصفدي، اعتناء: أيمن فؤاد سيد، الطبعة الثانية ١٤١١هـ.

٣٦٨- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود ورفاقه، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

٣٦٩- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، الطبعة الأولى ١٣٦٧هـ، مطبعة السعادة بمصر.

٣٧٠- الوفيات، محمد بن رافع السلامي، تحقيق: صالح مهدي عباس، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ، مؤسسة الرسالة.

فهرس الموضوعات

الموضوع ....رقم الصفحة